

الرواية التي حققت المرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

طبيب النوم

DOCTOR SLEEP

تكملة رواية البريق [The Shining]

رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة

Telegram
Network

2020

تحولت
إلى
إنتاج سينمائي
ضخم

طبيب النوم

DOCTOR SLEEP

تكملة رواية البريق (The Shining)

طبيب النوم

DOCTOR SLEEP

تكملة رواية البريق (The Shining)

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

ترجمة

اوليف عوكي



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Doctor Sleep

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من

.The Lotts Agency, Ltd

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع مع الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2013 by Stephen King

All Rights Reserved

Arabic Copyright © 2019 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: ديسمبر/كانون الأول 2019 م – 1441 هـ

ردمك 9-2968-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة للناشر

facebook.com/ASPArabic

twitter.com/ASPArabic

www.aspbooks.com

isparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (+961-1)

ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 1102-2050 – لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

ش.م.ل

تصميم الغلاف: علي القهوجي

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (1-961+) 785107

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (1-961+) 786233

مسائل تمهيدية

الصندوق المُقفل

1

في اليوم الثاني من ديسمبر في سنة كان مُزارع فول سوداني من جورجيا يؤدي فيه أعماله التجارية في البيت الأبيض، احترق فندق الأوفرلوك، أحد فنادق كولورادو الرائعة، بالكامل واعتُبر خسارة كُلية. بعد التحقيقات، أعلن مسؤول فريق الإطفاء في مقاطعة جيكاريليا أن الحريق نتج عن عيوب في المِرْجَل. كان الفندق مُغلقاً للشتاء عند وقوع الحادث، ولم يكن فيه سوى أربعة أشخاص. نجا ثلاثة منهم. وقد قُتل وكيل الفندق خارج الموسم، جون تورانس، خلال سعيه غير الناجح (والبطولي) لتفريغ ضغط بخار المِرْجَل، الذي تصاعد إلى مستويات كارثية نتيجة عطل في صمام التنفيس.

اثنان من الناجين هما زوجة الوكيل وابنه اليافع. أما الثالث فهو طبّاح الأوفرلوك، ريتشارد هالوران، الذي كان قد ترك عمله الموسمي في فلوريدا وأتى ليتفقّد أحوال عائلة تورانس بسبب ما سمّاه "حديساً قوياً" أشعره أن العائلة في ورطة. تعرّض الراشدان الناجيان لجروح خطيرة في الانفجار. فقط الولد لم يتعرّض لأي أذى.

جسدياً، على الأقل.

2

تلقت ويندي تورانس وابنها تسويةً من الشركة مالكة الأوفرلوك. لم تكن تسوية ضخمة، لكنها كافية لتسيير أمورهم طوال السنوات الثلاثة التي ستكون غير قادرة على العمل خلالها بسبب إصاباتهما في الظهر. وقد أخبرها محام استشارته أنها قد تحصل على تسوية أفضل إذا كانت مستعدةً أن تصمد وتعتمد أسلوب مواجهة صارماً أكثر، لأن الشركة تتوق لتتجنّب دعوى في المحكمة. لكنها، مثل الشركة، أرادت فقط أن تضع ذلك الشتاء الكارثي في كولورادو خلفها. ستتمثل للشفاء، حسبما قالت، وتمثلت للشفاء فعلاً، رغم أنها بقيت تعاني من إصاباتهما في الظهر طوال حياتهما. الفقرات المحطّمة والأضلاع المكسورة تُشفى، لكنها لا تتوقف عن الصراخ أبداً.

عاشت وينيفرد ودانيال تورانس وسط الجنوب لبعض الوقت، ثم انجرفا جنوباً إلى تامبا. وكان دكّ هالوران (بظهره المحدّب بقوة) يصعد أحياناً من كي وست ليزورهما. ليزور اليافع داني

بشكل خاص. فقد توأد رباط مشترك بينهما.

ذات صباح باكر في مارس 1981، اتصلت ويندي بديك وسألته إن كان يمكنه القدوم. فقد أيقظها داني في الليل وأخبرها ألا تدخل الحمام.

بعد ذلك، رفض التكلّم نهائياً.

3

استيقظ وهو يشعر بالحاجة لبيوّل. وكانت هناك رياح قوية تعصف في الخارج. كان الجو دافئاً - الجو دافئ في فلوريدا تقريباً دائماً - لكن ذلك الصوت لم يعجبه، وافترض أنه لن يعجبه أبداً. فقد ذكره بالأوفرلوك، حيث كان المرّجل ذو العيوب هو أقل الأخطار.

عاش وأمه في شقة سكنية ضيقة في الطابق الثاني. خرج داني من الغرفة الصغيرة المجاورة لغرفة أمه واجتاز الرواق. عصفت الرياح وخشخت أوراق شجرة نخيل مُحترّرة بجانب المبنى بصوت هزيل. كانا يتركان باب الحمام مفتوحاً دائماً عندما لا يستخدم أحد الدُش أو المراض، لأن القفل مكسور. لكن الباب كان مغلقاً هذه الليلة. لكن ليس لأن أمه في الداخل. فبسبب الإصابات الوجيهة التي تعرّضت لها في الأوفرلوك، أصبحت تشخر الآن - شخيراً ناعماً - ويمكنه سماعه قادماً من غرفة نومها.

حسناً، لقد أغلقتَه عن طريق الخطأ، هذا كل شيء.

كان أوعى من ذلك، حتى وقتها (كان يمتلك حدساً قوياً)، لكن عليك أن تعي أحياناً. عليك أن ترى أحياناً. هذا كان شيئاً اكتشفه في الأوفرلوك، في غرفة في الطابق الثاني.

مدّ ذراعاً بدت طويلة جداً، مرنة جداً، منزوعة العظام أيضاً، وأدار المسكة وفتح الباب.

المرأة من الغرفة 217 كانت هناك، مثلما عرف أنها ستكون. كانت تجلس عارية على المراض، ورجلاها متباعدين عن بعضهما، وفخذاها الشاحبان منتفخين، وصدرها المُخضّر متديلاً مثل بالونين مفرّغ منهما الهواء، ورقعة الشعر التي تحت معدتها رمادية. كانت عيناها رماديتين أيضاً، مثل مرايا فولاذية. رآته، وزمّت شفثيها إلى الخلف في ابتسامة.

أغمض عينيك، أخبره بك هالوران ذات يوم. إذا رأيت شيئاً كريهاً، أغمض عينيك وأخبر نفسك أنه غير موجود، وعندما تفتحهما مرة أخرى، سيكون قد اختفى.

لكن هذا لم ينجح في الغرفة 217 عندما كان في الخامسة، ولن ينجح الآن. لقد عرف ذلك. يمكنه أن يشمّها. كانت تتحلّل.

نهضت المرأة - يعرف اسمها، إنها السيدة ماسي - بتناقل إلى قدميها الأرجوانيتين، ومدت يديها إليه. اللحم على ذراعيها متدلّ، ينزف تقريباً. كانت تنبسم بالطريقة التي يبتسم بها المرء عندما يرى صديقاً قديماً، أو ربما شيئاً صالحاً للأكل.

بتعبير يمكن تفسيره خطأ أنه هدوء، أغلق داني الباب بلطف وتراجع إلى الورا. راح يراقب المسكة تُدار إلى اليمين... اليسار... اليمين مرة أخرى... ثم هدأ.

إنه في الثامنة الآن، وقادر على بعض التفكير المنطقي حتى في رعبه، جزئياً لأنه كان يتوقع ذلك في جزء عميق من ذهنه. رغم أنه لطالما توقع أن هوراس درونت هو الذي سيظهر في نهاية المطاف. أو ربما الساقى، ذلك الذي كان أبوه يدعوه لويد. لكنه افترض أنه كان عليه أن يعرف أنها ستكون السيدة ماسي، حتى قبل أن يحصل أخيراً. لأنه بين كل الأشياء غير الميئة في الأوفرلوك، كانت الأسوأ.

أخبره الجزء المنطقي من ذهنه أنها مجرد جزء من حلم مزعج لا يتذكّره تبعه إلى خارج نومه وعبر الرواق إلى الحمام. أصرّ ذلك الجزء أنه إذا فتح الباب مرة أخرى، لن يكون هناك شيء. طبعاً لن تكون هناك بعد أن استيقظ الآن. لكن جزءاً آخر منه، جزءاً برق، كان أدري من ذلك. لم يكن الأوفرلوك قد انتهى منه، حيث تبعه واحد من أشباحت الانتقامية على الأقل إلى فلوريدا. التقى ذات مرة بتلك المرأة الممددة في حوض الاستحمام، وقد خرجت منه وحاولت خنقه بأصابعها المرئية (لكن القوية بشكل رهيب). إذا فتح باب الحمام الآن، سننجز مهمتها.

وجد حلاً وسطاً بأن وضع أذنه على الباب. لم يسمع شيئاً في البدء، ثم سمع صوتاً خافتاً.

أظافر ميئة تخدش على الخشب.

دخل داني المطبخ على رجلين غير موجودتين، ووقف على كرسي، وبوّل في المغسلة. ثم أيقظ أمه وأخبرها ألا تدخل الحمام لأن فيه شيء سيئ. بعدما انتهى، عاد إلى سريره وغرق عميقاً تحت الغطاء. أراد أن يبقى هناك إلى الأبد، أن ينهض فقط لكي يبوّل في المغسلة. الآن وقد حذر أمه، لم تكن لديه أي رغبة في التكلّم معها.

كانت أمه تعرف عن حالة عدم الكلام. فقد حصلت بعد تجرؤ داني على دخول الغرفة 217 في الأوفرلوك.

"هل ستتكلّم مع ديك؟"

ممدداً على سريره، وهو ينظر إليها، أوماً برأسه. فاتصلت أمه، رغم أنها كانت الرابعة فجراً.

في وقت متأخر من اليوم التالي، أتى ديك محضراً شيئاً معه. هدية.

بعدها اتصلت ويندي بيدك - تأكدت من سماع داني اتصالها - عاد داني إلى النوم. رغم أنه في الثامنة الآن وفي الصف الثالث، إلا أنه يمسّ إبهامه، ويؤلمها رؤيته يفعل ذلك. ذهبت إلى باب الحمام ووقفت تنظر إليه. كانت خائفة - داني جعلها خائفة - لكن عليها أن تبوّل، ولم تكن لديها نية باستخدام المغسلة مثله. فصورة ترتحها على حافة المنضدة ومؤخرتها معلقة فوق الخزف (حتى ولو لم يكن هناك أحد ليراها) جعلها تجعد أنفها.

كانت تُمسك في يدها المطرقة من صندوقها الصغير لأدوات الأرملة، فرفعتها في الهواء عندما أدارت المسكة ودفعت باب الحمام لتفتحه. كان الحمام فارغاً، بالطبع، لكن حلقة مقعد المراض مُخفضة. هي لا تتركها بهذه الوضعية أبداً قبل أن تأوي إلى السرير، لأنها تعرف أنه إذا دخل داني الحمام مستيقظاً ولو عشرة بالمئة فقط، سينسى رفعها ويبوّل عليها كلها. كما كانت هناك رائحة أيضاً. رائحة كريهة. كما لو أن جرذاً مات داخل الجدران.

خطت خطوة إلى الداخل، ثم خطوتين. رأت حركةً فاستدارت رافعةً المطرقة استعداداً لتضرب أيّاً يكن

(أي شيء)

مختبئ خلف الباب. لكنه كان ظلها فقط. يسخر منها الناس أحياناً أنها تخاف من ظلها، لكن من يحق له أكثر من ويندي تورانس أن يخاف من ظلّه؟ بعد الأشياء التي رأتها واختبرتها، كانت تعرف أن الظلال يمكن أن تكون خطيرة. يمكن أن تكون لها أسنان.

لا أحد في الحمام، لكن هناك لطفة مُفسدة ألوانها على مقعد المراض ولطفة أخرى على ستارة الدُش. الغائط كان فكرتها الأولى، لكن لون البراز ليس أرجوانياً مصفراً. نظرت عن كثب أكثر ورأت فتات لحم وجلد متحللة. رأت المزيد منها على حصيرة الحمام، على شكل آثار. شعرت أنها صغيرة جداً - أنيقة جداً - لتكون فتات رجل.

"يا إلهي"، همست.

انتهى بها الأمر أن استخدمت المغسلة.

أنهضت ويندي إينها من سريرها عند الظهر بالقوة. وتمكّنت من إطعامه بعض الحساء ونصف شطيرة زبدة فول سوداني، لكنه عاد بعدها إلى السرير. لا يزال يرفض أن يتكلم. وصل هالوران بعيد الخامسة بعد الظهر، جالساً خلف مقود سيارته الكاديلاك الحمراء القديمة (لكن المُصانة بشكل مثالي والمصقولة إلى لمعان يكاد يُعمي البصر). كانت ويندي تقف عند النافذة، تنتظر وتترقب مثلما كانت تنتظر وتترقب عودة زوجها، على أمل أن يعود جاك إلى المنزل في مزاج جيد. وغير ثمل.

سارعت إلى نزول السلالم وفتحت الباب لحظة كان ديك على وشك أن يرنّ الجرس المعلم "تورانس 2A". فتح ذراعيه وسارعت إلى الارتقاء عليهما، وتمنّت لو يمكنها أن تبقى مُحْتَضَنَةً هكذا لساعة على الأقل. ربما ساعتين.

تركها وأبعدها عنه طول ذراعه وأمسكها بكتفيها. "تبددين بخير يا ويندي. كيف حال الرجل الصغير؟ هل يتكلم من جديد؟".

"لا، لكنه سينكلم معك. حتى ولو لم يفعل ذلك بصوت عالٍ في البداية، يمكنك أن -". بدلاً من إنهاء جملتها، صنعت شكل مسدس بأصابعها ووجّهته إلى جبهته.

"ليس بالضرورة"، قال ديك. كشفت ابتسامته سنّين اصطناعيين ساطعين. لقد أخذ الأوفرلوك معظم الطعم الأخير ليلة انفجار المرجل عندما لوّح جاك تورانس بالمطرقة التي أخذت أسنان ديك الاصطناعية وقدرة ويندي على السير دون خلل في خطواتها، لكنهما فهما أن المذنب الحقيقي هو الأوفرلوك. "إنه قوي جداً يا ويندي. إذا أراد صدّي، سيفعل ذلك. أعرف من خبرتي. كما أنه من الأفضل لو تكلمنا بأفواهنا. أفضل له. أخبريني الآن كل شيء حصل".

بعد أن فعلت، أخذته ويندي إلى الحمام. كانت قد تركت البقع لكي يراها، مثل شرطي بانس يحافظ على مسرح جريمة للفريق الجنائي. وقد وقعت جريمة. جريمة ضد فتاها.

بقي ديك ينظر لوقت طويل، دون أن يلمس شيئاً، ثم أوماً برأسه. "دعينا نرى إن كان داني مستيقظاً".

لم يكن، لكن قلب ويندي استراح من إمارات السرور التي بدت على وجه إنها عندما رأى من كان يجلس بجانبه على السرير ويهزّ له كتفه.

(يا داني، لقد أحضرتُ لك هدية)

(اليوم ليس ذكري ولادتي)

راقبتهما ويندي، وهي تعرف أنهما يتكلمان لكن دون أن تعرف عما يتكلمان.

قال ديك، "انهض يا عزيزي. سنذهب لنتمشّي على الشاطئ".

(ديك، لقد عادت السيدة ماسي من الغرفة 217)

هزّ ديك كتفه مرة أخرى. "تكلم بصوت عالٍ يا دان. أنت تخيف أمك".

قال داني، "ما هي هديتي؟".

ابتسم ديك. "هذا أفضل. أحبّ سماع صوتك، وويندي أيضاً".

"نعم". هذا كل ما تجرأت على قوله، وإلا لسمعا الارتعاش في صوتها وقلقاً. لم ترغب ذلك.

"قد تريدن تنظيف الحمام في غيابنا"، قال لها دك. "هل لديك قفازات مطبخ؟".

أومات برأسها.

"جيد. ارتديها".

6

الشاطئ يبعد ثلاثة كيلومترات، ومرأب السيارات مُحاط بعوامل جذب مبهجة - أكشاك كعكات قمع، منصات نقانق، متاجر تذكارات - لكنهم في نهاية الموسم، ولم يكن يجري الكثير من البيع. كان أغلب الشاطئ لهما فقط. طوال النزهة من الشقة، بقي داني يُمسك هديته - حزمة مستطيلة، ثقيلة جداً، ملفوفة بورقة فضية - على حُضنه.

"يمكنك أن تفتحها بعد أن نتكلم قليلاً"، قال دك.

سارا بمحاذاة الأمواج، حيث الرمل صلب ولامع. سار داني ببطء، لأن دك عجوز جداً. سيموت يوماً ما. ربما قريباً.

"أنا قادر على الصمود لسنوات قليلة أخرى"، قال دك. "لا تقلق بشأن ذلك. أخبرني الآن عن ليلة أمس، ولا تغفل شيئاً".

لم يحتج إلى وقت طويل. فالجزء الصعب هو إيجاد كلمات ليصف الرعب الذي يشعر به الآن، وكيف امتزج بيقين خانق: الآن وقد عثرت عليه، لن تغادر أبداً. لكن لأنه دك، لم يحتج إلى كلمات، رغم أنه وجد بعضها.

"ستعود. أعرف ذلك. ستبقى تعود إلى أن تنال مني".

"هل تتذكّر عندما التقينا؟".

رغم تفاجئه من تغيير الاتجاه، إلا أن داني أوما برأسه. كان هالوران الذي قدّم له ولوالديه جولة في يومهم الأول في الأوفرلوك. بدا له أن ذلك حصل منذ زمن بعيد جداً.

"وهل تتذكّر أول مرة تكلمتُ فيها داخل رأسك؟".

"بالتأكيد".

"ماذا قلتُ؟".

"سألتني إن كنتُ أريد الذهاب إلى فلوريدا معك".

"هذا صحيح. وماذا أشعرك ذلك، أن تعرف أنك لم تعد لوحده؟ أنك لست الوحيد؟".

"كان رائعاً"، قال داني. "رائعاً جداً".

"أجل"، قال هالوران. "أجل، بالطبع كان رائعاً".

سارا بصمت لبعض الوقت. كانت هناك طيور صغيرة - مزققات، هكذا تسميها والدة داني - تركض إلى الأمواج ومنها.

"هل تساءلت يوماً كيف ظَهَرْتُ عندما كنتَ بحاجة لي؟". أخفض نظره إلى داني وابتسم. "لا. ولماذا ستسأل؟ كنت مجرد ولد، لكنك أكبر سنّاً قليلاً الآن. أكبر سنّاً كثيراً أحياناً. اسمعني يا داني. للعالم طريقة في المحافظة على توازن الأشياء. أنا أصدِّق هذا. هناك مقولة تقول: عندما يكون التلميذ جاهزاً، سيظهر الأستاذ. وأنا كنتُ أستاذك".

"كنت أكثر من ذلك بكثير"، قال داني، وأمسك يد ديك. "كنت صديقي. لقد أنقذتنا".

تجاهل ديك ذلك... أو بدا أنه تجاهله. "كانت جدتي أيضاً تملك البريق - هل تتذكّرني أخبرك ذلك؟".

"أجل. قلت إنه كان بإمكانكما إجراء حديث طويل دون حتى فتح فاهكما".

"هذا صحيح. لقد علّمتني. وجدّة أبيها هي التي علّمتها، خلال أيام العبودية. يوماً ما يا داني، سيصبح دورك أن تكون الأستاذ. وسيأتي التلميذ".

"إذا لم تتل مني السيدة ماسي أولاً"، قال داني بتجهم.

وصلا إلى مقعد. جلس ديك. "لا أتجرأ على الذهاب أبعد من ذلك؛ قد لا أتمكن من العودة. اجلس بجانبني. أريد أن أخبرك قصة".

"لا أريد قصصاً"، قال داني. "ستعود، ألا تفهم؟ ستعود وتعود وتعود".

"اصمت واسمعي. خذ بعض التعليمات". ثم ابتسم ديك، مُظهراً طقم أسنانه الاصطناعية الجديدة اللامعة. "أعتقد أنك ستفهم. أنت لست غيبياً يا عزيزي".

عاشت جدّة ديك من جهة أمه - التي كانت تملك البريق - في كليرووتر. كانت الجدّة البيضاء. ليس لأنها كانت قوقازية، بالطبع، لكن لأنها كانت طيبة. وعاش جدّه من جهة أبيه في

دنبري، ميسيسيبي، وهو مجتمع ريفي ليس بعيداً عن أكسفورد. ماتت زوجته قبل وقت طويل من ولادة دك. كان غنياً بالنسبة لرجل أسود في ذلك المكان والزمان. فقد امتكأ مكتباً للدفن. كان دك ووالداه يزورونه أربع مرات في السنة، وقد كره دك هالوران اليافع تلك الزيارات. كان يرتعب من أندي هالوران، ويسميه - فقط في ذهنه، لأن نطق ذلك بصوت عالٍ كان ليسبب له صفة على الوجه - الجد الأسود.

"هل تعرف عن العابثين بالأطفال؟"، سأل دك داني. "الأشخاص الذين يريدون مضاجعة الأولاد؟".

"نوعاً ما"، قال داني بحذر. بالطبع كان يعرف أنه لا يجب أن يتكلم مع الغرباء، وأنه لا يجب أن يركب سيارة أحدهم أبداً. لأنهم قد يفعلون بعض الأشياء بك.

"حسناً، كان العجوز أندي أكثر من مجرد عابث بالأطفال. كان سادياً لعيناً أيضاً".
"ما هذا؟".

"شخص يستمتع بإيلاام الآخرين".

أوماً داني برأسه في إمارة فهم فوري. "مثل فرانكي ليسترون في المدرسة. يسبب حروقا هندية وفركاً هولندياً للأولاد. إذا لم ينجح في جعلك تبكي، يتوقف. وإذا نجح، لا يتوقف أبداً".

"هذا سيئ، لكن هذا كان أسوأ".

انزلق دك في ما كان ليبدو صمتاً لأي عابر سبيل، لكن القصة مضت في سلسلة صور وجمل ربط. رأى داني الجد الأسود، رجلاً طويلاً في بذلة سوداء مثله، يرتدي نوعاً خاصاً من

(فيديورا)

القبعات على رأسه. رأى كيف كانت هناك دائماً براعم صغيرة من البصاق عند زوايا فمه، وكيف كانت عيناه حمراوين، كما لو أنه مُتعب أو أنهى البكاء للتو. رأى كيف يأخذ دك - أصغر سنّاً مما عليه داني الآن، وعلى الأرجح بنفس العمر الذي كان عليه ذلك الشتاء في الأوفرلوك - على حُضنه. إذا لم يكونا لوحدهما، يدغدغه فقط. لكن إذا كانا لوحدهما، يضع يده بين رجلي دك ويضغط خصيتيه إلى أن يعتقد دك أنه سيفقد الوعي من الألم.

"هل يعجبك هذا؟"، يقول الجد أندي لاهناً في أذنه، بأنفاس تعبق برائحة السجائر والشراب الاسكتلندي. "طبعاً يعجبك، كل فتى يحب هذا. لكن حتى لو لا يعجبك، لن تُخبر أحداً. لأنني سأؤذيك إذا فعلت ذلك. سأحرقك".

"يا للهول"، قال داني. "هذا مقرف".

"كانت هناك أشياء أخرى أيضاً"، قال دك، "لكنني سأخبرك أحدها فقط. وظف جدّي امرأة لتساعده في المنزل بعد وفاة زوجته. كانت تنظّف وتطبخ. وفي وقت العشاء، تضع كل شيء على الطاولة دفعة واحدة، من السلطة إلى الحلوى، لأن هذه هي الطريقة التي تروق للجدّ الأسود. كانت الحلوى دائماً كعكة أو بودينغ موضوعة في طبق صغير بجانب طبق عشاءك لكي تتمكن من النظر إليها والرغبة بها بينما تحرث القذارة الأخرى. كانت قاعدة الجدّ الصارمة أنه يمكنك أن تنظر إلى الحلوى لكن لا يمكنك أن تأكلها إلا إذا أنهيت كل اللحم المقلي والخضار المسلوقة والبطاطا المهروسة. وحتى عليك تنظيف صلصة مرق اللحم، التي كانت كثيرة الكتل وليس لها أي مذاق كبير. إذا لم أنه كل شيء، يعطيني الجدّ الأسود قطعة خبز ضخمة ويقول لي 'غمّسها بهذه، أيها العصفور الصغير، اجعل هذا الطبق يلمع كما لو أن كلباً لعقه'. هذا ما كان يناديني به، العصفور الصغير.

"لا أتمكن أحياناً من إنهاء الطبق مهما حاولت، ولا أحصل عندها على الكعكة أو البودينغ. فيأخذها ويأكلها بنفسه. وأحياناً عندما أتمكن من إنهاء كل عشاءي، أجد أنه أطفأ عقب سيجارة في قطعة كعكتي أو البودينغ بالفانيليا. يمكنه أن يفعل ذلك لأنه يجلس بجانبني دائماً. ويتصرّف كما لو أنها نكتة مضحكة، فيقول، 'آه، لم أصب المنفضة! لم يضع أمي وأبي حدّاً لذلك أبداً، رغم أنهما لا شك عرفا أنه من غير العدل فعل هكذا أمر لولدي حتى ولو على سبيل المزاح. بل تصرّف أيضاً كما لو أنها نكتة".

"هذا سيئ حقاً"، قال داني. "كان يجب على والدك أن يدافعاً عنك. أمي تفعل ذلك. وأبي كان ليفعل ذلك أيضاً".

"كانا خائفين منه، ويحقّ لهما ذلك. كان أندي هالوران درّاجة نارية سيئة جداً. فيقول، 'هيا يا عصفوري، كل من حولها، هذا لن يسمّمك! إذا أخذتُ لقمّة، يطلب من نوني - هذا كان إسم مديرة منزله - أن تحضّر لي حلوى جديدة. وإذا لم آخذ لقمّة، ستبقى جالسةً هناك. كان يفعل ذلك لكي لا أستطيع أن أنهى طبق طعامي أبداً، لأن معدتي ستكون قد انقبضت وتوعّكت".

"كان عليك نقل كعكتك أو البودينغ إلى الجهة الأخرى لطبقك"، قال داني.

"حاولتُ ذلك بالتأكيد، فأنا لم أولد أحمق. لكنه يعيد نقلها قائلاً إن الحلوى مكانها على اليمين". صمت دك قليلاً وراح ينظر إلى الماء، حيث يسير زورق أبيض طويل ببطء على الخط الفاصل بين السماء وخليج المكسيك. "أحياناً عندما نكون بمفردنا يعصّني. وذات مرة، عندما قلتُ إنني سأخبر أبي إن لم يتركني وشأني، أطفأ سيجارة على قدمي العارية وقال، 'أخبره هذا أيضاً، وسنرى ماذا سيفيدك ذلك. يعرف أبوك أساليبي من قبل ولن يقول كلمة أبداً، لأنه جبان ويريد مالي الذي في المصرف عندما أموت، والذي لا أنوي فعله قريباً".

راح داني يستمع بافتتان مُبرّق العينين. لطالما ظنّ أن قصة ذي اللحية الزرقاء هي الأكثر إخافةً على الإطلاق، لكن هذه القصة أسوأ. لأنها حقيقية.

"كان يقول أحياناً إنه يعرف رجلاً شريراً يدعى تشارلي مانكس، وإذا لم أفعل ما يريد، سيتصل به ليأتي بسيارته الفاخرة ويأخذني إلى مكان بعيد مخصّص للأولاد السيئين. ثم يضع جديّ يده بين رجليّ ويبدأ الضغط. 'إذاً لن تقول شيئاً أيها العصفور الصغير. إذا قلت شيئاً، سيأتي تشارلي ويبيقك مع الأولاد الآخرين الذين سرّقهم إلى أن تموت. وعندها ستذهب إلى الجحيم ويحترق جسمك إلى الأبد. لأنك وشيت. لا يهم إن صدّقت أحدٌ أم لم يصدّقك، الوشاية تبقى وشاية!."

"بقيتُ لمدة طويلة أصدّق العجوز الوغد. حتى إنني لم أخبر جدّتي البيضاء، تلك التي تملك البريق، لأنني كنتُ خائفاً أن تظنّ أن الذنب ذنبي. لو كنتُ أكبر سنّاً لكانتُ أكثر إدراكاً، لكنني كنتُ مجرد ولد". صمت قليلاً. "كان هناك شيء آخر أيضاً. هل تعرف ماذا كان يا داني؟"

بقي داني ينظر إلى وجه دكّ لوقت طويل، يستقصي الأفكار والصور التي خلف جبهته. ثم قال أخيراً، "أردتُ أن يحصل أبوك على المال. لكنه لم يحصل عليه أبداً".

"لا. تركه الجدّ الأسود كله لمنزل يرعى الأيتام الزوج في ألاباما، وأنا متأكد أيضاً أنني أعرف السبب. لكن هذا ليس هنا أو هناك".

"وجدّتك الطيبة لم تعرف أبداً؟ لم تتكهن أبداً؟"

"عرّفت أن هناك شيئاً، لكنني أبقيتُ المسألة طي الكتمان جيداً، وتركتني وشأني بشأن ذلك. فقط أخبرتني أنه عندما أكون جاهزاً لأتكلم، ستكون جاهزة لتستمع لي. داني، عندما مات أندي هالوران - من نوبة قلبية - كنتُ أسعد فتى على كوكب الأرض. قالت أمي إنني غير ملزم أن أذهب إلى الجنازة، وإنه يمكنني البقاء مع الجدّة روز - جدّتي البيضاء - إذا أردتُ ذلك، لكنني أردتُ أن أذهب. طبعاً أردتُ أن أذهب. أردتُ التأكد أن الجدّ الأسود العجوز مات حقاً."

"أمطرت ذلك اليوم. وقّف كل شخص حول القبر تحت مظلة سوداء. راقبتُ تابوته - أكبر وأفضل تابوت في متجره، لا شك في ذلك - ينزل باطن الأرض، ورحتُ أتذكّر كل المرات التي قتل فيها خصيتيّ وكل أعقاب السجائر في كعكتي والعقب الذي أطفأه على قدمي وكيف حكّم طاولة العشاء مثل الملك العجوز المجنون في مسرحية شكسبير تلك. لكن أكثر شيء فكّرت فيه كان تشارلي مانكس - الذي لا شك أنه من نسخ خيال جديّ - وكيف أن الجدّ الأسود لا يستطيع الاتصال به أبداً ليأتي ليلاً ويأخذني بعيداً في سيارته الفاخرة لكي أعيش مع بقية الفتيان والفتيات المخطوفين."

"اختلستُ النظر فوق حافة القبر - 'دعي الفتى ينظر'، قال أبي عندما حاولت أمي شدّي إلى الخلف - ورحتُ أتفحص التابوت في تلك الحفرة الرطبة وفكّرت في سري، 'في الأسفل هنا أنت أقرب بمتريّن إلى الجحيم، أيها الجدّ الأسود، وقريباً جداً ستصل إلى هناك، وأمل أن يعطيك الشيطان ألفاً بيد ملتبهة!'"

مدّ دكّ يده إلى جيب بنطلونه وأخرج حزمة سجائر مارلبورو مع علبة أعواد ثقاب. وضع سيجارة في فمه ثم اضطر إلى مطارقتها بعود الثقاب لأن يده كانت ترتعش وشفثيه ترتعشان أيضاً. اندهش داني من رؤية عيني دكّ تغرورقان بالدموع.

الآن وقد أصبح يعرف إلى أين تتجه هذه القصة، سأل داني: "متى عاد؟".

أخذ يكّ مجّة عميقة من سيجارته وزفرَ الدخان عبر ابتسامته. "لم تحتج إلى اختلاس النظر إلى داخل رأسي لتعرف هذا، أليس كذلك؟".

"لا".

"بعد ستة أشهر. عدتُ من المدرسة ذات يوم ووجدته ممدداً عارياً على سريري وعضوه نصف المتعفن مرتفعاً. قال، 'تعال واجلس على هذا أيها العصفور الصغير. أعطني ألفاً وسأعطيك ألفين!' رحتُ أصرخ لكن لم يكن هناك أحد ليسمعي. كان والداي في وظيفتيهما، أمي في مطعم وأبي في مطبعة. خرجتُ راكضاً وخبطتُ الباب. وسمعتُ الجدّ الأسود ينهض... يمشي بخطوات قوية... يجتاز الغرفة... خطوات قوية قوية قوية... وما سمعته بعد ذلك...".

"أظافر"، قال داني بصوتٍ بالكاد مسموعاً. "خدش على الباب".

"هذا صحيح. لم أعود الدخول إلى هناك حتى الليل، عندما عاد أبي وأمي إلى المنزل. كان قد رحل، لكن كانت هناك... مخلفات".

"بالتأكيد. كما في حمّاننا. لأنه بدأ يصبح سيئاً".

"هذا صحيح. غيرتُ السرير بنفسني، وهو شيء أستطيع فعله لأن أمي كانت قد علمتني كيف قبل سنتين. قالت إنني أصبحتُ كبيراً ولم أعد بحاجة إلى مدبرة منزل، وإن مدبرات المنازل للفتيان والفتيات البيض الصغار مثل أولئك الذين كانت تهتمّ بهم قبل أن تحصل على وظيفة المضيفة في مطعم بيركن المتخصّص بشرائح اللحم. بعد أسبوع، رأيتُ الجدّ الأسود في المنتزه، جالساً على أرجوحة. كان يرتدي بذلته، لكنها كانت مغطاة بشيء رمادي - أظنه العفن الذي كان ينمو عليها داخل تابوته".

"أجل"، قال داني بهمس شارد. كان هذا كل ما يقدر عليه.

"لكن سخّابه كان مفتوحاً، وعضوه ناتئاً منه. آسف لإخبارك كل هذا يا داني فأنت يافع جداً لتسمع هكذا أمور، لكن يجب أن تعرف".

"هل ذهبتَ عندها إلى الجدّة البيضاء؟".

"وجِب عليّ ذلك. لأنني عرّفتُ ما تعرفه أنت: سيواصل العودة. ليس مثل... داني، هل رأيتَ أشخاصاً ميتين؟ أقصد أشخاصاً ميتين عاديين". ضحك لأن هذا بدا له مضحكاً. وبدا مضحكاً لداني أيضاً. "أشباحاً".

"بضع مرات. كانوا ثلاثة ذات مرة واقفين عند تقاطع سكة حديدية. فتّيان وفتاة. مراهقون. أعتقد... ربما قُتلوا هناك".

أوما دِكْ برأسه. "يبقون في الأغلب على مقربة من مكان عبورهم إلى الطرف الآخر إلى أن يعتادوا أخيراً على فكرة موتهم ويمضون قدماً. بعض الأشخاص الذين رأيتهم في الأوفرلوك كانوا هكذا".

"أعرف". كان الارتياح من القدرة على التكلّم عن تلك الأشياء - مع شخص يعرف - يفوق الوصف. "وذات مرة كانت هناك امرأة في مطعم من الصنف الذي يضع طاولات في الخارج".

أوما دِكْ برأسه مرة أخرى.

"لم أستطع أن أرى عبرها، لكن لا أحد غيري رآها، وعندما دَفَعَت النادلة الكرسي الذي كانت تجلس عليه، اختفت السيدة الشبح. هل تراهم أحياناً؟".

"ليس منذ سنوات، لكنك أقوى في البريق مما كنتُ عليه. تخفّ قوته مع التقدّم في العمر -"

"جيد"، قال داني بحماسة.

"- لكنني أعتقد أنه سيبقى لديك الكثير حتى عندما تكبُر في السنّ، لأن بدأت بعدد كبير. الأشباح العادية ليست مثل المرأة التي رأيتها في الغرفة 217 ومرة أخرى في حمامك. هذا صحيح، ليس كذلك؟".

"نعم"، قال داني. "السيدة ماسي حقيقية. تترك قطعاً من نفسها. لقد رأيتها. وكذلك ماما... وهي لا تيرق".

"دعنا نعود"، قال دِكْ. "حان الوقت لكي ترى ماذا أحضرتُ لك".

8

كانت العودة إلى مرأب السيارات أبطأ حتى، لأن دِكْ كان مُتعباً. "السجائر"، قال. "لا تدخّنها أبداً يا داني".

"ماما تدخّن. لا تعتقد أنني أعرف، لكنني أعرف. دِكْ، ماذا فعلت جدّتك البيضاء؟ لا شك أنها فعلت شيئاً، لأن جدّك الأسود لم ينل منك أبداً".

"أعطتني هدية، نفس الهدية التي سأعطيك إياها. هذا ما يفعله الأستاذ عندما يكون التلميذ جاهزاً. التعليم نفسه هدية، مثلما تعرف. أفضل هدية يمكن أن يقدمها المرء أو يحصل عليها.

"هي لا تنادي الجدّ أندي بإسمه، بل تناديه فقط" - ابتسم دِكْ - "المنحرف. لقد قلتُ ما قلته، إنه لم يكن شبحاً، كان حقيقياً. وقالت نعم، هذا صحيح، لأنني كنتُ أجهله حقيقياً. بواسطة البريق. قالت إن بعض الأرواح - الأرواح الغاضبة، في الأغلب - لا تغادر هذا العالم، لأنها تعرف أن ما

ينتظرها أسوأ حتى. معظمها يتضوّر جوعاً في نهاية المطاف ويضمحل إلى لا شيء، لكن بعضها يجد طعاماً. 'هذا ما هو البريق بالنسبة لها يا دك'، هكذا أخبرتني. 'طعام'. أنت تغذي ذلك المنحرف. من دون قصد، لكنك تغذيه. إنه مثل بعوضة ستبقى تحوم حولك ثم تحطّ عليك لتحصل على مزيد من الدم. لا يمكنك فعل شيء بشأن ذلك. ما يمكنك فعله هو تحويل ما جاء من أجله ضده".

أصبحت قرب الكاديلاك مرة أخرى. فتّح دك الأبواب، ثم انزلق خلف المقود وشعور الارتياح يغمره. "في يوم من الأيام كنتُ قادراً على السير خمسة عشر كيلومتراً وركض خمسة أخرى. أما الآن فنزهة قصيرة تؤلم لي ظهري كما لو أن حصاناً رفسه. هيا افتح هديتك يا داني".

مزّق داني الورقة الفضية واكتشف صندوقاً معدنياً مطلياً بالأخضر. على الجهة الأمامية، تحت المزلاج، كانت هناك لوحة مفاتيح صغيرة.

"جميل!".

"حقاً؟ هل أعجبك؟ جيد. اشتريته من وسترن أوتو. فولاذ أميركي نقي. الذي أعطتني إياه الجدة البيضاء روز كان يتضمن قفلاً، مع مفتاح صغير ارتديته حول عنقي، لكن هذا حصل منذ زمن بعيد. نحن في الثمانينات الآن، العصر الحديث. هل ترى لوحة الأرقام؟ ما تفعله هو تحديد خمسة أرقام ستكون متأكداً أنك لن تنساها، ثم تضغط الزر الصغير الذي يقول "حفظ". ثم كلما أردت فتح الصندوق، ما عليك سوى أن تكتب شيفرتك".

شعر داني بالابتهاج. "شكراً يا دك! سأحتفظ بأشياء الخاصة فيه!". هذه تتضمن أفضل بطاقات البيسبول لديه، شارة بوصلة أشبال الكشافة، صخرة حظه الخضراء، وصورته مع أبيه التي تم التقاطها على المرجة الأمامية للمبنى السكني في بولدر الذي عاشوا فيه قبل الأوفرلوك. قبل أن تسوء الأمور.

"هذا جيد يا داني، أريدك أن تفعل ذلك، لكنني أريدك أن تفعل شيئاً آخر".

"ماذا؟".

"أريدك أن تعرف هذا الصندوق، من الداخل والخارج. لا تكتفي بالنظر إليه فقط؛ تلمسه كله، واشعر به كله. ثم أقم أنفك داخله وتحقق إن كانت فيه رائحة. يجب أن يكون أعزّ أصدقائك، لبعض الوقت على الأقل".

"لماذا؟".

"لأنك ستضع واحداً آخر مثله تماماً في ذهنك. واحداً خاصاً حتى أكثر. وعندما تأتي تلك السافلة ماسي في المرة القادمة، ستكون جاهزاً لها. سأخبرك كيف، تماماً مثلما أخبرتني الجدة البيضاء".

لم يتكلم داني كثيراً خلال رحلة العودة إلى الشقة، فقد كان لديه الكثير ليفكر فيه. بقي يُمسك هديته - صندوق مُقفل مصنوع من معدن قوي - على حُضنه.

9

عادت السيدة ماسي بعد أسبوع. كانت في الحمام مرة أخرى، هذه المرة في المغطس. لم يتفاجأ داني، فهي ماتت في مغطس في النهاية. لم يهرب هذه المرة، بل دخل وأغلق الباب. أومأت له أن يقترب منها، مبتسمةً. اقترب داني، مبتسماً أيضاً. يمكنه سماع التلفزيون في الغرفة الأخرى. كانت أمه تشاهد ثريز كومباني.

"مرحبا، سيدة ماسي"، قال داني. "أحضرتك لك شيئاً".

فهمت في اللحظة الأخيرة وبدأت تصرخ.

10

بعد لحظات، كانت أمه تفرع باب الحمام. "داني؟ هل أنت بخير؟".

"بخير يا ماما". كان المغطس فارغاً، وفيه مادة لزجة، لكن داني شعر أنه يمكنه تنظيفه. قليل من الماء سيرسله في البالوعة. "هل تحتاجين إلى استخدام الحمام؟ سأخرج قريباً جداً".

"لا. أنا فقط... اعتقدت أنني سمعتك تنادي".

أمسك داني فرشاة أسنانه وفتح الباب. "أنا بخير مئة بالمئة. هل ترين؟"، قال مقدماً لها ابتسامة كبيرة. لم يكن ذلك صعباً عليه بعد أن رحلت السيدة ماسي الآن.

نظرة الانزعاج فارقت وجهها. "جيد. تأكد من تنظيفك الأسنان الخلفية. فهناك يختبئ الطعام".

"سأفعل يا ماما".

من أعماق رأسه، حيث يتواجد توأم صندوقه المقفل على رف خاص، استطاع داني سماع صراخ مكتوم. لم يمانع. اعتقد أنه سيتوقف قريباً كفاية، وكان محقاً.

11

بعد سنتين، في اليوم الذي يسبق عطلة احتفال الشكر، في منتصف سُلّم مهجور في ابتدائية ألافيا، ظهر هوراس درونت أمام داني تورانس. كانت هناك قصاصات ورقية ملونة على كتفي بذلته، وقناع أسود صغير يتدلى من يده متحللة، وتفوح منه رائحة القبر الكريهة. "حفلة رائعة، أليس كذلك؟"، سأل.

استدار داني وابتعد، بسرعة كبيرة.

عندما انتهت المدرسة، أجرى اتصالاً بعيد المسافة بالمطعم الذي يعمل فيه ديك في كي وست. "واحد آخر من أشخاص الأوفرلوك عثر عليّ. كم صندوقاً عندي يا ديك؟ في ذهني، أقصد".

ضحك ديك ضحكة خافتة. "قدر ما تحتاج إليه يا عزيزي. هذا هو جمال البريق. هل تعتقد أن جدّي الأسود هو الوحيد الذي اضطررتُ إلى سجنه؟".

"هل يموتون هناك؟".

لم تكن هناك ضحكة خافتة هذه المرة، بل برودة في صوت ديك لم يسمعها الفتى أبداً من قبل. "هل يهّمك هذا؟".

لم يكن هذا يهّم داني.

عندما ظهر المالك السابق للأوفرلوك مرة أخرى بعد رأس السنة الجديدة بقليل - في خزانة غرفة نوم داني هذه المرة - كان داني جاهزاً. دخل الخزانة وأغلق الباب. بعد ذلك بقليل، وضع صندوق مُقفّل ذهنيّ ثانٍ على الرف الذهني المرتفع بجانب الصندوق الذي يحوي السيدة ماسي. كان هناك مزيد من الطُّرُق، وبعض الشُّم المُبدع الذي وقّره داني لاستخدامه لاحقاً. ثم توقّف سريعاً. كان هناك صمت من صندوق درّونت المُقفّل وكذلك من صندوق ماسي المُقفّل. لم يعد مهماً إن كانا لا يزالان حيّين أم لا (بطريقتهما غير الميته).

ما يهّم هو أنهما لن يخرجوا أبداً. كان أمناً.

هذا ما ظنّه وقتها. بالطبع، ظنّ أيضاً أنه لن يحتسي أي شراب أبداً، ليس بعد أن رأى ما الذي فعله بأبيه.

نحن نُخطئ التفكير أحياناً.

الأفعى المجلجلة

1

إسمها أندريا شتاينر، وقد أحببت الأفلام لكنها لم تحب الرجال. لم يكن هذا مفاجئاً، بما أن أباهَا اغتصبها لأول مرة عندما كانت في الثامنة. بقي يغتصبها لنفس ذلك العدد من السنوات. ثم وضعت حدّاً لذلك بأن فقأت خصيتيه، الواحدة تلو الأخرى، بإحدى إبر حياكة أمها، ثم وضعت نفس تلك الإبرة، الحمراء والنازفة، في مَحجر عينه اليسرى. كانت الخصيتان سهلتين، لأنه كان نائماً، لكن الألم كان كافياً لإيقاظه رغم موهبتها الخاصة. لكنها فتاة ضخمة وكان ثملاً، فتمكّنت من تثبيته بجسمها لمدة تكفي لتطلق رصاصة الرحمة.

أصبح عمرها الآن ثماني سنوات ضرب أربعة، وكانت هائمة في البقاع الأميركية، وقد حلّ ممثل سابق محل مُزارع الفول السوداني في البيت الأبيض. كان للزميل الجديد شعر أسود بغيض لممثلٍ وابتسامة فاتنة غير جديرة بالثقة لممثلٍ. شاهدت أندي أحد أفلامه على التلفزيون، وقد لعب فيه الرجل الذي سيكون الرئيس دور شابٍ فقدّ رجليه عندما سار قطار فوقهما. أعجبتُها فكرة رجل من دون رجلين؛ فالرجل من دون رجلين لن يكون قادراً على مطاردتك واغتصابك.

الأفلام هي الحل. الأفلام تأخذك بعيداً. يمكنك الاتكال على الفشار والنهايات السعيدة. تدبّرين رجلاً ليذهب معك، وبهذه الطريقة يصبح موعداً وسيدفع عنك. كان هذا الفيلم جيداً، فقد تضمّن عراقاً وتقبيلاً وموسيقى صاخبة. عنوانه *غُزاة الفُلك المفقود*. دسّ مَواعدها الحالي يده تحت تنورتها، وصعد بها على فخذها العاري، لكن لا بأس بذلك؛ فاليد ليست عضواً تناسلياً. تعرّفت عليه في مقصف. تعرّفت على معظم الرجال الذين واعدتهم في مقاصف. قدّم لها شراباً، لكن الشراب المجاني ليس موعداً؛ كان مجرد وسيلة للتعارف.

عما يتمحور هذا؟ سألهَا وهو يمرّر طرف إصبعه فوق أعلى ذراعها اليسرى. كانت ترتدي بلوزة بلا أكمام، لكي يظهر الوشم. تحبّ أن يظهر الوشم عندما تخرج لتبحث عن موعد. أرادت أن يراه الرجال. يعتبرونه عاملاً غريباً في العلاقات الحميمة. وشمّته في سان دييغو بعد سنة من قتلها والدها.

هذه أفعى، قالت. أفعى مجلجلة. ألا ترى النابيين؟

بالطبع يراهما. كانا نابئين كبيرين، غير متناسبين تماماً مع الرأس. وهناك قطرة سم تتدلى من أحدهما.

كان من صنف رجال الأعمال في بذلة ثمينة، والكثير من الشعر الرئاسي الممشط إلى الخلف، وفي استراحة بعد الظهر من أي هراء بيروقراطي يؤدّيه في عمله. أغلب شعره أبيض وليس أسود وبدا في حوالي الستين من عمره. حوالي ضعف عمرها. لكن هذا لا يهم الرجال. لم يكن ليهتمّ حتى ولو كانت في السادسة عشرة وليس في الثانية والثلاثين. أو في الثامنة. تذكّرت شيئاً قاله أبوها ذات مرة: إذا كان سنّهم كبيراً كفاية لكي يبُولوا، فإن سنّهم كافياً بالنسبة لي.

بالطبع أراهما، قال الرجل الذي أصبح يجلس بجانبها الآن، لكن ما معناه؟

ربما ستعرف، رَدّت أندي. لمست شفيتها العليا بلسانها. لديّ وشم آخر. في مكان آخر.

هل يمكنني رؤيته؟

ربما. هل تحبّ السينما؟

عيس. ماذا تقصدين؟

تريد أن تواعدني، أليس كذلك؟

عرّف ما معنى ذلك - أو ماذا يُفترَض به أن يعني. كانت هناك فتيات أخريات في هذا المكان، وعندما يتكلمن عن المواعدة، يقصدن شيئاً واحداً. لكنه لم يكن ما قصدته أندي.

بالتأكيد. أنت جذّابة.

خزني إذاً في موعد. موعد حقيقي. يعرضون غُزاة الفُلك المفقود في ريالتو.

كنت أفكّر أكثر بذلك الفندق الصغير على بُعد شارعين يا عزيزتي. غرفة ذات مشرب وشرفة، ما رأيك بهذا؟

قرّبت شفتيها من أذنه وتركت صدرها يضغط على ذراعه. ربما لاحقاً. خزني إلى السينما أولاً. اشتر لي تذكرة وبعض الفشار. الظلام يجعلني عاشقة.

وها هما هنا، وهاريسون فورد على الشاشة، كبيراً مثل ناطحة سحاب ويضرب سوطاً في غبار الصحراء. وَضَع العجوز ذو الشعر الرئاسي يده تحت تنورتها لكنها كانت تضع حوض فشار بإحكام على حُضنها، لتضمن أنه يستطيع اجتياز معظم المسافة إلى خط القاعدة الثالثة لكن ليس إلى حدود رقعة الهدف. كان يحاول الذهاب أعلى، وهذا مزعج لأنها أرادت رؤية نهاية الفيلم ومعرفة ماذا يوجد في الفُلك المفقود. لذا...

عند 2:00 بعد الظهر في أي يوم أسبوع، تكون صالة السينما خالية تقريباً، لكن هناك ثلاثة أشخاص يجلسون خلف أندي شتاينر ورفيقها على بُعد صفين من المقاعد. رجلان، أحدهما عجوز جداً والآخر يبدو على حافة منتصف العمر (لكن المظاهر يمكن أن تكون خادعة)، يطوّقان امرأة فائقة الجمال. كانت عظامها الوجدنية مرتفعة، وعيناها رماديتين، وبشرتها كالكراما، وشعرها الأسود مربوطاً إلى الخلف بشريط مخملي عريض. ترتدي قبعة عادة - قبعة عالية سوداء رسمية قديمة وبالية - لكنها تركتها في منزلها المتنقل هذا اليوم. لا يرتدي المرء قبعة طويلة في صالة سينما. إسمها روز أو هارا، لكن عائلة الرُّحَل الذين تسافر معهم يسمونها روز القبعة.

الرجل الذي في منتصف عمره يدعى باري سميث. رغم أنه فوقازي مئة بالمئة، إلا أنه معروف في نفس تلك العائلة بباري الصدع، بسبب عينيهِ المقلوبتين إلى أعلى قليلاً.

"الآن راقبي هذا"، قال. "إنه مثير للاهتمام".

"الفيلم مثير للاهتمام"، نخر العجوز - الجدّ فليك. لكنها مجرد مباحثته الاعتيادية. فهو أيضاً يراقب الجالسين أمامهم على بُعد صفين.

"الأجدر به أن يكون مثيراً للاهتمام"، قالت روز، "لأن المرأة ليست مغرية كثيراً. قليلاً، لكن -"

"ها هي، ها هي"، قال باري بينما مالت أندي ووضعت شفيتها على أذن رفيقها. كان باري يبتسم، وقد نسي صندوق الدببة الهلامية في يده. "لقد شاهدتها تفعل ذلك ثلاث مرات ولا أزال أتحمس منه".

كانت أذن السيد رجل الأعمال مليئة بشعرات بيضاء كثرة وشمع متخثر بلون البراز، لكن أندي لم تدع ذلك يوقفها؛ أرادت أن تغادر هذه البلدة لكن مواردها المالية منخفضة بشكل خطير. "ألسّت مُتعباً؟"، همست في الأذن المثيرة للإشمزاز. "ألا تريد أن تنام؟".

سقط رأس الرجل على صدره فوراً وبدأ يشخر. مدّت أندي يدها إلى تحت تنورتها، وأخرجت اليد المسترخية، ووضعتها على مسند الذراع. ثم مدّت يدها إلى سترة بذلة السيد رجل الأعمال التي تبدو باهظة الثمن وبدأت تفتش. وجدت محفظته في الجيب الأيسر الداخلي. هذا جيد. لن تضطر إلى جعله ينهض عن مؤخرته البدينة. فبعدما ينامون، يمكن أن يكون تحريكهم صعباً.

فَنَحَت المحفظة، وقذفت بطاقات الإئتمان على الأرض، وراحت تنظر إلى الصور لبضع لحظات - السيد رجل الأعمال مع مجموعة رجال أعمال آخرين بدينين جداً في ملعب الغولف؛ السيد رجل الأعمال مع زوجته؛ السيد رجل الأعمال في سنّ أصغر بكثير يقف أمام شجرة احتفال الشتاء

مع ابنه وبنتيه. كانت البنتان ترتديان قبعتي سانتا وفتانين متطابقين. لم يكن يغتصبهما على الأرجح، لكن الأمر ليس مستبعداً أبداً. فالرجال يغتصبون عندما يمكنهم الإفلات من عواقب ذلك، هذا ما تعلمته. على ركة أبيها، إذا جاز التعبير.

وجدت أكثر من مئتي دولار في جيب الأوراق النقدية. كانت تأمل العثور على مبلغ أكبر - فالمقصف التي تعرفت فيه عليه يضمّ فئة أفضل من بائعات الهوى مما يتوفر في محيط المطار - لكن الغلة ليست سيئة لصباح خميس، وهناك دائماً رجال يريدون أخذ فتاة جميلة إلى السينما، حيث تكون بعض المداعبة الثقيلة مجرد مقبلات. أو هكذا يأملون.

4

"حسناً"، همست روز، وبدأت تنهض. "لقد اقتنعتُ. هيا نحاول".

لكن باري وضع يده على ذراعها لإيقافها. "لا، انتظري. راقبي. هذا هو أفضل جزء".

5

انحنيت آندي إلى الأذن المثيرة للإشمزاز مرة أخرى وهمست، "نمّ نوماً عميقاً. أعمق ما تقدر عليه. الألم الذي تشعر به سيكون مجرد حلم". فتحت جزدانها وأخرجت سكيناً ذا مقبض من اللؤلؤ. كان صغيراً، لكن الشفرة حادة جداً. "ماذا سيكون الألم؟".

"مجرد حلم"، تتمم السيد رجل الأعمال لعقدة ربطة عنقه.

"هذا صحيح يا عزيزي". وضعت ذراعها حوله وشطبت بسرعة حرفي V على خده الأيمن - خدٌ بدينٌ لدرجة أنه سيكون فكاً سفلياً عما قريب. أخذت لحظة لتبدي إعجابها بعملها في الضوء غير المأمون للمسلاط الملون. ثم بدأ الدم يسيل. سيستيقظ مع حريق على وجهه، والذراع اليمنى لسترة بذلته الباهظة الثمن غارقة في الدم، وبجاجة إلى غرفة طوارئ.

وكيف ستشرح هذا لزوجتك؟ أنا متأكدة أنك ستفكر في شيء. لكن إذا لم تخضع لجراحة تجميلية، ستري علاماتي كلما نظرت في المرأة. وكلما ذهبت لتبحث عن شيء غريب في أحد المقاصف، ستندكر كيف لدغتك أفعى مجلجلة. أفعى ترتدي تنورة زرقاء وبلوزة بيضاء بلا أكمام.

دست الخمسينتين والعشرينات الخمسة في جزدانها وأغلقته، وكانت على وشك النهوض عندما سقطت يد على كتفها وهمست امرأة في أذنها. "مرحبا يا عزيزتي. يمكنك مشاهدة بقية الفيلم في وقت آخر. الآن ستأتين معنا".

حاولت آندي أن تستدير، لكن يدين قبضتا على رأسها. الشيء الفظيع في تلك اليدين هو أنها كانتا داخلها.

بعد ذلك - وإلى أن وجدت نفسها في إيرثروزر روز في أرض مخيم بالٍ في ضواحي هذه المدينة في الغرب الأوسط - كانت الظلمة في كل مكان.

6

عندما استيقظت، أعطتها روز كوب شاي وتكلمت معها لوقت طويل. سمعت أندي كل شيء، لكن معظم انتباهها كان مركّزاً على المرأة التي اختطفتها. كانت حضوراً، وهذا تعبير ملطّف. طول روز القبعة 183 سم، وساقاها طويلتان في سروال فضفاض أبيض مستدق الطرف وصدرها مرتفع داخل قميص تائي مدموغ بشعار اليونيسف: إنقاذ طفل مهما كلف الأمر. كان وجهها وجه ملكة هادئة، رصينة، وغير منزعجة. شعرها، غير المربوط الآن، يتدلّى إلى منتصف ظهرها. القبعة العالية السوداء الرسمية البالية المائلة على رأسها كانت متنافرة، لكن ما عدا ذلك كانت أجمل امرأة رأتها أندي شتاينر في حياتها.

"هل تفهمين ماذا كنتُ أقول لك؟ إنني أعطيك فرصة هنا يا أندي، ولا يجب أن تستخفي بها. لقد مرّت عشرون سنة أو أكثر منذ أن عرضنا على أحد ما عرضه عليك".

"وإذا رفضتُ؟ ماذا يحصل عندها؟ تقتلينني؟ وتأخذين هذا...". ماذا سمّته؟ "هذا البخار؟".

ابتسمت روز. كانت شفتاها بلون زهر مرجاني غامق. وأندي، التي تعتبر نفسها بلا مشاعر جنسية، تساءلت مع ذلك كيف سيكون طعم أحمر شفاهها.

"لا تملكين ما يكفي من بخار لتكبد العناء معك يا عزيزتي، وما تملكينه لن يكون لذيذاً أبداً. سيكون مذاقه مشابهاً لمذاق لحم بقرة عجوز قاسٍ لشخص دنيوي".

"المن؟".

"لا تهتمّي، فقط أنصتي. لن نقتلك. ما سنفعله إذا رفضتِ هو محو كل ذكرى لهذه المحادثة الصغيرة. ستجدين نفسك على قارعة الطريق في بلدة مجهولة ما - تويبكا، ربما، أو فارغو - بلا مال، بلا هوية، وبلا ذاكرة عن كيفية وصولك إلى هناك. آخر شيء ستندكرينه هو دخول صالة السينما تلك مع الرجل الذي سرّفته وشوّهته".

"استحق أن يُشوّه!"، قالت أندي بحدّة.

وَقَفَت روز على رؤوس أصابعها وتمطّطت، ولمست يدها سقف سيارة العيش. "هذا شأنك يا عزيزتي، فأنا لستُ طبيبك النفسي". لم تكن ترتدي حمالة صدر؛ واستطاعت أندي رؤية حلماتها تتحرّك تحت قميصها. "لكن إليك شيئاً لتفكري فيه: سنأخذ موهبتك وكذلك مالك، وهويتك المزيّفة بلا شك. والمرّة القادمة التي تقترحين فيها أن ينام رفيقك في صالة سينما مظلمة، سيستدير صوبك ويسألك عن أي شيء لعين تتكلمين".

شعرت أندي بقشعريرة الخوف. "لا يمكنكم فعل ذلك". لكنها تذكرت اليدين القويتين بشكل رهيب اللتين امتدتا إلى داخل دماغها وتيقنت تماماً أن هذه المرأة قادرة على فعل ما تقوله. قد تحتاج إلى بعض المساعدة من أصدقائها المتواجدين في سيارات العيش والمنازل المتنقلة المتجمعة حول سيارة العيش هذه مثل قطط صغيرة على حلقات أمها، لكن آه نعم - يمكنها فعل ما تقوله.

تجاهلت روز هذا. "كم عمرك يا عزيزتي؟".

"ثمانية وعشرون". كانت تُخفي عمرها منذ أن تخطت الثلاثين.

نظرت روز إليها مبتسمة، ولم تقل شيئاً. بقيت أندي تنتظر إلى تلك العينين الرماديتين الجميلتين لخمس ثوانٍ، ثم اضطرت إلى إخفاض نظرها. لكن ما وقعت عليه عيناها عندما فعلت ذلك كان ذلك الصدر الناعم واقفاً بلا حمالة لكن خالياً من أي أثر للترهل. وعندما رفعت نظرها مرة أخرى، لم تتخط عيناها شفتي المرأة. تلك الشفتان الزهريتان المرجانيتان.

"أنت في الثانية والثلاثين"، قالت روز. "آه، هذا بادٍ قليلاً فقط - لأنك عشت حياة صعبة. حياة هرب دائم. لكنك لا تزالين جميلة. ابقِي معنا، عيشي معنا، وبعد عشر سنوات من الآن ستكونين في الثامنة والعشرين حقاً".

"هذا مستحيل".

ابتسمت روز. "بعد مئة سنة من الآن، ستبدين وتشعرين أنك في الخامسة والثلاثين. إلى أن تأخذي بخاراً، طبعاً. عندها ستعودين في الثامنة والعشرين من جديد، لكنك ستشعرين أصغر بعشر سنوات. وستأخذين بخاراً في أغلب الأحيان. عيشي طويلاً، ابقِي يافعةً، وكُلِي جيداً: هذه هي الأشياء التي أقدمها لك. ما رأيك بهذا؟".

"جيد جداً ليكون صحيحاً"، قالت أندي. "مثل تلك الإعلانات عن كيف يمكنك الحصول على تأمين على الحياة بعشرة دولارات".

لم تكن مخطئة كلياً. لم تُخبرها روز أي كذبة (على الأقل ليس بعد)، لكن هناك أشياء لم تكن تقولها. مثلاً، أن البخار شحيح أحياناً. أن البعض لا ينجو من التحول. شعرت روز أن هذه قد تنجو، وقد وافقها وولنت، الدكتور الهاوي للعقدة الحقيقية، بحذر، لكن لا شيء أكيد.

"وأنت وأصدقائك تسمون أنفسكم -؟"

"ليسوا أصدقائي، إنهم عائلتي. نحن العقدة الحقيقية". شبكت روز أصابعها ببعضها ووضعتها أمام وجه أندي. "وما يُعقد لا يمكن فكّه أبداً. عليك أن تفهمي ذلك".

أندي، التي عرفت من قبل أن الفتاة التي تُغتصب لا يمكن التراجع عن اغتصابها أبداً، فهمت تماماً.

"هل لديّ أي خيار آخر حقاً؟".

هزّت روز كتفيها. "فقط خيارات سيئة يا عزيزتي. لكن من الأفضل إذا كنت تريدينه. هذا سيجعل التحوّل أسهل".

"هل الأمر مؤلم؟ هذا التحوّل؟".

ابتسمت روز وأخبرتها أول كذبة صريحة. "على الإطلاق".

7

ليلة صيف في ضواحي مدينةٍ في الغرب الأوسط.

في مكان ما كان الناس يشاهدون هاريسون فورد يضرب بسوطه؛ وفي مكان ما كان الرئيس الممثل بيتسم بلا شكّ ابتسامته غير الجديرة بالثقة؛ وهنا، في أرض هذا المخيم، كانت آندي شتاينر مستلقية على كرسي مَرَجَة تم شراؤه من متجر تخفيضات، تستحمّ في الأضواء الأمامية لإيرثكروزر روز ووينباغو شخص آخر. كانت روز قد شرحت لها أنه رغم أن العقدة الحقيقية تمتلك عدة أراضي مخيمات، إلا أن هذه الأرض ليست إحداها. لكن مستطلعهم كان قادراً على تدبير أماكن ذات جدران أربعة مثل هذا المكان، حيث الشركات تترنّح على حافة الإفلاس. كانت أميركا تعاني من حالة ركود، لكن المال لم يكن مشكلةً للعقدة الحقيقية.

"من هو هذا المستطلع؟"، سألت آندي.

"آه، إنه شخص فائن جداً"، قالت روز مبتسمةً. "قادر على أن يفتن العاصفير عن الأشجار. ستلتقيه قريباً".

"هل هو رَجلك المميّز؟".

ضحكت روز عند سماعها هذا وداعبت خدّ آندي. سبّب ملمس أصابعها دفناً صغيراً من الإثارة في معدة آندي. أمر مجنون، لكنه حصل. "شعرت بوميض، أليس كذلك؟ أعتقد أنك ستكونين بخير".

ربما، لكن بينما كانت آندي مستلقية هنا، لم تعد متحمّسة، فقط خائفة. راحت الأخبار تغمر ذهنها، أخبار عن جنث عُثر عليها في خنادق، في فسحات مشجّرة، في قعر آبار جافة. نساء وفتيات. نساء وفتيات تقريباً دائماً. لم تكن روز هي التي أخافتها - ليس تماماً - وتوجد نساء أخريات هنا، لكن يوجد رجال أيضاً.

رگعت روز بجانبها. كان يجب على وهج الأضواء الأمامية أن يحوّل وجهها إلى لوحة قاسية بشعة من سواد وبياض، لكن العكس هو الذي حصل: جعلها أجمل فحسب. داعبت خدّ آندي مرة أخرى. "لا خوف"، قالت. "لا خوف".

استدارت إلى إحدى النساء الأخريات، مخلوقة شاحبة سمّتها روز ساراي الصامتة، وأمأت برأسها. أمأت ساراي برأسها هي أيضاً ودخلت سيارة عيش روز الضخمة. في غضون ذلك، بدأ الآخرون يشكّلون دائرة حول كرسي المرحّة. هذا لم يُعجب أندي. هناك طابع في ما يجري يشبه مراسيم تقديم الأضاحي.

"لا خوف. ستصبحين واحدة منا قريباً يا أندي. واحدة معنا".

إلا إذا، فكّرت روز، درت إلى الخارج. عندها، سنحرق ملابسك في المرمّدة التي خلف محطات الراحة ونرحل غداً. من لا يغامر لا يكسب.

لكنها أملت ألا يحصل ذلك. تعجبها هذه الفتاة، وموهبة التنويم ستكون مفيدة.

عادت ساراي ومعها علبة فولاذية بدت كأنها إبريق عازل للحرارة. سلّمتها إلى روز، التي نزعَت غطاءها الأحمر فظهرت فوهة وصمام. بدت العلبة لأندي كأنها علبة مبيد حشري بلا ملصق. فكّرت أن تففز عن الكرسي وتهرب، ثم تدكّرت صالة السينما واليدين اللتين امتدّتا إلى داخل رأسها، وثبّتها في مكانها.

"الجّد فليك؟"، سألت روز. "هلاً قدتينا؟".

"يسرني ذلك". كان العجوز من السينما. وكان يرتدي هذه الليلة شورت برمودا زهرياً فضفاضاً، وجاربين بيضاويين يغطيان ساقيه النحيلتين وصولاً إلى رُكبتيه، وصندلاً. بدا لأندي مثل الجّد والتون بعد سنتين في معسكر اعتقال. رفع يديه، ورفع الباقون أيديهم معه. ارتباطهم ببعضهم بهذه الطريقة وانعكاس ظلهم من أشعة الأضواء الأمامية المتقاطعة جعلهم يبدوون مثل سلسلة دمي ورقية غريبة.

"نحن العقدة الحقيقية"، قال. لم يعد الصوت الصادر من ذلك الصدر الغائر مرتعشاً؛ كان الصوت العميق والرئان لرجل أصغر سنّاً بكثير وأقوى.

"نحن العقدة الحقيقية"، أجابوا. "ما يُعقد لا يمكن فكّه أبداً".

"ها هنا امرأة"، قال الجّد فليك. "هل ستتنضمّ إلينا؟ هل ستربط حياتها بحياتنا وتكون واحدة معنا؟".

"قولي نعم"، قالت روز.

"ن-نعم"، تمكّنت أندي من أن تقول. لم يعد قلبها ينبض؛ كان يندبن مثل سلك.

أدارت روز صمام علبتها. سمّعت تنهيدة خفيفة حزينة، وتطايرت هبة رذاذ فضي. بدلاً من أن تتبدّد في نسيم المساء الخفيف، بقيت فوق العلبة إلى أن انحنى روز إلى الأمام، وزمّت تلك الشفتين المرجانيتين الفاتنتين، ونفخت بلطف. هبة الرذاذ - التي بدت قليلاً كأنها بالون حوار في

كتاب رسوم هزلية من دون أي كلمات فيه - انجرفت إلى أن حامت فوق وجه آندي المقلوب إلى أعلى وعينيها العريضتين.

"نحن العقدة الحقيقية، ونصمد"، أعلن الجدّ فليك.

"ساباثا هانتي"، أجاب الآخرون.

بدأ الرذاذ يهبط، ببطء شديد.

"نحن المُختارون".

"لودسام هانتي"، أجابوا.

"تنفسي بعمق"، قالت روز، وقبّلت آندي بلطف على خدّها. "سأراك على الجهة الأخرى".

ربما.

"نحن المحظوظون".

"كاهانا ريزوني هانتي".

ثم كلهم معاً: "نحن العقدة الحقيقية، و..."

لكن آندي فقدت الأثر هناك. استقرّ الرذاذ الفضيّ فوق وجهها وكان بارداً، بارداً. عندما استنشقتّه، دبّت فيه بعض الحياة القاتمة وبدأ يصرخ داخلها. كان ولدٌ مصنوعٌ من رذاذ - لم تعرف إن كان فتى أم فتاة - يكافح ليبتعد لكن شخصاً كان يقصّ. كانت روز تقصّ، بينما وقّف الآخرون على مقربة حولها (في عقدة)، يسلّطون دزينة مشاعل كهربائية عليها، لكي يُنيروا جريمة قتل تتم بالحركة البطيئة.

حاولت آندي أن تنهض عن الكرسي، لكن لم يكن لديها جسم لتنهض به. لقد اختفى جسمها، ولم يعد مكانه إلا ألم على شكل إنسان. ألم الولد المُحتضّر، وألمها.

تقبّليه. كانت الفكرة مثل خرقة باردة تضغط على الجرح الحارق الذي كان جسمها. إنها الوسيلة الوحيدة للعبور.

لا أستطيع، بقيتُ أهرب من هذا الألم طوال حياتي.

ربما، لكن لم يعد لديك مجال للهرب. تقبّليه. ابتلعيه. خذي البخار أو موتي.

وَقَفَ أعضاء العقدة الحقيقية رافعين أيديهم وينشدون الكلمات القديمة: ساباثا هانتي، لودسام هانتي، كاهانا ريزوني هانتي. راقبوا بلوزة أندي شتاينر تتسطح حيث كان صدرها، وتنورتها تنطبق على بعضها مثل فم أُغلق. راقبوا وجهها يصبح لبنياً. لكن عينيها بقيتا تعومان مثل بالونين صغيرين جداً على خيوط أعصاب رقيقة كالشاش.

لكنهما ستخفیان أيضاً، فكَرَّ وولنت. فهي ليست قوية كفاية. اعتقدت أنها قد تكون قوية، لكنني كنتُ مخطئاً. قد تعود مرةً أو مرتين، لكنها ستدور إلى الخارج عندها. لن يبقى شيء سوى ملابسها. حاول أن يتذكَّر عملية تحوُّله، ولم يستطع أن يتذكَّر إلا أن القمر كان بديراً وأنه كانت هناك نار مُضرمَة في الهواء الطلق بدلاً من الأضواء الأمامية. النار المُضرمَة في الهواء الطلق، سهيل الأحصنة... والألم. هل يمكنك أن تتذكَّر الألم حقاً؟ لا يعتقد ذلك. تعرف أنه كان هناك ألم، وأنت عانيت منه، لكن تذكره لا يشبه عيشه.

سبح وجه أندي عائداً إلى التواجد مثل وجه شبح فوق طاولة عرّافة. انتفختت الجهة الأمامية لبلوزتها في منحنيات؛ تورّمت تنورتها عندما عاد وركاها وفخذاها إلى العالم. زعقت من الألم.

"نحن العقدة الحقيقية ونصمد"، أنشدوا في الأشعة المتقاطعة لسيارات العيش. "ساباثا هانتي. نحن المُختارون، لودسام هانتي. نحن المحظوظون، كاهانا ريزوني هانتي". سيواصلون هذا إلى أن ينتهي. بطريقة أو بأخرى، لن يستغرق وقتاً طويلاً.

بدأت أندي تخفي مرة أخرى. أصبح لحمها زجاجاً غائماً تستطيع العقدة الحقيقية أن ترى من خلاله هيكلها العظمي والابتسامة العظمية لجمجمتها. لمعت عدة حشوات فضية في تلك الابتسامة. تدرجت بعنف عيناها المتحرّرتان من جسدها في مَحجّرين لم يعودا موجودين. كانت لا تزال تصرخ، لكن الصوت أصبح ضعيفاً الآن ويتردّد صدها، كما لو أنه أت من رواق بعيد.

9

اعتقدت روز أنها ستستسلم، فهذا ما يفعلونه عندما يصبح الألم كبيراً جداً، لكن هذه الفتاة صلبة. عادت إلى الوجود متطايرةً، وتصرخ طوال الطريق. يداها الواصلتان حديثاً قبضتا على يدي روز بقوة مجنونة. انحنت روز إلى الأمام، بالكاد تلاحظ الألم.

"أعرف ما تريدينه يا عزيزتي. عودي ويمكنك الحصول عليه". أخفضت فمها إلى فم أندي، وراحت تداعب شفة أندي العليا بلسانها إلى أن تحوّلت الشفة إلى رذاذ. لكن العينين بقيتا، ثابتتين على عيني روز.

"ساباثا هانتي"، أنشدوا. "لودسام هانتي. كاهانا ريزوني هانتي".

عادت أندي، وراح وجهها يكبر حول عينيها المحدقتين المليئتين بالألم. تبعها جسمها. استطاعت روز للحظة رؤية عظام ذراعيها، عظام الأصابع تمسك أصابعها، ثم اكتست باللحم من جديد.

قَبَلَتْها روز مرة أخرى. تجاوزت أندي حتى في ألمها، وتنفّست روز جوهرها الذاتي في حنجرة المرأة الأصغر سناً.

أريد هذه الواحدة. وما أريده، أحصل عليه.

بدأت أندي تخبو مرة أخرى، لكن بإمكان روز أن تشعر بها تحاربه. تتغلب عليه. تغذي نفسها بقوة الحياة الصارخة التي تنفّستها في حنجرتها ورنيتها بدلاً من أن تحاول دفعه بعيداً.

أخذ البخار لأول مرة.

10

أمضى أحدث عضو في العقدة الحقيقية تلك الليلة في سرير روز أوهارا، ولأول مرة في حياتها وجدت شيئاً في المضاجعة غير الرعب والألم. كانت حنجرتها مسلوخة من صراخها على كرسي المرجة، لكنها صرّخت مرة أخرى بعد أن أخذ هذا الإحساس الجديد - متعة تطابق ألم تحوّلها - جسمها وبدأ أنه جعله شفافاً مرة أخرى.

"اصرخي قدر ما تشائين"، قالت روز وهي ترفع نظرها من بين فخذَيها. "لقد سمعوا الكثير من هذا. الجيد منه والسيئ".

"هل المضاجعة هكذا للجميع؟". إذا كان الأمر كذلك، آه كم فاتها! ما سرقة أبوها الوغد منها! وظنّ الناس أنها لصّة؟

"إنها هكذا لنا، بعدما نكون قد أخذنا البخار"، قالت روز. "هذا كل ما تحتاجين إلى معرفته".

أخفّضت رأسها وبدأت من جديد.

11

قُبيل منتصف الليل، كان تشارلي التأشيرة وباباه الروسية يجلسان على الدرجة السفلية لحظور تشارلي التأشيرة، يتشاركان سيجارة حشيشة وينظران إلى القمر. جاء مزيد من الصراخ من إيرنكروزر روز.

استدار تشارلي وباباه إلى بعضهما البعض وابتسما.

"أحدهم يستمتع بذلك"، علّقت باباه.

"وماذا هناك لا يمكن الاستمتاع به؟"، قال تشارلي.

12

استيقظت آندي مع خيوط الضوء الأولى ووجدت رأسها مستلقياً على صدر روز. شعرت شعوراً مختلفاً كلياً؛ لم تشعر شعوراً مختلفاً أبداً. رفعت رأسها ورأت روز تنظر إليها بتلك العينين الرماديتين الباهرتين.

"لقد أنقذتني"، قالت آندي. "أعدتني".

"لم أكن قادرة على فعل ذلك لوحدي. أنتِ أردتِ القدوم". في أكثر من طريقة واحدة يا عزيزتي.

"ما فعلناه بعد... لا يمكننا فعله مرة أخرى، هل يمكننا؟".

هزّت روز رأسها مبتسمةً. "لا. ولا بأس. بعض التجارب لا يمكن التفوق عليها إطلاقاً. كما أن رجلي سيعود اليوم".

"ما اسمه؟".

"ينادونه هنري روثمان، لكن هذا فقط للأشخاص الدنيويين. إسمه الحقيقي هو كُرو دادي".

"هل تحبّينه؟ أنتِ تحبّينه، أليس كذلك؟".

ابتسمت روز، وقربّت آندي منها وقبّلتها. لكنها لم تُجبهها.

"روز؟".

"نعم؟".

"هل... لا أزال بشرية؟".

على هذا السؤال أعطت روز نفس الجواب الذي أعطاه دِكْ هالوران ذات مرة لداني تورانس اليافع، وبنفس نبرة الصوت الباردة: "هل يهّمك هذا؟".

قرّرت آندي أنه لا يهّمها. قرّرت أنها أصبحت في منزلها.

ماما

1

كانت هناك فوضى أحلام مزعجة - شخص يلوح مطرقةً ويطارده في أروقة لا تنتهي، مصعد يسير لوحده، سياجات نباتية ذات أشكال حيوانات تدبّ فيها الحياة وتُطبق عليه - وفكرة واضحة أخيراً: أتمنى لو كنت ميتاً.

فتح دان تورانس عينيه. أصابهما ضوء الشمس مخترقاً رأسه الذي يؤلمه، مهدداً بإشعال النار في دماغه. الصُداغ ما بعد الثمالة المتفوق على كل الصُداغات ما بعد الثمالة. كان وجهه ينبض، ومنخراه مسدودين ما عدا من ثقب صغير جداً في المنخر الأيسر سمح بدخول الهواء. المنخر الأيسر؟ لا، كان المنخر الأيمن. يمكنه أن يتنفس من فمه، لكنه كريبه من مذاق الشراب الاسكتلندي والسجائر. كانت معدته كُرة من الرصاص، مليئة بكل الأشياء الخطأ. معدة صباح الصُداغ ما بعد الثمالة، هذا ما أطلقه صديق شرب قديم أو شخص آخر على ذلك الإحساس المثير للأسى.

شخير صاحب بجانبه. أدار دان رأسه في ذلك الاتجاه، رغم أن عنقه صرّخ احتجاجاً ولمع ألم آخر في صدغه. فتح عينيه مرة أخرى، لكن قليلاً فقط؛ لا مزيد من تلك الشمس الملتهبة، رجاءً. ليس بعد. كان مستلقياً على فراشٍ عارٍ على أرضية عارية. هناك امرأة عارية ممددة على ظهرها بجانبه. أخفض دان نظره ورأى أنه في الهواء الطلق أيضاً.

إسمها... دولوريس؟ لا. ديببي؟ هذا قريب، لكنه ليس دقيقاً جداً -

دينه. إسمها دينه. تعرّف عليها في مقصف يدعى درب اللبّانة، وكان كل شيء مُضحكاً جداً إلى أن...

لا يمكنه أن يتذكّر، ونظرة واحدة إلى يديه - المتورمتين، ومفاصل أصابع اليد اليمنى جلفة وجرباء - جعلته يقرّر أنه لا يريد أن يتذكّر. وهل هذا مهم؟ السيناريو الأساسي لا يتغيّر أبداً. يثمل، يقول أحدهم قولاً خطأ، فوضى، ثم تحصل مجزرة في المقصف. كان هناك كلب خطير داخل رأسه.

يمكنه إبقاءه مقيّداً برَسَن طالما أنه غير ثمل. لكن عندما يشرب، يختفي الرَسَن. عاجلاً أم آجلاً سأقتل شخصاً. كل ما يعرفه هو أنه فعل ذلك ليلة أمس.

يا دينيه، اعصري عضوي.

هل قال هذا حقاً؟ الخشية كبيرة من أنه قاله فعلاً. يندكّر بعضه الآن، وحتى البعض كان كثيراً جداً. لعب البلياردو. محاولته إحداث بعض الدوران الزائد في الكرة البيضاء ودفعها إلى خارج الطاولة، ارتداد السافلة الصغيرة الملطّخة بالطبشور وتدحرجها وصولاً إلى علبة الموسيقى التي كانت تضيع - هل هناك غير ذلك؟ - موسيقى الريف. بدا أنه تذكّر جو ديفي. لماذا أوقعها بذلك الشكل الشنيع؟ لأنه كان ثملاً، ولأن دينيه كانت تقف خلفه، كانت دينيه تعصر عضوه تحت خط الطاولة وكان يتباهى لها. في متعة جيدة. لكن الشاب الذي يرتدي قبعة وقميص راعي بقر من الحرير الفاخر ضحك، وهذا كان خطؤه.

فوضى ومجزرة في المقصف.

لمس دان فمه وشعر بنقانق منتفخة حيث كانت شفتاه العاديتان عندما غادر ذلك المقصف الذي يصرف الشيكات بعد ظهر البارحة وفي جيب بنطلونه الأمامي أكثر من خمسمئة دولار بقليل.

على الأقل يبدو أن كل أسناني -

أعطت معدته تطوّحاً سائلاً. تجشأ مادة لزجة حامضة مذاقها شراباً اسكتلندياً وعاد وابتلعها. حرقت بلعومه. تدحرج عن الفراش إلى رُكبتيه، وترنّح إلى قدميه، ثم تمايل بينما بدأت الغرفة تتراقص بهدوء. يعاني من صداع ما بعد الثمالة، ورأسه يكاد ينفجر، وأمعاؤه مليئة بذلك الطعام الرخيص الذي وضعه فيها ليلة أمس لكي يُخمد مفعول الشراب... لكنه لا يزال ثملاً أيضاً.

اصطاد سرواله الداخلي عن الأرض وغادر غرفة النوم حاملاً إياه في يده، ولم يكن يعرج حقاً لكنه يفضّل رجله اليسرى بالتأكيد. تراءت له ذكرى غامضة - ذكرى أمل ألا تتوضّح أبداً - لراعي البقر يرمي كرسيّاً. تلك كانت اللحظة التي غادر فيها مع دينيه-اعصري-عضوي، لم يكونا يركضان فعلاً لكن يضحكان كالمجانين.

تطوّح آخر من أمعائه الحزينة، رافقه شدّ هذه المرة بدا كأنه يدّ في قفاز مطاطي زلق. هذا حرّر كل محفّزات القيء: رائحة الخل من بيض مسلوّق في مرطبان زجاجي كبير، مذاق قطع لحم منكهة بطعم الشواء، منظر بطاطا مقلية غارقة في نزيّف كاتشاب من أنف. كل الهراء الذي حشاه في فمه ليلة أمس بين أكواب الشراب. كان سيتقيأ، لكن الصور بقيت تراوده، دائرة على عجلة حظّ كابوسية في برنامج ألعاب.

ماذا لدينا لمتسابقنا التالي يا جوني؟ حسناً يا بوب، إنه طبق كبير من السردين الدهني!

يقع الحمّام في نهاية رواق قصير. كان الباب مفتوحاً، ومقعد المرحاض مرفوعاً. اندفع دان، وسقط على رُكبتيه، وتقيأ فيضاناً كبيراً من أشياء بنية صفراء فوق غائط عائم. أشاح بنظره،

تحسّس بحثاً عن مقبض الشطف، عثر عليه، دفعه. تدفق الماء، لكن لم يترافق ذلك بصوت تصرير الماء. التفت إلى الوراء ورأى شيئاً مخيفاً: الغائط، على الأرجح غائطه، يصعد نحو حافة وعاء المراض الملطخة ببقع البول على بحر من وجبات المقصف الخفيفة نصف المهضومة. قبل أن يفيض المراض، مما سيثقل تكملة مثالية لأهوال هذا الصباح المبتذلة، تحرّك شيء في أنبوب الصرف الصحي وشطفت الفوضى كلياً. تقياً دان مرة أخرى، ثم جلس على كعبيه مُسنداً ظهره على جدار الحمام ومخفياً رأسه المدوّي، بانتظار أن يمتلئ الخزان من جديد لكي يتمكن من شطف المراض مرة ثانية.

كفى. أقسم. لا شراب بعد اليوم، لا مقاصف بعد اليوم، لا شجار بعد اليوم. لقد وعد نفسه هذا للمرة المئة. أو الألف.

كان هناك شيء واحد مؤكد: عليه الخروج من هذه البلدة أو قد يكون في ورطة. واحتمال أن تكون الورطة خطيرة ليس مستبعداً أبداً.

جونى، ماذا لدينا للفائز بالجائزة الكبرى هذا اليوم؟ بوب، إنه السجن لسنتين بتهمة الاعتداء والضرب!

و... جنّ جنون جمهور الستديو.

هدأ خزّان المراض من ضجة إعادة امتلائه. مدّ يده إلى المقبض ليشطف "الصباح التالي، الجزء الثاني"، ثم توقف مؤقتاً لكي ينظر إلى الثقب الأسود في ذاكرته القصيرة الأجل. هل يعرف إسمه؟ نعم! دانيال أنطوني تورانس. هل يعرف إسم الصبية التي تشخر على الفراش في الغرفة الأخرى؟ نعم! دينيه. لم يتذكّر كنيته، لكن الأرجح أنها لم تُخبره بها أبداً. هل يعرف إسم الرئيس الحالي؟

ما أروع دان هو أنه لم يعرفه، ليس فوراً. للشابّ قصّة شعر غريبة تشبه قصّة شعر ألفيس ويعزف على الساكسوفون - بشكل سيئ جداً. لكن الإسم...؟

هل تعرف حتى أين أنت؟

كليفلاند؟ تشارلستون؟ أحد هذين المكانين.

بينما شطّف المراض، خطر إسم الرئيس على باله بوضوح تام. ولم يكن دان في كليفلاند أو تشارلستون. كان في ويلمنغتون، كارولاينا الشمالية. يعمل ممرضاً في مستشفى الرحمة. أو عمل هناك. حان وقت الانتقال. إذا ذهب إلى مكان آخر، مكان جيد، قد يتمكن من الإقلاع عن تناول الشراب ويبدأ حياته من جديد.

نهض ونظر في المرأة. لم يكن الضرر سيئاً مثلما خشي. الأنف متورّم لكن غير مكسور في الواقع - أو لا يعتقد أنه مكسور. قشور دم جاف فوق شفته العليا المنتفخة. رضّة على عظمته

الوجنية اليمنى (لا شك أن راعي البقر أعسر) في وسطها الدماغ الدموية لخاتم. ورضة أخرى، كبيرة، تنتشر على كتفه اليسرى. بدا أنه يتذكر أن هذه الرضة الأخرى كانت من كرة البلياردو البيضاء.

بحث في خزانة الأدوية. وسط أنابيب الماكياج وزحمة قوارير الأدوية دون وصفة طبية، وجد ثلاث قوارير وصفة طبية. الأولى كانت ديفلوكان، الذي يُوصف عادة للفطريات. شعر بالسرور من أنه مختون. القارورة الثانية كانت تركيبة دارفون 65. فتحها ورأى ست كبسولات، فوضع ثلاث منها في جيبه لاستخدامها لاحقاً. القارورة الأخيرة كانت فيوريسنت وممتلئة بالكامل تقريباً - لحسن الحظ. ابتلع ثلاث حبات منها مع ماء بارد. الانحناء فوق الحوض جعل صداعه أسوأ من قبل، لكنه اعتقد أنه سيرتاح قريباً، لأن فيوريسنت، الذي يُوصف للصداع النصفي وصداع التوتر، مكفول أن يقتل الصداع ما بعد الثمالة. حسناً... مكفول تقريباً.

بدأ يُغلق الخزانة، ثم ألقى نظرة أخرى. أبعدَ بعض الهراء إلى هنا وهناك. لا حبوب لمنع الحمل. ربما كانت في جزدانها. أمل ذلك، لأنه لم يكن معه واقٍ ذكري. إذا كان قد ضاعها - ورغم أنه غير قادر على تذكر ذلك تحديداً، الأرجح أنه ضاعها - فإنه فعل ذلك دون وقاية.

ارتدى سرواله الداخلي وعاد إلى غرفة النوم، ووقف عند الباب يتأمل المرأة التي أعادته إلى المنزل ليلة أمس. الذراعان والرجلان مبتاعدتان، بحيث أنهما تكشفان كل شيء. بدت ليلة أمس مثل ملكة رعاة البقر في تنورتها الجلدية العالية حتى الفخذين وصندلها الفلينيّ وبلوزتها القصيرة وقرطبيها الدائريين. رأى هذا الصباح العجينة البيضاء المرتخية لبطنٍ منتامٍ من الشراب، وبدء ظهور ذقن ثانية تحت الأولى.

رأى شيئاً أسوأ: لم تكن امرأة، في النهاية. على الأرجح ليست أصغر من سنّ الرشد (رجاءً ألا تكون أصغر من سنّ الرشد)، لكن سنّها لا يتجاوز العشرين بالتأكيد وربما لا تزال في أواخر مراهقتها. على أحد الجدران، وبشكل طفولي تقشّر له الأبدان، مُلصقٌ إعلانٌ لفرقة روك يتقياً أحد أعضائها ناراً. وعلى جدار آخر قطعة صغيرة لطيفة ذات عيينين جافلتين تتدلى من غصن شجرة، وتقول الجملة تحتها "اصمدي يا عزيزتي".

يحتاج إلى الخروج من هنا.

كانت ملابسها متشابكة ببعضها عند أسفل الفراش. فصل قميصه التائي عن سروالها الداخلي، وأدخله في رأسه، ثم ارتدى سرواله الجينز. جمّد في أرضه والسحاب نصف مغلق عندما أدرك أن جيبه الأمامي الأيسر مسطح أكثر بكثير مما كان عليه عندما غادر المقصف الذي يصرف الشيكات بعد ظهر البارحة.

لا. غير معقول.

عاد رأسه، الذي كان قد بدأ يتحسن بشكل طفيف جداً، يطرق من جديد مع تسارع نبضات قلبه، وعندما أقحم يده في جيبه، لم يجد سوى ورقة عشر دولارات وعودي تخليل، نكزه أحدهما في

اللحم الحساس تحت ظفر سبابته. بالكاد لاحظ ذلك.

لم نشرب بخمسمئة دولار. طبعاً لا. كنا سنكون ميتين الآن لو شربنا بتلك القيمة.

لا تزال محفظته في جيبه الخلفي. أخرجها، متشبتاً بما لا أمل فيه، لكن خاب أمله. لا شك أنه نقل الدولارات العشرة التي يُقيها هناك عادة إلى جيبه الأمامي في لحظة من اللحظات.

نظر إلى الفتاة-المرأة التي تشخر على الفراش وبدأ يقترب منها لكي يوقظها بالهزّ ويسألها عما فعلت بماله اللعين. يوقظها بالخنق، إن لزم الأمر. لكن إذا كانت قد سرقته، لماذا أعادته إلى المنزل؟ وألم يكن هناك شيء آخر؟ مغامرة أخرى بعد أن غادرا درب اللبانة؟ الآن وقد بدأ ذهنه يصفى، تذكر - بشكل ضبابي لكن صالح على الأرجح - أنهما استقلا سيارة أجرة إلى محطة القطارات.

أعرف شاباً يتسكع هناك يا عزيزي.

هل قالت ذلك حقاً، أم هذا فقط من نتاج خياله؟

لقد قالت، نعم. أنا في ويلمنغتون، بيل كلينتون الرئيس، وذهبنا إلى محطة القطارات. حيث كان هناك شابّ بالفعل. من النوع الذي يحبّ عقد صفقاته في حمام الرجال، خاصة عندما يكون للزبون وجه أعيد ترتيبه قليلاً. عندما سألت من الذي فجر غضبه عليّ، أخبرته -

"أخبرته ألا يتدخل بما لا شأن له فيه"، تتمم دان.

عندما دخل الحمام، كان دان ينوي شراء غرام لبقي رفيقته سعيدة، لا أكثر من ذلك، و فقط إذا لم يكن نصف حبة مانيتول. قد يكون الكوكايين ما يُفرح دينيه لكن ليس هو. وما يُفرح الرجل الغني هو أناسين، هكذا سمعهم يسمونه، وكان بعيداً عن أن يُعتبر غنياً. لكن عندها خرج شخص من إحدى الحجيرات. شخص من صنف رجال الأعمال مع حقيبة ملفات تخبط ركبته. عندما ذهب السيد رجل الأعمال إلى أحد الأحواض ليغسل يديه، رأى دان ذباباً يزحف على كل وجهه.

ذباب الموت. السيد رجل الأعمال ميت يسير ولا يعرف ذلك.

لذا بدلاً من تصغير طلبيته، كان متأكداً أنه كبرها. لكنه ربما غير رأيه في اللحظة الأخيرة. هذا ممكن؛ لا يمكنه تذكر الكثير.

لكنني أتذكر الذباب.

نعم. تذكرها. الشراب أحمَد البريق، أفقده وعيه، لكنه لم يكن متأكداً أن الذباب جزء من البريق. فهو يأتي عندما يمكنه ذلك، سواء كنت ثملاً أو واعياً.

فكر مرة أخرى: أحتاج إلى الخروج من هنا.

فكر مرة أخرى: أتمنى لو كنت ميتاً.

2

نحرت دينيه نخرأ ناعماً واستدارت بعيداً عن ضوء الصباح العديم الرحمة. ما عدا الفراش الموجود على الأرض، كانت الغرفة خالية من أي أثاث؛ لم يكن فيها حتى مكتب من متجر بضائع مستعملة. كانت الخزانة مفتوحة، واستطاع دان رؤية أكثرية ملابس دينيه الهزيلة مكدسة في سلتي غسل بلاستيكيتين. والبنود القليلة المعقمة على شماعات بدت كأنها ملابس للتنقل بين المقاصف. يمكنه رؤية قميص تائي أحمر مطبوع على جهته الأمامية "فتاة جذابة" بأحرف متلائة، وتنورة من قماش الدنيم ذات حاشية بالية جداً. كان هناك حذاءان رياضيان، وخفان، وحذاء ذو أشرطة وكعب عالٍ يُنهك القدمين. لكن لا صندل فليني. ولا أثر أيضاً لحذاءه الرياضي ريبوك البالي.

لا يستطيع دان أن يتذكر ركلهما حذاءيهما عندما دخلاً، لكن إذا كانا قد فعلا ذلك، فسيكونان في غرفة الجلوس، التي يمكنه أن يتذكرها - بغموض. وقد يكون جزدانها هناك أيضاً. ربما أعطاهما ما بقي من نقوده لتحفظها. هذا غير محتمل لكن ليس مستحيلاً.

سار برأسه المدوي في الرواق القصير إلى ما افترض أنه الغرفة الأخرى الوحيدة في الشقة. رأى على الجانب البعيد مطبخاً صغيراً يتألف من لوح تسخين وبراد مقصف محشور تحت المنضدة. ورأى في ناحية العيش أريكة تنزف حشوتها ومُسندة عند أحد طرفيها بقطعتي قريميد، وتواجه تلفزيوناً كبيراً لوحه الزجاجي متشقق في وسطه، وقد تم إصلاح التشقق بشريط تحزيم يتدلى الآن عند إحدى الزوايا. كانت ذبابتان ملتصقتين بالشريط، وإحدهما لا تزال تكافح بضعف. حدق بها دان بافتتان مَرَضِي، ملاحظاً (ليس لأول مرة) أن عين الصُداع ما بعد الثمالة تملك قدرة غريبة على إيجاد أبشع الأشياء في أي مشهد يترأى أمامها.

كانت هناك طاولة قهوة أمام الأريكة، عليها منفضة مليئة بأعقاب، وكيس مليء بمسحوق أبيض، ومجلة بيبول مغطاة ببودرة أكثر وبجانبيها، كتكلمة للصورة، ورقة دولار لا تزال ملفوفة جزئياً. لم يعرف كم تنشقا، لكن بناءً على الكمية الباقية، يمكنه توديع دولاراته الخمسة.

تباً. أنا حتى لا أحب الكوكابين. وكيف تنشقتها، على أي حال؟ بالكاد يمكنني أن أتنفس.

لم ينتشقتها. تنشقتها هي. وقد فَرَكَها على لثته. بدأ يتذكر كل شيء. كان يفضل ألا يتذكر، لكن فات الأوان.

ذباب الموت في المرحاض، يزحف إلى داخل فم السيد رجل الأعمال وخارجه وفوق الأسطح الرطبة لعينيه. السيد التاجر يسأل عما ينظر دان. دان يُخبره أنه لا ينظر إلى شيء، أن المسألة غير مهمة، ودعنا نرى ما معك. تبين أن السيد التاجر معه الكثير. يكون معهم الكثير عادة. ثم جاءت نزهة العودة إلى منزلها في سيارة أجرة أخرى، ودينه تنشق من قبل مستخدمة الجهة

الخلفية ليدها، بحركة طمّاعة جداً - أو معوّزة جداً - لكي تنتظر. كلاهما يحاولان أن يغنّيا "السيد روباتو".

لمحّ صندلها وحذاءه الريبوك داخل الباب، وتراءت له هنا ذكريات ذهبية أكثر. لم تخلع صندلها بركله، بل فقط أفلنته من قدميها، لأنه كان وقتها قد زرع يديه بإحكام على مؤخرتها وكانت قد لفتّ رجليها حول خصره. كان عنقها يعبق برائحة العطر، وأنفاسها تعبق برائحة اللحم المنكّه بطعم الشواء. فقد كانا يزدردانه بنهمّ قبل أن ينتقلا إلى طاولة البلياردو.

ارتدى دان حذاءه الرياضي، ثم سار إلى المطبخ الصغير ليرى إن كانت هناك قهوة فورية في الخزانة الوحيدة. لم يجد قهوة، لكنه رأى جزدانها جالسا على الأرض. اعتقد أنه يمكنه أن يتذكّرها تقذفه على الأريكة وتضحك عندما لم تُصبها. نصف الهراء الذي فيه انسكب إلى الخارج، بما في ذلك محفظة جلد اصطناعي حمراء. جرف كل شيء إلى داخله وأخذه إلى المطبخ الصغير. رغم أنه عرّف جيدا أن ماله يعيش الآن في جيب سروال جينز السيد التاجر صنع مصمّم أزياء مشهور، أصرّ جزء منه على أنه لا بدّ أن بعضاً منه بقي، فقط لأنه يحتاج إلى أن يبقى بعضاً منه. الدولارات العشرة كافية لثلاثة أكواب شراب أو صندوقين سُداسي العبوات، لكنه سيحتاج اليوم إلى أكثر من ذلك.

أخرَجَ محفظتها وفتحها. وجد بعض الصور - صورتين لدينيه مع شابّ يشبهها إلى حد بعيد لكي لا يكون نسيباً، صورتين لدينيه تحمل طفلاً، صورة لدينيه في فستان تخرّج بجانب ولد لديه حالة سوء إطباق الأسنان ويرتدي بذلة سهرة زرقاء شنيعة. كان جيب الأوراق النقدية منتفخاً. هذا أعطاه الأمل إلى أن فتحه ورأى مجموعة طوابع غذائية. كان هناك بعض العملة أيضاً: ورقنا عشرين وثلث عشرات.

هذا مالي. ما بقي منه، على أي حال.

كان أعقل من ذلك. فهو لن يعطي أبداً فتاةً منتشبةً تعرّف عليها للتو راتبه الأسبوعي لكي تحفظه له. هذا مالها.

نعم، لكن ألم يكن الكوكابين فكرتها؟ ألم تكن هي سبب إفلاسه وكذلك إصابته بصُداع ما بعد الثمالة هذا الصباح؟

لا. أنت تشعر بصُداع ما بعد الثمالة لأنك مدمن شراب. وأنت مفلس لأنك رأيت ذباب الموت.

قد يكون هذا صحيحاً، لكنها لو لم تصرّ على ذهابهما إلى محطة القطارات والانتشاء، لما رأى ذباب الموت أبداً.

قد تحتاج إلى تلك الدولارات السبعين للبقالة.

صحيح. مرطبان زبدة فول سوداني ومرطبان مربى الفراولة. وكذلك رغيف خبز لتمر غهما عليه. لديها طوابع غذائية للباقي.

أو للإيجار. قد تحتاج لها لتدفع الإيجار.

إذا احتاجت إلى مال للإيجار، يمكنها بيع التلفزيون. وربما سيأخذه تاجرها، بكل ذلك التشقق. سبعون دولاراً لن تكفي لإيجار شهر، على أي حال، قال لنفسه، حتى لمكان قذر مثل هذا.

هذا ليس مالك، يا محترم. كان صوت أمه، وهو آخر صوت يحتاج إلى سماعه عندما يشعر بضداع قوي ما بعد الثمالة ويكون بحاجة ماسة إلى تناول كوب شراب.

"تباً لك يا ماما". قال بصوت منخفض لكن صادق. أخذ المال، وحشره في جيبه، وأعاد المحفظة إلى الجزدان، واستدار.

رأى ولداً يقف هناك.

بدا سنّه حوالي ثمانية عشر شهراً. كان يرتدي قميصاً تائياً لفريق أطلنطا برايتز يصل إلى رُكبتيه، لكن الحفاض الذي تحته يظهر على أي حال، لأنه كان ممتلئاً ويتدلّى فوق كاحليه. وثب قلب دان وثبة هائلة في صدره وأعطاه رأسه لكمة قوية مفاجئة، كما لو أن ثور لَوْح بمطرقته وضربه بها. بقي متيقناً للحظة أنه سيُصاب بجلطة دماغية أو نوبة قلبية، أو بالاثنتين معاً.

ثم أخذ نفساً عميقاً وزفر. "من أين جئت أيها البطل الصغير؟".

"ماما"، قال الولد.

وهذا منطقي جداً بطريقة ما - لأن دان، أيضاً، جاء من أمه - لكن هذا لم يساعده. بدأ استنتاجٍ فطيعٍ يحاول تشكيل نفسه في رأسه المدوي، لكن لم يرغب أن تكون لديه أي علاقة به.

لقد رآك تأخذ المال.

ربما، لكن هذا لم يكن الاستنتاج. إذا رآه الولد يأخذه، وما الضرر في ذلك؟ لم يكن قد بلغ الثانية حتى. الأولاد بهذا السن الصغير يتقبلون كل شيء يفعلُه اليافعون. إذا رأى أمه تسير على السقف وألسنة نيران تنطير من رؤوس أصابعها، سيتقبل ذلك.

"ما اسمك أيها البطل؟". كان صوته ينبض بانسجام مع قلبه الذي لم يكن قد هدأ بعد.

"ماما".

حقاً؟ سيسخر بقية الأولاد من هذا كثيراً في المدرسة الثانوية.

"هل جئت من الباب المجاور؟ أو من آخر الرواق؟".

رجاءً قل نعم. لأنه إليك الاستنتاج: إذا كان هذا الولد ابن دينيه، فستكون قد خرجت تنتقل بين المقاصف وتركته مسجوناً في هذه الشقة المستهجنة لوحده.

"ماما!".

ثم لمح الولد الكوكابين على طاولة القهوة وراح يخبّ نحوه وحفاضه المبتل يلوح يميناً ويساراً.

"حنوى!".

"لا، هذه ليست حلوى"، قال دان، رغم أنها كانت حلوى بالطبع: حلوى للأنف.

لم يكثر له الولد ومدّ يده إلى المسحوق الأبيض. عندما فعل ذلك، رأى دان رضوضاً على ذراعه العليا. من النوع الذي تخلفه يد تعصر.

أمسك الولد حول خصره وبين رجليه. عندما لوّحه إلى أعلى وبعيداً عن الطاولة (حفاض الطفل المبتل يقطر بولاً على الأرض بين أصابعه)، امتلأ رأس دان بصورة موجزة لكن نقية جداً: شبيه دينيه في صورة المحفظة، يرفع الولد ويرجّه، مخلفاً علامات أصابعه.

(يا تومي أي جزء لم تفهمه من اخرج أيها اللعين؟)

(لا يا راندي إنه مجرد طفل)

ثم اختفى. لكن ذلك الصوت الثاني، الضعيف والمحتجّ، كان صوت دينيه، وفهم أن راندي أخوها الكبير. هذا منطقي. فليس كل مسيء هو الحبيب. يكون أحياناً الأخ. وأحياناً العمّ. وأحياناً

(اخرج أيها الجرو العديم القيمة وتناول دواءك)

يكون الأب العزيز.

حَمَلَ الطفل - تومي، إسمه تومي - إلى غرفة النوم. رأى الولد أمه وبدأ يتلوى فوراً. "ماما! ماما! ماما!".

عندما وضعه دانه أرضاً، خَبَّ تومي إلى الفراش وزحف إلى جانبها. رغم أنها كانت نائمة، إلا أن دينيه وَضَعَتْ ذراعها حوله وعانقته. ارتفع قميص البرايفز، ورأى دان مزيداً من الرضوض على رجلي الولد.

الأخ يدعى راندي. يمكنني إيجاده.

كانت هذه الفكرة باردة ونقية مثل جليد البحيرة في يناير. إذا تولى الصورة من المحفظة وركّز، متجاهلاً الدويّ في رأسه، سيتمكن من إيجاد الأخ الأكبر على الأرجح. فقد فعل هكذا أشياء

من قبل.

يمكنني إحداث بعض الرضوض أنا أيضاً. وأخبره أنني سأقتله في المرة القادمة.

إلا أنه لن تكون هناك مرة قادمة. لقد انتهى من ويلمنغتون. لن يرى دينيه أو هذه الشقة الصغيرة اليايسة مرة أخرى أبداً. لن يفكر بليلة أمس أو هذا الصباح مرة أخرى أبداً.

هذه المرة كان صوت دك هالوران. لا يا عزيزي. ربما يمكنك دفن الأشياء من الأوفرلوك في صناديق مقلّة، لكن ليس الذكريات. أبداً. إنها الأشباح الحقيقية.

وقف في المدخل، ينظر إلى دينيه وابنها المرضوض. لقد نام الولد من جديد، وفي شمس الصباح، بدا الاثنان بريئين تماماً.

ليست بريئة. ربما لم تخف الرضوض، لكنها خرجت تحتفل وتركته لوحده. لو لم تكن هناك عندما استيقظ وسار إلى غرفة الجلوس...

حنوى، قال الولد وهو يمدّ يده إلى البودرة. هذا ليس جيداً. يجب فعل شيء ما.

ربما، لكن ليس من قبلي. سأبدو جيداً في مركز الخدمات الإنسانية وأنا أقدم شكوى بهذا الوجه عن إهمال طفل، أليس كذلك؟ تفوح مني رائحة الشراب والقيء الكريهة. مجرد مواطن شريف يؤدّي واجبه المدني.

يمكنك إعادة مالها، قالت ويندي. يكفي أن تفعل ذلك.

كاد يعيده. حقاً. فقد أخرجه من جيبه وحمله في يده. حتى إنه تنزّه به إلى جزدانها، ولا شك أن النزهة جعلته يشعر شعوراً جيداً، لأن فكرة خطرت بباله.

خذ الكوكايين، إذا كنت ستأخذ شيئاً. يمكنك بيع ما بقي منه بمئة دولار. ربما حتى بمئتين، إذا لم يتم الدوس عليه كثيراً.

فقط إذا لم يكن مشتريه المحتمل من شرطة مكافحة المخدرات - سيكون حظه رهيباً - وسيدخل السجن، حيث قد يجد نفسه مُداناً أيضاً بذلك الشيء الغبي الذي حصل في درب اللبّانة. النقود أأمن بكثير. سبعون دولاراً فقط لا غير.

سأنقاسمه معها. أربعون لها وثلاثون لي.

إلا أن ثلاثين لن تنفعه كثيراً. وهناك الطوابع الغذائية - رزمة كبيرة كفاية لتعلف حصاناً. يمكنها إطعام الولد بها.

رَفَع الكوكايين ومجلة بيبول المليئة بالغبار ووضعهما على منضدة المطبخ الصغير، بعيداً عن متناول الولد. رأى خرقة في المغسلة، فاستخدمها لتنظيف الفضلات عن طاولة القهوة وهو يقول

لنفسه إنها إذا خرجت من غرفتها بينما يفعل ذلك، سيُعيد لها مالها اللعين. ويقول لنفسه إنها إذا بقيت نائمة، فإنها تستحق ما يصيبها.

لم تظهر دينيه. بقيت نائمة.

أنهى دان التنظيف، وأعاد رمي الخرقَة في المغسلة، وخطرت بباله أن يترك لها رسالة. لكن ماذا سيقول؟ اهتَمي بابنك بشكل أفضل، وبالمناسبة، لقد أخذتُ نقودك؟

حسناً، لا رسالة.

غادر والمال في جيبه الأمامي الأيسر، منتبهاً من عدم خَبُط الباب في طريقه للخروج. أخبر نفسه أنه شخص مُراعٍ لشعور الآخرين.

3

حوالي الظهر - زال صُداعه ما بعد الثمالة بفضل حبوب فيوريست ودارفون الخاصة بدينيه - اقترب من مؤسسة تدعى الذهبي للمشروبات المستوردة. هذا كان في الجزء القديم من البلدة حيث المؤسسات مبنية من قرميد، والأرصفة فارغة إلى حد كبير، ومكاتب الرهون (كل مكتب منها يعرض تشكيلة أمواس حلقة جديرة بالإعجاب) عديدة. كان ينوي شراء زجاجة كبيرة جداً من الشراب الاسكتلندي الرخيص جداً، لكن ما رآه غيّر له رأيه. رأى عربة تسوّق محمّلة بالتشكيلة المجنونة لممتلكات متشرّد. والمتشرّد مالکها في الداخل يوبّخ البائع. كانت هناك بطانية ملفوفة ومربوطة فوق عربة التسوّق. استطاع دان رؤية بُقعّتين عليها، لكنها لم تبدُ سيئة بالإجمال. أخذها ووضعها تحت ذراعه وابتعد برشاقة. بعد سرقة سبعين دولاراً من والدته عزباء لديها مشكلة إساءة استخدام المواد، بدت له سرقة السجادة العجيبة لمتشرّد أمراً تافهاً حقاً. ربما لهذا السبب شَعَرَ أنه أصغر من أي وقت مضى.

أنا الرجل المنكمش المذهل، فكّر في سرّه وهو يُسرّع في دخول المنعطف مع جائزته الجديدة. أسرق بضعة أشياء أخرى وسأتلاشى كلياً عن الأنظار.

كان يترقّب النعيق الغاضب للمتشرّد - كلما ازداد جنونهم، كلما نَعَقوا بشكل صاحب أكثر - لكن لم يكن هناك شيء. منعطف آخر ويمكنه تهنئة نفسه على فرار نظيف.

انعطف دان.

4

وجد نفسه في ذلك المساء جالساً عند فم بالوعة أمتار كبيرة على المنحدر تحت جسر شهداء كايب فير. لديه غرفة، لكن كانت هناك مسألة صغيرة هي الإيجار المتراكم الذي وعدّ وعداً قاطعاً أن يدفعه عند الخامسة مساءً البارحة. لم يكن هذا كل شيء. إذا عاد إلى غرفته، قد يُدعا إلى

زيارة مبنى بلدي شبيه بالحصن في شارع بسّ لئجيب على أسئلة عن مشادة في مقصف. بالإجمال، بدا له أن البقاء بعيداً أمن.

هناك ملجأ وسط المدينة يدعى منزل الأمل (الذي يسميه مدمنو الشراب بالطبع المنزل الميؤوس منه)، لكن لم تكن لدى دان نية بالذهاب إلى هناك. يمكنك أن تنام مجاناً، لكن إذا كانت معك زجاجة سيأخذونها منك. ويلمنغتون مليئة بفنادق رخيصة تعمل بالليل ولا تكثرث لما شربته أو تشقته أو حقنته، لكن لماذا ستبذر مالاً جيداً للشراب على سرير وسقف عندما يكون الطقس دافئاً وجافاً؟ يمكنه أن يقلق بشأن الأسرة والسقوف عندما يتوجّه شمالاً، وكذلك بشأن إخراج ممتلكاته القليلة من الغرفة في شارع بورني دون أن تلاحظه المالكة.

كان القمر يبزغ فوق النهر. والبطانية ممدودة خلفه. سيتمدد عليها قريباً، ويلف نفسه بها كشرنقة، وينام. كان منتشياً ما يكفي ليكون سعيداً. كان الإقلاع والصعود عنيفين، لكن الآن كل مطبات الارتفاع المنخفض أصبحت خلفه. افترض أنه لا يعيش ما ستميه أميركا المستقيمة حياة يُضرب بها المثل، لكن كل شيء بخير في الوقت الحاضر. معه زجاجة شراب (اشتراها من متجر مشروبات يبعد مسافة متعقّلة عن متجر الذهبي) ونصف شطيرة هيرو للفطور غداً. كان المستقبل غائماً، لكن القمر ساطع هذه الليلة. كل شيء مثلما يجب أن يكون.

(حنوى)

فجأة كان الولد معه. تومي. معه هنا. يمدّ يده إلى البودرة. رضوض على ذراع. عينان زرقاوان.

(حنوى)

رأى هذا بوضوح معدّب للنفس لا علاقة له بالبريق. وأكثر. دينيه مستلقية على ظهرها، تشخر. محفظة الجلد الاصطناعي الحمراء. رزمة الطوابع الغذائية المطبوع عليها "وزارة الزراعة الأميركية". المال. الدولارات السبعون. التي أخذها.

فكّر بالقمر. فكّر كم يبدو هادئاً في بزوغه فوق الماء.

فعل ذلك لبرهة، لكنه رأى عندها دينيه على ظهرها، محفظة الجلد الاصطناعي الحمراء، رزمة الطوابع الغذائية، الأوراق النقدية المثيرة للشفقة (معظمها صرف الآن). وأكثر شيء رآه بوضوح هو محاولة الولد الوصول إلى البودرة بيد بدت كأنها نجم بحر. عينان زرقاوان. ذراع مرضوضة.

حنوى، قال.

ماما، قال.

تعلم دان خدعة أن يكيل شرابه؛ بهذه الطريقة يدوم الشراب لفترة أطول، ويكون الانتشاء شجياً أكثر، وصداع اليوم التالي أخف وطبعاً أكثر. لكنه يُسيء الكيل أحياناً. المصائب تحصل. كما في درب اللبّانة. كان ذلك حادثاً تقريباً، لكن هذه الليلة، إنهاء الزجاجة بأربع بلعات طويلة كان مقصوداً. ذهنك سيّورة، والشراب الممحاة.

تمدّد ولفّ نفسه بالبطانية المسروقة. انتظر فقدان الوعي، وأتى، لكن تومي أتى أولاً. قميص أطلنطا برايقز. حفاض الطفل المرتخي. عينان زرقاوان، ذراع مرضوضة، يد مثل نجم البحر.

حنوى. ماما.

لن أتكلّم عن هذا أبداً، أخبر نفسه. لأي شخص.

مع بزوغ القمر فوق ويلمنغتون، كارولاينا الشمالية، انزلق دان تورانس في فقدان الوعي. رأى أحلاماً عن الأوفرلوك، لكنه لن يتذكّرهما عندما يستيقظ. ما تذكّره عندما استيقظ كان العينان الزرقاوان، والذراع المرضوضة، واليد الممدودة.

تمكّن من الحصول على ممتلكاته وذهب شمالاً، إلى الجزء الشمالي من ولاية نيويورك أولاً، ثم إلى ماساتشوستس. مرّت سنتان. كان يساعد الناس أحياناً، العجائز في الأغلب. لديه طريقة لفعل ذلك. في العديد من الليالي الثملة، سيكون الولد آخر شيء يفكر فيه وأول شيء يتبادر إلى ذهنه في صباح الصداع ما بعد الثمالة. الولد هو ما يفكر فيه دائماً عندما يُخبر نفسه أنه سيقلع عن تناول الشراب. ربما الأسبوع القادم؛ الشهر القادم بالتأكيد. الولد. العينان. الذراع. اليد الممدودة التي تشبه نجم البحر.

حنوى.

ماما.

الجزء الأول

أبرا

الفصل 1

أهلاً بك في تينيتاون

1

بعد ويلمنغتون، توقف التناول اليومي للشراب.

فيمّر أسبوع، وأحياناً أسبوعان، دون أن يتناول أي شيء أقوى من مياه غازية مخصّصة للحمية. ويستيقظ من دون صداع ما بعد الثمالة، وهذا جيد. يستيقظ عطشاناً وبائساً - ضعيفاً - وهذا ليس جيداً. ثم تأتي ليلة. أو نهاية أسبوع. يشاهد أحياناً إعلان شراب شعير على التلفزيون يُحزنه - شباب لا يعاني أي واحد منهم من كرش شراب الشعير يتناولون شراب شعير بارد بعد مباراة نشيطة في الكرة الطائرة. ويحزن أحياناً أخرى من رؤية فتاتين جذابتين تتناولان شراباً بعد انتهاء العمل في مقهى صغير لطيف، من النوع الذي يحمل إسماً فرنسياً ومعلّقة فيه الكثير من النباتات. تكون أكواب الشراب تقريباً دائماً من النوع الذي يأتي مع مظلات صغيرة. ويحزن أحياناً من أغنية على الراديو. حزن ذات مرة من فرقة ستيكس تغني "السيد روباتو". عندما يكون جافاً، يكون جافاً بالكامل. وعندما يشرب، يثمل. إذا استيقظ بجانب امرأة، يتذكّر دينيه والولد في قميص برايفز التائي. يتذكّر الدولارات السبعين. حتى يتذكّر البطانية المسروقة، التي تركها في بالوعة الأمطار. ربما لا تزال هناك. إذا كان الأمر كذلك، ستكون متعقّنة الآن.

يثمل أحياناً ولا يذهب إلى وظيفته. يُبقونه فيها لبعض الوقت - كان بارعاً في ما يفعله - لكن عندها يأتي يومٌ. عندما يحلّ ذلك اليوم، يقول شكراً جزيلاً ويستقلّ حافلة. ويلمنغتون أصبحت ألبني وألبني أصبحت يوتيكا. ويوتيكا أصبحت نيو پولز. ونيو پولز أفسحت المجال لـ ستربريدج، حيث ثمل في حفلة موسيقية شعبية في الهواء الطلق واستيقظ في اليوم التالي في السجن مع معصم مكسور. ثم انتقل إلى وستون، ثم إلى دار للمسنّين في كرم مارثا، وآه، لم يدم ذلك طويلاً. ففي يومه الثالث، شمت كبيرة الممرضات رائحة شراب في أنفاسه وكان الوداع. تقاطع ذات مرة مع مسار العقدة الحقيقية دون إدراكه ذلك. ليس في أعلى جزء من ذهنه، على أي حال، رغم أنه في الجزء السفلي - الجزء الذي يبرق - هناك شيء. رائحة، ضعيفة وبغيضة، مثل رائحة المطاط المحروق على طريق رئيسي حيث وقع حادث سيئ من فترة قصيرة.

من كروم مارثا، ذهب إلى نيويورك، حيث وجد عملاً في منزل لعين لقدامى المحاربين، من النوع الذي يُترك فيه الجنود القدامى أحياناً على كراسي ذات عجلات خارج عُرف معاينة فارغة إلى أن تفيض أكياس بولهم على الأرض. مكان رديء للمرضى، ومكان أفضل للفاشلين باستمرار أمثاله، رغم أن دان وبضعة آخرين فعلوا ما في وسعهم مع الجنود العجائز. حتى إنه ساعد اثنين منهم على العبور عندما حان وقتها. دامت تلك الوظيفة لبعض الوقت، لوقتٍ طويلٍ كفاية إلى أن سلّم رئيس الساكسفون مفاتيح البيت الأبيض إلى الرئيس راعي البقر.

أمضى دان بضعة ليالٍ رطبةٍ في نيويورك، لكن دائماً يكون اليوم التالي يوم إجازة، لذا لا بأس بذلك. بعد إحدى جلسات الإسراف في الشراب الصغيرة تلك، استيقظ وهو يقول لنفسه على الأقل تركت الطوابع الغذائية. ذلك أعاد ثنائي برنامج الألعاب المضطربين نفسياً.

آسف يا دينيه، لقد خسرت، لكن لا أحد يغادر فارغ اليدين. ماذا لدينا لها يا جوني؟

حسناً يا بوب، لم تفز دينيه بأي مال، لكنها تغادر مع لعبتنا المنزلية الجديدة، وعدة عُرامات من الكوكابين، ورزمة كبيرة من الطوابع الغذائية!

ما حصل عليه دان كان شهراً كاملاً من دون شراب. وقد نسب نجاحه في ذلك إلى نوع غريب من التعذيب الذاتي. خطر بباله أكثر من مرة أنه لو كان يعرف عنوان دينيه، لكان أرسل لها تلك الدولارات السبعين الرديئة منذ زمن طويل. لكان أرسل لها ضعف ذلك المبلغ إذا كان باستطاعة ذلك إنهاء ذكريات الولد في قميص برايفز التائي واليد الممدودة التي تشبه نجم البحر. لكنه لا يعرف العنوان، لذا بقي غير ثمل بدلاً من ذلك. يجلد نفسه بسوطٍ. جلدات جافة.

ثم مرّ ذات ليلة قرب مؤسسة شراب تدعى استراحة صياد السمك ولمح عبر النافذة شقراء جذابة تجلس لوحدها عند المشرب. كانت ترتدي تنورة من قماش الطرطان تنتهي عند وسط فخذاها وبدت وحيدة فدخل وتبيّن أنها مطلّقة حديثاً وأه، كان ذلك خزيّاً، ربما تودّ رقيقاً، وبعد ثلاثة أيام استيقظ مع نفس ذلك الثقب الأسود القديم في ذاكرته. ذهب إلى مركز المحاربين القدامى حيث كان يمسح الأرض ويغيّر اللمبات، على أمل الحصول على بعض الراحة، لكن لا طائل. مغادراً ومعه البنود القليلة التي كانت في خزانته، تذكّر جملةً قديمةً من بوبكات غولدثوايت: "وظيفتي لا تزال هناك، لكن شخصاً آخر يؤدّيها". لذا استقلّ حافلة أخرى متوجّهة إلى نيو هامبشاير، لكن قبل أن يركبها، اشترى حاوية زجاجية فيها سائل مُثمل.

جلس طوال الطريق على مقعد الثملين، المقعد المجاور للمرحاض. فقد علّمته الخبرة أنك إذا كنت تنوي تمضية رحلتك في الحافلة وأنت تثمل، عليك أن تجلس على ذلك المقعد. مدّ يده إلى الكيس الورقي البني، ونزع سداة حاوية السائل المثلّ الزجاجية، وشمّ رائحة السمّر. بإمكان تلك الرائحة أن تتكلم، رغم أنه ليس لديها سوى شيء واحد لتقوله: مرحباً يا صديقي القديم.

تذكّر حنوى.

تذكّر ماما.

تخيّل تومي يذهب إلى المدرسة الآن. دائماً بافتراض أن العمّ راندي العزيز لم يقتله.

فكّر في سرّه، الشخص الوحيد الذي يمكنه الدوس على الفرامل هو أنت.

أنته هذه الفكرة عدة مرات من قبل، لكن تبعتها فكرة جديدة الآن. لست مضطراً أن تعيش بهذه الطريقة إذا كنت لا تريد ذلك. يمكنك، بالطبع... لكنك لست مضطراً.

كان ذلك الصوت غريباً جداً، مختلفاً جداً عن كل حواراته الذهنية الاعتيادية، لدرجة أنه اعتقد في البدء أنه لا شكّ يلتقطه من شخص آخر - يمكنه أن يفعل ذلك، لكن نادراً ما عاد يلتقط إرسالات لم يطلبها. فقد تعلم صدّها. ومع ذلك نظر إلى الرواق، متأكداً تقريباً أنه سيرى شخصاً ينظر إليه بدوره. لم ير هكذا شخص. الجميع نيام، أو يتكلمون مع الركاب الجالسين بجانبهم، أو يحدثون عبر النافذة بيوم نيو إنغلاند الرمادي.

لست مضطراً أن تعيش بهذه الطريقة إذا كنت لا تريد ذلك.

فقط لو أن هذا صحيح. ومع ذلك، أحكمّ إغلاق سداة الزجاجة ووضعها على المقعد الذي بجانبه. رَفَعها مرتين. أعاد وَضَعها في المرة الأولى. في المرة الثانية مدّ يده إلى الكيس ونزع السداة مرة أخرى، لكن مع فعله ذلك، توقفت الحافلة في استراحة نيو هامبشاير الواقعة عند خط الولاية. نزل دان إلى برغر كينغ مع بقية الركاب، وتوقف لفترة كافية لكي يرمي الكيس الورقي في إحدى حاويات النفايات. رأى الكلمات إذا لم تعد بحاجة إليه، اتركه هنا مطبوعاً على جانب الصندوق الأخضر الطويل.

ألن يكون لطيفاً، فكّر دان في سرّه، سماع طرطقة ارتطامها. آه، ألن يكون لطيفاً.

2

بعد ساعة ونصف، مرّت الحافلة بجانب لافتة تقول أهلاً بكم في فرايجر، حيث هناك سبب لكل فصل في السنة! وتحت ذلك، منزل تينيتاون!

توقفت الحافلة في مركز فرايجر الاجتماعي لصعود بعض الركاب إليها، ومن المقعد الفارغ الذي بجانب دان، حيث استراحت الزجاجة طوال الجزء الأول من الرحلة، تكلم طوني. هذا صوت يعرفه دان، رغم أن طوني لم يتكلم بهذا الوضوح منذ سنوات.

(هذا هو المكان)

جيد مثل أي مكان آخر، فكّر دان في سرّه.

أمسك حقيبته القماشية من الرف العلوي ونزل. وقف على الرصيف يراقب رحيل الحافلة. إلى الغرب، امتدت الجبال البيضاء في الأفق. بقي يتجنب الجبال في كل ترحاله، خاصة الوحوش الوعرة التي تقسم الدولة إلى جزأين. فكّر في سرّه الآن، لقد عدت إلى الريف المرتفع في النهاية. أظن أنني لطالما عرفت أنني سأفعل ذلك. لكن تلك الجبال كانت أطف من تلك التي لا تزال تطارده في أحلامه أحياناً، وظن أنه يمكنه أن يتعايش معها، لبعض الوقت على الأقل. هذا إذا استطاع التوقف عن التفكير بالولد ذي قميص برايفز التائي. إذا استطاع التوقف عن استخدام الشراب. وقد جاء وقت أدرك فيه أن الماضي قدماً أمرٌ عديم الفائدة. أنك تأخذ نفسك معك أينما ذهبت.

رقص تساقط ثلجي، رقيق مثل دانتي العرس، في الهواء. يمكنه أن يرى أن المتاجر المصطفة على جانبي الشارع الرئيسي العريض تستقبل في الأغلب المتزلجين الذين يأتون في ديسمبر والمصطافين الذين يأتون في يونيو. سيأتي مصوِّرو أوراق الأشجار في سبتمبر وأكتوبر على الأرجح، لكن هذا ما مرّ في الربيع في نيو إنجلاند الشمالية، ثمانية أسابيع متوترة مصبوغة بالبرد والرطوبة. يبدو أن فرايجر لم تكتشف بعد سبباً لفصل السنة هذا، لأن الشارع الرئيسي - جادة كرانمور - مهجور تقريباً.

علق دان الحقيبة القماشية على كتفه وراح يتنزّه شمالاً ببطء. توقف خارج سور مصنوع من حديد مطاوع لينظر إلى منزل فيكتور غير مترابط مطوّق على الجانبين بأبنية طوب حديثة تفصلها عنه مماشٍ مغطاة. كان هناك برج في أعلى القصر على الجهة اليسرى فقط دون اليمنى، مما أعطى المكان طابع عدم توازن عليلاً أعجب دان نوعاً ما. كان كما لو أنه الفتاة العجوز الكبيرة تقول أجل، جزء مني سقط. تبا. هذا سيحصل لك يوماً ما. بدأ بيتسم. ثم ماتت الابتسامة.

كان طوني عند نافذة غرفة البرج، ينظر إليه من فوق. رأى دان ينظر إلى أعلى فلوح له. نفس التلوحة الوقورة التي يتذكّرها دان من طفولته، عندما كان طوني يأتي في أغلب الأحيان. أغمض دان عينيه، ثم فتحهما. اختفى طوني. لم يكن هناك أبداً من الأصل، كيف يمكنه أن يكون هناك؟ كانت النافذة مكسوة بألواح خشبية.

اللافتة على المرجة، أحرف ذهبية على خلفية خضراء بنفس ظلال المنزل نفسه، تقول "منزل هيلين ريفنغتون".

لديهم قطة في الداخل، فكّر في سرّه. قطة رمادية تدعى أودري.

تبين أن هذا صحيح جزئياً وخطأ جزئياً. هناك قطة، ورمادية، لكنها قطّ مخصي ولم يكن يدعى أودري.

بقي دان ينظر إلى اللافتة لفترة طويلة - طويلة كفاية لكي ترحل السُحب وترسل شعاعاً دافئاً - ثم تابع سيره. رغم أن الشمس ساطعة كفاية الآن لكي يلمع كُروم السيارات القليلة المركونة بشكل مائل أمام المنتجع الصحي، إلا أن الثلج لا يزال يدور، مما جعل دان يتذكّر شيئاً قالتها أمه

خلال طقس ربيعي مشابه، منذ فترة طويلة، عندما كانوا يعيشون في فيرمونت: الشيطان يضرب زوجته.

3

على بُعد مربع سكني أو مربعين سكنيين من مأوى العجزة، توقّف دان مرة أخرى. في الجانب المقابل لشارع مبنى البلدية كانت مشاعات بلدة فرايجر. كان هناك فدان أو فدانان من المرّجة التي بدأت تخضّر للتو، منصة فرقة موسيقية، ملعب بيسبول، نصف ملعب كرة سلة مرصوف، طاولات نزهة، وحتى مساحة معشّبة خضراء حول حفرة هدف في لعبة الغولف. كل شيء لطيف جداً، لكن ما أثار اهتمامه كان لافتة تقول

زوروا تينيتاون

"الأعجوبة الصغيرة" في فرايجر

واركبوا قطار تينيتاون!

لا يتطلّب الأمر عبقرياً لكي يرى أن تينيتاون نسخة مطابقة مصغّرة عن جادة كرانمور. هناك الدار الميثودية التي مرّ بها، وبرجها الصاعد مترين في الهواء؛ وهناك مسرح ميوزك بوكس؛ بوطة سبوندوليكس؛ كتب الجبل؛ متجر القمصان؛ معرض فرايجر، المطبوعات الجميلة تخصصنا. كما هناك منمنمة مثالية عالية حتى الخصر لمنزل هيلين ريفنغتون ذي الأبراج، رغم أنه لم يتم شمل مبني الطوب اللذين يطوّقانه. ربما، فكّر دان في سرّه، لأنهما بشعان جداً، خاصة عند مقارنتهما بالقطعة المركزية.

وما بعد تينيتاون كان قطار منمنم مطلي "قطار تينيتاون" على عرباته التي كانت صغيرة جداً بالتأكيد لتتضمن أي شخص أكبر من حجم طفل صغير. وهناك دخان يخرج من مدخنة قاطرة حمراء ساطعة بحجم درّاجة نارية هوندا غولد وينغ. يمكنه سماع لعلعة محرّك ديزل. ومطبوع على جهة القاطرة، بأحرف ذهبية قديمة الطراز، كان "هيلين ريفنغتون". افتراض دان أنها راعية البلدة. في مكان ما في فرايجر هناك على الأرجح شارع مسمى بإسمها أيضاً.

وقّف في مكانه لبعض الوقت، رغم أن الشمس احتجبت وازداد برد اليوم بما يكفي لكي يرى أنفاسه. لطالما أراد قطاراً كهربائياً في طفولته ولم يحصل على واحد أبداً. يوجد في تينيتاون نسخة ضخمة يستطيع الأولاد من كل الأعمار أن يحبّوها.

نقل حقيبته القماشية إلى كتفه الأخرى واجتاز الشارع. كان سماع طوني - ورؤيته - مرة أخرى مُقلّقاً، لكنه مسرور الآن أنه توقف هنا. ربما هذا حقاً المكان الذي كان يبحث عنه، المكان الذي سيجد فيه أخيراً وسيلة ليصحّ حياته المنحرفة بشكل خطير.

تأخذ نفسك معك، أينما تذهب.

دفع الفكرة إلى خزانة ذهنية. هذا شيء يبرع فيه. تحتوي تلك الخزانة على كافة أصناف الأمور.

4

هناك غطاء يحيط القاطرة على الجانبين، لكنه لمح مسنداً للقدمين تحت طُنف سقف منخفض في محطة تينيتاون، فأخرجه ووقف عليه. تحتوي قُمرة قيادة السائق على كرسيين مقعَّرين مغطيين بجلد خروف بدا له أنهما أخذاً من سيارة ديترويت قديمة معدّلة. كما بدت قُمرة القيادة وأدواتها كأنها بورصة ديترويت معدّلة، باستثناء مقبض ناقل حركة قديم الطراز ناتئ من الأرضية تم استبدال مسكته الأصلية بجمجمة مكشّرة ترتدي رباط رأس بهُت من أحمر إلى زهري شاحب بسبب سنوات من إمساك الأيدي له. تمت إزالة النصف العلوي للمقود، بحيث أن ما بقي بدا كأنه مقبض القيادة في طائرة خفيفة. والجملة "السرعة القصوى 40 لا تتخطى" مطليّة بأسود باهت لكن مقروء على لوحة القيادة.

"هل أعجبك؟"، أتى الصوت من خلفه مباشرة.

استدار دان وكاد يسقط عن المسند. أمسكت يدٌ باليةٌ كبيرةٌ ساعده، لتعيد له توازنه. كان شاباً بدا في أواخر خمسيناته أو أوائل ستيناته يرتدي سترة جينز مبطنّة وقبعة صيد ذات مربعات حمراء أخفض غطاء الأذنين فيها. كانت يده الحرة تحمل طقم أدوات مُلصقة على أعلاه عبارة "ملك بلدية فرايجر".

"آسف"، قال دان وهو ينهض عن المسند. "لم أقصد أن -"

"لا بأس. يتوقف الناس لإلقاء نظرة طوال الوقت. هواة مجسّمات القطارات عادة. إنه كحلم تحقّق بالنسبة لهم. نُبقّهم بعيداً في الصيف عندما يكون المكان مزدحماً والريف يسير كل ساعة تقريباً، لكن في هذا الوقت من السنة لا يوجد أحد غيري. وأنا لا أمانع". مدّ يده. "بيلي فريمان. طاقم صيانة البلدة. الريف طفلي".

صافح دان اليد الممدودة. "دان تورانس".

حدّق بيلي فريمان بالحقيبة القماشية. "أظن أنك نزلت من الحافلة للتو. أم هل تسافر مجاناً في سيارات الآخرين؟".

"حافلة"، قال دان. "ما نوع المحرّك الذي يستخدمه هذا الشيء؟".

"حسناً، هذا مثير للاهتمام. على الأرجح أنك لم تسمع أبداً بالشيفروليه فيرانيو، أليس كذلك؟".

لم يسمع به، لكنه عَرَفَ على أي حال. لأن فريمان عَرَفَ. لم يظن دان أنه سيحصل على هكذا بريق واضح منذ سنوات. أعاد له هذا شبح بهجةٍ يعود أيامه إلى أوائل الطفولة، قبل أن يكتشف مدى الخطورة التي يمكن أن يكون عليها البريق.

"السوبربان البرازيلية، أليس كذلك؟ التوربوديزل".

رفع فريمان حاجبي عينيه الكثيفين وابتسم. "صحيح تماماً! كايسي كينغسلي، إنه المدير، اشتراه في مزاد علني العام الماضي. إنه قطار استثنائي. ينطلق بشكل مذهش. لوح الآلات فيه من السوبربان أيضاً. المقاعد وَضَعْتُهَا بنفسِي".

كان البريق يتضاءل الآن، لكن دان حصل على شيء واحد أخير. "من سيارة جي تي أوه دجاج".

ابتسم فريمان بابتهاج. "هذا صحيح. عثرت عليها في مستودع خردة في شارع سونابي. مقبض ناقل الحركة من شاحنة ماك موديل 1961. ذات تسع سرعات. لطيف، أليس كذلك؟ هل تبحث عن عمل أم تنظر فقط؟".

وَمَضَ دان من التغيّر المفاجئ في الحديث. هل يبحث عن عمل؟ افترض ذلك. مأوى العجزة الذي مرّ به أثناء مشيه متمهلاً على جادة كرانمور سيكون المكان المنطقي للبدء منه، وخطرت فكرة بباله - لم يعرف إن كان البريق أم مجرد حدس عادي - أنهم بحاجة إلى موظفين، لكنه لم يكن متأكداً أنه يريد الذهاب إلى هناك بعد. فرؤية طوني عند نافذة البرج كان أمراً مُقْلِقاً.

أيضاً يا داني، تريد أن تكون أبعد قليلاً عن آخر شراب تناولته قبل أن تذهب إلى هناك لتطلب استمارة توظيف. حتى ولو كان الشيء الوحيد الذي لديهم هو ساعٍ في النوبة الليلية.

صوت دك هالوران. يا للهول. لم يفكر دان بـ دك منذ فترة طويلة. ربما منذ ويلمنغتون.

مع قدوم الصيف - وهو فصلٌ لا شك أن لدى فرايجر سبباً له - سيتم توظيف الأشخاص لكافة أصناف الأشياء. لكن إذا كان عليه أن يختار بين مطعم تشيليز في المركز التجاري المحلي وبين تينيتاون، سيختار تينيتاون بالتأكيد. فَتَحَ فمه ليُجيب على سؤال فريمان، لكن هالوران تكلم قبله مرة أخرى.

إنك تُطبق على الثلاثين الكبيرة يا عزيزي. يمكن أن تنفذ لديك الفرص.

في غضون ذلك، كان ببلي فريمان ينظر إليه بحشوية عفوية.

"نعم"، قال. "إنني أبحث عن عمل".

"العلمك، العمل في تينيتاون لن يدوم طويلاً. فبعدما يحلّ الصيف وتسرح المدارس طلابها، يوظّف السيد كينغسلي السكان المحليين. أغلبهم بين الثامنة عشرة والثانية والعشرين. أعضاء البلدية يتوقعون ذلك. كما أن أجور الأولاد منخفضة". ابتسم كاشفاً فجوتين كان ستان يملأهما. "ومع ذلك، هناك أماكن أسوأ لجني بعض المال. العمل في الهواء الطلق لا يبدو جيداً اليوم، لكن الجو لن يبقى بارداً هكذا طويلاً".

لا، لن يبقى بارداً هكذا. كانت هناك ملاءات واقية للماء فوق أمور كثيرة في المشاعات، لكنها ستنزع قريباً وتكشف البنية الفوقية لصيف البلدة الصغيرة: منصات النفاق، أكشاك البوظة، شيء دائري بدا لدان كأنه دوامة خيل. وهناك القطار، بالطبع، ذو عربات الركاب الصغيرة جداً ومحرك التوربوديزل الكبير. إذا استطاع البقاء بعيداً عن الصلصة وبرهن أنه جدير بالثقة، فقد يدعه فريمان أو المدير - كينغسلي - يقوده مرةً أو مرتين. سيفرحه ذلك. ولاحقاً، عندما يوظّف القسم البلدي أولاد المدرسة المحليين، سيكون مأوى العجزة هناك دائماً.

إذا قرّر أن يبقى، طبعاً.

من الأفضل أن تبقى في مكان ما، قال هالوران - يبدو أن هذا يوم دان لسماع الأصوات ورؤية الرؤى. من الأفضل أن تبقى في مكان ما قريباً، وإلا لن تكون قادراً على البقاء في أي مكان.

فاجأ نفسه يضحك. "هذا يبدو جيداً لي، سيد فريمان. جيداً حقاً".

5

"هل قمتَ بأي صيانة أرضية؟"، سأل بيلي فريمان. كانا يسيران ببطء بجانب القطار، وكان سقف عربات الركاب يصل فقط إلى صدر دان، مما جعله يشعر أنه عملاق.

"يمكنني أن أنزع الأعشاب الضارة، وأزرع، وأرسم. أعرف كيفية استخدام منفاخ الأوراق والمنشار الجنزيري. يمكنني إصلاح المحركات الصغيرة إذا لم تكن المشكلة معقدة جداً. ويمكنني ركوب الجرازة من دون أن أدهس أي أولاد صغار. أما القطار... فلا أعرف عنه".

"تحتاج إلى إذن من كينغسلي لكي تقوده. تأمين وكل ذلك الهراء. اسمع، هل لديك مراجع؟ لن يوظّفك السيد كينغسلي من دونها".

"قلّة منها. أغلبها تتعلّق بالحراسة والتمريض في المستشفى. يا سيد فريمان -"

"نادني بيلي".

"لا يبدو أن قطارك قادر على حمل ركاب. أين سيجلسون؟".

ابتسم بيلي. "انتظر هنا. ولنرى إن كنتَ تعتقد أن هذا مضحك مثلما أعتقده أنا. أنا لا أسأم من هذا أبداً".

عاد فريمان إلى القاطرة وانحنى إلى داخلها. بدأ المحرك، الذي كان يعمل بكسل، يزيد سرعته ويُرسَل سُخْباً إيقاعياً من دخان داكن. سُمع نحيب هيدروليكي على كامل طول الهيلين ريقنغتون. فجأة بدأت سقوف عربات الركاب والعربة المذبذب الصفراء - تسع عربات بالإجمال - ترتفع. بدا هذا لدان كما لو أن تسعة سقوف قابلة للطيّ متماثلة ترتفع كلها في الوقت نفسه. انحنى لينظر عبر النوافذ ورأى مقاعد بلاستيكية صلبة على طول وسط كل عربة. ستة في عربات الركاب واثنان في العربة المذبذب. خمسون بالإجمال.

عندما عاد ببلي، كان دان يبتسم. "لا شك أن قطارك يبدو غريباً جداً عندما يكون مليئاً بالركاب".

"آه أجل. يضحك الناس من كل قلبهم ويحرقون أفلامهم لالتقاط أكبر قدر ممكن من الصور. راقب هذا".

كانت هناك درجة مطلية بالفولاذ في نهاية كل عربة ركاب. استخدم ببلي إحداها، ونزل الرواق، وجلس. ترسّخ وهم بصري غريب، مما جعله يبدو أكبر من الحياة. لَوْحِ بَعْظَمَةٍ وفخامة لدان، الذي استطاع أن يتخيل خمسين عملاقاً يقزّمون القطار الذي يركبونه، في طريق خروجهم بَعْظَمَةٍ وفخامة من محطة تينيتاون.

عندما نهض ببلي فريمان ونزل من القطار، صَقَّ دان. "أنا واثق أنك تبيع حوالي مليار بطاقة بريديّة بين يوم الشهداء ويوم العمال".

"ثقتك في محلها". راح ببلي يفتّش في جيب معطفه، وأخرَجَ حزمة سجائر دوق - وهذا صنف مخفّض السعر يعرفه دان جيداً، يُباع في محطات الحافلات ومتاجر البقالة في كل أرجاء أميركا - وعرضها عليه. أخذ دان واحدة. أشعلها ببلي.

"من الأفضل أن أتمتع بها بينما أستطيع"، قال ببلي وهو ينظر إلى سيجارته. "سيُمنَع التدخين هنا قبل سنوات عديدة أخرى. نادي نساء فرايجر يتكلمن عنه من قبل. مجموعة عجائز إذا سألتني، لكنك تعرف ماذا يقولون - اليد التي تهزّ السرير اللعين تحكّم العالم اللعين". نفث دخاناً من منخريه. "طبعاً معظمهم لم تهزّ سريراً منذ أن كان نيكسون رئيساً. أو احتاجت إلى فوطة صحية".

"قد لا يكون هذا أسوأ شيء"، قال دان. "الأولاد يقلّدون ما يفعله الكبار في السن". تذكّر أبيه. الشيء الوحيد الذي أحبه جاك تورانس أكثر من الشراب، قالت أمه ذات مرة، فُبيل وفاتها، هو صندوق شراب. بالطبع ما أحبّته ويندي كان سجائرها، وقد قتلتها. في يوم من الأيام وعدّ دان نفسه أنه لن يكتسب تلك العادة أبداً. أصبح مقتنعاً أن الحياة سلسلة كمائن ساخرة.

نظر إليه ببلي فريمان مُحوّلاً إحدى عينيه. "ينتابني شعورٌ غريبٌ عن الأشخاص أحياناً، وأشعر بواحد عنك الآن. انتابني حتى قبل أن أستدير وأرى وجهك. أعتقد أنك قد تكون الشاب المناسب لحملة التنظيف الربيعية التي أتوقعها بين الآن ونهاية مايو. هكذا أشعر، وأنا أثق بشعوري. ربما هذا جنون".

لم يعتقد دان أن هذا جنون أبداً، وفهم الآن لماذا سمع أفكار بيلي فريمان بذلك الوضوح، وحتى دون أن يحاول. تذكر شيئاً أخبره إياه دك هالوران ذات مرة - دك، الذي كان أول صديق راشد له. الكثير من الأشخاص يملكون قليلاً مما أسميه البريق، لكنه مجرد وميض في الأغلب - من صنف الأشياء الذي يدعم يعرفون الأغنية التالية التي سيبثها منسق الموسيقى على الراديو أو أن الهاتف سيرن قريباً جداً.

بيلي فريمان يمتلك ذلك الوميض الصغير. ذلك اللعان.

"أظن أن كاري كينغسلي سيكون الشخص الذي عليّ أن أتكلم معه، أليس كذلك؟".

"كابسي وليس كاري. لكن أجل، هو الرجل. يدير الخدمات البلدية في هذه البلدة منذ خمس وعشرين سنة".

"متى سيكون الوقت المناسب؟".

"أظن أنه الآن تقريباً". أشار بيلي بإصبعه. "هناك كومة طوب في الجانب المقابل للشارع هي مبنى بلدية فرايجر ومكاتبها. السيد كينغسلي في القبو، نهاية الرواق. ستعرف أنك وصلت عندما تسمع موسيقى ديسكو عبر السقف. هناك حصة تمارين رياضية للسيدات في النادي الرياضي كل ثلثاء وخميس".

"حسناً، قال دان، "هذا ما سأفعله بالضبط".

"هل مراجعك معك؟".

"نعم". ربّت دان على الحقيبة القماشية، التي كان قد أسندها على محطة تينيتاون.

"ولم تكتبها بنفسك، أو شيء من هذا القبيل؟".

ابتسم داني. "لا، إنها بضائع أصلية".

"هيا إذا أيها النمر".

"حسناً".

"شيء واحد آخر"، قال بيلي عندما بدأ دان يبتعد. "يكره إدمان الشراب كثيراً. إذا كنت مدمن شراب وسألك، نصيحتي... اكذب".

وأما دان برأسه ورفع يده ليُظهر أنه فهم. هذه كذبة قالها من قبل.

بناءً على أنفه المزدهم بالأوردة، لم يكره كايسي كينغسلي إدمان الشراب دائماً. كان رجلاً ضخماً لا يقطن مكتبه الصغير المزدهم بقدر ما كان يرتديه. وهو مسترخٍ الآن على الكرسي الذي خلف مكتبه، يتفحص مراجع دان الموضّبة بشكل أنيق في مجلد أزرق. الجهة الخلفية لرأس كينغسلي تكاد تلمس الطرف السفلي لرمز ديني خشبي معلق على الجدار بجانب صورة فوتوغرافية مؤطرة لعائلته تُظهر كينغسلي أصغر سناً وأنحف يقف مع زوجته وثلاثة أولاد يرتدون ملابس سباحة على شاطئ في مكان ما. عبر السقف، وبشكل مكتوم قليلاً فقط، جاء صوت أعضاء فرقة فيلدج بيبول يغنون YMCA، وترافق ذلك مع الدبيب المتحمّس لعدة أقدام. تخيل دان أم أربع وأربعين هائلة. واحدة ذهبت مؤخراً إلى مصفّف الشعر المحلي وترتدي ثوباً لاصقاً بالجسم أحمر ساطعاً طوله حوالي تسعة أمتار.

"ممم"، قال كينغسلي. "ممم... نعم... صح، صح، صح..."

كان هناك مرطبان زجاجي معبأ بحلويات صلبة عند زاوية مكتبه. من دون أن يرفع نظره عن حزمة مراجع دان الرفيعة، نزع الغطاء، أخرج واحدة، وقذفها في فمه. "تفضّل"، قال.

"لا، شكراً"، قال دان.

خطرت فكرة غريبة بباله. في يوم من الأيام، جلس أبوه على الأرجح في غرفة كهذه أثناء إجرائه مقابلة لمنصب وكيل فندق الأوفرلوك. بماذا كان يفكر؟ أنه بحاجة إلى وظيفة حقاً؟ أن هذه فرصته الأخيرة؟ ربما. على الأرجح. لكن بالطبع، كان جاك تورانس يتكل على الحظ. على عكس دان. يمكنه مواصلة الانجراف لبعض الوقت إذا لم ينجح هذا. أو يجرب حظه في مأوى العجزة. لكنه... أحبّ مشاعات البلدة. أحبّ القطار، الذي يجعل الراشدين ذي الحجم العادي يبدون عمالقة. أحبّ تينيتاون، التي كانت منافيةً للعقل ومبهجة وشجاعة بطريفة أو بأخرى بأسلوب البلدات الأميركية الصغيرة المغرورة. وأحبّ بيلي فريمان، الذي يمتلك مسحة بريق ولا يعرف ذلك على الأرجح.

فوقهما، استبدلت YMCA بـ "سأنجو". وكما لو أنه كان ينتظر لحناً جديداً، أعاد كينغسلي مراجع دان إلى جيب المجلد ومرّها له عبر المكتب.

سير فضني.

لكن بعد يوم من الحدس الدقيق، كان هذا بعيداً جداً عن الدقة. "هذه تبدو ممتازة، لكنني أعتقد أنك ستكون مرتاحاً كثيراً في العمل في مستشفى نيو هامبشاير المركزي أو مأوى العجزة هنا في البلدة. حتى إنك مؤهل للمساعدين المنزليين - أرى أن لديك بعض الكفاءات في الأمور الطبية والإسعافات الأولية. تعرف كيفية استخدام مُزيل الرجفان، وفقاً لهذه. هل سمعت عن المساعدين المنزليين؟".

"نعم. وفكرت بمأوى العجزة. ثم رأيت مشاعات البلدة، وتينيتاون، والقطار".

نَحَرَ كينغسلي. "لن تمنع على الأرجح من قيادته، أليس كذلك؟".

كذّب دان دون تردّد. "لا يا سيدي، لا أظن أن هذا سيهمّني". فأقراره أنه يوّد الجلوس على مقعد سائق جي تي أوه المُستعاد والمنظّف ويضع يديه على ذلك المقود المصعّر سيؤدي بكل تأكيد إلى مناقشة رخصة قيادته، ثم إلى مناقشة كيف خسرها، ثم إلى دعوته ليغادر مكتب السيد كايسي كينغسلي على الفور. "أنا من الصنف المهتمّ أكثر بجرف الأعشاب وجزّها".

"من الصنف الذي يطلب وظيفة قصيرة الأجل، أيضاً، هكذا يبدو من هذه الأوراق".

"سأستقرّ في مكان ما قريباً. أظن أنني أشبعتُ حبّ السفر والتجوال الذي كان لديّ". تساءل إن بدا هذا هُراء لكينغسلي مثلما بدا له.

"وظيفة قصيرة الأجل هي كل ما يمكنني تقديمه لك"، قال كينغسلي. "حالما تنتهي المدارس وتبدأ عطلة الصيف -"

"أخبرني ببلي. إذا قرّرتُ البقاء بعدما يحلّ الصيف، سأجرّب مأوى العجزة. في الواقع، سأملأ استثماراً مُبكرة، إلا إذا كنتَ تفضّل ألا أفعل ذلك".

"لا أهتم في الحالتين". نظرَ إليه كينغسلي بفضول. "ألا يزعجك الأشخاص المُحتضرين؟".

أمك ماتت هناك، فكّر داني في سرّه. يبدو أن البريق لم يختفِ في النهاية؛ كان يختبئ فقط. كنتَ تُمسك يدها عندما تُوقيت. كان إسمها إيلين.

"لا"، قال. ثم أضاف من دون سبب واضح: "كلنا نُحتضّر. العالم مجرد مأوى للعجزة مع هواء منعش".

"فيلسوف. حسناً يا سيد تورانس، أعتقد أنني سأوظّفك. أثق برأيي ببلي - نادراً ما يُخطئ بشأن الأشخاص. فقط لا تتأخر عن موعد العمل، ولا تأتي ثملاً، ولا تأتي مع عيينين حمراوين ورائحتك تعبق برائحة الحشيشة. إذا فعلتَ أحد هذه الأمور، مع السلامة، لأن منزل ريفنغتون لن يكون له أي شأن بك - سأؤكد من حصول ذلك. مفهوم؟".

شعّر دان ببعض الامتعاض

(وغد متأمر)

لكنه قَمَعه. هذا ملعب كينغسلي والكرة بين يديه. "تماماً".

"يمكنك البدء غداً، إذا كان هذا يناسبك. هناك الكثير من الأنزال في البلدة. سأجري مكالمة أو مكالمتين إذا كنتَ تريد. هل يمكنكَ تحمّل دفع تسعين في الأسبوع إلى أن تقبض راتبك الأول؟".

"نعم. شكراً يا سيد كينغسلي".

لَوْح كينغسلي يده. "في هذه الأثناء، أنصحك بنزُل السقف الأحمر. يديره أخ زوجتي السابقة، وسيعطيك حسماً. اتفقنا؟".

"اتفقنا". حصل كل ذلك بسرعة باهرة، مثلما تسقط آخر بضع قطع في بازل معقّدة من ألف قطعة. أخبر دان نفسه بعدم الوثوق بالشعور.

نهض كينغسلي. كان رجلاً ضخماً والعملية بطيئة. نهض دان أيضاً، وعند مدّ كينغسلي يده الغليظة فوق المكتب المزدهم، صافحه دان. جاء الآن من فوق صوت كيه سي وفرقة الصنشاين يُخبران العالم عن أن هذه هي الطريقة التي تعجبهم، أو هو آها.

"أكره هذا الصنف من الموسيقى"، قال كينغسلي.

لا، فكَرّ داني في سرّه. لا تكرهه. بل ينكّر بك باينتك، تلك التي لم تعد تزورك. لأنها لم تنزل لم تسامحك.

"هل أنت بخير؟"، سأل كينغسلي. "تبدو شاحباً قليلاً".

"مُتعب فقط. كانت الرحلة طويلة في الحافلة".

لقد عاد البريق، وبقوة. والسؤال هو، لماذا الآن؟

7

بعد ثلاثة أيام من بدئه وظيفته، التي أمضاها دان في طلاء منصة الفرقة الموسيقية وتطبير أوراق الخريف الفائت الميته عن المشاعات، جاء كينغسلي يمشي متمهلاً على جادة كرانمور وأخبره أن لديه غرفة في شارع إليوت، إذا كان يريدّها. معها حمّام خاص ومغطس ودُش. خمسة وثمانون في الأسبوع. أرادها دان.

"اذهب إلى هناك خلال استراحة غدائك"، قال كينغسلي. "اسأل عن السيدة روبيرتسون". أشار بإصبع كان يُظهر أولى دلالات التهاب المفاصل. "ولا تُسء التصرّف لأنها صديقة قديمة لي. تذكر أنني أوصيتُ بك بناءً على بعض الأوراق القليلة وحسب بيلى فريمان".

قال دان إنه لن يُسيء التصرّف، لكن الصدق الزائد الذي حاول إضفائه على صوته بدا زائفاً لأذنيه. تذكر أبيه مرة أخرى وهو يتوسّل وظيفة من صديق قديم غني بعد فقدانه وظيفته التعليمية في فيرمونت. من الغريب أن تتعاطف مع رجل كاد يقتلك، لكن التعاطف كان موجوداً. هل شَعَرَ الناس بضرورة الطلب من أبيه ألا يُسيء التصرّف؟ على الأرجح. وقد أساء جاك تورانس التصرّف على أي حال. بشكل مذهل. خمسة نجوم. لا شك أن إدمان الشراب كان جزءاً من ذلك، لكن عندما تسقط، يشعر البعض بحاجة ماسّة للصعود على ظهرك والدّوس على عنقك بدلاً من

مساعدتك على الوقوف. هذا أمر رديء، لكن هكذا هي الطبيعة البشرية. بالطبع عندما تتعامل مع أشخاص ذوي مرتبة اجتماعية متدنية، فإنك تتعرض للخيانة والطعن في أغلب الأحيان.

"وراجع ببلي لتري إن كان قادراً على إيجاد حذاء يناسبك. لقد خبأ حوالي عشرة أزواج في حظيرة المعدّات، رغم أنني عندما بحثت لآخر مرة، فقط نصفها تطابق".

كان اليوم مشمساً، والهواء معتدلاً. دان، الذي كان يعمل في سروال جينز وقميص تائي يوتيكا بلو سوكس، رفع نظره إلى السماء الصافية تقريباً ثم عاد وأخفض نظره إلى كايسي كينغسلي.

"أجل، أعرف كيف يبدو، لكن هذه المنطقة جبلية يا صديقي. وتدعي مصلحة الأرصاد الجوية أن إعصاراً سيضربنا. لن يدوم طويلاً - سماء الرجل المسكين هو ما يسمّيه سكان نيو هامبشاير ثلج أبريل - لكن ستهبّ رياح هوجاء أيضاً. هكذا يقولون. أمل أن تكون بارعاً في استخدام نافخة الثلج مثلما أنت بارع في استخدام منفاخ الأوراق". صمت قليلاً. "أمل أيضاً أن ظهرك سليم، لأنك وببلي سترفعان الكثير من الأغصان الميتة غداً. وقد تضطران إلى قصّ بعض الأشجار الساقطة أيضاً. هل تعرف كيفية استخدام منشار جنزيري؟".

"نعم سيدي"، قال دان.

"جيد".

8

انسجم دان مع السيدة روبيرتسون جيداً؛ حتى إنها عرضت عليه شطيرة سلطة بيض وكوب قهوة في المطبخ الشعبي. قبل عرضها، متوقفاً كل الأسئلة الاعتيادية عما أحضره إلى فرايجر وأين كان قبل ذلك. لحسن الحظ أنها لم تطرح تلك الأسئلة، بل سألته إن كان لديه وقت ليساعدها في إغلاق مصاريع النوافذ في الطابق السفلي في حال ضربتهم الرياح حقاً. وافق دان. لم تكن لديه عدة مبادئ يعيش وفقها، لكن هناك مبدأ مفيد دائماً هو بناء علاقة طيبة مع المالكة؛ فلن تعرف أبداً متى تحتاج إلى أن تطلب منها إمهالك لتسديد الإيجار.

هناك في المشاعات، كان ببلي ينتظره مع لائحة مهام. البارحة، نزع كلاهما الملاءات الواقية للماء عن كل ألعاب الصغار. ثم أعادا تركيبها بعد ظهر ذلك اليوم، وأغلقا مختلف الأكشاك والجوائز. والمهمة الأخيرة في اليوم كانت إرجاع الريف إلى حظيرته. ثم جأسا يدخنان على كراسٍ قابلة للطي بجانب محطة تينيتاون.

"اسمع يا دانو"، قال ببلي، "أنا موظف مُتعب".

"لست الوحيد". لكنه شعر أنه بخير، العضلات رشيقة وتوخزه. لقد نسي كم يمكن أن يكون العمل في الهواء الطلق جيداً عندما لا تعاني من صداع ما بعد الثمالة.

تلبّدت السماء بالغيوم. رفع بيلى نظره إليها وتنهّد. "أمل ألا تُثلج وتعصف الرياح بالقوة التي أعلنوها في الراديو، لكن هذا ما سيحصل على الأرجح. وجدّث لك فردتي حذاء. لا يتشابهان كثيراً، لكنهما متطابقان على الأقل".

أخذ دان الحذاء معه عندما سار في البلدة إلى مكان إقامته الجديد. وقتها كانت الرياح تزداد حدّةً والجو يزداد ظلمةً. ذلك الصباح، شعرت فرايجر على حافة الصيف. وحملَ هواء هذا المساء رطوبة الثلج القادم المجبّدة للوجه. كانت الشوارع الجانبية مهجورة والمنازل متحفّظة.

انعطف دان الناصية من شارع مورهد إلى إليوت وتوقف مؤقتاً. رأى قبعة عالية سوداء رسمية مقصوفة، مثل تلك التي يرتديها لاعب الخفّة - أو ربما ممثل في كوميديا موسيقية قديمة، فكّر في سرّه - تنتاطر على الرصيف بمواكبة أوراق خريف العام الماضي. النظر إليها جعله يشعر بالبرد في عظامه، لأنها لم تكن هناك. ليس حقاً.

أغمض عينيه، وراح يعدّ ببطء إلى خمسة والرياح المتزايدة قوتها ترفرف رجلي سرواله الجينز حول ساقيه، ثم فتحهما مرة أخرى. كانت الأوراق لا تزال هناك، لكن القبعة العالية السوداء الرسمية اختفت. كان هذا من أعمال البريق فحسب، مُنتجاً إحدى رؤياه المشرقة والمقلقة والخرقاء عادة. يكون أقوى دائماً عندما يبقى غير ثمل لبعض الوقت، لكنه لم يكن قوياً أبداً مثلما كان منذ قدومه إلى فرايجر. كما لو أن الهواء هنا مختلفٌ، بطريقة أو بأخرى. مؤاتٍ أكثر لتلك الإرسالات الغريبة من الكوكب "في مكان آخر". خاص.

بالطريقة التي كان الأوفرلوك خاصاً بها.

"لا"، قال. "لا، لا أصدّق ذلك".

بضعة أكواب شراب ويزول كل شيء يا داني. هل تصدّق ذلك؟

لسوء الحظ أنه يصدّقه.

9

كانت السيدة روبيرتسون استعمارية قديمة خرفة، وغرفة دان في الطابق الثالث تطلّ على الجبال في الغرب. هذا منظر بانورامي كان يمكنه أن يتدبّر أموره من دونه. خبت ذكرياته عن الأوفرلوك إلى ضبابٍ على مر السنوات، لكن بينما كان يفرّغ أشياءه القليلة من الحقيبة، طفت ذكرى على سطح ذهنه... كانت أشبه بمصنوعة عضوية بغيضة (الجثة المتحللة لحيوان صغير) طفت على سطح بحيرة عميقة.

كان الغسق عندما تساقط الثلج الحقيقي الأول. وقّفنا على شرفة ذلك الفندق الفارغ القديم الكبير، أبي في الوسط، أمي على جهةٍ، وأنا على الجهة الأخرى. أحاطنا بذراعيه. كان الوضع على

ما يرام وقتها. لم يكن قد بدأ يثمل وقتها. في البدء تساقط الثلج في خطوط مستقيمة تماماً، لكن بعدها اشتدت الرياح وبدأت تعصف جانبياً عند أطراف الشرفة وتغطي -

حاول منع الذكرى، لكنها اجتازت الحاجز.

- حيوانات السياج النباتي. تلك التي تنتقل أحياناً عندما لا يكون المرء ينظر حوله.

ابتعد عن النافذة والقشعريرة تملأ ذراعيه. كان قد استحصل على شطيرة من متجر التفاحة الحمراء وينوي أكلها بينما يبدأ قراءة رواية جون ساندفورد الورقية الغلاف التي استحصل عليها من التفاحة الحمراء أيضاً، لكن بعد بضع لقمات، أعاد تغليف الشطيرة ووضعها على عتبة النافذة، حيث ستبقى باردة. قد يأكل الباقي لاحقاً، رغم أنه لم يعتقد أنه سيبقى مستيقظاً بعد التاسعة بكثير هذه الليلة؛ إذا تمكّن من إنهاء مئة صفحة من الكتاب، سيكون قد حقق إنجازاً.

في الخارج، تابعت الرياح تشتدّ، وتُطلق بين الحين والآخر دويّاً مرّوعاً حول طُنف السقف يجعله يرفع نظره عن كتابه. حوالي الثامنة والنصف، بدأ الثلج. كان ثقيلًا ورطباً، وغطى نافذته بسرعة وحجب رؤيته للجبال. وهذا كان أسوأ إلى حد ما. فالثلج حجب النوافذ في الأوفرلوك أيضاً. أولاً في الطابق الأول فقط... ثم الثاني... وأخيراً الثالث.

ثم دُفنوا مع الموتى الحيويين.

ظنّ أبي أنهم سيجعلونه المدير. كل ما كان عليه فعله هو أن يُظهر لهم وفاءه. عبر إعطائهم إبنه.

"إبنه الوحيد"، تتم دان، ثم نظرَ حوله كما لو أن شخصاً آخر نطق... وبالفعل، لم يشعر أنه لوحده. ليس لوحده تماماً. زعقت الرياح على جانب المبنى مرة أخرى، وارتجفت.

الوقت ليس متأخراً جداً لينزل مرة أخرى إلى التفاحة الحمراء ويُحضر زجاجة شيء. ويجعل كل تلك الأفكار البغيضة تنام.

لا. سيقراً كتابه. لوكاس دافنبورت كُف بالقضية، وسيقرأ كتابه.

أغلقه عند التاسعة والرّبع واندسّ في سرير آخر في النُّزل. لن أنام، فكّر في سرّه. ليس والرياح تصرخ هكذا.

لكنه نام.

كان يجلس عند فم بالوعة الأمطار، وقد أخفض نظره إلى منحدر عشبي على نهر كايب فير والجسر الممتد فوقه. كان الليل صافياً والقمر بديراً. لم تكن هناك رياح أو ثلوج. واختفى

الأوفرلوك. حتى ولو لم يحترق بالكامل خلال ولاية الرئيس مُزارع الفول السوداني، كان سيتواجد على بُعد ألف ميل من هنا. لذا لماذا كان خائفاً إلى هذا الحد؟

لأنه لم يكن لوحده، هذا هو السبب. هناك شخصٌ خلفه.

"هل تريد نصيحةً يا حبيبي؟"

كان الصوت سائلاً، متمائلاً. شَعَرَ دان بقشعريرة تغطي ظهره، وأصبحت رجلاه أبرد من كل تلك النتوءات البيضاء التي يمكنه رؤيتها لأنه يرتدي شورتاً. بالطبع يرتدي شورتاً. قد يكون دماغه دماغ رجل ناضج، لكنه يقبع حالياً فوق جسم طفل في الخامسة من عمره.

حبيبي. مَنْ؟

لكنه عَرَف. فقد أَخْبَرَ دينيه إسمه، لكنها لم تستخدمه، بل اكتفت تناديه حبيبي.

لا تتذكّر ذلك، كما أن هذا مجرد حلم.

بالطبع هو حلم. كان في فرايجر، نيو هامبشاير، نائم بينما عاصفة ثلجية ربيعية تعوي خارج نُزُل السيدة روبيرتسون. ومع ذلك، بدا له أن عدم الاستدارة قرارٌ أكثر حكمةً. وأمن - أيضاً.

"لا نصيحة"، قال وهو ينظر إلى النهر والبدر. "لقد نصحتني خبراء. المقاصف وصالونات الحلاقة تعجّ بهم".

"ابقَ بعيداً عن المرأة ذات القبعة يا حبيبي".

أي قبعة؟ كان سيسأل، لكن حقاً، لماذا يتكبّد العناء؟ لقد عَرَف القبعة التي تتكلّم عنها، لأنه رآها تتطاير على الرصيف. سوداء كالخطيئة من الخارج، ومبطّنة بحرير أبيض من الداخل.

"إنها الملكة السافلة لحصن الجحيم. إذا عبثت معها، ستأكلك حياً".

أدار رأسه. لم يكن قادراً على منع نفسه من فعل ذلك. كانت دينيه تجلس خلفه في بالوعة الأمطار وبطانية المتشرد ملفوفة حول كتفيها العاريتين. شعرها ملتصق بخديها. وجهها منتفخ وينزف. عيناها غائمتان. كانت ميتة، في قبرها منذ سنوات على الأرجح.

أنت لستِ حقيقية، حاول دان أن يقول، لكن لم تخرج منه أي كلمات. كان في الخامسة مرة أخرى، كان داني في الخامسة والأوفرلوك عبارة عن رماد وعظام، لكن ها هي امرأة ميتة، امرأة سرق منها.

"لا بأس"، قالت. صوتٌ فوّارٌ قادمٌ من حنجرة متورّمة. "لقد بعثت الكوكابين. أضفتُ إليه بعض السكر الناعم وحصلتُ على مننين". ابتسمت، وانسكب ماءٌ عبر أسنانها. "أنت تروق لي يا

حبيبي. لهذا السبب أتيتُ لأحدرك. ابقَ بعيداً عن المرأة ذات القبعة".

"وجه زائف"، قال دان... لكنه صوت داني، صوت الإنشاد المرتفع والضعيف لوليد. "وجه زائف، ليس هناك، ليس حقيقياً".

أغمض عينيهِ مثلما كان يُغمضهما في أغلب الأحيان عندما يرى أشياء فظيعة في الأوفرلوك. بدأت المرأة تصرخ، لكنه لن يفتح عينيهِ. استمر الصراخ، يرتفع وينخفض، وأدرك أنه صراخ الرياح. لم يكن في كولورادو ولم يكن في كارولاينا الشمالية. كان في نيو هامبشاير. لقد رأى حلمًا مزعجاً، لكن الحلم انتهى.

11

وفقاً لساعة معصمه، كانت الثانية فجراً. الغرفة باردة، لكن ذراعيه وصدرة يرخان بالعرق.

هل تريد نصيحةً يا حبيبي؟

"لا"، قال. "ليس منك".

إنها مينة.

لم تكن هناك أي طريقة لكي يعرف ذلك، لكنه عرّفه دينيه - التي بدت كملكة رعاة البقر في تنورتها الجلدية العالية حتى الفخذين وصندلها الفليني - مينة. حتى إنه عرّف كيف فعلت ذلك. أخذت حبوباً، ربطت شعرها عالياً، جلست في حوض استحمام معبأ بماء دافئ، نامت، انزلقت تحت الماء، غرقت.

كان عويل الرياح مألوفاً بشكل مُرعب، محملاً بتهديد مجوّف. الرياح تعصف في كل مكان، لكن صوتها بدا هكذا في الريف العالي فقط. كان كما لو أن مارداً غاضباً يضرب العالم بمطرقة هوائية.

كنتُ معتاداً على تسمية شرابه "الأمور السيئة"، فكّر دان في سرّه. لكنها "الأمور الجيدة" أحياناً فقط. عندما تستيقظ من كابوس تعرف أنه بريقٌ خمسين بالمئة على الأقل، يكون "الأمور الجيدة جداً".

كوب شراب واحد سيعيده إلى النوم. وثلاثة لا تكفل النوم فقط بل النوم بلا أحلام. النوم طبيب الطبيعة، والآن شعر دان تورانس بالغثيان وبحاجة إلى دواء قوي.

لا شيء مفتوح. لقد نفذ حظك.

حسناً. ربما.

استدار على جنبه، وتدحرج شيء على ظهره عندما فعل ذلك. لا، ليس شيئاً شخصاً. لقد اندسَّ شخصٌ في السرير معه. إنها دينيه. لكن الشخص بدأ صغيراً جداً ليكون دينيه. بدأ أشبه بـ -

نهض عن السرير بسرعة، وخطَّ بشكل مُربك على الأرض، ونظر خلفه. كان ابن دينيه الصغير، تومي. الجهة اليمنى لجمجمته منهاره إلى الداخل. وشظايا عظام ناتئة عبر شعر أشقر ملطَّخ بالدم. وقذارة متقشيرة رمادية - أدمغة - تجفت على أحد الخدين. لا يمكن أن يكون حياً بهذا جرح شنيع، لكنه كان. مدَّ يداً تشبه نجم البحر إلى دان.

"حنوى"، قال.

بدأ الصراخ مرة أخرى، إلا أنه لم يكن صراخ دينيه هذه المرة ولم يكن الرياح. هذه المرة كان صراخه هو.

12

عندما استيقظ للمرة الثانية - استيقاظ حقيقي، هذه المرة - لم يكن يصرخ أبداً، بل فقط يُصدر نوعاً من الزمجرة المنخفضة عميقاً في صدره. استوى جالساً وهو يلهث، وأغطية السرير متكومة حول خصره. لم يكن هناك أحد غيره على السرير، لكن الحلم لم يتلاش بعد، ولم يكن النظر كافياً. رمى الأغطية عنه، وهذا لم يكن كافياً أيضاً. مرَّ يديه على الغطاء السفلي، متلمساً بحثاً عن دفء هارب أو عن انبعاث أحدثه وركان وردفان صغيران. لا شيء. بالطبع لا. لذا نظرَ عندها تحت السرير ولم ير سوى حذاءه المُستعار.

كانت الرياح تعصف بحدّة أقل الآن. لم تنته العاصفة، لكنها تخدم.

ذهب إلى الحمام، ثم استدار والتفت إلى الورا، كما لو أنه يتوقع أن يفاجئ شخصاً. كان هناك السرير فقط، والأغطية الملقية بجانبه على الأرض الآن. أشعل الضوء فوق المغسلة، رشَّ وجهه بماء بارد، وجلس على الغطاء المُعلق لكرسي المراض، وأخذ أنفاساً عميقة، الواحد تلو الآخر. فكَرَّ بالنهوض ونزع سيجارة من الحزمة الجالسة بجانب كتابه على الطاولة الصغيرة الوحيدة في الغرفة، لكن رجليه بدتا مطاطيتين ولم يكن متأكداً أنهما ستحملانه. ليس بعد، على أي حال. لذا جلس. يمكنه رؤية السرير وكان فارغاً. الغرفة بأكملها فارغة. لا مشكلة هناك.

فقط... لم يشعر أنها فارغة. ليس بعد. عندما شَعَرَ أنها فارغة، افترض أنه سيعود إلى السرير. لكن ليس لينام. انتهى النوم لهذه الليلة.

13

قبل سبع سنوات، وخلال عمله كمررض في مأوى للعجزة في تولسا، تصادقَ دان مع طبيب نفسي مسنّ يعاني من سرطان في الكبد. وذات يوم، عندما كان إميل كيمر يسترجع ذكرياته

(بلا تكتّم شديد) عن بعض حالاته المثيرة للاهتمام أكثر، اعترف دان أنه يعاني منذ الطفولة مما سمّاه حلم مزدوج. هل هذه الظاهرة مألوفة لكيمر؟ هل هناك إسم لها؟

كان كيمر رجلاً ضخماً في شبابه - صورة عرسه السوداء والبيضاء القديمة التي يضعها على منضدة سريره تشهد على ذلك - لكن السرطان هو برنامج الحمية المطلق، وفي يوم تلك المحادثة، كان وزنه حوالي نصف سنّه تقريباً، وهو خمسة وأربعين. لكن ذهنه لا يزال ثاقباً، وفي جلوسه الآن على المرحاض المغلق واستماعه إلى العاصفة المحتضرة في الخارج، تذكر دان ابتسامه العجوز الخبيثة.

"عادة"، قال بلكنته الألمانية الثقيلة، "يُدفع لي لتشخيصي يا دانيال".

ابتسم دان. "أظن إذاً أن حظي نفذ".

"ربما لا". راح كيمر يتمعنّ في دان بعينيه الزرقاوين الساطعتين. رغم أنه عرف أن هذا ظالم جداً، إلا أنه ليس بوسع دان إلا تخيل تلك العينين تحت خوذة الجيش النازي. "هناك إشاعة في منزل الموت هذا أنك تملك موهبة مساعدة الأشخاص على الموت. هل هذا صحيح؟".

"أحياناً"، قال دان بحذر. "ليس دائماً". الحقيقة هي تقريباً دائماً.

"عندما يحين الوقت، هل ستساعدني؟".

"إذا كنتُ قادراً، بالطبع".

"جيد". استوى كيمر جالساً، وهي عملية مؤلمة بشكل مرهق، لكن عندما تحرّك دان ليساعده، لوّح له كيمر لبيتعد. "ما تسمّيه حلماً مزدوجاً أمر معروف لدى الأطباء النفسيين، ويهتمّ به اهتماماً كبيراً علماء النفس التحليلي، الذين يسمّونه الاستيقاظ الخاطئ. الحلم الأول يكون حلماً نقياً عادة، بمعنى أن الحالم يعرف أنه يحلم -"

"نعم!"، صاح دان. "لكن الحلم الثاني -"

"يصدّق الحالم أنه مستيقظ"، قال كيمر. "درس الطبيب النفسي كارل يونغ هذا، وحتى نسّبه إلى طاقات الاستبصار التي تتمتع بها تلك الأحلام... لكننا بالطبع أعقل من ذلك، أليس كذلك يا دان؟".

"بالطبع"، وافق دان.

"وصف الشاعر إدغار آلان بو ظاهرة الاستيقاظ الخاطئ قبل وقت طويل من ولادة كارل يونغ. وقد كتّب، 'كل ما نراه أو يبدو أننا نراه ليس سوى حلم ضمن حلم'. هل أجبتُ على سؤالك؟".

"أعتقد ذلك. شكراً".

"على الرحب والسعة. أعتقد الآن أنه يمكنني شرب بعض العصير. التفاح، من فضلك".

14

طاقات استبصار... لكننا بالطبع أعقل من ذلك.

حتى ولو لم يحتفظ بالبريق لنفسه تقريباً كلياً على مر السنوات، لما تجرّأ دان أن يناقض رجلاً مُحْتَضِراً... خاصة رجلاً بهكذا عينين زرقاوين فضوليتين ببرودة. لكن الحقيقة هي أن أحد أو كلي أحلامه المزدوجة توقّعي في أغلب الأحيان، عادة بطرق يفهمها جزئياً أو لا يفهمها أبداً. لكن بينما جالس على مقعد المرحاض بملابسه الداخلية وهو يرتعش الآن (وليس فقط لأن الغرفة باردة)، فهم أكثر بكثير مما أراد.

كان تومي ميتاً. قتله عمّه البذيء، على الأرجح. وانتحرت الأم بعد ذلك بوقت قصير. أما بقية اللحم... أو القبة الشبحية التي رآها سابقاً، تدور على الرصيف...

ابق بعيداً عن المرأة ذات القبة. إنها الملكة السافلة لحسن الجحيم.

"لا يهمني"، قال دان.

إذا عبثت معها، ستأكلك حياً.

لم تكن لديه نيّة اللقاء بها، ناهيك عن العبث معها. أما بالنسبة لدينيه، فهو لم يكن مسؤولاً عن أخيها السريع الغضب أو عن إهمالها إبنها. حتى إنه لم يعد مضطراً أن يتحمّل ذنب دولاراتها السبعين اللعينة بعد الآن؛ فقد باعت الكوكايين - كان متأكداً أن ذلك الجزء من اللحم حقيقي تماماً - وقد تعادلا. أكثر من تعادلا، في الواقع.

ما يهّمه هو الحصول على شراب. أن يثمل، مع عدم التدقيق في الأمر أكثر مما يلزم. الوقوف، السقوط، الثمالة إلى الدرجة القصوى. كانت أشعة شمس الصباح الدافئة جيدة، والشعور اللطيف للعضلات التي عملت بجهد، والاستيقاظ في الصباح دون صداع ما بعد الثمالة، لكن الثمن - كل تلك الأحلام والرؤى المجنونة، ناهيك عن الأفكار العشوائية للغرباء المارين التي تخترق دفاعاته أحياناً - باهظ جداً.

باهظ جداً لكي يتحمّله.

15

جالس على الكرسي الوحيد في الغرفة يقرأ رواية جون ساندفورد على ضوء المصباح الوحيد في الغرفة إلى أن دق جرسا دارّي العبادة في البلدة مُعلنين أنها الساعة السابعة. لذا ارتدى حذاءه الجديد (الجديد بالنسبة له، على أي حال) ومعطفه الواقي من المطر. وخرَج إلى عالم تغيّر وتلطّف. لم تعد هناك حافة حادة في أي مكان. كان الثلج لا يزال يتساقط، لكن بلطف الآن.

يجب أن أخرج من هنا. أن أعود إلى فلوريدا. تَباً لنيو هامبشاير، حيث يتساقط الثلج على الأرجح حتى في الرابع من يوليو في السنوات الفردية الترقيم.

أجابه صوت هالوران، بالنبرة اللطيفة التي يتذكّر لها من طفولته، عندما كان دان داني، لكن كان هناك فولاذ صلب تحته. من الأفضل أن تبقى في مكان ما يا عزيزي، وإلا لن تكون قادراً على البقاء في أي مكان.

"تَباً لك، أيها العتيق الطراز"، تتمم.

عاد إلى التفاحة الحمراء لأن المتاجر التي تبيع الشراب لن تفتح أبوابها قبل ساعة أخرى على الأقل. راح يسير ببطء ذهاباً وإياباً بين برّاد شراب العنب وبرّاد شراب الشعير، يناقش نفسه، وقرّر أخيراً أنه إذا كان سيثمل، فسيفعل ذلك بأكثر طريقة بغیضة ممكنة. أمسك زجاجتي ثاندربيرد (نسبتها ثمانية عشر بالمئة، وهذا رقم جيد كفاية عندما لا يكون الشراب الاسكتلندي متوفراً حالياً)، وبدأ يجتاز الرواق نحو صندوق الدفع، ثم توقف.

أمهل نفسك يوماً آخر. أعط نفسك فرصة أخرى.

افتراض أنه يمكنه فعل ذلك، لكن لماذا؟ لكي يستيقظ في السرير مع تومي مرة أخرى؟ تومي مع نصف جمجمته منهار إلى الداخل؟ أو ربما ستكون دينيه في المرة القادمة، التي بقيت ممدّة في ذلك المغطس ليومين قبل أن يتعب المدير أخيراً من القرع، واستخدم مفتاحه العمومي، وعثر عليها. لا يمكنه معرفة ذلك، لو كان إميل كيمل هنا لكان واقف به بشكل جازم، لكنه يعرف. لذا لماذا يتكبّد العناء؟

ربما سيزول هذا الوعي المفرط. ربما هذه مجرد مرحلة، المرادف النفسي للذهيان الارتعاشي. ربما إذا أعطيته بعض الوقت الإضافي...

لكن الزمن تغير. وهذا شيء فقط الثملون والمدمنون فهموه. عندما لا يمكنك أن تنام، عندما تكون خائفاً أن تنظر حولك بسبب ما قد تراه، فإن الزمن يطول وتنمو له أسنان حادة.

"هل تريد مساعدة؟"، سأل البائع، وعرف دان

(البريق اللعين)

أنه يوتّر البائع. لما لا؟ بشعره المنكوش، وعينيه ذات الدوائر السوداء، وحركاته المتشجّجة غير الأكيدة، بدا على الأرجح مثل متشرّد يقرّر ما إذا كان سيُشهر مسدّسه ويطلب بكل المال الذي في الصندوق أم لا.

"لا"، قال دان. "أدركتُ للتو أنني نسيْتُ محفظتي في المنزل".

أعاد الزجاجات الخضراء إلى البرّاد. وبينما كان يُغلقه، كَلّمته بلطف، مثلما يتكلم الأصدقاء: نراك عما قريب يا داني.

16

كان بيلي فريمان ينتظره، ملتحفاً حتى حاجبي عينيه. كان يمسك قبعة تزلج قديمة الطراز مطرّز أعاصير أنيستون على جهتها الأمامية.

"ما هي أعاصير أنيستون اللعينة؟"، سأل دان.

"تبعد أنيستون ثلاثين كيلومتراً شمالاً من هنا. إنهم منافسونا في كرة القدم وكرة السلة والبيسبول. إذا رآك أحدهم ترتدي هذه، فقد تُصاب بكرة تُلج على رأسك، لكنها القبعة الوحيدة التي لدي".

أخذها دان. "إذاً النصر للأعاصير".

"صحيح، تباً لك وللحصان الذي رَكِبته". راح بيلي يتفحصه. "هل أنت بخير يا دانو؟".

"لم أنم جيداً ليلة أمس".

"لقد سمعتُ ذلك. الرياح اللعينة صرخت حقاً، أليس كذلك؟ بدا صوتها مثل زوجتي السابقة عندما اقتَرَحْتُ عليها أن بعض الحبّ ليلة الاثنين قد يفيدنا. جاهز للعمل؟".

"جاهز تماماً".

"جيد. هيا نبدأ. سيكون يومنا حافلاً".

17

كان يوماً حافلاً بالفعل، لكن الشمس ظهرت عند الظهر وارتفعت الحرارة إلى حوالي اثنتي عشرة درجة. امتلأت تينيتاون بصوت مئة شلال صغير بسبب ذوبان الثلج. ارتفعت معنويات دان مع الحرارة، وحتى وجد نفسه يغني ("أيها الشاب! كنتُ مثلك ذات يوم!") وهو يتبع نافخة الثلج ذهاباً وإياباً في فناء مركز التسوق الصغير المجاور للمشاعات. فوقه، مرفرفة في نسيم خفيف بعيد كل البعد عن زعيق رياح الليلة السابقة، كانت رايةً تقول "حسومات ربيعية ضخمة بأسعار تينيتاون!!".

جملة عديمة الخيال.

بعد انتهاء دوام العمل، أخذ بيلي إلى مطعم تشاك واغن وطلب شريحتي لحم. عرَضَ بيلي أن يدفع ثمن شراب الشعير. فهزّ دان رأسه. "أحاول البقاء بعيداً عن الشراب، لأنني حالماً أبداً،

يصبح من الصعب عليّ التوقف أحياناً".

"يمكنك التكلم مع كينغسلي بشأن ذلك"، قال بيلى. "تطّلق بسبب الشراب منذ خمس عشرة سنة. تعافى الآن، لكن إبنته لا تزال لا تكلمه".

شربا القهوة مع وجبة الطعام. الكثير من القهوة.

عاد دان إلى عرينه في الطابق الثالث في شارع إيوت مُتعباً، مليئاً بالطعام الساخن ومسروراً أنه غير ثمل. لم يكن هناك تلفزيون في غرفته، لكن لديه الجزء الأخير من رواية ساندفورد، ونسي نفسه فيه لساعتين. بقي يترقّب الرياح، لكنها لم تهبّ. خطرت بباله أن عاصفة ليلة أمس كانت المحاولة الأخيرة للشتاء. وهذا أمر ممتاز بالنسبة له. أوى إلى الفراش عند العاشرة وغفا فوراً تقريباً. زيارته إلى التفاحة الحمراء في الصباح الباكر بدت ضبابية الآن، كما لو أنه ذهب إلى هناك بسبب هذيان حمى، والحمى زالت الآن.

18

استيقظ فُبيل الفجر، ليس لأن الرياح كانت تعصف بل لأنه احتاج إلى أن ييول مثل حصان سباق. نهض، مشى بنتأقل إلى الحمام، وأشعل الضوء داخل الباب.

كانت القبعة العالية السوداء الرسمية في المغطس، ومليئةً بالدم.

"لا"، قال. "إنني أحلم".

ربما يحلم حلماً مزدوجاً. أو ثلاثياً. رُباعياً، حتى. هناك شيء لم يُخبر إميل كيمر به: كان خائفاً أن يتوه في متاهة من السهر الترفيهي الوهمي في نهاية المطاف ولا يتمكن أبداً من إيجاد طريق العودة مرة أخرى.

كل ما نراه أو يبدو أننا نراه ليس سوى حلم ضمن حلم.

لكن هذا حقيقي. وكذلك القبعة. لا أحد غيره سيراه، لكن هذا لم يغيّر شيئاً. القبعة حقيقية. كانت في مكان ما في العالم. يعرف ذلك.

من طرف عينه، رأى شيئاً مكتوباً على المرأة فوق المغسلة. شيء مكتوب بأحمر شفاه.

لا يجب أن أنظر إليه.

فات الأوان. كان رأسه يستدير؛ يمكنه سماع الأوتار في عنقه تُصدر صريراً مثل صرير مفصلات باب قديم. وهل هذا مهم؟ يعرف ما هو مكتوب على المرأة. لقد ذهبت السيدة ماسي، وذهب هوراس دروننت، كانا مسجونين بأمان في الصناديق التي يُبقئها في غياهب ذهنه، لكن الأوفرلوك لم ينته منه بعد. هناك كلمة واحدة مكتوبة على المرأة، ليس بأحمر شفاه بل بالدم:

لتق

تحتها في المغسلة، كان قميص تائي لأطلنطا برايفز ملطّخاً بالدم.

لن يتوقف أبداً، فكّر داني في سرّه. الأوفرلوك احترق وأقطع أشباحه سُجنت في صناديق مُقفلة، لكن لا يمكنني أن أسجن البريق، لأنه ليس داخلي فقط، بل هو أنا. من دون شراب لتدويحه على الأقل، ستستمر الرؤى إلى أن تُفقدني عقلي.

يمكنه رؤية وجهه في المرآة والكلمة لتق عائمة أمامه، مختومة على جبهته كأنه صنف من البضائع. هذا ليس حلماً. هناك قميص ولد مقتول في مغسلته ودم في مغطسه. الجنون قادم. يمكنه رؤية اقترابه في عينيه المنتفختين.

ثم صوت هالوران، مثل شعاع مشعل كهربائي في الظلمة: يا بُنيّ، قد ترى أشياء، لكنها مثل صور في كتاب. لم تكن عاجزاً في الأوفرلوك عندما كنت ولداً، ولست عاجزاً الآن. على الإطلاق. أغمض عينيك وعندما تفتحهما، سيكون كل هذا الهراء قد زال.

أغمض عينيه وانتظر. حاول أن يعدّ الثواني، لكنه وصل فقط إلى أربعة عشر قبل أن تضع الأرقام في الإرباك الهادر لأفكاره. كان يتوقّع أن تُطبق يدان - ربما يدا مالك القبعة أياً يكن - حول عنقه. لكنه وقّف هناك. لم يكن هناك حقاً أي مكان آخر ليذهب إليه.

مستجمعاً كل شجاعته، فتّح دان عينيه. كان المغطس فارغاً. كانت المغسلة فارغة. لم يكن هناك شيء مكتوب على المرآة.

لكنه سيعود. ربما سيكون حذاءها في المرة المقبلة - ذلك الصندوق الفلينيّ. أو سأراها في المغطس. لما لا؟ هناك رأيتُ السيدة ماسّي، وقد ماتت بنفس الطريقة. ما عدا أنني لم أسرق أبداً مال السيدة ماسّي وأهرب منها.

"أعطيتّه يوماً"، أخبر الغرفة الفارغة. "فعلتُ هذا القدر".

نعم، ورغم أنه كان يوماً حافلاً، إلا أنه كان يوماً جيداً أيضاً، سيكون أول من يقرّ بذلك. الأيام ليست المشكلة. أما الليالي...

الذهن سبّورة. والشراب الممحاة.

بقي دان مستيقظاً في سريريه حتى السادسة. ثم ارتدى وذهب مرة أخرى إلى التفاحة الحمراء. لم يتردّد هذه المرة، لكن بدلاً من استخراج زجاجتي شراب من البرّاد، أخذ ثلاثة. ماذا يقولون؟ كن شجاعاً أو إلزم المنزل. وضع البائع الزجاجات في كيس من دون تعليق؛ كان معتاداً

على شراة شراب العنب المبكرين. تنزّه دان إلى مشاعات البلدة، جلس على أحد المقاعد في تينيتاون، وأخرج إحدى الزجاجات من الكيس، ونظرَ إليها مثلما نظرَ هاملت إلى جمجمة يوريك. ما كان في الداخل بدا عبر الزجاج الأخضر كأنه سم فئران وليس شراب عنب.

"تقول هذا كأنه شيء سيئ"، قال دان وأرعى السدادة.

هذه المرة أمه هي التي تكلمت. ويندي تورانس، التي بقيت تدخّن حتى اللحظة الأخيرة. لأنه إذا كان الانتحار هو الخيار الوحيد، يمكنك على الأقل اختيار السلاح.

هل هكذا ينتهي الأمر يا داني؟ هل هذا هدف كل شيء؟

أدار السدادة في الاتجاه الخطأ. ثم أحكمّ شدّها. ثم أدارها في الاتجاه المعاكس. نزعها هذه المرة. كانت رائحة شراب العنب حامضة، رائحة موسيقى علبة الموسيقى والمقاصف الرديئة والحجج العديمة الفائدة يليها شجار بالأيدي في مرائب السيارات. في النهاية، كانت الحياة غبية مثل أحد تلك الشجارات. لم يكن العالم مأوىً للعجزة بهواء منعش، كان العالم فندق الأوفرلوك، حيث الاحتفالات لا تنتهي أبداً. حيث الموتى يبقون أحياء إلى الأبد. رفع الزجاجاة إلى شفتيه.

ألهدا كافحنا للخروج من ذلك الفندق اللعين يا داني؟ ألهدا كافحنا لنبني حياة جديدة لأنفسنا؟ لم يكن هناك عتاب في صوتها، فقط حزن.

أحكّم داني شدّ السدادة مجدداً. ثم أرخاها. أحكمّ شدّها. أرخاها.

فكّر في سرّه: إذا شربت، ينتصر الأوفرلوك. رغم أنه احترق بالكامل عندما انفجر المرّجل، سينتصر. وإذا لم أشرب، سأصاب بالجنون.

فكّر في سرّه: كل ما نراه أو يبدو أننا نراه ليس سوى حلم ضمن حلم.

كان لا يزال يُحكّم شدّ السدادة ويرخيها عندما وجده بيلى فريمان، الذي استيقظ باكراً وهو يشعر شعوراً غامضاً بأن هناك خطباً ما.

"هل ستشرب هذا يا دان، أم ستبقى تأرجحه؟".

"أظن أنني سأشربه. لا أعرف ماذا أفعل غير ذلك".

لذا أخبره بيلى.

لم يتفاجأ كايبي كينغسلي كلياً من رؤية موظفه الجديد يجلس خارج مكتبه عندما وصل عند الثامنة والرّبع ذلك الصباح. كما لم يتفاجأ من رؤية الزجاجاة التي كان تورانس يحملها في يديه،

فينزع السدادة أولاً، ثم يعيدها إلى مكانها ويُحَكِّم شدَّها مرة أخرى - فقد كانت لديه تلك النظرة الخاصة من البداية، نظرة متجر الشراب الشاردة.

لم يكن ببيلي فريمان يملك بريقاً بالقدر الذي يملكه دان نفسه، ليس حتى قدراً قريباً، لكنه يملك أكثر من مجرد وميض. في ذلك اليوم الأول اتصل بكينغسلي من حظيرة المعدات حالما اجتاز دان الشارع إلى المبنى البلدي. هناك شاب يبحث عن عمل، قال ببيلي. لم يكن معه الكثير من المراجع، لكن ببيلي يعتقد أنه الرجل المناسب ليساعده حتى يوم الشهداء. كينغسلي، الذي اختبر سابقاً - وبناتج جيدة - حدس ببيلي، وافق. أعرف أننا بحاجة إلى توظيف أحدهم، قال.

كان ردّ ببيلي غريباً، لكن ببيلي شخصٌ غريب الأطوار. ذات مرة، منذ سنتين، طلب الإسعاف قبل خمس دقائق من سقوط ذلك الولد الصغير عن الأرجوحة ويكسر جمجمته.

يحتاج إلينا أكثر مما نحتاج إليه، قال ببيلي.

وها هو يجلس محدباً كما لو أنه يركب حافلة أو كرسيّاً بلا ظهر ولا ذراعين، ويستطيع كينغسلي أن يشمّ رائحة شراب العنب عن بُعد اثني عشر متراً في الرواق. لديه أنف ذوّاقة لهكذا روائح، ويستطيع تسمية كل رائحة. هذه رائحة الثاندربيرد، كما في قافية المشرب القديمة: مَنْ يغرّد؟ الثاندربيرد! ... كم السعر؟ مئة بالقعر! لكن عندما رفع الشابّ نظره إليه، رأى كينغسلي أن عينيه خاليتان من كل شيء ما عدا اليأس.

"ببيلي أرسلني".

لم يقل كينغسلي شيئاً. يمكنه رؤية الولد يستجمع نفسه، يكافحها. كان ذلك بادياً في عينيه؛ بطريقة تهذّل فمه عند أطرافه؛ في الأغلب بطريقة إمساكه الزجاجية، يكرهها ويحبّها ويحتاج إليها في آن.

أخيراً أصدرَ دان الكلمات التي بقي يهرب منها طوال حياته.

"أحتاج إلى مساعدة".

مسحَ عينيه بذراعه. أثناء فعله ذلك، انحنى كينغسلي وأمسك زجاجة شراب العنب. تمسّك بها الولد للحظة... ثم تركها.

"أنت مريض ومُتعب"، قال كينغسلي. "يمكنني رؤية ذلك. لكن هل سئمت من أن تكون مريضاً ومُتعباً؟".

نظرَ إليه دان بارتباك. كافّح أكثر، ثم قال، "لا تعرف كم".

"ربما أعرّف". أخرج كينغسلي حمّالة مفاتيح كبيرة من سرواله الكبير. أقحم مفتاحاً في قفل باب مطلي على زجاجة المصنّف خدمات بلدية فرايجر. "ادخل. دعنا نتحدث عن هذا".

الفصل 2

أرقام سيئة

1

جلست الشاعرة المسنة ذات الإسم الإيطالي والكنية الأميركية مع ابنة حفيدتها النائمة في حُضنها تشاهد الفيديو الذي صوّره زوج حفيدتها في غرفة الولادة قبل ثلاثة أسابيع. بدأ ببطاقة عنوان: "أبرا تدخل العالم!". كان التصوير مرتجاً، وبقي دايفد بعيداً عن أي شيء سريري جداً (الحمد لله)، لكن كونشيتا راينولدز رأت الشعر الملتصق بسبب العرق على حاجب لوسيا، وسمعتها تصرخ "إنني أفعل!" عندما حضنتها إحدى الممرضات على أن تدفع، ورأت قطرات الدم على الستارة الزرقاء - ليست كثيرة، لكن كافية لتشكّل ما كانت جدّة شتّا ستسمّيه "عرضاً عادلاً". لكن ليس بالإنكليزية، بالطبع.

اهتزّت الصورة عندما ظهرت الطفلة أخيراً وشعرت بالقشعريرة تتسلّق ظهرها وذراعيها عندما صرّخت لوسي، "ليس لديها وجه!".

جالساً بجانب لوسي الآن، ضحك دايفد ضحكة خافتة. لأن أبرا كان لها وجه طبعاً، ووجه جميل جداً. أخفضت شتّا النظر إليه كما لو أنها تريد طمأنة نفسها بشأن ذلك. عندما عادت ورفعت نظرها، كان يجري وضع الطفلة الجديدة على ذراعي الأم الجديدة. بعد ثلاثين أو أربعين ثانية منشّجة، ظهرت بطاقة عنوان أخرى: "ذكرى ولادة سعيدة يا أبرا رافاييلا ستون!".

ضغط دايفد زر التوقف على جهاز التحكم عن بُعد.

"أنت واحد من عدد قليل جداً من الأشخاص الذين سيرون هذا"، أعلنت لوسي بصوت حاسم. "هذا مُحرج".

"هذا مدهش"، قال دايفد. "وهناك شخص واحد سيراه بالتأكيد، وهو أبرا نفسها". ألقى نظرة سريعة على زوجته الجالسة بجانبه على الأريكة. "عندما تصبح كبيرة في السنّ كفاية. وإذا أرادت ذلك، طبعاً". ربّت فخذ لوسي، ثم ابتسم لحماته، امرأة يكنّ لها الاحترام لكن لا يحبّها كثيراً.

"حتى ذلك الوقت، مكان هذا في صندوق الأمانات مع أوراق التأمين، أوراق المنزل، وملاييني من تجارة المخدرات".

ابتسمت كونشيتا لئظهر أنها فهمت النكتة لكن قليلاً، لئظهر أنها لم تجدها مضحكة جداً. في حُضنها، نامت أبراً نوماً عميقاً. بطريقة ما، يُولد كل الأطفال ببرقع جنين، فكّرت في سرّها، ستائر أسرار واحتمالات على وجوههم الصغيرة. ربما هذا شيء تكتب عنه. ربما لا.

أنت كونشيتا إلى أميركا عندما كانت في الثانية عشرة وتتكلم الإنكليزية بطلاقة - هذا ليس مدهشاً، بما أنها خزّيجة فاسار وأستاذة (متقاعدة الآن) لتلك المادة بالذات - لكن كل المعتقدات الخرافية وحكايات الزوجات القديمات لا تزال تعيش في رأسها. تُصدر لها أوامر أحياناً، وتكلمها بالإيطالية دائماً عندما تفعل ذلك. تصدّق شتاً أن معظم الذين يعملون في الفن أشخاص مصابون بالفصام يتميّزون بأداء عالٍ، وهي لا تختلف عنهم. تعرف أن المعتقدات الخرافية هُراء؛ وتبصق أيضاً بين أصابعها إذا اجتاز غراب أو قطة سوداء مسارها.

يعود الفضل لمعظم فُصامها إلى أخوات الرحمة، اللواتي يصدّقن أن المرايا أحواض فاتنة والولد الذي ينظر فيها لوقت طويل جداً يُصاب بالثاليل. هؤلاء هنّ النساء اللواتي كان لهن أكبر تأثير على حياتها بين سنّي السابعة والثانية عشرة. كنّ يحملن مساطر في أحزمتهن - للضرب وليس للقياس - ولم يرين أبداً أذن ولد لم يرغب في شدّها أثناء مرورهنّ.

مدّت لوسي ذراعيها للطفلة. سلّمتها إياها شتاً، لكن ليس دون تقاعُس. كانت الطفلة حزمةً عذبةً.

2

ثلاثون كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من المكان الذي تنام فيه أبراً على ذراعي كونشيتا راينولدز، كان دان تورانس يحضر اجتماعاً لمنظمة مدمني الشراب المجهولين بينما راحت فتاة جميلة تتكلم برتابة عن مضاجعة طليقها. فقد أمره كايسي كينغسلي أن يحضر تسعين اجتماعاً في تسعين يوماً، وهذا الاجتماع، المنعقد عند الظهر في قبو دار فرايجر الميثودية، كان الثامن له. كان يجلس في الصف الأول، لأن كايسي - المعروف في القاعات بكاييسي الكبير - أمره أن يفعل ذلك، أيضاً.

"المرضى الذين يريدون التعافي يجلسون في الأمام يا داني. نسّمى الصف الخلفي في اجتماعات منظمة مدمني الشراب المجهولين رواق الإنكار".

كان كايسي قد أعطاه فكرة صغيرة على غلافها الأمامي صورة أمواج المحيط تتكسر على نتوء صخري. ومطبوع فوق الصورة شعار فهمه دان لكن لم يهتم به كثيراً: لا شيء عظيم ينشأ فجأة.

"دُون كل اجتماع تحضره في هذه المفكرة. ومتى طلبتُ منك رؤيتها، من الأفضل أن تكون قادراً على إخراجها من جيبك الخلفي وتُظهر لي حضوراً مثالياً".

"ألا يحق لي بيوم إجازة مَرَضِيَّة حتى؟".

ضحك كايسي. "أنت مريض كل يوم يا صديقي - أنت مدمن شراب. هل تريد معرفة شيء أخبرني إياه راعي؟".

"أعتقد أنك أخبرتني به من قبل. لا يمكنك إعادة خيارة مخلّلة لتكون خيارة عادية، صح؟".

"لا تكن متذاكياً، فقط أنصت".

تنهّد دان. "تفضّل".

"خذ مؤخرتك إلى الاجتماع"، قال. 'وإذا سقطت على الطريق، ضعها في كيس وخذها إلى الاجتماع".

"جميل. ماذا لو نسيتُ بكل بساطة؟".

هزّ كايسي كتفيه. "عندها جد لنفسك راعياً آخر، راعياً يصدّق حجّة النسيان. أنا لا أصدّقها".

لم يكن دان، الذي شَعَرَ كأنه عرض قابل للكسر تندرج إلى حافة رفٍ عالٍ لكن لم يسقط بعد، يريد راعياً آخر أو حصول تغيير من أي نوع. شَعَرَ أنه بخير، لكن طرياً. طرياً جداً. بلا جلد تقريباً. الرؤى التي ابتلى بها بعد وصوله إلى فرايجر توقّفت، ورغم أنه يفكّر بدينه وابنها الصغير في أغلب الأحيان، إلا أن الأفكار لم تكن مؤلمة مثلها. في نهاية كل اجتماع تقريباً لمنظمة مدمني الشراب المجهولين، يقرأ أحدهم الوعود. أحدها كان لن نندم على الماضي كما لن نرغب أن نوصد الباب عليه. اعتقد دان أنه سيندم على الماضي دائماً، لكنه توقف عن محاولة إيباد الباب. لماذا يتكبّد العناء، عندما سيُفتح بسهولة مرة أخرى؟ لا يوجد مزلاج لذلك الشيء اللعين، ناهيك عن قفل.

بدأ الآن يدوّن كلمة واحدة على الصفحة الحالية للمفكرة الصغيرة التي أعطاه إياها كايسي. دوّن أحرفاً كبيرة حذرة. لم تكن لديه أي فكرة لماذا يفعل ذلك، أو ما معناها. الكلمة كانت أبرأ.

في غضون ذلك، وصلت المتحدثّة إلى نهاية خطابها وأجهشت بالبكاء، وصرّحت بصوتٍ مختنقٍ أنه رغم أن طليقها حقير وهي لا تزال تحبّه، إلا أنها ممنونة أنها غير ثملة. صَفَّق لها دان مع بقية مجموعة الغداء، ثم بدأ يلوّن الأحرف بقلمه. يسمنّها. يجعلها تبرز.

هل أعرف هذا الاسم؟ أعتقد أنني أعرفه.

عندما بدأ المتحدّث التالي وذهب إلى الوعاء ليحضّر كوب قهوة جديداً، تذكّره. أبرا إسم فتاة في رواية لجون ستاينبك. شرق عدن. لا يمكنه أن يتذكّر متى قرأها. في محطة على الطريق. في مكان ما. لا يهمّ.

فكرة أخرى

(هل احتفظت به)

ارتفعت إلى أعلى ذهنه مثل فقاعة وتفرّقت.

احتفظت بماذا؟

فرانكي ب، عجوز مجموعة الغداء الذي كان يترأس الاجتماع، سأل إن أراد أحدهم أن يشارك في توزيع الفَيْش. عندما لم يرفع أحد يده، أشار فرانكي بإصبعه. "ماذا عنك، أنت المختبئ هناك عند القهوة؟".

خجلاً، سار دان إلى مقدمة الغرفة، على أمل أن يتذكّر ترتيب الفَيْش. الأولى - وهي بيضاء للمبتدئين - حصل عليها. بينما أخذ علبة البسكويت البالية المبعثرة الفَيْش والميداليات داخلها، أتته الفكرة مرة أخرى.

هل احتفظت به؟

3

ذلك كان اليوم الذي حرّم فيه أعضاء العقدة الحقيقية، الذين كانوا يمضون الشتاء في أرض مخيم KOA في أريزونا، أغراضهم وبدأوا يعودون شرقاً. قادوا مركباتهم على الطريق 77 نحو شوه لوه في القافلة الاعتيادية: أربعة عشر مخيماً، بعض سيارات القطر، بعضها تشدّ كراسي الحدائق أو الدراجات الهوائية على ظهورها. كانت هناك مركبات وينباغو وساوثويند وموناكو، وحناطير. إيرتكرورز روز - سبعمئة ألف دولار من الفولاذ المدرفل المستورد، أفضل سيارة عيش يستطيع المال شراءها - تقود الموكب. لكن دون تخطي السرعة القانونية 88 كيلومتراً بالساعة.

لم يكونوا على عجلة من أمرهم. هناك الكثير من الوقت. لا تزال المأدبة على بُعد عدة أشهر.

4

"هل احتفظت به؟"، سألت كونشيتا بينما فنّحت لوسي بلوزتها وقدمت صدرها لأبرا. طرفت عينا أبي بأسلوب يدّل على النعاس، واستذكرت قليلاً، ثم فقدت الاهتمام. بعدما تتفرّح

حلماتك، لن تقديميها إلى أن تطلبها، فكّرت شتاً في سرّها. وبأعلى صراخها.

"احتفظت بماذا؟"، سأل دايفد.

عرّفت لوسي. "أغمي عليّ مباشرة بعدما وضعوها على ذراعيّ. يقول دايفد إنني كدت أوقعها. لم يكن هناك وقت يا مومو".

"آه، تلك المادة اللزجة فوق وجهها"، قال دايفد باستخفاف. "نزعوها ورموها. حسناً فعلوا، إذا سألتني". كان بيتسم، لكن عينيه كانتا تتحدّيانها. أنتِ أَعقل من مواصلة الحديث عن هذا، قالتا. أنتِ أَعقل، لذا توقفي عن هذا.

هي أَعقل من ذلك... وليست أَعقل. هل كانت برأيين مختلفين هكذا عندما كانت أصغر سناً؟ لا يمكنها أن تتذكّر، رغم أنه بدا أنها قادرة على أن تتذكّر كل محاضرة عن الأسرار المباركة والألم الأبدي للجحيم الذي تفرضه أخوات الرحمة، تلك المتشحات بالسواد. قصة الفتاة التي أصابها العمى لاختلاسها النظر على أخيها بينما كان عارياً في المغطس، وقصة الرجل الذي سقط ميتاً لشمته الزعيم الأكبر.

أعطنا إياهم عندما يكونون يافعين ولا يهّم عدد الحصص المحترمة التي درّسوها، أو عدد كتب الشعر التي كتبوها، أو حتى أن أحد تلك الكتب فاز بكل الجوائز الكبيرة. أعطنا إياهم عندما يكونون يافعين... وسيصبحون مُلكنا إلى الأبد.

"كان يجب أن تحتفظي بالبرُقع. إنه يجلب الحظ السعيد".

تكلّمت مباشرة مع حفيدتها، مُقصيةً دايفد كلياً. كان رجلاً طيباً، زوجاً جيداً لحفيدتها لوسيا، لكن تباً لنبرته الاستخفافية. وتباً مزدوجة لعينيه المتحدّيتين.

"كنتُ سأحتفظ به، لكن لم تسنح لي الفرصة يا مومو. ولم يكن دايفد يعرف"، قالت وهي تزرّر أزرار بلوزتها مرة أخرى.

مالت شتاً إلى الأمام ولمست البشرة الرقيقة لخد أبراً بطرف إصبعها، لحم قديم ينزلق على لحم جديد. "الذين يُولدون مع بُرُقع يُفترَض أن يمتلكوا نظراً مزدوجاً".

"أنتِ لا تصدّقين هذا حقاً، أليس كذلك؟"، سأل دايفد. "بُرُقع الجنين ليس سوى غشاء.

إنه..."

كان يقول المزيد، لكن كونشيتا لم تكثر له. فقد فتحت أبراً عينيهما. فيهما عالمٌ من الشعر، أبيات رائعة جداً لكي تكون قد دُوّنت يوماً. أو لكي يتم تذكُّرها حتى.

"لا يهّم"، قالت كونشيتا. رفعت الطفلة وقبّلت الجمجمة الناعمة حيث نبضَ اليافوخ، روعة
الذهن قريبة جداً. "ما حصل قد حصل".

5

ذات ليلة بعد حوالي خمسة أشهر من الجدل البسيط بشأن بُرُفَع الجنين الخاص بأبرا،
حلّمت لوسي أن إبنتها تبكي - تبكي كما لو أن قلبها سينفطر. في ذلك الحلم، لم تعد أبي في غرفة
النوم الرئيسية للمنزل الواقع في ريتشلاند كورت بل في رواق طويل. ركضت لوسي في اتجاه
البكاء. كان هناك في البدء أبواب على الجانبين، ثم مقاعد. مقاعد زرقاء ذات ظهور مرتفعة. إنها
على متن طائرة أو ربما قطار أمتراك. بعد الركض لمسافة بدت لها كيلومترات، وصلت إلى باب
حمّام كانت طفلتها تبكي خلفه. ليس بكاء جوع، بل بكاء خوف. ربما

(يا إلهي)

بكاء ألم.

خشيت لوسي أن تجده مُقفلًا فتضطر إلى كسره - أليس هذا ما يحصل دائماً في الأحلام
المزعجة؟ - لكن المسكة انفتلت وفتحت. بينما فعلت ذلك، تملّكها خوف جديد: ماذا لو كانت أبراً في
المرحاض؟ لقد قرأت عن حصول ذلك. أطفال في المراحيض، أطفال في المكبات. ماذا لو كانت
تغرق في أحد تلك الأوعية الفولاذية البشعة التي تتواجد في وسائل النقل العامة، وصولاً إلى فمها
وأنفها في الماء الأزرق المطهر؟

لكن أبراً ممدّدة على الأرض. عارية. عيناها، اللتان تسبحان في الدموع، تحدّقان في أمها.
ومكتوب على صدرها بما بدا دماً الرقم 11.

6

حلّم دايفد ستون أنه يطارد بكاء إبنته صعوداً على سلّم كهربائي لانهاضي يسير أمامه - ببطء
لكن بشكل لا يرحم - في الاتجاه الخطأ. والأسوأ هو أن السلّم الكهربائي موجود في مركز تجاري،
والمركز التجاري يحترق. يجب أن يخنق وتنقطع أنفاسه قبل وقت طويل من وصوله إلى القمة،
لكن لم يكن هناك دخان يتصاعد من الحريق، فقط ألسنة لهب. كما لم يكن هناك أي صوت غير بكاء
أبرا، رغم أنه رأى أشخاصاً يحترقون مثل مشاعل مشبّعة بالكبروسين. عندما وصل إلى القمة
أخيراً، رأى أبي جالساً على الأرض مثل كيس نفايات مُهمّل، والرجال والنساء يركضون من
حولها، غير منتبهين لها، ورغم اللهب، لم يحاول أحد استخدام السلّم الكهربائي رغم أنه ينزل. بل
بقوا يركضون بلا هدف في كل الاتجاهات، مثل نمل تلتته مزقتها مسلفة مُزارع. وكادت امرأة
ترتدي كعباً عالياً أن تدوس على إبنته، وهذا شيء كان سيقتلها تقريباً.

كانت أبراً عارية. ومكتوب على صدرها الرقم 175.

استيقظ الزوجان سئون معاً، مُقتنعان في البدء أن البكاء الذي سمعاه كان من بقايا حلميهما. لكن لا، كان البكاء في الغرفة معهما. أبي ممددة في مَهدها تحت هاتفها الخلوي بشكل الشخصية الكرتونية شريك، عيناها متسعتان، خذاها أحمران، قبضتها الصغيرتان جداً مشدودتان، وتبكي من أعماقها.

تغيير الحفاض لم يهدئها، وكذلك تقديم صدر إمها لها، وكذلك ما بدا كيلومترات ذهاباً وإياباً في الرواق وعلى الأقل ألف تكرار لأغنية "عجلات الحافلة". أخيراً، وبعد شعورها بخوف شديد - كانت أبي أولى أولادها، وقد نفدت الحلول لدى لوسي - اتصلت بكونشيتا في بوسطن. رغم أنها الثانية فجراً، إلا أن مومو ردت من الرثة الثانية. كانت في الخامسة والثمانين، ونومها خفيف مثل النسيم. أنصتت جيداً لعويل ابنة حفيدتها أكثر مما أنصتت إلى سرد لوسي المرتبك عن كل العلاجات العادية التي جرّباها، ثم سألت الأسئلة المناسبة. "هل لديها حمى؟ قرص إحدى أدنيها؟ شدّ رجليها كما لو أن عليها التبرُّز؟".

"لا"، قالت لوسي، "لا شيء من هذا. إنها دافئة قليلاً من البكاء، لكن لا أعتقد أن لديها حمى. مومو، ماذا يجب أن أفعل؟".

لم تتردد شتاء، الجالسة الآن في مكتبها. "أعطها خمس عشرة دقيقة أخرى. إذا لم تهدأ وتبدأ تأكل، خذها إلى المستشفى".

"ماذا؟ مستشفى بريغهام؟" مرتبكة ومنزعجة، كان هذا كل ما تستطيع لوسي التفكير فيه. إنها المستشفى التي أنجبتها فيها. "تبعد عنا مئتين وخمسين كيلومتراً!".

"لا، لا. بريدغتون. على حدود ماين. إنها أقرب قليلاً من CNH".

"هل أنت متأكدة؟".

"هل أنظر إلى كمبيوترتي الآن؟".

لم تهدأ أبرا. كان البكاء رتيباً، مجتئاً، مُرعباً. عندما وصلوا إلى مستشفى بريدغتون، كانت الرابعة والرُّبع، وأبرا لا تزال تبكي بكامل قوتها. جولة في أكورا كانت أفضل عادةً من حبة منومة، لكن ليس هذا الصباح. فكّر دايفد بتمدد الأوعية الدموية في الدماغ وأخبر نفسه أنه فقد عقله. الأطفال لا يُصابون بجلطات دماغية... أليس كذلك؟

"دايفي؟"، سألت لوسي بصوت خافت بينما توقفوا قرب اللافتة التي تقول الحالات الطارئة فقط. "لا يُصاب الأطفال بجلطات دماغية أو نوبات قلبية... أليس كذلك؟".

"لا، أنا متأكد أنهم لا يُصابون بها".

لكن فكرة جديدة خطرت بباله عندها. لنفترض أن الطفلة ابتلعت دبوس أمان بطريقة ما، وانفتح في معدتها؟ هذا غباء، نحن نستخدم حفاضات هاغيز، وهي لم تقترب أبداً من دبوس أمان.

شيء آخر إذاً. دبوس شعر من رأس لوسي. دبوس تائه سقط في مَهدها. وربما حتى، ليكن الله في عونهم، قطعة بلاستيكية انكسرت من شريك أو الحمار أو الأميرة فيونا.

"دايفي؟ بماذا تفكر؟"

"لا شيء".

كان الخلوي سليماً. هو متأكد من ذلك.

متأكد تقريباً.

تابعت أبراً تصرخ.

8

أمل دايفد أن يعطي الدكتور المناوب ابنته مسكناً، لكن هذا يخالف بروتوكول الرضع الذين لا يمكن تشخيص حالتهم، ولم يبداً أن أبراً رافاييلا ستون تعاني من أي خطب. لم تكن لديها حمى أو طفح جلدي، والصورة فوق الصوتية ألغت احتمال تضيق بواب المعدة. ولم تُظهر الأشعة السينية أي كائنات غريبة في حنجرتها أو معدتها، أو عقبة في أحشائها. هي مبدئياً ترفض أن تصمت فحسب. كانت عائلة ستون المرضى الوحيديين في الطوارئ تلك الساعة فجر الثلاثاء، وحاولت كل ممرضة من الممرضات المناوبة الثلاثة تهدئتها. لا شيء نفع.

"ألا يجب أن تعطوها شيئاً لتأكله؟"، سألت لوسي الدكتور عندما عاد ليفحصها. خطرت ببالها الجملة محلول رينغر اللاكتاتي، وهي شيء سمعته في أحد برامج الطب التي شاهدتها منذ إعجابها خلال المراهقة بجورج كلوني. لكن كل ما تعرفه هو أن ذلك المحلول غسولٌ للقدم، أو مضاد للتخثر، أو شيء لقرحة المعدة. "لن تأخذ الصدر أو الرضاعة".

"عندما تجوع كفاية، ستأكل"، قال الدكتور، لكن هذا لم يُرح لوسي أو دايفد كثيراً. فمن جهة، بدا الدكتور أصغر سناً منهما. ومن جهة أخرى (وهذا أسوأ بكثير) لم يبداً متأكداً بالكامل. "هل اتصلتما بطبيب الأطفال الخاص بها؟". تفحص ملفها الطبي. "الدكتور دالتون؟".

"تركنا رسالة مع سكرتيرته"، قال دايفد. "لن نسمع منه على الأرجح قبل منتصف الصباح، ووقتها سيكون هذا قد انتهى".

بطريقة أو بأخرى، فُكر في سرّه، وعرض له ذهنه - الذي أصبح صعب المراس بسبب قلة النوم والقلق الكبير - صورة نقية بقدر ما هي مروّعة: مشيِّعون يقفون حول قبر صغير. وحتى

تابوت أصغر.

9

عند السابعة والنصف، اقتحمت شتا راينولدز غرفة المعايينة التي وُضع فيها الوالدان ستون مع طفلتهما التي لا تتوقف عن الصراخ. كانت الشاعرة التي تقول إشاعةً إنها على اللائحة القصيرة لنيل ميدالية رئاسية للحرية ترتدي سروال جينز مستقيم الساقين وكنزة جامعة مع فجوة في أحد المرفقين. تُظهر الملابس كم أصبحت نحيلة خلال السنوات الثلاثة أو الأربعة الماضية. لا سرطان، إذا كان هذا ما تظنه، ستقول إذا علق أحدهم على نحافتها المماثلة لنحافة عارضات الأزياء، والتي تُخفيها عادة بفساتين منتفخة أو قفاطين. أنا أتدرب لآخر لفة حول المضمار.

شعرها، المجدول أو المرفوع بأشكال معقدة لإظهار تشكيلة لقطات شعرها العتيقة، برز حول رأسها في سحابة آينشتاين شعناء. لا تضع أي ماكياج، وحتى في استغاثتها، صُدمت لوسي عندما رأت كم تبدو كونشيتا هرمة. حسناً، بالطبع هي هرمة، فهي في الخامسة والثمانين، لكن قبل هذا الصباح كانت تبدو في أواخر ستينياتها كحد أقصى. "كنتُ سأصل إلى هنا قبل ساعة لو وجدتُ شخصاً يأتي ويهتم بـبني". كانت بتي كلبتها المسنة المتوَعكة.

لمحت شتا نظرة دايفد العاتية.

"بني تُحضر يا دايفد. وبناءً على ما يمكنك إخباري به عبر الهاتف، لم أكن قلقة جداً بشأن أبرا".

"هل أنت قلقة الآن؟"، سأل دايفد.

نظرت إليه لوسي نظرة تحذير، لكن شتا بدت مستعدة أن تقبل التوبيخ المفهوم ضمناً. "نعم". مدت يديها. "أعطني إياها يا لوسي. هيا نرى إن كانت ستهدأ مع مومو".

لكن أبرا لم تهدأ مع مومو، مهما تم هزّها. كما لم ينفع أي غناء هادئ ورخيم بشكل مدهش (الأغنية الوحيدة التي يعرفها دايفد كانت "عجلات الحافلة" بالإيطالية). كلهم جربوا المداواة بالسير مرة أخرى، فساروا بها أولاً في أرجاء غرفة المعايينة الصغيرة، ثم إلى آخر الرواق، ثم عادوا إلى غرفة المعايينة. استمرّ الصراخ دون انقطاع. في مرحلة ما ساد هرج ومرج في الخارج - يتم إدخال شخص مُصاب إصابات مرئية فعلية، افترض دايفد - لكن أولئك الذين في غرفة المعايينة 4 بالكاد لاحظوا.

عند التاسعة إلا خمسة، فُتح باب غرفة المعايينة ودخل طبيب أطفال عائلة ستون. كان الدكتور جون دالتون زميلاً سيعرفه دان تورانس، ولو ليس عبر كنيته. بالنسبة لدان كان فقط الدكتور جون، الذي يُعدّ القهوة ليلة الخميس في اجتماع الكتاب الكبير في كونواي الشمالية.

"الحمد لله!"، قالت لوسي وهي تدفع طفلتها الصارخة إلى ذراعي طبيب الأطفال. "لقد تركونا لوحدنا لساعات!".

"كنتُ في طريقي عندما وصلتني الرسالة". رَفَع دالتون أبرا إلى كتفه. "جولات هنا ثم إلى كاسل روك. لقد سمعتم ما حصل، أليس كذلك؟".

"سمعنا ماذا؟"، سأل دايفد. مع فتح الباب، أدرك لأول مرة الصخب المعتدل في الخارج. كان الناس يتكلمون بأصوات صاخبة. وبعضهم يبكي. دخلت الممرضة التي كانت قد استقبلتهم، بوجه أحمر وملطخ وخدين رطبين. حتى لم ترمق الرضيعة الصارخة.

"طائرة ركاب ارتطمت بمركز التجارة العالمي"، قال دالتون. "ولا أحد يعتقد أنه حادث".

تلك كانت رحلة أميركان إيرلاينز 11. رحلة يونايتد إيرلاينز 175 ارتطمت بالبرج الجنوبي لمركز التجارة بعد سبع عشرة دقيقة، عند 9:03 صباحاً. وعند 9:03، توقفت أبرا ستون عن البكاء فجأة. عند 9:04، كانت نائمة نوماً عميقاً.

في طريق عودتهم إلى أنيستون، استمع دايفد ولوسي إلى الراديو بينما نامت أبرا بسلام على مقعد سيارتها خلفهما. كانت الأخبار لا تُطاق، لكن إطفاء الراديو كان أمراً لا يُصدّق... على الأقل إلى أن أعلن مُذيع الأخبار عن أسماء شركات الطيران وأرقام الرحلات: اثنتان في نيويورك، واحدة قرب واشنطن، واحدة أحدثت حفرة في ريف بنسلفانيا. ثم مدّ دايفد يده أخيراً وأصمت فيضان الكوارث.

"لوسي، عليّ أن أخبرك شيئاً. لقد حَلَمْتُ -"

"أعرف". تكلمت بالنبرة الخافتة لشخص تعرّض لصدمة للتو. "وأنا أيضاً".

حين اجتازوا حدود نيو هامبشاير، بدأ دايفد يصدّق أن هناك علاقة ما لبرُقع الجنين ذاك، في النهاية.

10

في بلدة في نيوجرسي، على الضفة الغربية لنهر هادسون، هناك منتزه مسمّى على إسم أشهر مقيم في البلدة، ويقدم في الأيام الصافية منظرًا مثاليًا لمانهاتن السفلى. وصل أعضاء العقدة الحقيقية إلى هوبوكين في الثامن من سبتمبر، وركنوا في مرأب خاص سيّجوه بأربعة جدران لعشرة أيام. كُرو دادي نَقْد ذلك. وسيم واجتماعي، يبدو في الأربعين من عمره، وقميصه التائي المفضّل يقول "أنا شخص شعبي!". هذا لا يعني أنه ارتدى يوماً قميصاً تائياً عند تفاوضه للعقدة الحقيقية؛ بل يرتدي بذلة وربطة عنق حصراً. فهذا ما يتوقعه الأشخاص الدنيويون. إسمه الطبيعي هنري روثمان. محام متخرّج من هارفرد (دُفِعة 1938)، ويحمل معه نقوداً دائماً. تملك العقدة الحقيقية أكثر

من مليار دولار في حسابات مختلفة عبر العالم - بعض ذلك المبلغ ذهب، بعضه الماس، بعضه كتب نادرة وطوابع ولوحات - لكنه لم يدفع أبداً بشيك أو بطاقة إئتمان. الجميع، حتى بي وپود، اللذان بيدوان كولدين، يحملان لفة عشرات وعشرينات.

مثلما قال جيمي الأرقام ذات مرة، "نحن زيّ ادفع واحمل. ندفع نقداً والأشخاص الدنيويون يحملوننا". جيمي محاسبُ العقدة الحقيقية. في أيامه الدنيوية سافر مرةً بزيّ أصبح معروفاً (طويلاً بعد انتهاء حربهم) بـ مُغيري كوانتريل. وقتها كان ولداً جامحاً يرتدي معطفاً من فرو الجاموس ويحمل معه بنادقة شاربس، لكنه لأن في السنوات التي تلت ذلك. يظهر هذه الأيام كأنه رونالد ريغن في سيارة عيشه.

في صباح الحادي عشر من سبتمبر، راقب أعضاء العقدة الحقيقية الهجمات على البرجين من مرأب السيارات، متبادلين أربعة مناظير فيما بينهم. كانت ستتوقّر لهم رؤية أفضل من منتزه سيناترا، لكن روز لم تضطر إلى إخبارهم أن التجمّع باكراً قد يثير الشك... وفي الأشهر والسنوات القادمة، ستصبح أميركا دولةً مرتابةً جداً: إذا رأيت شيئاً، قل شيئاً.

حوالي العاشرة ذلك الصباح - عندما تجمّعت الحشود عند ضفة النهر وكان الجو آمناً - شقّوا طريقهم إلى المنتزه. دفعَ التوأمان الصغيران، بي وپود، الجَدّ فليك على كرسيه ذي العجلات. كان الجَدّ يرتدي قبعته التي تقول "أنا جندي سابق". وشعره الطويل الأبيض، الناعم مثل شعر الأطفال، يتطاير حول حافات القبعة مثل نبتة الصقلاب. كان في فترة من الفترات يُخبر الناس أنه جندي سابق في الحرب الإسبانية الأميركية. ثم في الحرب العالمية الأولى. ثم في الحرب العالمية الثانية. وبعد حوالي عشرين سنة، يُتوقّع أن يبذل قصته إلى فييتنام. محاكاة الواقع لم تكن مشكلة أبداً؛ كان الجَدّ من هواة التاريخ العسكري.

كان منتزه سيناترا مزدحماً. معظم الأشخاص صامتون، لكن بعضهم يبكي. وقد ساعدت آني المنزر وسُو السوداء العينين في هذا الصدد؛ كانت الاثنتان قادرتين على البكاء عند الطلب. وارتسمت تعابير حزن وجدية ودهشة على وجوه الآخرين.

مبدئياً، هذا الوضع يلئم العقدة الحقيقية تماماً.

كان المنقرّجون يأتون ويذهبون، لكن العقدة الحقيقية بقيت معظم فترات اليوم، الذي كان صافياً وجميلاً (ما عدا من السحابة الكثيفة فوق مانهاتن السفلى). وقفوا وراء قضبان الحديد، لا يكلمون بعضهم، فقط يراقبون. ويأخذون أنفاساً عميقةً بطيئةً طويلةً، مثل السياح من الغرب الأوسط الواقفين لأول مرة عند بيماكويد بوينت أو كودي هَدّ في ماين ويتنفسون عميقاً هواء البحر النقي. كدلالة على الاحترام، خلعت روز قبعتها العالية السوداء الرسمية وأمسكتها قرب جنبها.

عند الساعة الرابعة، عادوا إلى معسكرهم في مرأب السيارات، منتعشين. سيعودون في اليوم التالي، واليوم الذي يليه، واليوم الذي يليه. سيعودون إلى أن يُستنزف البخار الجيد، ثم ينتقلون مرة أخرى.

وقتها، سيكون شعر الجدّ فليك الأبيض قد أصبح رمادياً حديدياً، ولن يحتاج بعدها إلى الكرسى ذي العجلات.

الفصل 3

الملاعق

1

المسافة ثلاثون كيلومتراً من فرايجر إلى كونواي الشمالية، لكن دان تورانس يقطعها كل ليلة خميس، جزئياً لأنه يمكنه ذلك. كان يعمل الآن في منزل هيلين ريفنغتون، وبراتب محترم، وقد استعاد رخصة قيادته. السيارة التي اشتراها لها لم تكن بكثير، مجرد كابريس عمرها ثلاث سنوات ذات عجلات سوداء وراديو مشكوك فيه، لكن المحرك جيد وكلما يشغله، يشعر كأنه أكثر رجل محظوظ في نيو هامبشاير. فكَر أنه إذا لم يضطر أبداً إلى ركوب حافلة أخرى، يمكنه أن يموت سعيداً. إنه يناير 2004. باستثناء بضع أفكار وصور عشوائية - زائد العمل الإضافي الذي يقوم به أحياناً في مأوى العجزة، بالطبع - بقي البريق هادئاً. كان سيقوم بذلك العمل التطوعي على كل حال، لكن بعد المدة التي أمضاها في منظمة مدمني الشراب المجهولين، اعتبره كتعويض أيضاً، والذي اعتبره الأشخاص المتعافون مهماً تقريباً كأهمية الابتعاد عن أول كوب شراب. إذا استطاع مواصلة التوقف عن تناول الشراب لثلاثة أشهر أخرى، سيكون قادراً على الاحتفال ببقائه ثلاث سنوات غير ثمل.

القيادة مرة أخرى أمر ثمين في تأملات الامتحان اليومية التي أصرَّ عليها كايسي ك. (لأنه قال - وبكل اليقين الصارم لشخص خبير في البرنامج - مدمن الشراب الممنون لا يثمل)، لكن دان يحضر اجتماعات الكتاب الكبير كل ليلة خميس لأنها مهدئة للأعصاب في الأغلب. حميمية، حقاً. بعض اجتماعات المناقشة المفتوحة في المنطقة كانت كبيرة إلى حد مزعج، لكن هذا لا ينطبق أبداً على ليالي الخميس في كونواي الشمالية. هناك مقولة قديمة لمنظمة مدمني الشراب المجهولين تقول، إذا أردت إخفاء شيء عن مدمن شراب، ضعه في الكتاب الكبير، والحضور في اجتماعات ليالي الخميس في كونواي الشمالية أوحى بوجود بعض الحقيقة في ذلك. حتى خلال الأسابيع بين الرابع من يوليو ويوم العمال - وهي ذروة موسم السياحة - من النادر وجود أكثر من عشرة أشخاص في قاعة قدامى المحاربين الأميركيين عندما تسقط المطرقة. بالنتيجة، سمع دان أشياء شكَّ أنها لن تُقال بصوت عالٍ أبداً في الاجتماعات التي تضم خمسين أو حتى سبعين مدمن شراب ومدمن مخدرات يتعافى. في تلك الاجتماعات، يميل المتحدث إلى الإكثار من الأقوال المبتدلة (وهناك المئات منها)

ويتجنّب الأقوال الشخصية. فتسمع السكون مفيد و يمكنك أخذ جردتي إذا كنت مستعداً أن تعوّض لي، لكنك لن تسمع أبداً ضاجعتُ زوجة أخي ذات ليلة عندما كنا ثملين.

في اجتماعات الخميس "ندرس عدم الثمالة"، يقرأ الحبيس الصغير بيل ويلسون كتيّب التعليمات الأزرق الكبير من الغلاف إلى الغلاف، ويستأنف القراءة في كل اجتماع جديد من المكان الذي توقف عنده في الاجتماع السابق. وعندما يصلون إلى نهاية الكتاب، يعودون إلى "بيان الدكتور" ويبدأون القراءة من البداية مرة أخرى. تغطي معظم الاجتماعات عشر صفحات تقريباً. وهذا يستغرق حوالي نصف ساعة. وفي نصف الساعة المتبقية، يُفترض أن تتكلم المجموعة عن المادة التي قرأت للتو. يفعلون ذلك أحياناً. لكن المناقشة في كثير من الأحيان تنحرف في اتجاهات أخرى، مثل لوحة صغيرة جامحة تهزول على لوحة الويجا تحت أصابع مراهقين عُصابيين.

تذكّر دان أحد اجتماعات الخميس حضره عندما كانت قد مرّت ثمانية أشهر على عدم ثمالته. كان الفصل قيد المناقشة، "للزوجات"، مليئاً بافتراضات قديمة تستفزّ تقريباً دائماً ردوداً حامية من الشابات في البرنامج. أردن معرفة لماذا، في السنوات الخمسة والستين تقريباً منذ نشر الكتاب الكبير، لم يضيف أحدٌ فصلاً يدعى "للأزواج".

عندما رفعت جيما ت. - امرأة في الثلاثينات من عمرها بدا أن ردّتي فعلها العاطفيتين هما فقط غاضبة وحانقة - يدها تلك الليلة بالذات، توقّع دان خطبة مسهبة داعمة للنساء. لكنها قالت، وبهدوء كبير بخلاف عاداتها، "أحتاج إلى مشاركتكم شيئاً لا أزال أخفيه منذ أن كنتُ في السابعة عشرة، وإذا لم أطلق سراحه، لن أتمكن أبداً من البقاء بعيدةً عن الكوكايين وشراب العنب".

انتظرت المجموعة.

"صدمتُ رجلاً بسيارتي أثناء عودتي إلى المنزل ثلثةً من حفلة"، قالت جيما. "حصل هذا في سومرفيل. تركّته ممدداً على قارعة الطريق. لم أعرف إن كان حياً أو ميتاً. لا أزال أجهل ذلك. انتظرتُ أن تأتي الشرطة وتعتقلني، لكنهم لم يأتوا أبداً. أفلتتُ من عواقب ما فعلتُ".

ضحكت مثلما يضحك الناس عادة عندما تكون النكتة مضحكة جداً، ثم وضعت رأسها على الطاولة وبدأت تبكي بقوة لدرجة أن جسمها النحيل أخذ يرتجف. كانت هذه أول مرة يلمس فيها دان كم يمكن أن يكون "الصدق في كل شؤوننا" مُرعباً عندما نطبّقه على أنفسنا. تذكّر، مثلما لا يزال يتذكّر بين الحين والآخر، كيف أفرغ محفظة دينيه من النقود، وكيف مدّ الفتى الصغير يده إلى الكوكايين على طاولة القهوة. شَعَرَ ببعض الرهبة من جيما، لكنه لم يملك ذلك القدر من الصدق التام. إذا انحصر الخيار لديه بين أن يروي لهم تلك القصة وبين أن يتناول كوب شراب...

سأتناول كوب الشراب. لا جدال في ذلك.

القراءة هذه الليلة كانت "التظاهر بالشجاعة"، وهي إحدى القصص من قسم الكتاب الكبير المعنون بانشرح "خسروا كل شيء تقريباً". تتبّع الحكاية نمطاً أصبح مألوفاً لدى دان: عائلة جيدة، دار العبادة أيام الأحد، أول كوب شراب، أول مَرَح صاخب، النجاح المهني يفسده الشراب، تزايد الكذبات، أول اعتقال، الوعود المنكوثة بالإصلاح، الدخول إلى المنظمة، والنهاية السعيدة. كل القمص في الكتاب الكبير لها نهايات سعيدة. هذا جزءٌ من جاذبيته.

كانت ليلة باردة لكن دافئة جداً في الداخل، وكان دان بدأ يكبو عندما رفع الدكتور جون يده وقال، "أنا أكذب على زوجتي بشأن شيء، ولا أعرف كيف أتوقف عن ذلك".

هذا أيقظ دان. كان الدكتور جون يروق له كثيراً.

تبين أن زوجة جون أهده ساعة في احتفال الشتاء، ساعة غالية الثمن، وعندما سألته منذ ليلتين لماذا لم يكن يرتديها، قال جون إنه تركها في المكتب.

"لكنها ليست هناك. بحثت عنها في كل مكان، ولم أجدها. أقوم بجولات كثيرة في المستشفى، وإذا احتجتُ إلى ارتداء الثوب الجراحي، أستخدم إحدى الخزائن في غرفة استراحة الأطباء. هناك أقفال ذات أرقام، لكنني نادراً ما أستخدمها، لأنني لا أحمل نقوداً كثيرة وليس معي أي شيء آخر يستحق السرقة. ما عدا الساعة، أظن. لا يمكنني أن أتذكّر خلعتها وتركها في خزانة - ليس في CNH أو في بريدغتون - لكنني أعتقد أنني لا شك فعلتُ ذلك. المسألة ليست بشأن الكلفة. بل تُعيد لي الكثير من الأمور القديمة من أيام شربي المكثف إلى حدود الغباء كل ليلة واستئنافي حياتي في الصباح التالي".

كانت هناك رؤوس تومى لذلك، تليها قصص مشابهة عن الخداع الذي يحركه الشعور بالذنب. لا أحد يُسدي نصيحة؛ فذلك يسمّى "الغطاء"، وهو غير محبذ. بل يروي كل شخص حكايته. استمع جون مطأطأ رأسه وشابكاً يديه بين رُكبتيه. بعد تمرير السلة ("ندعم أنفسنا بأنفسنا من خلال تبرّعاتنا")، شكّر الجميع لمداخلاتهم. من مظهره، لم يشعر دان أن المداخلات ساعدته كثيراً.

بعد الصلاة الختامية، وضع دان الكعكات الباقية وكدّس مجموعة الكتب الكبيرة الممزقة في الخزانة المعلّمة "لاستخدام منظمة مدمني الشراب المجهولين". كان لا يزال هناك بضعة أشخاص يتسكعون حول منفضة السجائر في الخارج - ما يسمى اجتماعاً بعد الاجتماع - لكنه كان وجون بمفردهما في المطبخ. لم يتكلم دان خلال المناقشة؛ كان مشغولاً جداً في مناقشة داخلية مع نفسه.

كان البريق هادئاً، لكن هذا لا يعني أنه غائب. لقد عرف من عمله التطوّعي أنه أقوى في الواقع مما كان عليه في الطفولة، رغم أنه بدأ الآن أن لديه سيطرة أكبر عليه. هذا جعله مخيفاً أقل ومفيداً أكثر. عرف زملاؤه في منزل ريفنغتون أن لديه شيئاً، لكن معظمهم سمّاه تعاطفاً وتوقفوا عند ذلك الحدّ. فأخر شيء يريده، الآن وقد بدأت حياته تستقرّ، هو أن يعتبره الآخرون الوسيط النفسي للردهة. من الأفضل له أن يحتفظ بالأمور الغريبة لنفسه.

لكن الدكتور جون رجل طيب. وكان يتألم.

وضع الدكتور جون إبريق القهوة رأساً على عقب في مجففة الأطباق، واستخدم منشفة معقّقة على مقبض الموقد ليجمّف يديه، ثم استدار إلى دان، وقدم له ابتسامة بدت حقيقية مثل مبيض القهوة الذي خزّنه دان بجانب الكعكات ووعاء السكر. "حسناً، لقد انتهيت. أراك الأسبوع القادم، أظن".

في النهاية، القرار فرض نفسه؛ لا يستطيع دان ترك الرجل يبدو بذلك المنظر. فتح ذراعيه. "استسلم".

العناقات الذكورية الأسطورية لمنظمة مدمني الشراب المجهولين. رأى دان الكثير منها لكنه لم يحم بأحدها أبداً. بدا جون مُرتاباً للحظة، ثم تقدّم. شدّه دان، قائلاً لنفسه لن يكون هناك شيء على الأرجح.

لكن كان هناك شيء. أتى بسرعة مثلما حصل عندما كان يساعد أمه أحياناً في صغره ويجد أبوه أشياء مفقودة.

"اسمعي يا دكتور"، قال وهو يُفلت جون. "كنت قلقاً بشأن الولد المُصاب بغوشر".

تراجّع جون إلى الوراء. "عما تتكلّم؟".

"أعرف أنني لم أقل هذا بشكل صحيح. غوشر؟ غلاتشر؟ إنه أحد تلك الأشياء المتعلقة بالعظام".

فغر فم جون. "هل تتكلّم عن نورمان لويد؟".

"أنت أدري".

"كان نورمي مُصاباً بمرض غوشيه. إنه اضطراب في الشحوم. وراثي ونادر جداً. يسبّب تضخّماً في الطحال واضطرابات عصبية، وموتاً بغيضاً مُبكراً عادة. يعاني الولد المسكين مبدئياً من هيكل عظمي زجاجي، وسيموت على الأرجح قبل أن يبلغ العاشرة. لكن كيف تعرف ذلك؟ من والديه؟ إنهم يعيشون بعيداً جداً في ناشوا".

"كنت قلقاً بشأن التكلّم معه - المصابون بمرض عضال يُفقدونك أعصابك. لهذا السبب ذهبت إلى حمّام نَمور لتغسل يديك رغم أنهما لا تحتاجان إلى غسل. خلعت ساعتك ووضعتها على الرف الذي يتركون عليه ذلك المطهر الأحمر الداكن اللعين الذي يأتي في زجاجات بلاستيكية قابلة للعصر. لا أعرف ماذا يسمّى".

كان جون د. يحدّق فيه كما لو أنه مجنون.

"في أي مستشفى يقبع ذلك الولد؟"، سأل دان.

"مستشفى إبيوت. الإطار الزمني صحيح تقريباً، وذهبتُ إلى الحمام القريب من محطة التمرريض لأغسل يديّ". صمت قليلاً، عابساً. "ونعم، أظن أن شخصيات ميلن الكرتونية مُلصقة على الجدران هناك. لكن إذا كنتُ قد خلعتُ ساعتِي، فسأأخذ...". انخفت صوته.

"أنت تتذكّر"، قال دان وابتسم. "الآن تتذكّر. أليس كذلك؟".

قال جون، "تفقدتُ علبة المفقودات في إبيوت. بريدغتون وCNH أيضاً. لم أجد شيئاً".

"حسناً، ربما أتى أحدهم وراها، فسرقها. إذا كان الأمر كذلك، فإن حظك سيئ جداً... لكن يمكنك على الأقل إخبار زوجتك بما حصل. ولماذا حصل. كنتُ تفكّر بالولد، قليلاً بشأنه، ونسيت أن تعيد ارتداء ساعتك قبل خروجك من الحمام. الأمر بهذه البساطة. وربما لا تزال هناك. الرف عالٍ، ونادراً ما يستخدم أي شخص محتوى تلك الزجاجات البلاستيكية، لأن موزّع الصابون بجانب المغسلة تماماً".

"إنه بيتادين على ذلك الرف"، قال جون، "وعالياً جداً لكي لا يتمكن الأولاد من الوصول إليه. لكنني لم ألاحظ أبداً... دان، هل ذهبتُ إلى إبيوت يوماً؟".

هذا لم يكن سؤالاً أراد أن يجيب عليه. "فقط افحص الرف أيها الطبيب. ربما ستكون محظوظاً".

3

وَصَلَ دان باكراً يوم الخميس التالي إلى اجتماع "ندرس عدم الثمالة". إذا قرّر الدكتور جون تدمير زواجه وربما مهنته بسبب إضاعته ساعة ثمنها سبعة دولار (يدير مدمنو الشراب زيجاتهم ومهنتهم لأثمان أقل بكثير روتينياً)، فسيكون على أحدهم إعداد القهوة. لكن جون كان هناك. وكذلك الساعة.

هذه المرة جون هو الذي بدأ العناق الذكوري. عنائق من صميم القلب. وتوقع دان تقريباً نيّله قبلتين على خديّه قبل أن يفلته الدكتور جون.

"كانت تماماً حيث قلتُ إنها ستكون. عشرة أيام ولا تزال هناك. إنها أعجوبة".

"لا"، قال دان. "نادراً ما ينظر معظم الأشخاص فوق خط عينهم. هذه حقيقة مبرهنة".

"كيف عرفتُ؟".

هزّ دان رأسه. "لا يمكنني شرحه. أحياناً أعرف وحسب".

"كيف يمكنني أن أشكرك؟".

هذا كان السؤال الذي ينتظره دان ويأمله. "بتخطي الخطوة الثانية عشرة، أيها المغفل".

رفع جون د. حاجبي عينيه.

"المجهولية. بكلمات ذات مقطع لفظي واحد، ابق فمك اللعين مغلقاً".

ارتسمت علامات الفهم على وجه جون. ابتسم. "يمكنني فعل ذلك".

"جيد. الآن أعدّ القهوة. سأوزّع الكتب".

4

في معظم مجموعات منظمة مدمني الشراب المجهولين في نيو إنغلاند، تسمّى الذكرى السنوية ذكرى ولادة ويُحتفل بها بقالب حلوى وحفلة بعد انتهاء الاجتماع. قبيل احتفال دان بسنته الثالثة من عدم الثمالة بهذا الأسلوب، أتى دايفد ستون وجدة والدة أبرا لرؤية الدكتور جون دالتون ودعوته إلى حفلة ذكرى ولادة ثالثة. كانت الحفلة التي تقيمها عائلة ستون لأبرا.

"هذا لطيف جداً"، قال جون، "ويسرني كثيراً المرور إن أستطعت. فقط لماذا أشعر أن هناك المزيد؟".

"لأن شعورك صحيح"، قالت شتا. "والسيد العنيد هنا قرّر أنه حان الوقت أخيراً للتكلم عنه".

"هل هناك مشكلة مع أبرا؟ إذا كانت هناك مشكلة، الرجاء إطلاعي عليها. بناءً على فحصها الطبي العام الأخير، هي بخير. ذكية بشكل مخيف. مهارات اجتماعية رائعة. مهارات شفهية متقدمة جداً. وكذلك مهارات القراءة. آخر مرة كانت هنا قرأت لي التماسيح في كل مكان. حفظتها عن ظهر قلب على الأرجح، لكن هذا لا يزال باهراً لطفلة لم تبلغ الثالثة بعد. هل تعرف لوسي أنكما هنا؟".

"لوسي وشتا هما اللتان تأمرتنا عليّ"، قال دايفد. "لوسي في المنزل مع أبرا، تُعدّ كعكات مكوّبة للحفلة. عندما خرجت، كان المطبخ فوضوياً جداً".

"إذاً ماذا نقول هنا؟ أنك تريدني في حفلتها للمراقبة؟".

"هذا صحيح"، قالت كونشيتا. "لا أحد منا يستطيع أن يقول بالتأكيد إن شيئاً سيحصل، لكنه أكثر ترجيحاً عندما تكون متحمّسة، وهي متحمّسة جداً بشأن حفلتها. كل أصدقائها الصغار من الرعاية النهارية أتون، وسيكون هناك شخص يقوم بألعاب خفة".

ففتح جون جاروراً في مكتبه وأخرج دفترأً أصفر. "ما نوع الشيء الذي تتوقعونه؟".
تردد دايفد. "من... الصعب قول ذلك".

استدارت سناً لتواجهه. "هيا يا عزيزي. فات الأوان للتراجع الآن". كانت نبرتها هادئة،
مرحة تقريباً، لكن جون دالتون شعر أنها بدت قلقة. شعر أن كليهما قلق. "ابدأ بالليلة التي بقيت تبكي
فيها بلا توقف".

5

بقي دايفد سئون يعلم التاريخ الأميركي والتاريخ الأوروبي في القرن العشرين للطلاب
طوال عشر سنوات، وعرف كيفية تنظيم قصة بحيث يصعب إغفال منطقتها الداخلي. بدأ قصته
بالإشارة إلى أن ماراثون بكاء إبنتهما الرضيعة انتهى فور ارتطام الطائرة الثانية بمركز التجارة
العالمي تقريباً. ثم عاد إلى الأحلام التي رأت فيها زوجته رقم رحلة أميركان إيرلاينز على صدر
أبرا ورأى فيها رقم رحلة يوناييتد إيرلاينز.

"في حلم لوسي، وجدت أبرا في حمام الطائرة. وفي حلمي، وجدتُها في مركز تجاري
يحترق. استنتج ما تشاء من ذلك الجزء. بالنسبة لي، تبدو أرقام الرحلات تلك حاسمة جداً. لكن
حاسمة بشأن ماذا، لا أعرف". ضحك ضحكة سطحية، ورفع يديه، ثم أنزلها مرة أخرى. "ربما
أخشى أن أعرف".

تذكر جون دالتون صباح 11 سبتمبر - وبكاء أبرا المتواصل - جيداً جداً. "دعاني أفهم هذا
جيداً. تعتقد أن إبنتك - التي كان سنّها وقتها خمسة أشهر فقط - تملكها هاجس بشأن تلك الهجمات
وأرسلت لكما إشارة تخاطرياً بطريقة أو بأخرى".

"نعم"، قالت سناً. "إيجاز دقيق. أحسنت".

"أعرف كيف يبدو هذا"، قال دايفد. "لهذا السبب احتفظتُ ولوسي بهذا السر لأنفسنا. ولم
نُخبِر إلا سناً. أخبرتها لوسي تلك الليلة. لوسي تُخبِر مومو كل شيء". تنهّد. رمقته كونشيتا بنظرة
باردة.

"لم تحلمي أحد تلك الأحلام؟"، سألها جون.

هزت رأسها. "كنتُ في بوسطن. بعيداً عن... لا أعرف... نطاق إرسالها؟".

"وقعت أحداث 11 سبتمبر منذ ثلاث سنوات تقريباً"، قال جون. "أفترض أن أموراً أخرى
حصلت منذ ذلك الوقت".

أمور أخرى كثيرة حصلت، والآن بعد أن تمكّن من التكلّم عن أول شيء (وأكثر شيء لا يُصدّق)، وجد دايف نفسه قادراً على التكلّم عن البقية بسهولة كافية.

"البيانو. هذا كان الشيء التالي. أنت تعرف أن لوسي تعزف؟".

هزّ جون رأسه.

"حسناً، هي تعزف على البيانو. منذ أن كانت في مدرسة النحو. ليست محترفة، لكنها جيدة جداً. لدينا بيانو ماركة فوغل قدّمه لها والداي هدية عرسنا. إنه في غرفة الجلوس، حيث يوجد قفص لعب أبرا أيضاً. حسناً، إحدى الهدايا التي قدّمها إلى لوسي في احتفال شتاء 2001 كان كتاب ألحان أغاني البيتلز مُعدّة للبيانو. كانت أبرا معتادة الجلوس في قفص لعبها، تلهو بألعابها وتستمع. يمكنك أن تشعر من طريقة ابتسامتها وركلها قدميها أن الموسيقى أعجبتّها".

لم يستغرب جون ذلك. معظم الأطفال يحبّون الموسيقى، ولديهم وسائلهم الخاصة لإخبارك ذلك.

"تضمّن الكتاب كل الأغاني الناجحة - 'يا جودا'، 'السيدة'، 'فليكن' - لكن أكثر أغنية أعجبت أبرا كانت إحدى الأغاني البسيطة، تدعى 'ليس مرة ثانية'. هل تعرفها؟".

"ليس تماماً"، قال جون. "قد أعرفها إذا سمعناها".

"إنها أغنية مرحة، لكنها ملحنّة، خلافاً لمعظم أغاني البيتلز السريعة، ارتكازاً على لازمة بيانو وليس على صوت الغيتار الاعتيادي. أحبّتها أبرا كثيراً، ولم تكن تركز قدميها عندما تعزفها لوسي، بل تحرّكها كأنها تركب درّاجة هوائية". ابتسم دايف من تذكره أبرا على ظهرها في بيجامتها الأرجوانية الساطعة، وهي غير قادرة على السير بعد لكنها ترقص مثل ملكة ديسكو. "الفاصل الموسيقي بأكمله تقريباً مرتكز على البيانو، وهو بسيط جداً. اليد اليسرى تختار النغمات بسهولة. عددها تسعة وعشرون فقط - لقد عددتها. أي ولد يستطيع عزفها. إبتننا تستطيع".

رفع جون حاجبي عينيه إلى أن كادا يلامسان شعر رأسه.

"بدأ الأمر في ربيع 2002. كنتُ ولوسي في السرير، نقرأ، وتقرير الأرصاد الجوية يُبثّ على التلفزيون، وهذا يُعرض حوالي منتصف نشرة أخبار الحادية عشرة مساءً. كانت أبرا في غرفتها - مستغرقة في نومها، على حدّ علمنا. طلبت مني لوسي إطفاء التلفزيون لأنها أرادت أن تنام. ضغطتُ زر جهاز التحكم عن بُعد، وعندها سمعناها. فاصل البيانو من أغنية 'ليس مرة ثانية'، تلك النغمات التسعة والعشرين. عزف مثالي، دون نسيان أي نغمة واحدة، قادم من الطابق السفلي.

"ارتعبنا بالكامل يا دكتور. اعتقدنا أن أحدهم اقتحم منزلنا، لكن ما هذا السارق الذي يتوقف ليعزف لحناً للبيتلز قبل أن يأخذ الأواني الفضية؟ ليس لديّ مسدس وكانت مضارب الغولف في المرأب، لذا أمسكتُ أكبر كتاب استطعتُ إيجاده ونزلتُ لأواجه أياً يكن هناك. غياب كبير، أعرف.

أخبرت لوسي أن تُمسك الهاتف وتتصل بـ 911 إذا صحت. لكن لم يكن هناك أحد، وكل الأبواب موصدة. كما أن مفاتيح البيانو مغطاة بالغطاء الخاص بها.

"عدتُ إلى الطابق العلوي وأخبرتُ لوسي أنني لم أجد أي شيء أو أي شخص. ذهبنا إلى نهاية الرواق لتفقد الطفلة. لم نتكلم عن ذلك، بل فعلناه وحسب. أعتقد أننا عرفنا أنها أبرأ، لكن كلينا لم يرغب أن يقول ذلك بصوت عالٍ. كانت مستيقظة، تجلس هناك في مَهدها وتتنظر إلينا. هل تعرف العيون الصغيرة الحكيمة التي لدى الأطفال؟".

جون يعرفها. كما لو أنه يمكنهما إخبارك كل أسرار الكون، فقط لو تقدران أن تتكلمًا. مرّت أوقات شَعَرَ فيها أنه يمكنهما إخباره كل تلك الأسرار، لكنهما تنسيان كل شيء فور تخطيهما مرحلة نُطق غُو-غُو-غا-غا، بطريقة مماثلة لنسياننا أكثر أحلامنا إشراقاً بعد ساعتين من استيقاظنا.

"ابتسمت عندما رأتنا، ثم أغمضت عينيها، وغفت. حصل الأمر نفسه مرة أخرى في الليلة التالية. وفي الوقت نفسه. تلك النغمات التسعة والعشرين من غرفة الجلوس... ثم صمت... ثم الذهاب إلى غرفة أبرأ وإيجادها مستيقظة. هادئة، وحتى لا تمصّ إصبعها، بل فقط تنظر إلينا عبر قضبان مَهدها. ثم تغفو".

"هذه هي الحقيقة"، قال جون. لم يكن يشكك حقاً، بل يحاول فقط أن يفهم. "أنتما لا تستهزئان بي".

لم يبتسم دايفد. "أبدًا".

استدار جون إلى شَتَا. "هل سمعته بنفسك؟".

"لا. دع دايفد يُنهي ما لديه".

"مرّت ليلتان دون عزف، و... هل تعرف كيف تقول إن سر التربية الناجحة هو بوضع خطة دائماً؟".

"بالتأكيد". هذه نصيحة جون دالتون الرئيسية لكل والدين جديدين. كيف ستتعاملان مع مسألة الإطعام الليلي؟ حضراً جدول مواعيد بحيث يكون أحدكما حاضراً دائماً ولا يُنهك كثيراً. كيف ستتعاملان مع مسائل الاستحمام والإطعام والإلباس واللعب لكي يعتاد الولد على روتين نظامي - وبالتالي مريح؟ حضراً جدول مواعيد. حضراً خطة. هل تعرفان كيفية التعامل مع الحالات الطارئة؟ أي شيء من انكسار المهد إلى الاختناق؟ إذا وضعتما خطة، ستعرفان كيف، وستكون النتيجة النهائية جيدة في خمسة وتسعين بالمئة من المرات.

"لذا هذا ما فعلناه. نمثُ على الأريكة قُرب البيانو طوال الليالي الثلاثة التالية. في الليلة الثالثة بدأت الموسيقى بينما كنتُ أستلقي لأنام. كان غطاء البيانو مُغلقاً، لذا أسرعْتُ ورفعتُه. لم تكن المفاتيح تتحرّك. وهذا لم يفاجئني كثيراً، لأنه كان واضحاً أن الموسيقى لا تأتي من البيانو".

"عفواً؟".

"كانت تأتي من فوقه. من الهواء الرقيق. وقتها، كانت لوسي في غرفة أبرأ. في الأوقات الأخرى لم نقل شيئاً، لأننا كنا مذهولين جداً، لكنها كانت جاهزة هذه المرة. أخبرت أبرأ أن تعزفها مرة أخرى. حصل انقطاع مؤقت قصير... ثم فعلت. كنت أقف على مقربة بحيث يكاد يمكنني انتزاع تلك النغمات من الهواء".

ساد صمتٌ في مكتب جون دالتون. توقّف عن الكتابة في مفكرته. كانت شتاً تنظر إليه برصانة. قال أخيراً، "هل لا يزال هذا مستمراً؟".

"لا. وضعت لوسي أبرأ على حُضنها وأخبرتها ألا تعزف ليلاً بعد الآن، لأنه لا يمكننا أن ننام. وتوقف العزف الليلي". صمتٌ قليلاً لكي يفكّر. "توقف تقريباً. ذات مرة، بعد حوالي ثلاثة أسابيع، سمعنا الموسيقى مرة أخرى، لكن ناعمة جداً وقادمة من الطابق العلوي هذه المرة. من غرفتها".

"كانت تعزف لنفسها"، قالت كونشيتا. "استيقظت... ولم تتمكن من أن تعاود النوم فوراً... لذا عزفت أغنيةً صغيرةً لنفسها".

6

بعد ظهر يوم اثنين بعد حوالي سنة من سقوط البرجين، جاءت أبرأ - التي أصبحت تسير الآن وبدأت تخرج كلمات مفهومة تقريباً من تمتعاتها المتواصلة - مترنحةً إلى الباب الأمامي وسقطت هناك مع دميته المفضلة في حُضنها.

"ماذا تفعلين يا حبيبتي؟"، سألت لوسي. كانت تجلس وراء البيانو، تعزف من ألحان سكوت جوبلن.

"يايا!، أعلنت أبرأ.

"حبيبتي، لن يعود يايا إلى المنزل قبل العشاء"، قالت لوسي، لكن بعد خمس عشرة دقيقة توقفت الأكيورأ ونزل منها دايف، حاملاً حقيبة ملفات. لقد حصل عطل في أنبوب المياه الرئيسي في المبنى الذي يدرّس فيه أيام الاثنين والأربعاء والجمعة، وأُغيت كل الحصص.

"أخبرتني لوسي ذلك"، قالت كونشيتا، "وبالطبع عرفتُ من قبل عن نوبة البكاء في 11 سبتمبر وعن البيانو الشبح. ذهبتُ إلى هناك بعد أسبوع أو أسبوعين. وطلبتُ من لوسي ألا تُخبر أبرأ عن زيارتي أبداً. لكن أبرأ عرفت. فزرعت نفسها أمام الباب قبل ظهوري بعشر دقائق. وعندما سألتها لوسي من القادم، قالت أبرأ، 'مومو'".

"تفعل ذلك كثيراً"، قال دايفد. "ليس كلما جاء شخصٌ، لكن إذا كان شخصاً تعرفه وتحبه... تقريباً دائماً".

في أواخر ربيع 2003، وجدت لوسي إبنتها في غرفة نومهما، تشدّ الجارور الثاني في خزانة ملابس لوسي.

"فكوس!"، قالت لأمها. "فكوس، فكوس!".

"لم أفهمك يا حبيبتي"، قالت لوسي، "لكن يمكنك النظر في الجارور إذا كنت تريدين ذلك. فيه فقط بعض الملابس الداخلية القديمة وبقايا مستحضرات تجميل".

لكن بدا أن أبراً لم تكن مهتمة بالجارور؛ فهي حتى لم تنظر داخله عندما فتحته لوسي لثريها محتوياته.

"في الخل! فكوس!"، ثم أخذت نفساً عميقاً. "فكوس في الخل، ماما!".

لا يصبح الوالدان فصيحين في كلام الأطفال أبداً - فالوقت غير كافٍ لذلك - لكن معظمهم يتعلمونه إلى حدّ ما، وفهمت لوسي أخيراً أن إبنتها غير مهتمة بمحتويات خزانة الملابس بل بشيء خلفها.

جزّتها بدافع الفضول. اندفعت أبراً إلى الفراغ خلفها فوراً. لوسي، معتقدةً أن المكان هناك سيكون مليئاً بالغبار حتى ولو لم تكن هناك حشرات أو فئران، حاولت إمساك الجهة الخلفية لقميص الطفلة وفشلت. حين أبعدت خزانة الملابس ما يكفي لكي تندسّ في الثغرة بنفسها، كانت أبراً ترفع ورقة عشرين دولاراً وجدت طريقها إلى الفسحة التي بين سطح خزانة الملابس وأسفل المرأة. "انظري!"، قالت بمرح. "فكوس! فكوسي أنا!".

"لا"، قالت لوسي وهي تنزعها من القبضة الصغيرة، "لا يحصل الأطفال على فكوس لأنهم لا يحتاجون إلى فكوس. لكنك كسبت نفسك بعض البوظة".

"بوظة!"، صرخت أبراً. "بوظة!".

"الآن أخبري الدكتور جون عن السيدة جادكنز"، قال دايفد. "كنت هناك بنفسك".

"بالفعل كنتُ"، قالت كونشيتا. "تلك كانت نهاية أسبوع مميزة للرابع من يوليو".

بحلول صيف 2003، بدأت أبراً تنطق جملاً كاملةً - تقريباً. أنت كونشيتا لقضاء نهاية أسبوع ذكرى الاستقلال مع عائلة ستون. ويوم الأحد، الذي صدف أنه السادس من يوليو، ذهب دايف إلى المتجر ليشتري جرّة غاز جديدة لمأدبة الشواء في الفناء الخارجي. كانت أبراً تلعب مع مربعاتها البلاستيكية في غرفة الجلوس، ولوسي وشتا في المطبخ، وإحدهما تطلّ عليها بين الحين

والآخر لتتأكد أنها لم تقرّر نزع قابس التلفزيون ومضغه أو تسلّق جبل الأريكة. لكن أبراً لم تُظهر أي اهتمام بتلك الأشياء؛ كانت مشغولة في تشييد ما بدا أنه ستونهنج مصنوع من قطعها البلاستيكية.

كانت لوسي وشتا تفرغان غسّالة الأطباق عندما بدأت أبراً تصرخ.

"بدا صوتها كما لو أنها تموت"، قالت شتا. "تعرف كم ذلك مخيف، صح؟".

أوما جون برأسه. كان يعرف.

"الركض ليس ردّة فعل طبيعية بالنسبة لي في عمري، لكنني ركضتُ مثل ويلما رودلف ذلك اليوم. وسبقتُ لوسي إلى غرفة الجلوس بنصف المسافة. كنتُ مُقتنعة تماماً أن الطفلة تأذت لدرجة أنني لثانية أو ثانيتين رأيتُ دماً في الواقع. لكنها كانت بخير. جسدياً، على أي حال. ركضت إليّ ورمت ذراعيها حول رجليّ. رَفَعْتُها. كانت لوسي قد أصبحت بجانبها وقتها، وتمكّنا من تهدئة أعصابها قليلاً. 'واني!!'، قالت. 'مساعدة واني، مومو! واني سقطت!!'. لم أعرف من هي واني، لكن لوسي عرفتها - وانداد جادكنز، السيدة في الجانب المقابل للشارع".

"إنها الجارة المفضّلة لدى أبراً"، قال دايفد، "لأنها تُعدّ كعكات وتُحضّر عادة واحدة لأبراً مكتوب إسمها عليها. أحياناً بالزبيب، وأحياناً بطبقة تزيين خارجية. إنها أرملة. تعيش لوحدها".

"لذا اجتزنا الشارع"، استأنفت شتا سردها، "أنا في المقدمة ولوسي تحمل أبراً. قرَعَتْ. لم يُجب أحدٌ. 'واني في غرفة العشاء!'، قالت أبراً. 'مساعدة واني، مومو! مساعدة واني، ماما! أذت نفسها والدم يخرج!!'.

"لم يكن الباب مُقفلاً. دخلنا. أول شيء شمّمته كان كعكات تحترق. وجدنا السيدة جادكنز ممدّدة على أرضية غرفة الطعام بجانب سلّم. والخرقة التي كانت تستخدمها لتمسح الغبار عن القوالب لا تزال في يدها، وهناك دم، طبعاً - بركة دم حول رأسها كأنها هالة. اعتقدتُ أنها انتهت - لم أتمكن من رؤيتها تنفّس - لكن لوسي عثرت على نبض. السقطة كسرت جمجمتها، وحصل بعض النزيف في الدماغ، لكنها استيقظت في اليوم التالي. ستحضر حفلة ذكرى ولادة أبراً. يمكنك أن تلقي التحية عليها، إذا جنّت". نظرت إلى طبيب أبراً ستون دون أن تجفل عيناها. "الطبيب في غرفة الطوارئ قال إنها لو بقيت ممدّدة هناك لفترة أطول، لكانت ماتت أو دخلت في غيبوبة دائمة... وهذا أسوأ بكثير من الموت، برأيي المتواضع. في الحاليتين، الطفلة أنقذت لها حياتها".

ألقي جون قلمه فوق الدفتر. "لا أعرف ماذا أقول".

"هناك المزيد"، قال دايفد، "لكن من الصعب تحديد الأمور الأخرى. ربما لأنني ولوسي اعتدنا على ذلك. مثلما تعتاد، على ما أظن، على العيش مع ولد وولد أعمى. ما عدا أن هذا معاكس تقريباً. أعتقد أننا عرفنا حتى قبل أحداث 11 سبتمبر. أعتقد أننا عرفنا أن هناك شيئاً قريباً من لحظة إحضارها إلى المنزل من المستشفى. إنه كما...".

زَفَرَ نَفْساً ونظر إلى السقف، كما لو أنه يبحث عن إلهام. ضغطت كونشيتا ذراعه. "هيا أكمل. على الأقل لم ينادِ بعد الرجال الذين يحملون شبكات الفراشات".

"حسناً، إنه كما لو أن هناك رياحاً تعصف بالمنزل دائماً، سوى أنه لا يمكنك أن تشعر بها تماماً أو ترى ما الذي تفعله. أشعر دائماً أن الستائر ستنتطير والصور ستسقط عن الجدران، لكن ذلك لا يحصل أبداً. لكن أموراً أخرى تحصل. مرتان أو ثلاث مرات في الأسبوع - وأحياناً مرتان أو ثلاث مرات في اليوم - تنفصل قاطعات الدارة. اتصلنا باختصاصيي كهرباء مختلفين، في أربع مناسبات مختلفة. فحصا الدارات وأخبرانا أن كل شيء سليم. في بعض الصباحات نزل إلى الطابق السفلي ونجد وسائد الكراسي والأرائك على الأرض. نُخبر أبرا أن ترتب ألعابها قبل أن تنام، وهي بارعة جداً في ذلك، إلا إذا كانت مُنهكة ونزقة. لكن صندوق الألعاب يكون مفتوحاً أحياناً في الصباح التالي وتعود بعض الألعاب إلى الأرض. عادة المربعات البلاستيكية. إنها المفضلة لديها".

صمت قليلاً للحظة، وراح ينظر إلى مخطط فحص قوة النظر المعلق على الجدار البعيد. اعتقد جون أن كونشيتا ستحُثه ليُكمل، لكنها التزمت الصمت.

"حسناً، هذا غريب كلياً، لكنني أقسم لك أن كل ذلك حصل. ذات ليلة عندما شغلنا التلفزيون، كان مسلسل عائلة سيمبسون يُعرض على كل قناة. ضحكت أبرا كما لو أنها أكثر نكتة مُضحكة في العالم. فزعت لوسي وقالت، 'أبرا رافاييلا ستون، إذا كنتِ أنتِ من يفعل هذا، توقفي حالياً!!'. لوسي بالكاد تكلمها بحدة، وعندما تفعل، تتلاشى أبرا فحسب. وهذا ما حصل تلك الليلة. أطفالُ التلفزيون، وعندما أعدتُ تشغيله مرة أخرى، كان كل شيء قد عاد إلى طبيعته. يمكنني إعطاءك ستة أشياء... حوادث... ظواهر... أخرى لكن معظمها صغير لدرجة أنك بالكاد ستلاحظها". هزّ كتفيه. "مثلما قلتُ لك، تعناد عليه".

قال جون، "سأتي إلى الحفلة. فبعد كل هذا، كيف يمكنني أن أقاوم؟".

"ربما لن يحصل شيء"، قال دايف. "أنت تعرف النكتة القديمة عن كيفية إيقافك حنفية ترشح، أليس كذلك؟ اتصل بالسمكري".

نحرت كونشيتا. "إذا كنتِ تصدِّق هذا حقاً يا عزيزي، أعتقد أن مفاجأة بانتظارك". وقالت لدالتون: "مجرد إحضاره إلى هنا أشبه بقلع ضرس".

"هوني عليك يا مومو". بدأ التورّد يتكثف في خدي دايف.

تنهد جون. فقد شَعَرَ بالعداوة بينهما من قبل، ولا يعرف سببها - نوعٌ من المنافسة على لوسي، ربما - لكنه لم يرغبها أن تنفجر الآن. فقد حوّلتها مأموريتها الغربية إلى حليفين مؤقنين، وهكذا أرادهما أن يبقيا.

"توقفا". تكلم بحدة كافية بحيث أشاحا بنظريهما عن بعضهما وعادا ينظران إليه، متفاجئين. "أصدّقك. لم أسمع أبداً بأي شيء غريب مثل هذا من قبل..."

أم هل سمع؟ انخفت صوته وهو يتذكّر ساعته المفقودة.

"دكتور؟"، قال دايفد.

"آسف. تشنّج دماغي".

ابتسم الاثنان من هذا. حليفان مرة أخرى. جيد.

"على أي حال، لا أحد سينادي الرجال ذوي المعاطف البيضاء. أعتقد أن كليكما شخصان رزينان، ولستما عرضة للهستيريا أو الهلوسة. وكنتُ لأعتبر أن أمامي شكلاً غريباً من متلازمة منشاورن لو كان شخصاً واحداً فقط يدعي تلك... تلك التفشّيات النفسية... لكن ثلاثتكم تدعونها. وهذا يطرح السؤال، ماذا تريدونني أن أفعل؟".

بدا دايفد في حيرة من أمره، على عكس حماته. "راقبها، مثلما ستراقب ولدأ يعاني من مرض -"

كان التورّد قد بدأ يخفّ على خديّ دايفد ستون، لكنه عاد سريعاً الآن. وبقوة. "أبرا ليست مريضة"، قال بحدة.

استدارت إليه. "أعرف ذلك! يا للهول! هلاً تركتني أنهي كلامي؟".

ارتسم تعبير صبر على وجه دايفد ورفع يديه. "آسف، آسف".

"فقط لا تنفضّ على عنقي يا دايفد".

قال جون، "إذا كنتما تصرّان على المشاحنة يا أولاد، سأضطر إلى إرسالكما إلى غرفة التأنيب".

تنهّدت كونشيتا. "هذا عصيب جداً. علينا جميعاً. آسفة يا دايفي، لقد استخدمتُ الكلمة الخطأ".

"لا عليك. كلنا في هذا معاً".

ابتسمت ابتسامة سريعة. "نعم. نعم. راقبها مثلما ستراقب ولدأ يعاني من حالة غير مشخصة أيها الدكتور دالتون. هذا كل ما يمكننا أن نطلبه منك، وأعتقد أن هذا كافٍ في الوقت الحاضر. قد تكون لديك بعض الأفكار. أمل ذلك..."

استدارت إلى دايفد ستون مع تعبير عجز اعتقد جون أنه نادر على الأرجح على ذلك الوجه الصلب.

"نحن خائفون"، قال دايفد. "أنا، لوسي، شتا - خائفون حتى الموت. ليس منها، بل عليها. لأنها صغيرة، أترى؟ ماذا لو كانت طاقتها هذه... لا أعرف ماذا أسميها غير ذلك... ماذا لو لم تبلغ ذروتها بعد؟ ماذا لو لا تزال تتزايد؟ ماذا نعمل عندها؟ يمكنها... لا أعرف..."

"إنه يعرف"، قالت شتا. "يمكنها أن تفقد أعصابها وتؤدي نفسها أو شخصاً آخر. لا أعرف كم هذا مرجح، لكن مجرد التفكير أنه يمكن أن يحصل... لمست يد جون. "هذا مريع".

7

عرّف دان تورانس أنه سيعيش في غرفة برج منزل هيلين ريفنغتون منذ لحظة رؤيته صديقه القديم طوني يلوح له من نافذة تبين من النظرة الثانية أنها مغلقة بألواح خشبية. سأل السيدة كلوزن، مُشرفة ريفنغتون الرئيسية، عن الغرفة بعد حوالي ستة أشهر من بدئه العمل في مأوى العجزة كبواب/ممرض... وطبيب مقيم غير رسمي. إلى جانب أزي رفيقه المخلص، بالطبع.

"تلك الغرفة خردة من أولها إلى آخرها"، قالت السيدة كلوزن. كانت قد تخطت الستين من عمرها وشعرها أحمر بشكل غير مُقنع، وتمتلك فماً ساخراً، قذراً في أغلب الأحيان، لكنها مسؤولة ذكية ورحيمة. وحتى أفضل من ذلك، من وجهة نظر مجلس إدارة منزل هيلين ريفنغتون، كانت جامعة تبرعات فعّالة جداً. لم يكن دان متأكداً أنها تروق له، لكنه يحترمها.

"سأنظفها. في وقت فراغي. ألا تعتقد أنه من الأفضل لي أن أتواجد هنا؟ على مقربة في حال استدعيته؟"

"داني، أخبرني شيئاً. لماذا أنت بارع جداً في ما تفعله؟"

"لا أعرف حقاً". هذه كان نصف الحقيقة على الأقل. وربما حتى سبعين بالمئة منها. فقد عاش مع البريق طوال حياته ولا يزال لا يفهمه.

"إذا وضعنا الخردة جانباً، غرفة البرج حارة في الصيف وباردة كفاية لتجمّد لك عظامك في الشتاء".

"يمكن معالجة ذلك"، قال دان.

"لا تكلمني أنا عن الشرح". حدّقت فيه السيدة كلوزن بصرامة من فوق نصف نظاراتها. "إذا عرّف المجلس ما الذي أدعك تفعله، سيجعلونني على الأرجح أحيك سلالاً في منزل المساعدة المعيشية ذي الجدران الزهرية في ناشوا". نَحرت. "طبيب النوم، بالفعل".

"لستُ الطبيب"، قال دان بلطف. عَرَفَ أنه سيحصل على ما أَرَادَهُ. "أزي هو الطبيب. أنا مساعده فقط".

"أزريل هو القط اللعين"، قالت. "شارد بانس جاء من الشارع وأواه ضيوفٌ ذهبوا الآن في سبيلهم. لا يهتمه سوى وعاء فريسكيز الذي يتناوله مرتين في اليوم".

لم يُجب دان على هذا. لم يكن هناك داعٍ، لأن كليهما يعرفان أنه غير صحيح.

"اعتقدتُ أن لديك مكاناً جيداً جداً في شارع إليوت. تعتبر بولين روبيرتسون أنك أهم شخص هناك. أعرف هذا لأنني أغني معها في الجوقة".

"ما هي أغنيتك المفضلة؟"، سأل دان. "آه كم صديقنا لعين؟".

أظهرت له ابتسامتها النموذجية. "آه، حسناً. نظّف الغرفة. واسكن فيها. وصل اشتراكاً بتلفزيون الكبل، ركب نظاماً رباعي الأصوات، جهّز مشرباً. ما دخلي، أنا فقط المدير".

"شكراً يا سيده ك".

"آه، ولا تنس المدفأة، مفهوم؟ تحقّق إن كنت تستطيع إيجاد شيء من متجر تخفيضات له فتيل بال، ليحترق المكان اللعين ذات ليلة باردة في فبراير. عندها يمكنهم تشييد مبنى شنيع من الطوب ليمائل البشاعة على جهنّينا".

نهض دان ورفع الجهة الخلفية ليده إلى جبهته في تحية بريطانية خرقاء. "أمرك أيتها المدير".

لوّحت له بيدها. "أخرج من هنا قبل أن أغيّ رأيي أيها الطبيب".

8

ركب مدفأة حقاً، لكن الفتيل لم يكن بالياً وكانت من النوع الذي يتوقف عن العمل فوراً إذا انقلبت. لن يتوقّر أبداً أي تكييف للهواء في غرفة البرج في الطابق الثالث، لكن مروحتين موضوعتان في النافذتين المفتوحتين زوّدتا تياراً هوائياً لطيفاً. يبقى المكان حاراً في أيام الصيف، لكن دان لا يتواجد هناك تقريباً أبداً خلال النهار. وليالي الصيف في نيو هامبشاير باردة عادة.

معظم الأمور التي كانت مخزّنة هناك مجرد خردة يمكن التخلّص منها، لكنه أبقى على سبّورة كبيرة من الطراز المدرسي وجدّها متكئة على جدارٍ بعد أن بقيت مخفية لخمسين سنة أو أكثر خلف كومة كراسٍ حديدية قديمة ذات عجالات مجروحة بحزن. وجد السبّورة مفيدة، فراح يدوّن عليها أسماء مرضى مأوى العجزة وأرقام غرفهم، ويمحو أسماء الذين يموتون ويضيف أسماء المرضى الجدد. في ربيع 2004، كان هناك اثنان وثلاثون إسماء على السبّورة. عشرة منهم في

ريفنغتون واحد واثنى عشر في ريفنغتون اثنتين - هذان مبنيان بشعان من الطوب يطوّقان المنزل الفيكتوري الذي عاشت فيه هيلين ريفنغتون المشهورة وكتبت فيه رواياتها العاطفية المثيرة تحت الإسم المدوّي جانيت مونتبارس. أما باقي المرضى فيقيمون في الطابقين تحت شقة دان الضيقة لكن النافعة.

هل كانت السيدة ريفنغتون مشهورة بأي شيء غير كتابة روايات سيئة؟ سأل دان كلوديت ألبيرتسون بعد وقت قصير من بدئه عمله في مأوى العجزة. كانا في المنطقة المخصصة للتدخين وقتها، يمرّنان عادتهما البغيضة. كلوديت، ممرضة مُجازة أميركية أفريقية مبتهجة ذات كتفين عريضين مثل لاعب مدافع في كرة القدم الأميركية، رمت رأسها إلى الخلف وضحكت.

"بالتأكيد! لتركها مبلغاً كبيراً من المال لهذه البلدة يا عزيزي! وتبرّعها بهذا المنزل، طبعاً. اعتبرت أنه يجب أن يكون هناك مكان يمكن للعجائز الاحتضار فيه بوقار".

وفي منزل ريفنغتون، معظمهم فعل ذلك. دان - بمساعدة آزي - أصبح جزءاً من ذلك الآن. اعتقد أنه وجد هدفه في الحياة. بدأ مأوى العجزة كمنزل له الآن.

9

في صباح حفلة ذكرى ولادة أبراء، نهض دان من السرير ورأى أنه تم محو كل الأسماء على سبّورته، وكتبت كلمة واحدة مكانها:

مرحبا

بقي دان يجلس علي حافة السرير بملابسه الداخلية لوقت طويل، ينظر فقط. ثم نهض ووضع يده على الأحرف، لطّخها قليلاً، على أمل حصوله على بريق. أو حتى وميضٍ ما. أبعد يده أخيراً، وهو يفرك غبار الطباشور على فخذ العاري.

"مرحبا لك"، قال... ثم: "هل إسمك أبراء، بالمناسبة؟".

لا شيء. ارتدى رداءه، وأخذ صابونته ومنشفته، ونزلَ إلى دُش الموظفين في الطابق الثاني. عندما عاد، أخذ الممحة التي كان قد عثر عليها مع السبّورة وبدأ يمحو الكلمة. أثناء ذلك، خطرت فكرة بباله

(يقول بابا إنه ستكون لدينا بالونات)

فتوقّف منتظراً المزيد. لكن لم يأت شيء، لذا أنهى محو السبّورة ثم بدأ يدوّن الأسماء وأرقام الغرف، بادئاً من مذكرة حضور ذلك الاثنتين. عندما عاد إلى غرفته عند الظهر، كان يتوقع أن يجد السبّورة ممحاة مرة أخرى، والأسماء والأرقام استبدلت بكلمة مرحبا، لكن كل شيء كان مثلما تركه.

أقيمت حفلة ذكرى ولادة أبراً في الفناء الخارجي لمنزل عائلة ستون، وهو عبارة عن قطعة هادئة من العشب الأخضر فيها أشجار تفاح وقرانيا بدأت تزهو مؤخراً. وفي أسفل الفناء سور سلبي وبوابة مقلدة بقلل ذي أرقام. السور بشع بلا تردد، لكن دايفد ولوسي لا يكثران لذلك، لأن وراءه نهر ساكو، الذي يشق طريقه إلى الجنوب الشرقي، مروراً بفرايجر وكونواي الشمالية، وصولاً إلى حدود ماين. الأنهار والأولاد الصغار لا ينسجمان، برأي عائلة ستون، خاصة في الربيع، عندما يصبح هذا النهر عريضاً ومضطرباً بعد ذوبان الثلوج. كل سنة تنتشر الصحيفة المحلية غرق شخص واحد على الأقل كل أسبوع.

هناك أمور كثيرة اليوم يتلهى بها الأولاد على المرجة. واللعبة المنظمة الوحيدة التي يمكنهم لعبها كانت جولة قصيرة من "اتبع القائد"، لكنهم لم يكونوا يفاعين جداً لكي لا يركضون على العشب (ويتسقلبون أحياناً)، ويتسلقون مجموعة ألعاب أبراً مثل القروود، ويزحفون داخل أنفاق المتعة التي جهزها دايفد واثان من الأباء الآخرين، ويطاردون البالونات المنجرفة الآن في كل مكان. كانت كلها باللون الأصفر (لون أبراً المفضل المزعوم)، وعددها ست دزينات على الأقل، بحسب تقديرات جون دالتون. فقد ساعد لوسي وجدتها على نفخها. بالنسبة لامرأة في الثمانينات من عمرها، كانت شتاً تملك رنئين مذهلتين.

كان هناك تسعة أولاد، بما في ذلك أبراً، ولأن كل ولد منهم يرافقه أحد والديه على الأقل، فقد كان هناك الكثير من الإشراف الأبوي. وُزعت كراسي الحدائق على السطح الخلفي، ومع بلوغ الحفلة نروتها، جلس جون على أحد تلك الكراسي بجانب كونشيتا، التي كانت متأنقة في سروال جينز وكنزتها المكتوب عليها "أفضل جدة أم في العالم". كانت معها شرحة عملاقة من كعكة ذكرى الولادة. أما جون، الذي اكتسب بضعة كيلوغرامات خلال الشتاء، فاكتفى بكرة واحدة من البوظة بالفراولة.

"لا أعرف أين تضعينها"، قال وهو يوميء إلى قطعة الكعكة التي تختفي بسرعة عن طبقها الورقي. "الأمر بسيط. أنتِ نحيلة جداً".

"ربما يا عزيزي، لكن لدي رجل مجوفة". تفحصت الأولاد الصاخبين وتنهتت تنهيدة عميقة. "أتمنى لو أن ابنتي عاشت لتري هذا. لا أندم على أمور كثيرة، لكنني أندم على ذلك".

قرّر جون عدم المغامرة في هذا الخيط من المحادثة. فقد ماتت والدة لوسي في حادث سيارة عندما كانت لوسي أصغر سناً من أبراً الآن. يعرف هذا القدر من تاريخ العائلة الذي دونه أفراد عائلة ستون معاً.

على كل حال، غيرت شتاً مسار المحادثة بنفسها. "هل تعرف ما الذي أحبه فيهم في هذا العمر؟".

"لا". جون يحبهم في كل الأعمار... على الأقل إلى أن يصبحوا في الرابعة عشرة. لأنه وقتها تدخل غُددهم في سباق تسارع، ويشعر معظمهم أنه مُلزم أن يكون لئيماً في السنوات الخمسة القادمة.

"انظر إليهم يا جوني. أحبّ النسخة الطفولية للوحة إدوارد هيكس، المملكة السلمية. لديك ستة أطفال بيض - طبعاً، فهذه نيو هامبشاير - لكن لديك أيضاً طفلان أسودان وطفلة أميركية كورية رائعة تبدو كما لو أنها يجب أن تكون عارضة أزياء في كتالوغ هانا أندرسون. هل تعرف أغنية مدرسة الأحد التي تقول 'أحمر وأصفر، أسود وأبيض، إنها نفيسة بالنسبة له؟' هذا ما لدينا هنا. ساعتان ولم يرفع أحدهم قبضته أو يدفع غيره غاضباً".

جون - الذي رأى الكثير من الصغار الذين يركلون ويدفعون ويلكمون ويعضّون - أعطى ابتسامة تتوازن فيها السخرية والأسى بشكل دقيق تماماً. "لن أتوقع أي شيء خلاف هذا. كلهم يذهبون إلى ليل تشامس. إنه مركز الرعاية النهارية للوجهاء في هذه الأثناء، ويتقاضى منهم أسعاراً وجيهة. هذا يعني أن كل أهاليهم من الطبقة الوسطى العليا على الأقل، كلهم خريجو كليات، وكلهم يعتمدون مبدأ التصرف حسبما يتوقعه منك الآخرون. هؤلاء الأولاد هم حيواناتك الاجتماعية المدجّنة الأساسية".

توقّف جون عند ذلك الحدّ لأنها كانت تعبس فيه، لكن كان بإمكانه الاستفاضة أكثر. كان يمكنه أن يقول إنه حتى سنّ السابعة تقريباً - ما يسمى سنّ التعقّل - معظم الأولاد عبارة عن حجرات صدى عاطفية. إذا ترعرعوا حول أشخاص يتصرّفون حسبما يتوقعه منهم الآخرون ولا يرفعون أصواتهم، سيفعلون مثلهم. وإذا ترعرعوا لدى أشخاص يعضّون ويصرخون... حسناً...

عشرون سنة من مداواة الأولاد (ناهيك عن تربية ولدين، في مدارس إعدادية غير بعيدة عن مبدأ التصرف حسبما يتوقعه منك الآخرون) لم تدمّر كل الأفكار العاطفية التي كانت لديه عندما قرّر أن يتخصّص كطبيب أطفال، لكن تلك السنوات خفّتها. ربما الأولاد يأتون حقاً إلى هذا العالم يجرون خلفهم سُحب مجد، على حد تعبير ووردزورث، لكنهم يتبرّزون في سراويلهم أيضاً إلى أن يتعلّموا عدم فعل ذلك.

11

صوت أجراس فضيّة - مثل تلك التي تستخدمها شاحنة البوظة - صدح في نسيم بعد الظهر. استدار الأولاد ليروا مصدر الصوت.

ظهر شابّ يقود درّاجة ثلاثية العجلات حمراء ضخمة إلى المرّجة من الممر الخاص بمنزل عائلة سنّون، ويرتدي قفازات بيضاء وبذلة زُوت ذات كتفين عريضين بشكل هزلي. في إحدى طيات الصدر زهرة عروة بحجم أوركيدة دفيئة. بنظونه (الضخم أيضاً) مرفوع حالياً حتى رُكبتيه بينما يدوس الدوّاسات. هناك جرسان يرتان بإصبع واحد معلّقان بجهتي مقود الدراجة. تتأرجح الدراجة الثلاثية العجلات من جهة إلى أخرى لكنها لا تسقط أبداً. على رأس القادم الجديد،

تحت قبعة بنّية ضخمة، شعر مستعار أزرق مجنون. كان دايفد ستون يسير خلفه، يحمل حقيبة كبيرة في يدٍ وطاولة قابلة للطيّ في اليد الأخرى. بدا مرتبكاً.

"يا أولاد! يا أولاد!"، صرخ الرجل الذي يركب الدراجة الثلاثية العجلات. "تحلقوا حولي، تحلقوا حولي، لأن العرض على وشك أن يبدأ!". لم يحتج إلى طلب ذلك منهم مرتين؛ فقد بدأوا يتجمعون من قبل حول الدراجة الثلاثية العجلات، يضحكون ويصرخون.

أنت لوسي إلى جون وشتا، جلست، ونفخت الشعر عن عينيها بنفخة هزلية من شفتها السفلى. كانت هناك لطفة شوكولا على ذقتها. "شاهدوا لاعب الخفّة. إنه فنان شارع في فرايجر وكونواي الشمالية خلال فصل الصيف. رأى دايفد إعلاناً في إحدى تلك الصحف المجانية، اختبر الشاب، ووظّفه. اسمه ريغي بيليتيه، لكن اسمه الفني ميستيريو العظيم. هيا نرى لكم من الوقت يمكنه شدّ انتباههم بعدما يشبعون من النظر إلى الدراجة الثلاثية العجلات الفاخرة. أعتقد ثلاث دقائق، كحد أقصى".

اعتقد جون أنها قد تكون مخطئة في ذلك. فقد تم احتساب دخول الشاب بشكل دقيق لإبهار مخيلة الصغار، وشعره المستعار مضحكٌ وليس مخيفاً. كان وجهه المبتهج خالياً من أي مساحيق تجميل، وهذا جيد أيضاً. فالمهرجون، برأي جون، مبالغ في تقديرهم كثيراً، لأنهم يخيفون الأولاد ما دون السادسة، والأولاد فوق ذلك العمر يجدونهم مملين بكل بساطة.

يا للهول، مزاجك متشائم اليوم.

ربما لأنه استعدّ لتلقّي ردّة فعل غريبة، ولم يحصل شيء. بالنسبة له، بدت أبرا طفلة صغيرة طبيعية تماماً. أكثر ابتهاجاً من معظم الأطفال، ربما، لكن بدا له أن الابتهاج الكبير أمرٌ يسري في كل أفراد العائلة. ما عدا عندما يتفنّص شتا ودايفد بعضهما البعض.

"لا تستخفي بانتباه الصغار". انحنى متجاوزاً شتا واستخدم منديله ليمسح لطفة الشوكولا عن ذقن لوسي. "إذا كان لديه عرض جيد، سيأسر انتباههم لخمس عشرة دقيقة، على الأقل. وربما عشرين".

"إذا فعل ذلك"، قالت لوسي بنشكك.

تبين أن ريغي بيليتيه، الملقّب ميستيريو العظيم، كان لديه عرض جيد فعلاً. بينما راح مساعده المخلص، دايفد "غير العظيم جداً"، يُعدّ له طاولته وفتح حقيبته، طلب ميستيريو من فتاة ذكرى الولادة وضيوفها تأمل زهرته. عندما اقتربوا، أطلق سيل ماءٍ على وجوههم: أحمر أولاً، ثم أخضر، ثم أزرق. صرخوا ضحكاتٍ غداها دفق السكر في دمائهم.

"الآن، أيها الفتيان والفتيات... آه! آه! هذا يدغدغ!".

خلع قبعته وأخرج أرنباً أبيض. انحبست أنفاس الأولاد. مرّ ميستيريو الأرنب إلى أبراء، التي داعبته ثم مرّته إلى الآخرين دون الاضطرار إلى طلب ذلك منها. لم يبدُ أن الأرنب يمانع الاهتمام. ربما، فكّر جون في سرّه، ابتلع بضع حبّات فاليوم قبل العرض. أعاده الولد الأخير إلى ميستيريو، الذي وضعه داخل قبعته، ومرّر يده فوقه، ثم أراهم الجزء الداخلي للقبعة. كان فارغاً ما عدا من بطانة العَلَم الأميركي.

"أين ذهب الأرنب؟"، سألت سوزي سونغ-بارتليت الصغيرة.

"إلى أحلامك يا حبيبتى"، قال ميستيريو. "سيقفز هناك هذه الليلة. الآن من يريد وشاحاً عجبياً؟".

علّت صرخاتُ أنا، أنا من الفتيان والفتيات على حد سواء. أخرجها ميستيريو من قبضتيه ووزّعها عليهم. ثم أتبع ذلك بمزيد من الخدع في تتابع سريع. بحسب ساعة دالتون، تحلّق الأولاد حول ميستيريو بعينين جاحظتين لخمس وعشرين دقيقة على الأقل. وفور بدء ظهور أولى دلالات الملل في الجمهور، ختم ميستيريو عرضه بإخراجه خمسة أطباق من حقيبتيه (التي بدت فارغة، تماماً مثل قبعته، عندما عرضها عليهم) وراح يقذفها في الهواء وهو يغني "سنة حلوة يا جميل". شاركه كل الأولاد الغناء، وبدت أبراء في قمة سعادتها.

عادت الأطباق إلى الحقيبة. وعرضها عليهم مرة أخرى لكي يمكنهم رؤية أنها فارغة، ثم أخرج نصف دزينة ملاعق منها، علّقها على وجهه، مُنهياً العرض بتعليق واحدة على طرف أنفه. أحبّت فتاة ذكرى الولادة ذلك، فجلّست على العشب وهي تضحك وتعانق نفسها انشراحاً.

"تستطيع أبا فعل ذلك"، قالت (كانت مولعة حالياً بالإشارة إلى نفسها بصيغة الغائب - بالأسلوب الذي يسمّيه دايفد "مرحلة ريكي هندرسون"). "تستطيع أبا فعل الملاعك".

"عظيم يا عزيزتي"، قال ميستيريو. لم يكن ينتبه لها حقاً، ولا يستطيع جون لومه على ذلك؛ فقد قدّم للتو عرضاً صباحياً مدهشاً للأطفال، وأصبح وجهه أحمر ورطباً من العرق رغم النسيم البارد القادم من النهر، ولا يزال عليه الخروج بطريقة عظيمة، بركوب الدراجة الثلاثية العجلات الضخمة صعوداً على التلة هذه المرة.

انحنى وربّت رأس أبراء بيد ترتدي قفازاً أبيض. "سنة حلوة يا جميل، واشكري لي كل الأولاد لأنكم كنتم جمهو -"

أتى صوت قرقعة صاخبة وموسيقية من داخل المنزل لا يختلف كثيراً عن صوت الأجراس المعلّقة بمقود الدراجة الثلاثية العجلات. ألقي الأولاد نظرة سريعة في ذلك الاتجاه قبل أن يستديروا ليشاهدوا ميستيريو يبتعد على درّاجته، لكن لوسي نهضت لترى ما الذي سقط في المطبخ.

عادت إلى الخارج بعد دقيقتين. "جون"، قالت. "من الأفضل أن ترى هذا. أعتقد أن هذا ما أتيت لرؤيته".

وَقَفَ جون ولوسي وكونشيتا في المطبخ ينظرون إلى السقف ولم يقل أحدهم شيئاً. لا أحد منهم استدار عندما انضم دايف إليهم؛ كانوا منومين مغنطيسياً. "ماذا -" بدأ يقول، ثم رأى. "يا للهول".

لم يردّ أحدٌ على ذلك. بقي دايف يحدّق لفترة أطول محاولاً فهم ما كان يراه، ثم انصرف. عاد بعد دقيقة أو دقيقتين يقود ابنته بيدها. كانت أبراً تُمسك بالوناً، وحول خصرها الوشاح الذي تَلَقَّتْه من ميستيريو العظيم.

ركع جون دالتون على ركبة واحدة بجانبها. "هل فعلتِ هذا يا عزيزتي؟". كان سؤالاً نيقن أنه يعرف الجواب عليه، لكنه أراد سماع ما لديها لتقوله. أراد معرفة كم كانت تُدرك أفعالها.

نظرت أبراً إلى الأرض أولاً، حيث يقبع جارور الأواني الفضية. تحرّرت بعض السكاكين والشوك عندما انطلق الجارور من مكانه، لكنها كانت كلها هناك. خلافاً للملاعق. كانت الملاعق متدلّية من السقف، كما لو أن جاذبية مغنطيسية غريبة شدّتها إلى فوق، وملعقتان منها تلوّحان بكسل من أضواء السقف، وملعقة الحساء الكبيرة تتدلّى من عادم الموقد.

لكل ولد آليته الخاصة للطمانينة الذاتية. ويعرف جون من خبرته الطويلة أن تلك الآلية لمعظم الأولاد هي مصّ الإبهام. آلية أبراً مختلفة قليلاً، فهي تكوّر يدها اليمنى فوق النصف السفلي لوجهها وتفرك شفّتها براحة يدها. بالنتيجة، تخرج الكلمات من فمها مكتومةً. أبعدَ جون يدها - بلطف. "ماذا يا عزيزتي؟".

قالت بصوتٍ خافتٍ، "هل أنا في ورطة؟ أنا... أنا...". بدأ صدرها الصغير يرتفع وينخفض بسرعة. حاولت أن تعيد وضع يد الطمانينة، لكن جون أمسكها لها. "أردتُ أن أكون مثل مينستروزو". بدأت تبكي. أفلتَ جون يدها فارتفعت إلى فمها، وراحت تفرك بشراسة.

رَفَعَهَا دايفد وقبّل خدّها. وَضَعَتْ لوسي ذراعيها حولهما وقبّلت أعلى رأس ابنتها. "لا يا عزيزتي، لا. لا ورطة. أنت بخير".

ألصقت أبراً وجهها بعنق أمها. سقطت الملاعق عندما فعلت ذلك. القرعة أجفلتهم كلهم.

بعد شهرين، ومع بدء الصيف في الجبال البيضاء لنيو هامبشاير، جلس دايفد ولوسي ستون في مكتب جون دالتون، حيث الجدران مورّقة بصور ابتسامات الأولاد الذين عالجهم على مر السنوات - العديد منهم أصبح كبيراً في السنّ الآن ليكون لديه أولاد.

قال جون، "استعنثُ بإبن أخي الخبير في الكمبيوتر - على نفقتي الخاصة، ولا تقلقا بشأن ذلك، أجره رخيص - لأرى إن كانت هناك أي حالات موثّقة أخرى مثل حالة إبتكما، ولأدرسها في

حال وُجِدَتْ. حَصَرَ بحثه في السنوات الثلاثين الأخيرة وعثر على أكثر من تسعمئة".

صَفَّر دايفد. "هذا العدد الكبير!".

هَزَّ جون رأسه. "ليس عدداً كبيراً. لو كان هذا مرضاً - ولا داعي لأن نعاود مناقشة هذا، لأنه ليس مرضاً - فسيكون نادراً مثل داء الفيل. أو خطوط بلاشكو، التي تحوّل مبدئياً المصاب بها إلى حمار وحشي بشري. يؤثر داء بلاشكو على واحد من كل سبعة ملايين شخص. وستكون حالة أبرا بهذا المقياس".

"ما هي حالة أبرا بالضبط؟". كانت لوسي قد أمسكت يد زوجها وراحت تضغط عليها بقوة. "تخاطر؟ تحريك عقلي؟ شيء آخر؟".

"من الواضح أن تلك الأشياء تلعب دوراً. هل لديها قدرة تخاطرية؟ بما أنها تعرف متى سيأتي الزوّار، وعرفت أن السيدة جادكنز تأدّت، يبدو أن الجواب نعم. هل لديها قدرة على التحريك العقلي؟ بناءً على ما رأيناه في مطبخكما يوم حفلة ذكرى ولادتها، الجواب نعم أكيدة. هل هي وسيطة نفسية؟ لا يمكننا أن نكون أكيدين تماماً من ذلك، رغم أن قصتها مع أحداث 11 سبتمبر ومع ورقة العشرين دولاراً خلف خزانة الملابس توحيان بذلك. لكن ماذا بشأن الليلة التي عرض فيها تلفزيونكما مسلسل عائلة سيمبسون على كل القنوات؟ ماذا تسميان هذا؟ أو ماذا بشأن لحن البيتلز الشبهي؟ كانت الحادثة لتكون تحريكاً عقلياً لو أن النغمات أتت من البيانو... لكنكما تنفيان ذلك".

"ماذا نفعل الآن؟"، سألت لوسي. "مما علينا أن نحذر؟".

"لا أعرف. لا يوجد مسار توقّعي يمكننا اتباعه. المشكلة مع حقل الظواهر النفسية هي أنه ليس حقلاً أبداً. هناك الكثير من الدَجَل، وعدد كبير من الأشخاص مجانيين ببساطة".

"إذاً لا يمكنك إخبارنا ماذا علينا أن نفعل"، قالت لوسي. "هذه هي خلاصة القول".

ابتسم جون. "يمكنني إخباركما ماذا تفعلان بالضبط: تبقيان تحبّانها. إذا كان ابن أخي محقاً - وعليكما أن تتذكّرا أولاً أنه في السابعة عشرة فقط، وثانياً أنه بنى استنتاجاته على بيانات غير مستقرة - ستواصلان رؤية أمور غريبة إلى أن تصبح مراهقة. بعض تلك الأمور الغريبة قد تكون مبهجة. ستستقرّ الحالة في سنّ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة تقريباً، ثم تبدأ بالهمود. وحين تصبح في العشرينات من عمرها، ستصبح مختلف الظواهر التي تولّدها جديرة بالإهمال على الأرجح".

ابتسم. "لكنها ستكون بارعة جداً في ألعاب الحظ طوال حياتها".

"ماذا لو بدأت ترى أشخاصاً ميتين، مثل الفتى الصغير في ذلك الفيلم؟"، سألت لوسي.

"ماذا نفعل عندها؟".

"ستكونان قد حصلتما عندها على نظرة إلى الحياة ما بعد الموت. حتى ذلك الوقت، لا تجلبان المتاعب لنفسيكما. وأبقيا فمكما مغلقين، مفهوم؟".

"آه، بالتأكيد"، قالت لوسي. تمكنت من أن تتبسم، لكن نظراً لحقيقة أنها قضت معظم أحمر شفيتها، لم تبدُ واثقةً جداً. "آخر شيء نريده هو ظهور صورة إبتنا على أغلفة المجلات".

"الحمد لله أن لا أحد من الأهالي الآخرين رأى حادثة الملاعق تلك"، قال دايفد.

"إليكما سؤالاً"، قال جون. "هل تعتقدان أنها تعرف كم هي مميزة؟".

تبادل آل ستون النظرات.

"لا... أعتقد ذلك"، قالت لوسي أخيراً. "رغم أنه بعد الملاعق... عظمنا المسألة كثيراً..."

"عظمتما المسألة كثيراً في نفسيكما"، قال جون. "على الأرجح ليس في نفسها. بكت قليلاً، ثم عادت وخرجت مع ابتسامة على وجهها. لم يكن هناك صراخ أو توبيخ أو صفع أو تأنيب. نصيحتي هي ترك الأمور تمرّ في الوقت الحاضر. وعندما تصبح أكبر سنّاً قليلاً، يمكنكما تحذيرها بشأن عدم فعل أي خدعة من خدعها الخاصة في المدرسة. عاملها كأنها طبيعية، لأنها طبيعية في الأغلب. صح؟".

"صح"، قال دايفد. "والمسألة ليست كما لو أن لديها بُعاً أو تورّمات، أو عيناً ثالثةً".

"آه، لديها"، قالت لوسي. كانت تفكّر ببرقُع الجنين. "لديها عين ثالثة. لا يمكنك رؤيتها - لكنها هناك".

نهض جون. "سأحضر كل مطبوعات ابن أخي وأرسلها لكما، إذا كنتما تريدان ذلك".

"أريد"، قال دايفد. "وبشدة. وأعتقد أن العزيرة مومو ستريدها أيضاً". جعد أنفه قليلاً عند قوله ذلك. رأته لوسي وعبست.

"في هذه الأثناء، استمتعا بإبتكما"، أخبرهما جون. "وفق كل شيء رأيته، هي طفلة ممتعة جداً. ستتجاوزان هذا".

بدا محقاً، لبعض الوقت.

الفصل 4

مناداة طبيب النوم

1

الزمن يناير 2007. في غرفة برج منزل ريفنغتون، كانت مدفأة دان تعمل بكامل طاقتها، لكن الغرفة لا تزال باردة. فقد هبَّت رياح سرعتها ثمانون كيلومتراً بالساعة من الجبال، مُحضرةً معها ثلاثة عشر سنتيمتراً من الثلج كل ساعة على بلدة فرايجر النائمة. عندما هدأت العاصفة أخيراً بعد ظهر اليوم التالي، كانت سماكة الثلوج عند الجهتين الشمالية والشرقية لبعض الأبنية في جادة كرانمور أربعة أمتار.

لم ينزعج دان من البرد؛ فقد كان مكوراً تحت لحافين، ويشعر بالدفء مثل كوب شاي وخبز محمّص. لكن الرياح وجدت طريقها إلى داخل رأسه مثلما وجدت طريقها إلى تحت أطر النوافذ وعتبات الأبواب في البيت الفيكتوري القديم الذي يسمّيه الآن منزله. في حلمه، يمكنه سماع أنينها حول الفندق الذي أمضى فيه شتاءً واحداً عندما كان فتىً صغيراً. في حلمه، كان ذلك الفتى الصغير.

إنه في الطابق الثاني لفندق الأوفرلوك. ماما نائمة وبابا في القبو ينظر إلى أوراق قديمة. إنه يُجري أبحاثاً للكتاب الذي سيؤلفه. لا يُفترَض أن يكون داني هنا فوق، ولا يُفترَض أن يكون معه المفتاح العمومي الذي يتمسك به بيده، لكنه غير قادر على البقاء بعيداً. إنه يحقّق في هذه اللحظة بالذات بخرطوم مياه حريق معلق على الجدار. الخرطوم مطوي مراراً وتكراراً على نفسه، ويشبه أفعى ذات رأس نحاسي. أفعى نائمة. بالطبع هذه ليست أفعى - إنه ينظر إلى لوحة قماشية وليس إلى حراشف - لكنها تشبه أفعى بالتأكيد.

تكون أفعى أحياناً.

"هيا"، همس لها في هذا الحلم. إنه يرتعش من الرعب، لكن شيئاً يحركه. ولماذا؟ لأنه يقوم بأبحاثه الخاصة، هذا هو السبب. "هيا، عضّيني! لا يمكنك، أليس كذلك؟ لأنك مجرد خرطوم غبي!".

تحركت فوهة الخرطوم الغبي، وفجأة، بدلاً من أن ينظر إليه جانبياً، كان داني ينظر في ثقبه. أو ربما في فمه. ظهرت قطرة صافية واحدة تحت الثقب الأسود، وراحت تطول. يمكنه أن يرى فيها انعكاس عينيه العريضتين.

قطرة ماء أم قطرة سم؟

هل هي أفعى أم خرطوم؟

من يمكنه أن يقول يا عزيزي لتق؟ من يمكنه أن يقول؟

هدرت عليه، وقفز قلبه إلى حنجرته من الرعب. الأفاعي المججلة تهدر هكذا.

تدحرجت الآن فوهة الخرطوم-الأفعى بعيداً عن مكس اللوحات القماشية المستلقية عليها وسقطت على السجادة بدوي ثقيل. هدرت مرة أخرى وعرف أن عليه أن يتراجع إلى الوراء قبل أن تنفض عليه وتعضه، لكنه مجمّد لا يمكنه أن يتحرك وهي تهدر -

"استيقظ يا داني!"، نادى طوني من مكان ما. "استيقظ، استيقظ!"

لكن لم يعد بإمكانه أن يستيقظ مثلما لم يعد بإمكانه أن يتحرك، إنه الأوفرلوك، وقد علقوا داخله بسبب الثلوج، والأمور مختلفة الآن. الخراطيم تصبح أفاع، والنساء المتوفيات يفتحن عيونهن، وأبوه... يا إلهي، علينا أن نخرج من هنا لأن أبي يُصاب بالجنون.

هدرت الأفعى المججلة. هدرت.

2

سمع دان عويل الرياح، لكن ليس خارج الأوفرلوك. لا، خارج برج منزل ريفنغتون. سمع خشخشة الثلج عند النافذة المطلّة شمالاً. بدا صوته مثل صوت الرمل. وسمع الأزيز المنخفض لنظام الاتصال الداخلي.

رفع اللحافين عنه ولوّح رجليه خارجاً، وجفل عندما لمست أصابع قدميه الدافئة الأرض الباردة. اجتاز الغرفة، وهو ينطّ تقريباً على ضرة قدميه. أضاء مصباح المكتب وزفر نفساً. لا يوجد بخارٌ مرئي، لكن حتى مع توهج المدفأة، لا شك أن حرارة الغرفة هذه الليلة دون العشرة.

هدير.

ضغط زر التكلّم على نظام الاتصال الداخلي وقال، "أنا هنا. من معي؟".

"كلوديت. أعتقد أن لديك واحداً أيها الطبيب".

"سيدة وينيك؟". كان متأكداً جداً أنها هي، وأن ذلك يعني ارتدائه معطفه، لأن فيرا وينيك موجودة في ريفنغتون اثنتين، والممشى بين هنا وهناك سيكون أبرد من إبزيم حزام مشعوذة. أو ثدي حقار أبار. أو مهما يقول المثل. كانت فيرا معلقةً بخيط منذ أسبوع الآن، في غيبوبة تامة، تتنفس بفضل آلة شاين-ستوكس، وهذا بالضبط صنف الليالي الذي يختاره الضعفاء للرحيل. عند الرابعة فجراً عادة. تفقد ساعته. إنها 3:20 فقط، لكن هذا قريب بما فيه الكفاية لعمل الحكومة.

فاجأته كلوديت ألبيرتسون. "لا، إنه السيد هايز، معنا هنا في الطابق الأول".

"هل أنت متأكدة؟". فقد لعب دان جولة داما مع تشارلي هايز بعد ظهر ذلك اليوم بالذات، وبالنسبة لرجلٍ يعاني من سرطان دم حادّ، بدا حيويّاً مثل جدّد.

"لا، لكن آزي هناك. وتعرف ما تقوله أنت".

ما يقوله إن آزي لا يُخطئ أبداً، ولديه خبرة ست سنوات تقريباً لكي يتوصّل إلى هذا الاستنتاج. كان أزريل يتجول بحرية في الأبنية الثلاثة التي يتألف منها مجمع ريفنغتون، ويمضي معظم فترات بعد ظهره متكوراً على أريكة في غرفة الاستجمام، رغم أنه لم يكن مستغرباً رؤيته ممدداً على إحدى طاولات ورق اللعب - فارغة أو عليها أحجية نصف مكتملة - كما لو أنه رداء مرمي بإهمال. بدا أن كل المقيمين يحبونه (لو كانت هناك شكاوى عنه، لكان دان سَمِعَ بها)، وآزي يحبهم بدوره. يقفز أحياناً إلى حُضن عجوز نصف ميت... لكن بخفة، دون أي قصد بإيذائه. وهذا كان أمراً باهراً، إذا ما أخذنا حجمه بعين الاعتبار. فقد كان وزن آزي ستة كيلوغرامات.

بعيداً عن قيلولاته بعد الظهر، نادراً ما كان آزي يبقى في مكان واحد لفترة طويلة؛ لديه دائماً أماكن ليذهب إليها، أشخاص ليراهم، أشياء ليفعلها ("هذا القط رحالة"، قالت كلوديت لداني ذات مرة). قد تراه يزور المنتجع الصحي، يلحق كفاً ويدفئ نفسه قليلاً. يسترخي على جهاز مشي متوقف في جناح الصحة. يجلس على نقالة مهجورة ويحدّق في الهواء الرقيق بتلك الأشياء التي فقط القطط تستطيع رؤيتها. يمشط أحياناً المرجة الخلفية وأذناه مسطّحتان على جمجمته، وهي الصورة النموذجية للضراوة السيئوريّة، لكن إذا قبض على طيور وصيدنانيات، يأخذها إلى إحدى الساحات المجاورة أو إلى مشاعات البلدة ويمرّرها هناك.

غرفة الاستجمام مفتوحة على مدار الساعة، لكن آزي نادراً ما يزورها عندما يكون التلفزيون مطفاً والمقيمون غير متواجدين فيها. وعندما يحلّ الليل وتهدأ الحركة في منزل ريفنغتون، يضطرب آزي، فيقوم بدوريات في الأروقة مثل حارس عند حدود منطقة العدو. وبعدها تصبح الأضواء خافتة، قد لا تراه إلا إذا كنت تنظر إليه مباشرة؛ لأن فروه غير الملفت للنظر وبلون الفأرة يمتزج مع الظلال.

لا يدخل عُرف الضيوف أبداً إلا إذا كان أحدهم يموت.

ثم إما يتسلل إلى الداخل (إذا لم يكن الباب مُقفلًا) أو يجلس في الخارج مكوراً ذيله حول وركبته، ويموء بصوتٍ منخفضٍ مهدبٍ لكي يتم إدخاله. وعندما يدخل، يقفز على سرير الضيف (هم ضيوف دائماً، وليسوا مرضى أبداً، في منزل ريفنغتون) ويستقرّ هناك، يخرخر. إذا صدف وكان الضيف مستيقظاً، قد يداعب القط. على حد علم دان، لم يطلب أحدٌ أبداً أن يتم إخراج آزي من غرفته. بداوا أنهم يعرفون أنه لديهم بصفة صديق.

"مَن هو الطبيب المناوب؟"، سأل دان.

"أنت"، ردّت كلوديت بحزم.

"تعرفين قصدي. طبيب حقيقي".

"إمرسون، لكن عندما هاتفتُ قسمه، أخبرتني المرأة ألا أكون ساذجة. كل شيء مسدود من برلين إلى مانشستر. وقالت إنه باستثناء الطرقات الرئيسية، حتى المحاريث تنتظر ضوء النهار".

"حسناً"، قال دان. "أنا قادم".

3

بعد فترة على عمله في مأوى العجزة، أدرك دان أن هناك نظاماً طبقيّاً حتى للمُحتضرين. فأماكن إقامة الضيوف في المنزل الرئيسي أكبر وأعلى من تلك الموجودة في ريفنغتون واحد واثنين. في المنزل الفيكتوري الذي علقت فيه هيلين ريفنغتون قبعاتها ذات يوم وكتبت رواياتها العاطفية، كانت الغُرف عبارة عن أجنحة ومسمّاة تيمناً بأسماء مقيمي نيو هامبشاير المشهورين. كان تشارلي هايز يقيم في ألان شيررد. للوصول إلى هناك، على دان المرور بجانب كُوّة الوجبات الخفيفة عند أسفل السلالم، حيث توجد آلات البيع وبضع كراسٍ بلاستيكية صلبة. كان فُرد كارلينغ ملقياً على أحدها، يمضغ رقائق بسكويت هشّ بزبدة الفول السوداني ويقرأ عدداً قديماً من مجلة بوبولار ميكانكس. كارلينغ هو أحد ثلاثة ممرضين ليليين لنوبة منتصف الليل حتى الثامنة. الممرضان الآخران ينتقلان إلى نوبات نهائية مرتين في الشهر؛ أما كارلينغ فلا يفعل ذلك أبداً. إنه شخص إنتهازي نصّب نفسه بومة ليل، وذراعاه البدينتان المغطيتان بأكمام رثة توحيان أنه كان درّاجاً فيما مضى.

"انظروا مَن هنا"، قال. "إنه الفتى داني. أم هل أنت في هويتك السرية هذه الليلة؟".

كان دان لا يزال نصف مستيقظ فقط وليس في مزاج لينتقبّل المزاح. "ماذا تعرف عن السيد هايز؟".

"لا شيء سوى أن القط لديه، وهذا يعني عادة أنهم سيموتون".

"لا نزيف؟".

هزَّ الرجل الضخم كتفيه. "في الواقع نعم، لديه نزيف خفيف في أنفه. وَضَعْتُ المناشف الدموية في كيس الطاعون، تماماً مثلما يُفترَض بي أن أفعل. إنها في الغسَّالة أ، إذا كنت تريد أن تتحقَّق".

فكَّر دان بأن يسأله كيف أن نزيفاً في الأنف تطلَّب أكثر من منشفة واحدة لتنظيفه يمكن اعتباره خفيفاً، لكنه قرَّر تجاهل الأمر. كارلينغ غبيّ قاسي القلب، ولا يفهم دان كيف وظَّفوه هنا - حتى في نوبة ليلية، عندما يكون معظم الضيوف إما نائمين أو يحاولون التزام الصمت لكي لا يزعجون أي شخص آخر. شكَّ بأن أحدهم توسَّط له. هكذا تسير الأمور في العالم. ألم يتوسَّط أحدهم لأبيه لكي يحصل على وظيفته الأخيرة كوكيل لفندق الأوفرلوك؟ ربما لم يكن ذلك برهاناً حاسماً بأن مَنْ تعرفهم هي طريقة رديئة للحصول على وظيفة، لكنه بدا إيحائياً بالطبع.

"استمتع بمساءك يا طبيب النووووم"، صرخ به كارلينغ وهو يبتعد، دون أن يبذل أي جهد لِيُبقِي صوته منخفضاً.

في محطة الممرضات، كانت كلوديت تضع مخطط الأدوية بينما جانيس باركر تشاهد تلفزيوناً صغيراً تم تخفيض صوته. كان البرنامج الحالي أحد تلك الإعلانات التي لا تنتهي عن مطَّهر القولون، لكن جانيت تشاهده بعينين جاحظتين وفم مفتوح جزئياً. جفلت عندما نقر دان أظافره على المنضدة وأدرك أنها لم تكن مفتونة بل نصف نائمة.

"هل تستطيع إحداكما إخباري أي شيء جوهرى عن تشارلي؟ كارلينغ لا يعرف شيئاً".

ألقت كلوديت نظرة سريعة على آخر الرواق لتتأكد أن فَرَد كارلينغ لم يكن قريباً، ثم أخفَّضت صوتها، على أي حال. "كارلينغ عديم الجدوى مثل فتاة ذات صدر كبير على ثور. أتمنى باستمرار أن يطردوه".

احتفظ دان برأيه المشابه لنفسه. فقد اكتشَف أن الرصانة الثابتة تصنع العجائب لقدرة الشخص على التحقُّظ.

"فحصته منذ خمس عشرة دقيقة"، قالت جانيت. "نفحصهم كثيراً عندما يزورهم السيد قط".

"منذ متى أزي هناك؟".

"كان يموء خارج الباب عندما أتينا لنوبة منتصف الليل"، قالت كلوديت، "لذا فتحته له. ففَز على السرير فوراً. أنت تعرف كيف يفعل ذلك. كدتُ أناديك وقتها، لكن تشارلي كان مستيقظاً ومستجيباً. عندما ألقى عليه التحية، ردَّها عليّ وبدأ يداعب أزي. لذا قرَّرتُ أن أنتظر. بعد حوالي ساعة، بدأ أنفه ينزف. نظَّفه له فَرَد. اضطررتُ أن أقول له أن يضع المناشف في كيس طاعون".

أكياس الطاعون هي التسمية التي يُطلقها الموظفون على الأكياس البلاستيكية غير القابلة للذوبان التي تُوضع فيها الثياب والكتَّان والمناشف الملوَّثة بموائع أو أنسجة جسدية. هذا من قوانين

الولاية الذي يُفترَضُ به تقليل انتشار مسببات الأمراض المنقولة بالدم.

"عندما فَحصته منذ أربعين أو خمسين دقيقة"، قالت جانيت، "كان نائماً. هزرتُه. فَتَحَ عينيه، وكاننا مُحْتَقِنَتين بالدم".

"عندها اتصلتُ بإمرسون"، قالت كلوديت. "وبعدما أبلغتني الفتاة المناوبة استحالة حصول ذلك، ناديتُك. هل ستذهب الآن؟".

"نعم".

"حظاً سعيداً"، قالت جانيت. "رَنّ لي إن احتجت إلى شيء".

"حسناً. لماذا تشاهدين إعلاناً لمطهّر القولون؟ أم هل هذا أمر شخصي جداً؟".

تشاءبت. "في ساعة كهذه، الشيء الآخر الوحيد الذي يُعرَضُ هو إعلان عن حمّالة الصدر العجيبة. لديّ واحدة منها من قبل".

4

كان باب جناح آلان شبيرد نصف مفتوح، لكن دان قرع على أي حال. عندما لم يأتيه جواب، فتح الباب بالكامل. شخصٌ (على الأرجح إحدى الممرضات؛ بكل تأكيد ليس فُرد كارلينغ) رفع السرير قليلاً، وسحب الملاءة حتى صدر تشارلي هايز. كان في الحادية والتسعين، نحيلًا بشكل مؤلم، وشاحبًا لدرجة أنه بالكاد بدا هناك من الأصل. اضطر دان أن يقف بلا حراك لثلاثين ثانية قبل أن يصبح متأكدًا بشكل مُطلق أن أعلى بيجامة العجوز تصعد وتنخفض. كان آزي مكوراً بجانب الانتفاخ الضعيف لأحد الوركين. عندما دخل دان، تفحصه القط بتلك العينين الغامضتين.

"سيد هايز؟ تشارلي؟".

لم يفتح تشارلي عينيه. كان الجفنان ضاربين إلى الزُرقة. والبشرة تحتها داكنة أكثر، أرجوانية سوداء. عندما اقترب دان من حافة السرير، رأى لوناً إضافياً: قشرة دم متخثر تحت كل منخر وعند إحدى زوايا الفم المطوي.

دخل دان الحمام، أخذ منشفة وجهه، بلّغها بماء دافئ، وعصرها. عندما عاد إلى سرير تشارلي، نهض آزي وابتعد بحذر إلى الجهة الأخرى للرجل النائم، مُفسحاً المجال لكي يجلس دان. كانت الملاءة لا تزال دافئة من جسم آزي. مسح دان الدم من تحت أنف تشارلي بلطف. وبينما كان ينظف الفم، فتح تشارلي عينيه. "دان. هذا أنت، أليس كذلك؟ عيناى ضبابيتان قليلاً".

كانتا دمويتين في الواقع.

"كيف تشعر يا تشارلي؟ أي ألم؟ إذا كنت تتألم، يمكنني أن أطلب من كلوديت إحضار حبة لك".

"لا ألم"، قال تشارلي. انتقلت عيناه إلى آزي، ثم عادت إلى دان. "أعرف لماذا هو هنا. وأعرف لماذا أنت هنا".

"أنا هنا لأن الرياح أيقظتني. وآزي على الأرجح كان يبحث فقط عن رفيق. القطط حيوانات ليلية، مثلما تعرف".

رفع دان كُمّ بيجامة تشارلي ليفحص نبضه، ورأى أربع رضوض أرجوانية متتالية على ساعد العجوز النحيل. تظهر رضوض على مرضى سرطان الدم في مراحله الأخيرة بمجرد أن تتنفس عليهم، لكن تلك كانت رضوض أصابع، وعرف دان تماماً من أين أتت. لديه سيطرة أكبر الآن على أعصابه بما أنه غير ثمل، لكن الحنق لا يزال هناك، تماماً مثل الإلحاح القوي العرَضِيّ لتناول كوب شراب.

كارلينغ، أيها الوغد. لم يكن يتحرك بسرعة كافية لك؟ أم جُننتَ فقط لأنك اضطرت إلى تنظيف نزيف أنف بينما كل ما تريد فعله هو قراءة المجلات وأكل رقائق البسكويت الهشّ الصفراء اللعينة تلك؟

حاول عدم إظهار حقيقة مشاعره، لكن بدا أن آزي أحسَّ بها؛ فأطلق مواء انزعاج خفيفاً. في ظروف أخرى، كان دان سيطرح أسئلة على الأرجح، لكن لديه الآن مسائل ضاغطة أكثر ليتعامل معها. آزي محقّ مرة أخرى. لم يكن يحتاج إلى أكثر من لمس العجوز ليعرف ذلك.

"أنا خائف جداً"، قال تشارلي. لم يكن صوته أكثر من مجرد همس. الأنيب الهادئ للرياح في الخارج كان صاخباً أكثر. "لم أعتقد أنني سأكون خائفاً، لكنني خائف".

"ليس هناك شيء لكي تخاف منه".

بدلاً من أن يقيس نبض تشارلي - لا جدوى من ذلك حقاً - أمسك إحدى يدي العجوز. رأى إبني تشارلي التوأم في سنّ الرابعة، على أرجوحيتين. رأى زوجة تشارلي تُغلق الستارة في غرفة النوم، لا ترتدي شيئاً سوى السروال الداخلي الحريري الذي اشتراه لها لذكرى زواجهما الأولى؛ رأى كيف لَوَّح ذيل حصانها فوق كتفها عندما استدارت لتتنظر إليه، وكيف أضاء وجهها بابتسامة تقول نعم بقوة. رأى جرّاراً فوق مقعده مظلة مقلمة. شمّ لحماً مقدّداً وسمع فرانك سيناترا يغني "تعال طرّ معي" من راديو موتورولا مكسور موضوع على طاولة عمل مزدحمة بالأدوات. رأى غطاء عجلة مبلّل بالمطر يعكس صورة حظيرة حمراء. تذوّق أويصة وأخرج أحشاء غزالٍ واصطاد سمكاً في بحيرة بعيدة سطحها يتنقّط بمطر الخريف الهادئ. كان في الستين، يرقص مع زوجته في قاعة الفيلق الأميركي. كان في الثلاثين، يحطّب. كان في الخامسة، يرتدي شورتاً ويجرّ عربة حمراء. ثم أصبحت الصور ضبابية، مثلما يحصل بأوراق اللعب عندما تخطها يدا لاعبٍ خبيرٍ، وبدأت الرياح

تُحْضِرُ ثَلْجاً كَثِيفاً مِنَ الْجِبَالِ، وَهنا فِي الدَاخِلِ كان الصمت وعينا آزي الوقورتان تراقبان. فِي أوقات كهذه، عَرَفَ دان ما كان هدفه. فِي أوقات كهذه لم يندم على كل الألم والحزن والغضب والرعب، لأنها أَحْضَرْتَهُ إلى هنا إلى هذه الغرفة بينما الرياح تصيح فِي الخارج. لقد وصل تشارلي هايز إلى الحدود.

"لستُ خائفاً من الجحيم. لقد عشتُ حياة كريمة، ولا أعتقد أن هكذا مكان موجود على أي حال. أنا خائف ألا يكون هناك شيء". كَافَحَ لِيَتَنَفَّسَ. بدأت لؤلؤة دم تتورم عند طرف عينه اليمنى. "لم يكن هناك شيء من قبل، كلنا نعرف ذلك، لذا أليس محتملاً ألا يكون هناك شيء من بعد؟".

"لكن هناك شيء". مسح دان وجه تشارلي بالمنشفة الرطبة. "لا تنتهي أبداً فِي الواقع يا تشارلي. لا أعرف كيف يُعقل ذلك، أو ما معناه، أعرف فقط أن هذا ما يحصل".

"هل يمكنك مساعدتي على الانتهاء منه؟ يقولون إنه يمكنك مساعدة الأشخاص".

"نعم. يمكنني المساعدة". أمسك يد تشارلي الأخرى أيضاً. "ستنام فحسب. وعندما تستيقظ - سوف تستيقظ - سيكون كل شيء أفضل".

"السموات؟ هل تعني السموات؟".

"لا أعرف يا تشارلي".

كانت الطاقة قوية جداً هذه الليلة. يمكنه أن يشعر بها تنساب فِي أيديهما المتشابكة مثل تيار كهربائي وحرر نفسه أن يكون لطيفاً. جزء منه كان يقطن الجسم المتلثم الذي بدأ ينطفئ والحواس

(أسرع رجاءً)

التي كانت تتعطل. كان يقطن ذهناً

(أسرع رجاءً لقد حان الوقت)

لا يزال ثاقباً كما فِي شبابه، ويُدرك أنه يفكر أفكاره الأخيرة... على الأقل بصفته تشارلي

هايز.

انغلقت العينان المُحتقنتان بالدم، ثم انفتحتا مرة أخرى. ببطء شديد.

"كل شيء على ما يرام"، قال دان. "تحتاج فقط أن تنام. النوم سيجعلك تشعر بتحسن".

"هل هذا ما تسميه؟".

"نعم. أسميه نوماً، والنوم أمر آمن".

"لا تذهب".

"لن أذهب. أنا معك". وكان معه. هذا امتياز الفطيع.

أغمض تشارلي عينيه مرة أخرى. وأغمض دان عينيه ورأى نبضة زرقاء بطيئة في الظلمة. مرة... مرتين... توقفت. مرة... مرتين... توقفت. كانت الرياح تعصف في الخارج.

"نم يا تشارلي. أنت بخير، لكنك مُتعب وتحتاج إلى النوم".

"أرى زوجتي". أكثر همس خافت.

"حقاً؟"

"تقول..."

لم يكن هناك المزيد، مجرد نبضة زرقاء أخيرة خلف عيني دان وزفير أخير من الرجل الذي على السرير. فتح دان عينيه، استمع إلى الرياح، وانتظر الشيء الأخير. أتى بعد بضع ثوانٍ: رذاذ أحمر باهت ارتفع من أنف تشارلي وفمه وعينه. هذا كان ما تسميه ممرضة عجوز في تامبا - ممرضة امتلكت نفس وميض بيلي فريمان تقريباً - "اللهات". قالت إنها رأته عدة مرات.

دان يراه كل مرة.

ارتفع وبقي يحوم فوق جثة العجوز. ثم تضاءل.

رفع دان الكُم الأيمن لبيجامه تشارلي، وبحث عن نبض. مجرد شكليات.

5

يرحل آزي عادة قبل انتهاء المسألة، لكن ليس هذه الليلة. كان يقف على اللحاف بجانب ورك تشارلي، يحدّق في الباب. استدار دان متوقفاً رؤية كلوديت أو جانيت، لكن لم يكن أحدٌ هناك.

ما عدا أنه كان هناك أحدٌ.

"مرحباً؟".

لا شيء.

"هل أنت الفتاة الصغيرة التي تكتب على سبّورتي أحياناً؟".

لا جواب. لكن كان هناك شخصٌ.

"هل إسمك أبر؟".

سمع تموج نغمات بيانو خافتة، غير مسموعة تقريباً بسبب الرياح. كان دان ليعتقد أنها من نسج خياله (لا يمكنه دائماً التمييز بين خياله وبين البريق) لولا آزي، الذي ارتعشت أذناه ولم تُبارح عيناه المدخل الفارغ أبداً. هناك شخصٌ، يراقب.

"هل أنتِ أبر؟".

سمع تموج نغمات آخر، ثم ساد صمتٌ مرة أخرى. صمتٌ مُطبّق. مهما يكن إسمها، فقد رحلت. تمطّط آزي، وقفز عن السرير، وخرج دون أن يلتفت إلى الورا.

بقي دان يجلس في مكانه لفترة أطول، يستمع إلى الرياح. ثم أخفض السرير، وسحب الملاءة إلى فوق وجه تشارلي، وعاد إلى محطة الممرضات ليُخبرهما عن حصول حالة وفاة في الطابق.

6

عندما أنهى تعبئة قسمه من الوثائق، نزل دان إلى كُوّة الوجبات الخفيفة. في فترة من الفترات كان ليهرع إلى هناك، بقبضتين مشدودتين من قبل، لكن تلك الأيام ولّت. الآن يسير، ويأخذ أنفاساً بطيئةً طويلةً ليهدي قلبه وذهنه. هناك قول في منظمة مدمني الشراب المجهولين هو "فكّر قبل أن تشرب"، لكن ما أخبره إياه كايسي ك. خلال لقائهما الثنائي الأسبوعي هو أن يفكّر قبل أن يفعل أي شيء. لم تُقلع عن الثمالة لكي تكون غيباً يا داني. تذكر هذا في المرة القادمة التي تبدأ فيها بالاستماع إلى تلك اللجنة المستهجنة الصغيرة داخل رأسك.

لكن آثار الأصابع اللعينة تلك.

كان كارلينغ يتأرجح على كرسيه الهزاز، ويأكل الآن حبوب شوكولا بالنعنع. وقد قايس مجلة بوبولار ميكانيكس بمجلة صور فوتوغرافية على غلافها صورة أحدث نجم برامج كوميديا الموقف.

"السيد هايز تُوفي"، قال دان بلطف.

"يؤسفني سماع هذا". لم يرفع نظره عن المجلة. "لكن هذا ما جاءوا إلى هنا ليفعلوه، أليس

_-

رفع دان قدماً وعقفها خلف إحدى القوائم الأمامية المائلة لكرسي كارلينغ، وشدّها بقوة. دار الكرسي، وخطّ كارلينغ على الأرض، وتطايرت علبة حبوب الشوكولا بالنعنع من يده. رفع نظره ليحدّق في دان غير مصدّق.

"هل حصلتُ على انتباهك الآن؟".

"أيها السا -"، قال كارلينغ وهو يهيمّ بالنهوض. وَضَعَ دان قدمه على صدر الرجل ودَفَعَهُ إلى الخلف نحو الجدار.

"أرى أنني حصلتُ عليه. جيد. من الأفضل لك الآن ألا تنهض. فقط اجلس هنا واسمعي".
انحنى دان إلى الأمام وأمسك رُكْبَتَيْهِ بيديه. بشكل مُحْكَم، لأن كل ما كانت تريده تلك اليدان الآن هو أن تضربا. وتضربا. كانت صدغه ينبض. رويدك، قال لنفسه. لا تدع هذا يتغلَّب عليك.

لكنه كان صعباً.

"المرّة القادمة التي أرى فيها آثار أصابعك على مريض، سأصوِّرها وأذهب إلى السيدة كلوزن وستُطرَد مهما يكن الشخص الذي تعرفه. وبعدها لا تعود جزءاً من هذه المؤسسة، سأجرك وأبرحك ضرباً".

نهض كارلينغ، مستخدماً الجدار ليدعم ظهره ومركِّزاً نظره على دان أثناء فعله ذلك. كان أطول من دان ويفوقه وزناً بخمسين كيلوغراماً على الأقل. كَوَّرَ قبضتيه. "أودّ رؤيتك تحاول. الآن مثلاً؟".

"بالتأكيد، لكن ليس هنا"، قال دان. "عددٌ كبيرٌ من الأشخاص يحاولون أن يناموا، ولدينا رجل ميت في نهاية الرواق. رجلٌ آثار أصابعك عليه".

"لم أفعل شيئاً سوى قياس نبضه. أنت تعرف كم هو سهل تعرّضهم لرضوضٍ عندما يكونون مصابين بسرطان الدم".

"أعرف"، وافق دان، "لكنك أدبته عن قصد. لا أعرف لماذا، لكنني أعرف أنك فعلت ذلك".

اضطربت عينا كارلينغ الموجلتان. ليس بدافع الخزي؛ لأن دان لا يعتقد أن الرجل قادر على الشعور هكذا. مجرد قلق من كشف أحدهم لحقيقته. وخوف أن يُقبَضَ عليه متلبساً. "الرجل ضخم. يا طبيب النووووم. تعتقد أن هُراءك لا تفوح منه رائحة كريهة؟".

"بالله عليك يا فَرْد، دعنا نذهب إلى الخارج. سيسرّني هذا كثيراً". وهذا كان صحيحاً. كان هناك دان ثانٍ داخله. لم يعد قريباً من السطح، لكنه لا يزال هناك ولا يزال نفس السافل الحقير الذي كان عليه دائماً. من طرف عينه استطاع دان رؤية كلوديت وجانيت واقفتين في منتصف الرواق، جاحظتين وذراعيهما حول بعضهما البعض.

قَبِمَ كارلينغ الوضع. نعم، كان أضخم، ونعم، لديه امتداد أطول. لكنه فاقد اللياقة أيضاً - الكثير من شطائر البوريتو المتخمة، والكثير من عبوات شراب الشعير، وأنفاس أقصر بكثير مما

كانت في عشريناته - وهناك شيء مُفلق في وجه الشاب النحيل. لقد رأى ذلك من قبل، سابقاً مع فريق سائقي الدراجات النارية. لدى بعض الشباب وصلات رديئة في أذهانهم. وصلات تتقطع بسهولة، وعندما يحصل ذلك، يذهبون إلى النهاية في جنونهم. لقد اعتبر تورانس عاشقاً جباناً لن يتفوه بكلمة حتى ولو ركب أحدهم على كتفيه، لكنه رأى أنه أخطأ في ذلك. لم تكن هويته السرية هي طبيب النوم، بل طبيب الجنون.

بعد تقييمه الوضع جيداً، قال فُرد، "لن أضيع وقتي".

أوماً دان برأسه. "جيد. وقر على كلينا لسعات الصقيع. فقط تذكر ما قلته لك. إذا كنت لا تريد أن تُطرد من المستشفى، ابق يديك لنفسك من الآن وصاعداً".

"من مات وتركك في موقع القرار؟"

"لا أعرف"، قال دان. "لا أعرف حقاً".

7

عاد دان إلى غرفته وسريره، لكنه لم يتمكن من أن ينام. لقد قام بحوالي خمسين زيارة إلى فُرش الموت خلال عمله في منزل ريفنغتون، وتجعله يشعر بالهدوء عادة. ليس الليلة. كان لا يزال يرتعش من الغضب. ذهنه الواعي يكره تلك العاصفة الحمراء، لكن جزءاً سفلياً فيه يحبها. السبب وراثي على الأرجح؛ انتصار الطبع على التطبع. كلما بقي غير ثمل لفترة أطول، كلما عاد له المزيد من الذكريات القديمة. بعض أوضاعها كان عن نوبات غضب أبيه. كان يأمل أن يقبل كارلينغ تحديته له. أن يخرج إلى الثلج والرياح، حيث دان تورانس، ابن جاك، سيعطي ذلك الجرو العديم القيمة دواءه.

يعرف في قرارة نفسه أنه لا يريد أن يكون مثل أبيه، التي كانت فترات عدم ثمالته من النوع المتميز بمفاصل أصابع بيضاء. من المفترض أن تساعد منظمة مدمني الشراب المجهولين مع نوبات الغضب، وهي تفعل ذلك في الأغلب، لكن هناك أوقاتاً مثل هذه الليلة يُدرك فيها دان مدى هشاشة الحاجز. أوقات يشعر فيها أنه عديم القيمة، ويبدو له أن الشراب هو كل ما يستحقه. في أوقات كهذه يشعر أنه قريب جداً من أبيه.

فكّر في سرّه: ماما.

فكّر في سرّه: حنوى.

فكّر في سرّه: يجب على الجراء العديمة القيمة أن تأخذ دواءها. وأنت تعرف أين يبيعه، أليس كذلك؟ تبا، في كل مكان تقريباً.

اشتدّت الرياح في هَبّات حانقة جعلت البرج يتأوه. عندما هدأت، كانت فتاة السبّورة هناك. بإمكانه سماع أنفاسها تقريباً.

رَفَع يداً من تحت اللُحْف. أبقاها هناك للحظة في الهواء البارد، ثم شَعَرَ بيدها - الصغيرة، الدافئة - تتشابك بيده. "أبرا"، قال. "إسمك أبرا، لكن الناس ينادونك أبي أحياناً. أليس هذا صحيحاً؟".

لم يأتِ جواب، لكنه لم يكن بحاجة إلى واحد حقاً. كل ما احتاج إليه كان إحساسه بتلك اليد الدافئة في يده. دام الأمر لبضع ثوانٍ فقط، لكن المدة كانت كافية لتهدئ له أعصابه. أغمض عينيه ونام.

8

على بُعد ثلاثين كيلومتراً، في البلدة الصغيرة أنيستون، كانت أبراً ستون مستيقظة في سريرها. اليد التي احتضنت يدها بقيت للحظة أو لحظتين. ثم تحوّلت إلى ضباب واختفت. لكنها كانت هناك. كان هو هناك. وجدته في حلم، لكن عندما استيقظت، اكتشفت أن الحلم كان حقيقياً. كانت تقف في مدخل غرفة. وما رآته هناك كان فظيلاً ومدهشاً في آن. كان هناك موت، والموت مخيف، لكن كانت هناك مساعدة أيضاً. الرجل الذي كان يساعد لم يكن قادراً على رؤيتها، لكن القط رآها. للقط إسم مثل إسمها، لكن ليس تماماً.

لم يرني لكن شَعَرَ بي. وكنا معاً الآن للتو. أعتقد أنني ساعدته، مثلما ساعد الرجل الذي مات.

هذه فكرة جيدة. متمسكةً بها (مثلما تمسكت باليد الشبح)، استدارت أبراً إلى جنبها، وعانقت أرنبها المحشو إلى صدرها، ونامت.

الفصل 5

العقدة الحقيقية

1

لم تكن العقدة الحقيقية شركة مساهمة، لكن لو كانت كذلك، لكانت بعض المجتمعات على جانب الطريق في ماين وفلوريدا وكولورادو ونيو مكسيكو سُميت "بلدات الشركة". تلك أماكن يمكن أن تُنسب إليها كل الشركات الرئيسية وقطع الأرض الكبيرة من خلال كتلة شركات قابضة. بلدات العقدة الحقيقية، التي لها أسماء حيوية مثل درايف باند وجيروزالم لوت وأوري وسايدوندر، ملاذات آمنة، لكنهم لا يبقون في تلك الأماكن لمدة طويلة أبداً؛ في الأغلب لأنهم رحّالة. إذا قُدت على الطرقات الرئيسية والعامّة الأميركية، ربما تكون قد رأيتهم. ربما على I-95 في كارولاينا الجنوبية، في مكان ما جنوبي ديلون وشمال سانتني. ربما على I-80 في نيفادا، في منطقة جبلية غرب درابر. أو في جورجيا، بينما تتفاوض - ببطء، إذا كنت تعرف صالحك - مع ذلك الطريق العام 41 السيئ السمعة المزوّد بمصيدة رادار السرعة خارج تيفتون.

كم مرة وجَدت نفسك خلف سيارة عيش تسير بتثاقُل، تتنشّق عادمها وتنتظر بفارغ الصبر فرصة لتتجاوزها؟ تزحف بسرعة ستين في حين يمكنك أن تقود بالسرعة القانونية مئة أو حتى مئة وعشرة؟ وعندما تظهر أخيراً ثغرة في الممر السريع وتتجو منها، يا للهول، ترى خطأ طويلاً من أبقار البنزين اللعينة تلك تسير أبطأ بستة عشر كيلومتراً بالساعة من حدود السرعة القانونية بقيادة عجائز يرتدون نظّارات ويحدّبون ظهورهم فوق مَقاودهم التي يُمسكونها كما لو أنها ستطير في الهواء.

أو ربما التقيت بهم في استراحات الطرقات الرئيسية، عندما تتوقف لتمطّط رِجْلك وتُسقط ربما بضعة أرباع في إحدى آلات البيع. تنقسم منحدرات الدخول إلى تلك الاستراحات إلى قسمين دائماً، أليس كذلك؟ السيارات في مرأبٍ والشاحنات البعيدة المدى وسيارات العيش في آخر. عادة مرأب المقطورات الكبيرة وسيارات العيش أبعد قليلاً. ربما رأيت المنازل المتنقلة للعقدة الحقيقية مركونة في ذلك المرأب، كلها في تكّتل عنقودي. وربما رأيت مالكيها يسرون على أقدامهم وصولاً إلى المبنى الرئيسي - ببطء، لأن العديد منهم يبدو عجوزاً وبعضهم بدين جداً - دائماً في مجموعات، دائماً منعزلون عن الآخرين.

يسلكون أحياناً أحد المخارج التي تعجّ بمحطات الوقود وفنادق رخيصة ومطاعم الوجبات السريعة. وإذا رأيت سيارات العيش تلك مركونة أمام ماكدونالد أو برغر كينغ، تابع طريقك لأنك تعرف أنك ستجدهم مصطفين كلهم عند صندوق الدفع، الرجال يرتدون قبعات الغولف المرنة أو قبعات صيد السمك الطويلة المنقار، والنساء يرتدين سراويل (زرقاء شاحبة عادة) وقمصاناً تقول أشياء مثل "اسألني عن أحفادي!" أو "هائمة سعيدة". طبعاً ستفضّل القيادة لكيلومتر إضافي، إلى منزل كعكات الوافل أو شوني، أليس كذلك؟ لأنك تعرف أنهم سيأخذون الدهر كله لكي يطلبوا ما يريدون أكله، يحلمون أمام القائمة، ويريدون دائماً شطائرهم من دون مخلّل أو من دون صلصة. يسألون إن كانت هناك أي معالم سياحية مثيرة للاهتمام في المنطقة، رغم أن أي شخص يستطيع أن يرى أن هذا مجرد مطعم وجبات سريعة بأُس يهجره الأولاد حالما يتخرّجون من أقرب مدرسة ثانوية.

بالكاد تراهم، صح؟ لماذا ستراهم؟ إنهم فقط جماعة سيارات العيش، متقاعدون مستنون وبضعة مواطنين أصغر سناً يعيشون حياتهم العديمة الجذور على الطرقات الرئيسية والعامّة الزرقاء، يقيمون في المخيمات حيث يجلسون على كراسيهم القابلة للطيّ ويطبخون على مواقدهم النقالة بينما يتكلمون عن الاستثمارات ودورات صيد السمك ووصفات الطهي وما شابه. إنهم الأشخاص الذين يتوقفون دائماً في أسواق البرغوث وساحات البيع، يركنون دينوصوراتهم اللعينة بشكل متلاصق لبعضها نصفها على حافة الطريق ونصفها على الطريق نفسه، لذا عليك أن تُبطئ حتى سرعة الزحف لكي تتجاوزهم. إنهم النسخة المعاكسة لنوادي الدراجات النارية التي تراها أحياناً على نفس تلك الطرقات الرئيسية والعامّة الزرقاء؛ أشخاص ودعاء بدلاً من متوحّشين.

إنهم مزعجون جداً عندما يهبطون بشكل جماعي على استراحة ويملاون كل المراحيض، لكن بعدما تعمل أحشاؤهم الحرونة المذهولة من الطريق أخيراً ويمكنك أن تجد مقعداً شاغراً لنفسك، تُخرجهم من تفكيرك، أليس كذلك؟ لا يعودون باهرين أكثر من سرب طيور على سلك هاتف أو قطع أبقار يرعى في حقل بجانب الطريق. أه، قد تتساءل كيف يمكنهم تحمّل كلفة ملء تلك الشناعات الشرهة للوقود (لأن لديهم بلا شكّ دخلاً ثابتاً مريحاً، وإلا كيف يمكنهم تمضية كل وقتهم يقودون على الطرقات هكذا)، وقد تستغرب لماذا سيريد أي شخص تمضية سنواته الذهبية في اجتياز كل تلك الكيلومترات الأميركية اللانهائية، لكنك قد لا تعطيهم ثانية إضافية من تفكيرك أبعد من ذلك.

وإذا صدف وكنّت أحد الأشخاص المشؤمين الذين فقدوا ابناً - لم يبقَ شيء سوى درّاجة في الموقف الشاغر في آخر الشارع، أو قبعة صغيرة تقبع في الأجمات عند حافة نهر قريب - الأرجح أنك لم تأخذهم بعين الاعتبار أبداً. لماذا ستفعل ذلك؟ لا، الأرجح أنه كان أحد المتشرّدين. أو (أسوأ، لكن مُقنع بشكل رهيب) شخص لعين من بلدتك بالذات، ربما حيّك بالذات، ربما حتى شارعك بالذات، قاتل لعين مريض بارع جداً في الظهور كشخص طبيعي وسيبقى يبدو طبيعياً إلى أن يجد أحدهم كومة عظام مدفونة في قبوه أو فنائه الخارجي. لن تفكّر أبداً بجماعة سيارات العيش، بأولئك المتقاعدين والعجائز المبتهجين في قبعات الغولف وواقيات الشمس ذات الزهور.

وستكون محققاً في الأغلب. هناك آلاف الأشخاص الذين يملكون سيارات عيش، لكن عام 2011 لم تبقَ سوى عقدة واحدة في أميركا: العقدة الحقيقية. يحبّون التنقل، وهذا أمر جيد، لأنهم مضطرون أن يفعلوا ذلك. فإذا بقوا في مكان واحد، سيلفتون الأنظار في نهاية المطاف، لأنهم لا يكبرون في السنّ مثل الآخرين. قد تبدو آني المئزر أو فيل القذر (الإسمان الفعليان أن لامونت وفيل كابوتو) أنها كُبرت في السنّ عشرين سنة بين ليلة وضحاها. التوأمان الصغيران (بي وپود) قد يقفزان عائدين من الثانية والعشرين إلى الثانية عشرة (أو تقريباً)، وهو السنّ اللذين تحوّلوا عنده، لكن تحوّلها حصل منذ مدة طويلة. العضو الوحيد في العقدة الحقيقية اليافع فعلاً هو أندريا شتاينر، المعروفة الآن بـ أندي لدغة الأفعى... وحتى هي ليست يافعة مثلما تبدو.

عجوز مترنحة نكدة في الثمانين من عمرها تصبح فجأة في الستين من جديد. عجوز في السبعين من عمره يقدر على التخلي عن عكازه؛ وتختفي الأورام الجلدية عن ذراعيه ووجهه.

تُشفى سوزي السوداء العينين من مشيتها العرجاء.

ينتقل دوغ الديزل من نصف أعمى مُصاب بإعتام عدسة العين إلى شخص حادّ البصر، وتختفي بقعته الصلحاء بشكل عجيب. وفجأة، يصبح في الخامسة والأربعين من جديد.

يستقيم الظهر المعقوف لستيف الساذج. وتتخلى زوجته، باباه الحمراء، عن بنظلون العقدة غير المريح ذاك، وترتدي حذاءها المرصّع بأحجار الراين، وتقول إنها تريد الخروج للرقص.

إذا حصل الناس على وقت لمراقبة هكذا تغيّرات، سيتعجبون ويبدأون التكلّم. وفي نهاية المطاف سيأتي مراسلٌ صحفيّ، علماً أن العقدة الحقيقية تنفر من الشهرة مثلما يُقال إن مصاصي الدماء ينفرون من ضوء الشمس.

لكن بما أنهم لا يعيشون في مكان واحد (وعندما يتوقفون لفترة مطوّلة في إحدى بلدات شركتهم، يعتزلون الناس)، يندمجون فوراً. ولما لا؟ فهم يرتدون نفس الملابس مثل جماعة سيارات العيش الآخرين، يرتدون نفس النظارات الشمسية الرخيصة، يشترتون نفس القمصان النائية التذكارية ويستشيرون نفس خرائط رابطة السيارات الأميركية. يضعون نفس اللصيفات على عرباتهم، ليعلنوا بفخر كل الأماكن الغربية التي زاروها (ساعتُ في تشذيب أكبر شجرة في العالم في أرض احتفال الشتاء!)، وتجد نفسك تنظر إلى نفس المُلصقات على مخفّقات الصدمات بينما تكون عالماً خلفهم (عجوز لكنني لستُ ميتاً، أنقذوا نظام الضمان الصحي، أنا مُحافظ وأصوت!!) بانتظار أن تسنح لك فرصة لتتجاوزهم. يأكلون دجاجاً مقلياً من العقيد ويشترتون تذاكر ألعاب الحظ التي تُخدش بين الحين والآخر من متاجر البقالة تلك التي تبيع شراب شعير، طُعم أسماك، ذخائر، مجلة موتور تراند، وعشرة آلاف نوع من قطع الحلوى. وإذا كانت هناك صالة بينغو في البلدة التي يتوقفون فيها، ستذهب مجموعة منهم إليها، يأخذون طاولة، ويلعبون إلى أن تنتهي آخر لعبة يربح فيها اللاعب إذا أصاب كل الأرقام. في إحدى تلك الألعاب، ربحت غ الطماعة (الإسم الفعلي غريتا مور) خمسمئة دولار. بقيت تتبجّح بذلك لعدة أشهر، ورغم أن أعضاء العقدة الحقيقية يملكون كل

المال الذي يحتاجون إليه، إلا أن ذلك أغضب بعض السيدات الأخريات كثيراً. كما لم يكن تشارلي التأشيرة مسروراً جداً أيضاً. فقد قال إنه بقي ينتظر الرقم B7 لخمسة سحوبات عندما أصابت غ الجائزة الكبرى أخيراً.

"يا طماعة، أنتِ حقيرة محظوظة جداً"، قال.

"وأنتِ وغد منحوس"، ردّت. "وغد منحوس أسود". وانصرفت تقهقه.

إذا صدف وقُبض على أحدهم يقود بسرعة أعلى من الحدود القانونية أو أوقف لارتكابه مخالفة مرورية طفيفة - هذا نادر، لكنه يحصل - لن يجد الشرطي سوى تراخيص صالحة، بطاقات تأمين محدّثة، وأوراق صالحة تماماً. لا تُرْفَع أي أصوات بينما يقف الشرطي هناك حاملاً كتاب الاستدعاء للمحكمة، حتى ولو كانت حيلة واضحة. النّهم لا تُناقش أبداً، وكل الغرامات تُدْفَع فوراً. أميركا جسم حيّ، الطرقات العامة شرايينه، وأعضاء العقدة الحقيقية ينسابون فيها مثل فيروس صامت.

لكن لا توجد كلاب.

يسافر أصحاب سيارات العيش العاديين برفقة الكثير من الكلاب، عادة آلات التبرُّز الصغيرة تلك ذات الفرو الأبيض والياقات المبهرجة والمزاج البغيض. إنها من الصنف النباح المثير للغضب الذي يصمّ الأذان وذات عيون صغيرة مهلهلة مليئة بذكاء مزعج. تراها تشمّ طريقها بين الأعشاب في الأماكن المخصّصة للحيوانات الأليفة في استراحات الطرقات الرئيسية، وخلفها مالكوها على أهبة الاستعداد ليلمّوا فضلاتها. بالإضافة إلى الملصقات الاعتيادية على المنازل المتنقّلة لجماعة سيارات العيش العاديين، قد ترى أيضاً لافتات صفراء ماسية الشكل تقول "بوميراني في الداخل" أو "أنا كلبي البودل".

ليس العقدة الحقيقية. لا يحبّون الكلاب، والكلاب لا تحبّهم. يمكنك القول إن الكلاب تُدرك حقيقتهم. تُدرك العيون الحادّة واليقظة خلف النظّارات الشمسية الرخيصة. تُدرك أرجل الصيادين القوية العضلات تحت السراويل الفضفاضة المصنوعة من البوليستر. تُدرك الأسنان الحادة تحت أطقم الأسنان الاصطناعية، التي تنتظر الخروج.

لا يحبّون الكلاب، لكنهم يحبّون بعض الأولاد.

آه نعم، يحبّون بعض الأولاد كثيراً.

2

في مايو 2011، بعد وقت قصير من احتفال أبراستون بذكرى ولادتها العاشرة ودان تورانس بسنته العاشرة من عدم الثمالة، قرّع كُرو دادي على باب إيرثكروزر روزي القبعة. كانت

العقدة الحقيقية تُقيم حالياً في مخيم كوزي خارج لكسينغتن، كنتاكي. كانوا في طريقهم إلى كولورادو، حيث سيقضون معظم الصيف في إحدى بلداتهم حسب الطلب، وهي بلدة يزورها دان في أحواله أحياناً. لا يكونون مستعجلين عادة للوصول إلى مكان معيّن، لكن كانت هناك بعض العجلة هذا الصيف. كلهم عرفوا ذلك لكن لا أحد منهم تكلم عنه.

ستهتمّ روز بالمسألة. هي تفعل ذلك دائماً.

"تفضّل"، قالت، ودخل كُرو دادي.

عندما يكون في مأمورية مهنية، يخرج دائماً مرتدياً بذلةً أنيقةً وحذاءً غالياً ملمعاً كالمرآة. وإذا كان يشعر بعدم الرغبة بمجارة العصر، فقد يحمل عكازاً حتى. كان يرتدي هذا الصباح بنطلوناً فضفاضاً مرفوعاً بحمّالات بنطلون، قميصاً تائياً ذا أربطة ملفتة للنظر عليه سمكة (مطبوع تحتها "قتل ذئب البحر")، وقبعة عامل مسطحة خلعتها وهو يُغلق الباب خلفه. كان حبيبها أحياناً وكذلك نائبها في القيادة، لكنه يعاملها باحترام دائماً، وهذا أحد الأمور العديدة التي تحبّها روز فيه. ليس لديها أي شكّ أن بإمكان العقدة الحقيقية أن تستمرّ تحت قيادته إذا ماتت. لبعض الوقت، على الأقل. لكن ليس لمئة سنة أخرى؟ ربما لا. على الأرجح لا. لديه لسان فصيح عندما يضطر إلى التعامل مع الأشخاص الدنيويين، لكن كُرو يملك مهارات تخطيط بدائية فقط، ولا يملك بصيرة حقيقية.

بدا منزعاً هذا الصباح.

كانت روز تجلس على الأريكة مرتدياً بنطلون كابري وحمالة صدر بيضاء عادية، وتدخّن سيجارة وتشاهد الساعة الثالثة من برنامج توداي على تلفزيونها الكبير المركب على الجدار. تلك هي الساعة "الناعمة"، التي تتضمن طبّاحين مشهورين وممثلين يرّجون لأفلامهم الجديدة. كانت تضع قبعاتها العالية السوداء الرسمية مائلة على رأسها إلى الخلف. كُرو دادي يعرفها منذ أكثر من السنوات التي عاشها الأشخاص الدنيويون، ولا يزال يجهل ما العجيب في تلك الزاوية التي تتحدّى الجاذبية.

رَفَعَت جهاز التحكم عن بُعد وكنمت الصوت. "يا للهول، إنه هنري روثمان. ويبدو أيضاً لذيذ المذاق جداً، رغم أنني أشكّ أنك أتيت لكي يتم تذوّقك. ليس عند العاشرة والرّبع صباحاً، وليس بهذه النظرة على وجهك. من مات؟".

قصّدت ذلك على سبيل المزاح، لكن العبوس الذي ازداد تجهماً أخبرها أن المسألة جدّية. أطفأت التلفزيون وأشغلت نفسها بإطفاء سيجارتها، لأنها لم تريده أن يرى الرعب الذي انتابها. ذات يوم كانت العقدة الحقيقية تضم أكثر من مئتي عضو. اعتباراً من البارحة، أصبحوا واحداً وأربعين. وإذا كانت محقّة بشأن معنى ذلك العبوس، فقد قلّ عددهم بواحد اليوم.

"تومي الشاحنة"، قال. "رحل في نومه. دار مرة، ثم دوى. لم يتألم أبداً. هذا أمر نادر، مثلما تعرفين".

"هل رآه ننت؟". بينما كان لا يزال موجوداً لكي يمكن رؤيته، فكّرت في سرّها. كان وولنت، الذي تعرّفه رخصة قيادته الدنيوية ومختلف بطاقات إئتمانه الدنيوية بإسم بيتر وليس من ليتل روك، أركنساس، جراح العقدة الحقيقية.

"لا، حصل الأمر بسرعة كبيرة. كانت ماري الثقيلة معه. أيقظها تومي وهو يتقلّب كالمحموم. اعتقدت أنه رأى حلماً مزعجاً ونكزته بمرفقها... لكن وقتها لم يعد هناك شيء لنكزه سوى بيجامته. كانت نوبة قلبية على الأرجح. كان تومي قد أصيب بنزلة برد سيئة. ويعتقد ننت أنها كانت عاملاً مساهماً. وتعرفين أن السافل كان يدجّن دائماً مثل مدخنة".

"نحن لا نصاب بنوبات قلبية". ثم أضافت على مضض: "وبالطبع، نحن عادة لا نصاب بنزلات برد أيضاً. كان صدره يصفرّ حقاً في الأيام القليلة الماضية، أليس كذلك؟ مسكين تومي".

"نعم، مسكين تومي. يقول ننت إنه من المستحيل تحديد السبب بدقة من دون تشريح الجثة".

والذي لا يمكن أن يحصل. الآن لن تكون قد بقيت أي جثة لتسريحها.

"كيف تتقبّل ماري الأمر؟".

"كيف تعتقدين؟ إنها كسيرة القلب. تعود علاقتها بتومي الشاحنة إلى الأيام التي كان فيها تومي العربية. تسعون سنة تقريباً. كانت الشخص الذي اهتّم به بعد تحوّله. أعطته بخاره الأول عندما استيقظ في اليوم التالي. تقول الآن إنها تريد أن تقتل نفسها".

نادراً ما تُصدّم روز، لكن هذا صدمها حقاً. لا أحد في العقدة الحقيقية قتل نفسه من قبل. فالحياة كانت - لنحت تعبير جديد - سببهم الوحيد للعيش.

"على الأرجح مجرد كلام"، قال كُرو دادي. "ما عدا..."

"ما عدا ماذا؟".

"أنت محقّة بشأن عدم إصابتنا بنزلات برد عادة، لكن حصلت بضع حالات مؤخراً. في الأغلب مجرد نخر يأتي ويزول. يقول ننت إنه قد يكون سوء تغذية. بالطبع هو يتكهّن فقط".

جلست روز تفكّر، وراحت تنقر أصابعها على بطنها العاري وتحقّق في المستطيل الفارغ للتلفزيون. قالت أخيراً، "حسناً، أوافق أن الغذاء شحّ قليلاً مؤخراً، لكننا أخذنا البخار في ديلاوير منذ شهر فقط، وكان تومي بخير وقتها. عاد وسمن".

"أجل، لكن يا روزي - الولد من ديلاوير لم يكن بالشيء الكثير".

لم تفكّر بالأمر بهذه الطريقة أبداً، لكن هذا صحيح. كما أنه كان في التاسعة عشرة، وفقاً لرخصة قيادته. تجاوز بمقدار كبير عنفوان الشباب الذي كان يمكن أن يكون لديه قرب مرحلة

البلوغ. بعد عشر سنوات أخرى كان ليصبح مجرد شخص دنيوي آخر. وربما حتى خمس. لم يكن وجبة طعام ذات شأن، هذا مفهوم. لكن لا يمكنك الحصول على شريحة لحم دائماً. عليك الاكتفاء أحياناً ببراعم الحمص والتوفو. على الأقل أبقوا الجسم والروح معاً إلى أن يمكنك ذبح البقرة التالية.

ما عدا أن براعم الحمص والتوفو النفسي لم يُبقوا جسم تومي الشاحنة وروحه معاً، أليس كذلك؟

"كان هناك بخار أكثر عادة"، قال كُرو.

"لا تكن سخيلاً. هذا مماثل لقول الدنيويين إن الناس منذ خمسين سنة كانوا ودودين أكثر. هذه خرافة، ولا أريدك أن تنتشرها. الأشخاص متوترون بما يكفي مسبقاً".

"تعرفيني أفضل من هذا. ولا أعتقد أنها خرافة يا عزيزتي. إذا فُكّرَت بالأمر، ستجدينه منطقياً. منذ خمسين سنة كان هناك المزيد من كل شيء - النفط، الحياة البرية، الأراضي الصالحة للزراعة، الهواء النظيف. حتى كان هناك بضعة سياسيين صادقين".

"نعم!"، صاحت روز. "رينشارد نيكسون، هل تتذكّره؟ أمير الدنيويين؟".

لكنه لن يطارد هذا الأثر الخاطئ. قد يكون كُرو ضعيفاً قليلاً في قسم البصيرة، لكن نادراً ما يكون مشتت الذهن. لهذا السبب كان نائبها. حتى قد يكون محقاً. من قال إن البشر القادرين على توفير الغذاء الذي تحتاج إليه العقدة الحقيقية لا يتضاءلون، تماماً مثل أسراب أسماك الطون في المحيط الهادئ؟

"من الأفضل أن تفتحي إحدى العلب يا روزي". رأى عينيها تتوسّعان ورفع يداً ليمنعها من الكلام. "لا أحد يقول هذا بصوت عالٍ، لكن العائلة كلها تفكّر فيه".

لم يكن لدى روز أي شك أنهم كانوا يفكّرون في ذلك، وفكرة أن تومي مات من تعقيدات ناتجة عن سوء التغذية لها بعض المعقولة البغيضة. عندما يكون البخار شحيحاً، تصبح الحياة صعبة وتفقد نكهتها. ليسوا مصاصي دماء من أحد أفلام الرعب القديمة تلك، لكنهم لا يزالون بحاجة إلى أن يأكلوا.

"ومنذ متى حصلت لنا آخر موجة سابعة؟"، سأل كُرو.

كان يعرف الجواب، وهي أيضاً. تملك العقدة الحقيقية مهارات استبصار محدودة، لكن عندما تقترب كارثة دنيوية كبيرة حقاً - موجة سابعة - يشعرون بها كلهم. رغم أن تفاصيل الهجوم على مركز التجارة العالمي بدأت تتوضّح لهم فقط في أواخر صيف 2001، إلا أنهم عرّفوا أن شيئاً سيحصل في مدينة نيويورك قبل أشهر. لا يزال بإمكانها تذكّر الفرح والتوقع. افترّضت أن الدنيويين الجائعين ينتابهم نفس الشعور عندما يشمّون رائحة وجبة طعام لذیذة تُطبخ في المطبخ.

حصل كل شخص على كمية وافرة يومها، وفي الأيام التالية أيضاً. ربما كان هناك بضعة ذوي بخار حقيقيين بين أولئك الذين ماتوا عندما سقط البرجان، لكن عندما تكون الكارثة كبيرة كفاية، فإن العذاب والموت العنيف يزيدان من قيمة الطعام. لهذا السبب تنجذب العقدة الحقيقية إلى هكذا مواقع، مثل الحشرات إلى الضوء الساطع. العثور على دنيوي ذي بخار وحيد مسألة أصعب بكثير، ولا يوجد بينهم الآن سوى ثلاثة فقط يملكون ذلك السونار المتخصص في رؤوسهم: الجَدّ فليك، باري الصدع، وروز نفسها.

نهضت، وأمسكت كنزة ذات قبة بشكل سفينة مطوية بشكل أنيق على المنضدة، وشدتها فوق رأسها. كالعادة، بدت فاتنة بطريقة غير أرضية قليلاً (تلك العظام الوجيهة المرتفعة والعينين المنحيتين قليلاً) لكن جذابة جداً. أعادت ارتداء القبعة وخبطتها بيدها بخفة للحظ السعيد. "كم تعتقد عدد العلب الكاملة الباقية يا كُرو؟".

هزّ كتفيه. "دزينة؟ خمس عشرة؟".

"تقريباً"، قالت موافقة. من الأفضل ألا يعرف أحد منهم الحقيقة، ولا حتى نائبها. فأخر شيء تحتاج إليه هو أن يصبح القلق الحالي ذعراً علنياً. لأنه عندما يُصاب الأشخاص بالذعر، يفرّون في كل الاتجاهات. وإذا حصل ذلك، قد تتفتت العقدة الحقيقية.

في غضون ذلك، كان كُرو ينظر إليها، وعن كثب. قبل أن يتمكّن من رؤية الكثير، قالت، "هل يمكنك أن تستأجر هذا المكان كله لنا وحدنا هذه الليلة؟".

"هل تمزحين؟ بسعر البنزين والديزل هذه الأيام، لا يستطيع مالك هذا المكان ملء نصف مساحته، حتى في عطل نهاية الأسبوع. سينتهز هذه الفرصة بلا تردّد".

"افعل ذلك إذاً. سنأخذ بخار علبة. انشر الخبر".

"حاضر". قبلها، مداعباً أحد نهدّيها أثناء فعله ذلك. "هذه كنزتي المفضّلة".

ضحكت ودفعته عنها. "أي كنزة تتضمن ثديين هي المفضّلة لديك. هيا اذهب".

لكنه تلكاً وقد ملأت ابتساماً إحدى زوايا فمه. "هل الأفعى المججلة لا تزال تشمّ حول بابك يا جميلة؟".

أنزلت يدها وضغطته قليلاً تحت الحزام. "يا للهول. هل هذه عظمة الغيرة لديك التي أشعر بها؟".

"النقل إنها هي".

شكّت بذلك، لكنها شعرت بالإطراء على أي حال. "إنها مع ساراي الآن، والاثنتان سعيدتان معاً. لكن بما أننا فتحنا موضوع أندي، يمكنها مساعدتنا. أنت تعرف كيف. انشر الخبر لكن

كَلِمَهَا أَوْلَاً".

بعد أن غادر، أفضلت الإيرتكرورز، وذهبت إلى قُمرة القيادة، وركعت على رُكبتيها. أدخلت أصابعها في السجادة بين مقعد السائق والدوّاسات ونزعت قطعة منها. تحتها كان مربع معدني مضمّن فيه لوحة مفاتيح. ضغطت روز الأرقام فانفتحت الخزانة سنتيمترين أو ثلاثة. رَفَعَت الباب بالكامل ونظرت إلى الداخل.

تبقّى لديهم خمس عشرة أو اثنتي عشرة علبة. هذا كان تقدير كُرو، ورغم أنه لا يمكنها قراءة أعضاء العقدة الحقيقية بالطريقة التي تستطيع بها قراءة الأشخاص الدنيويين، إلا أن روز كانت متأكدة أنه قدّم تقديراً منخفضاً عن قصد لكي يُفرحها.

فقط لو يعرف، فكّرت في سرّها.

كانت الخزانة مبطّنة برغوة بيضاء جافة لحماية العلب في حال وقوع حادث على الطريق، وتتضمن أربعين حمّالة. في يوم مايو الممتاز هذا في كنتاكي، كانت سبع وثلاثون من العلب في تلك الحمّالات فارغة.

أخذت روز إحدى العلب الممتلئة المتبقية ورفعتها عالياً. وزنها خفيف؛ إذا زنتها، ستظن أنها فارغة أيضاً. نزعت السدادة وفحصت الصمام الذي تحتها لتتأكد أن الختم لا يزال سليماً، ثم أعادت إغلاق الخزانة ووضعت العلبة بحذر - بوقار تقريباً - على المنضدة حيث كانت كنزتها مطوية.

بعد هذه الليلة ستبقى هناك علبتان فقط.

عليهم العثور على بعض البخار الكبير وإعادة تعبئة بعض تلك العلب الفارغة على الأقل، وعليهم فعل ذلك قريباً. لم يكن ظهر العقدة الحقيقية إلى الجدار، ليس بعد، لكنه يبتعد عنه بضعة سنتيمترات فقط.

3

لمالك مخيم كوزي وزوجته مقطورتها الخاصة، وظيفة دائمة قائمة على كتل أسمنتية مطلية. أحضرت أمطار أبريل الكثير من زهور مايو، وكان الفناء الأمامي للسيد والسيدة كوزي يعجّ بها. توقفت أندريا شتاينر مؤقتاً للحظة لتتأمل أزهار التوليب قبل صعود الدرجات الثلاثة إلى باب مقطورة رَدمان الكبيرة، حيث قرّعت.

فتح السيد كوزي الباب في نهاية المطاف. كان رجلاً صغيراً ذا بطن كبير محصور حالياً بفانيا حمرأ ساطعة ذات أربطة ملفّطة للنظر. يُمسك بيد عبوة پابست الشريط الأزرق، وباليدي الأخرى قطعة نقانق ملطّخة بالخردل ملفوفة بشرحة خبز أبيض إسفنجي. لأن زوجته كانت حالياً في

الغرفة الأخرى، صمت للحظة ليُجري فحصاً بصرياً للشابة الواقعة أمامه، من ذيل حصانها إلى حدائها الرياضي. "نعم؟".

للعديد من أعضاء العقدة الحقيقية بعض موهبة التنويم، لكن أندي كانت الأفضل إلى حد بعيد، وتبيّن أن لتحوّلها فائدة هائلة للعقدة الحقيقية. لا تزال تستخدم قدرتها أحياناً لتسحب النقود من محافظ بعض السادة الدنويين العجائز الذين ينجذبون إليها. اعتبرت روز أن هذا أمر محفوف بالمخاطر وطفولي، لكنها عرّفت من خبرتها أن ما تسمّيه أندي مسألها ستتلاشى في الوقت المناسب. بالنسبة للعقدة الحقيقية، المسألة الوحيدة هي الصمود.

"الديّ سؤال سريع فقط"، قالت أندي.

"إذا كان عن المراحيض يا عزيزتي فإن شافط البراز لا يأتي قبل الخميس".

"لا ليس عن هذا".

"عما إذا؟".

"ألسّت مُتعباً؟ ألا تريد أن تنام؟".

أغمض السيد كوزي عينيه فوراً. تشقّبت عبوة شراب الشعير وقطعة النقانق من يديه، مخلفتين بعض الفوضى على السجادة. آه لا بأس، فكّرت أندي في سرّها، لقد دفع كُرو ألفاً ومئتي دولار للرجل. يستطيع السيد كوزي تحمّل ثمن زجاجة منظّف سجاد. ربما حتى زجاجتين.

أمسكت أنديه ذراعه وقادته إلى غرفة الجلوس، حيث رأت أريكتين مطبوع عليهما كلمة كوزي وطاولتين مجهّرتين للتلفزيون أمامهما.

"اجلس"، قالت.

جّلس السيد كوزي، مغمض العينين.

"تحبّ أن تعبت بالفتيات الصغيرات؟"، سألته أندي. "ستفعل ذلك لو كنت تستطيع، أليس كذلك؟ إذا كنت تستطيع أن تركض بسرعة كافية لتلتقطهنّ، على أي حال". راحت تتفحصه، من يديه إلى وركيه. "أنت مثير للإشمزاز. هل يمكنك قول هذا؟".

"أنا مثير للإشمزاز"، وافق السيد كوزي. ثم بدأ بالشخير.

دخلت السيدة كوزي من المطبخ. كانت تقضم شطيرة بوظة. "من أنت؟ ماذا تُخبرينه؟ ماذا تريد؟".

"أن تنامي"، أخبرتها أندي.

أفلتت السيدة كوزي بوظتها. ثم تراخت رُكبتها وجأست عليهما.

"آه، تبا"، قالت آندي. "لم أقصد هناك. انهضي".

نهضت السيدة كوزي وشطيرة البوظة المهروسة ملتصقة بالجهة الخلفية لفستانها. وضعت آندي لدغة الأفعى ذراعها حول خصر المرأة غير المتواجد في الأغلب وقادتها إلى كرسي كوزي الآخر، متوقفة طويلاً كفاية لتنزع شطيرة البوظة الذائبة عن عقبيها. سرعان ما أصبح الاثنان جالسَيْن جنباً إلى جنب، مغمضَي العينين.

"ستمان طوال الليل"، أمرتهما آندي. "يستطيع السيد أن يحلم عن مطاردة الفتيات الصغيرات. وأنتِ يمكنك أن تحلمي أنه مات من نوبة قلبية وترك لك بوليصة تأمين قيمتها مليون دولار. ما رأيك بهذا؟ هل يبدو جيداً؟".

شغلت التلفزيون ورفعت الصوت إلى حد صاخب. كان بات سايجاك يتلقى عناقاً من امرأة ذات صدر عارم أنهت حل الأحجية للتو، والتي كانت "لا تتم أبداً على أمجادك". أخذت آندي لحظة لتتأمل الثديين العملاقين، ثم عادت إلى فردي عائلة كوزي.

"عندما تنتهي نشرة أخبار الساعة الحادية عشرة، يمكنكم إطفاء التلفزيون والإيواء إلى السرير. وعندما تستيقظان غداً، لن تتذكرا أنني كنتُ هنا. أي أسئلة؟".

لم تكن لديهما أي أسئلة. تزكتهما آندي وأسرعت عائدةً إلى تجمّع سيارات العيش. كانت جائعة، منذ أسابيع، وهذه الليلة سيكون هناك الكثير لكل شخص. أما غداً... فمهمة روز أن تقلق بشأن ذلك، أما بالنسبة لآندي لدغة الأفعى، فهي مرحّب بها.

4

حلّ الظلام الدامس عند الساعة الثامنة. وعند التاسعة، تجمّع أعضاء العقدة الحقيقية في مخيم كوزي. آخر شخص أتى كان روز القبعة، حاملةً العلبة. تصاعد همس طمّاع خافت عند رؤيتها. تعرّف روز كيف يشعرون. هي أيضاً جائعة كثيراً.

صعدت على إحدى طاولات النزهة المحفورة عليها الأحرف الأولى ونظرت إليهم الواحد تلو الآخر. "نحن العقدة الحقيقية".

"نحن العقدة الحقيقية"، أجابوا. كانت وجوههم وقورة، وعيونهم شرهة وجائعة. "ما يُعقد لا يمكن فكّه أبداً".

"نحن العقدة الحقيقية، ونصمد".

"نصمد".

"نحن المُختارون. نحن المحظوظون".

"نحن مُختارون ومحظوظون".

"هم الصانعون؛ نحن الآخذون".

"تأخذ ما يصنعون".

"خذوا هذا واستخدموه جيداً".

"سنستخدمه جيداً".

ذات يوم، في أوائل العقد الأخير من القرن العشرين، كان هناك فتى من إنيد، أو كلاهوما، يدعى ريتشارد غايلز وورثي. أُقْسِمَ أنه باستطاعة ذلك الولد أن يقرأ أفكاره، كانت أمه تقول أحياناً، وكان الناس يبتسمون من ذلك، لكنها لم تكن تمزح. وربما ليس أفكارها هي فقط. كان ريتشارد ينال علامة كاملة على امتحانات لم يدرس لها حتى. ويعرف متى سيعود أبوه إلى المنزل في مزاج جيد ومتى سيعود إلى المنزل حائقاً من شيء جرى في شركة معدات السمكرة التي يملكها. ذات مرة توسَّل الفتى أمه أن تشارك في قرعة الأرقام الستة لأنه أقْسَمَ لها أنه يعرف الأرقام الفائزة. رفضت السيدة غايلز وورثي - كانوا أشخاصاً متخشعين - لكنها أسفت لاحقاً. لم تُسَخَب كل الأرقام الستة التي دوَّنها ريتشارد على لوح الملاحظات في المطبخ، بل خمسة منها. لقد كَلَّفَتْها مبادئها سبعين ألف دولار. توسَّل الفتى ألا يُخبر أباه، ووعدا ريتشارد أنه لن يُخبره. كان فتى مؤدباً، فتىً جميلاً.

بعد حوالي شهرين من الفوز بالقرعة الذي لم يحصل، تلَقَّت السيدة غايلز وورثي طلاقة نارية قاتلة في مطبخها واختفى الفتى المؤدب والجميل. لقد تعفَّنت جثته منذ فترة طويلة تحت الحقل الخلفي لمزرعة مهجورة، لكن عندما فتحت روز القبعة صمام العلبة الفضية، تسرَّب جوهره - بخاره - في سحابة رذاذ فضي متلألئ ارتفعت إلى حوالي متر فوق العلبة وانتشرت أفقياً. رفع أعضاء العقدة الحقيقية أنظارهم إليها بوجوه مترقبة. معظمهم يرتعش، وبعضهم يبكي في الواقع.

"خذوا الغذاء واصمدوا"، قالت روز، ورفعت يديها إلى أن أصبحت أصابعها الممدودة تحت سطح الرذاذ مباشرة. أومأت. بدأ الرذاذ يهبط فوراً، أخذاً شكل مظلة تهبط على المنتظرين تحتها. عندما غلَّفت رؤوسهم، بدأوا يتنفسون عميقاً. استمرَّ هذا لخمس دقائق، تسارعت خلالها أنفاس العديد منهم وسقطوا أرضاً مُغمى عليهم.

شَعَرَت روز بنفسها تتورم جسدياً وتُشخِّذ عقلياً. كل رائحة عطرة لهذا الليل الربيعي صرَّحت عن نفسها. عرَّفت أن الخطوط الباهتة حول عينيها وفمها بدأت تختفي. والجدلات البيضاء في شعرها تعود داكنة من جديد. لاحقاً هذه الليلة، سيأتي كُرو إلى عربتها، وسيحترقان مثل مشاعل في سريرها.

استنشقوا ريتشارد غايلزورثي إلى أن زال - كلياً وفعالياً. أصبح الرذاذ الأبيض هزياً ثم اختفى. وأولئك الذين أُغمي عليهم استنشقوا جالساً وراحوا ينظرون حولهم، مبتسمين. وأمسك الجدّ فليك بيتي الصدع، زوجة باري، وأجرى هزهة صغيرة رشيقة معها.

"أفلتني أيها الحمار العجوز!"، قالت بحدّة، لكنها كانت تضحك.

كانت أندي لدغة الأفعى وساراي الصامتة تقيلان بعضهما بقوة، وغرقت يدا أندي في شعر ساراي الذي بلون الفأرة.

ونُبت روز عن طاولة النزهة إلى الأرض واستدارت نحو كُرو. رسم دائرةً بإبهامه وسبابته، وهو يبتسم لها بدوره.

كل شيء رائع، قالت تلك الابتسامة، وكل شيء كان رائعاً حقاً. في الوقت الحاضر. لكن رغم نشوتها، تذكّرت روز العلب في خزنتها. يوجد الآن ثمان وثلاثون علبة فارغة بدلاً من سبع وثلاثين. أصبحت ظهورهم أقرب خطوة إلى الجدار.

5

غادرت العقدة الحقيقية في الصباح التالي بعد خيوط الضوء الأولى مباشرة. سلكوا الطريق 12 إلى I-64، وسيارات العيش الأربعة عشرة في قافلة متلاصقة لبعضها. عندما يصلون إلى الطريق السريع بين الولايات سينتشدون لكي لا يلفتوا الأنظار كثيراً، وسيبقون على تواصل مع بعضهم البعض عبر اللاسلكي في حال وقوع متاعب.

أو إذا سنحت فرصة.

اتفق إيرني ومورين سالكوفيتش، النشطان من ليلة نوم مدهشة، أن جماعة سيارات العيش تلك هي أفضل شيء حدث لهم. فلم يدفعوا لهما نقداً فحسب وأخلوا مواقعهم بكل أناقة وترتيب، بل ترك لهما أحدهم قالب بودينغ بالتفاح على درج مقطورتها، عليه رسالة شكر عذبة. إذا كانا محظوظين، قال السالكوفيتش لبعضهما بينما أكلا قالب الحلوى الهدية على الفطور، سيعودون السنة المقبلة.

"هل تعرف؟"، قالت مورين. "حلمتُ أن السيدة التي تظهر في إعلانات التأمين - فلو - باعتك بوليصة تأمين كبيرة. أليس هذا حلماً مجنوناً؟".

نخر إيرني وطرطش المزيد من الكريما المخفوقة على طبقه البودينغ.

"هل حلمت يا عزيزي؟".

"لا".

لكن عينيه انزلقتا بعيداً عن عينيها بينما قال ذلك.

6

تحسّن حظ العقدة الحقيقية ذات يوم يوليو حار في أيوا. كانت روز تقود القافلة، كعادتها دائماً، وغرب أدير، أصدرَ السونار الذي في رأسها رنةً. لم يكن صوتاً ناسفاً للرأس بأي شكل من الأشكال، لكن صاخباً قليلاً. سارعت إلى إمساك اللاسلكي لتكلم باري الصّدع، الذي كان آسيوياً بالقدر الذي كان عليه توم كروز آسيوياً.

"باري، هل شعرتَ بذلك؟ أجب".

"أجل". لم يكن باري من النوع الثرثار.

"مع مَنْ يركب الجَدّ فليك اليوم؟".

قبل أن يتمكن باري من إجابتها، سُمعت نقرة مزدوجة على اللاسلكي وقالت آني المنزر، "إنه معي وپول الطويل يا عزيزتي. هل... هل هو شعور جيد؟". بدت آني قلقة، وبإمكان روز تفهّم ذلك. فقد كان ريتشارد غايلزورثي جيداً جداً، لكن ستة أسابيع فترة طويلة بين وجبات الطعام، وقد بدأ مفعوله يزول.

"هل العجوز سليم العقل يا آني؟".

قبل أن تتمكن من الإجابة، عاد صوت خشن، "أنا بخير يا امرأة". وبالنسبة لرجل لا يستطيع أن يتذكّر اسمه أحياناً، بدا صوت الجَدّ فليك جيداً جداً. نكد، بالتأكيد، لكن أن يكون نكداً أفضل بكثير من أن يكون مُربكاً.

أصابها رنة ثانية، لكنها لم تكن بنفس القوة. كما لو أنه يشدّد على نقطة لا تحتاج إلى تشديد، قال الجَدّ، "نحن نسير في الاتجاه اللعين الخطأ".

لم تتكبدّ روز عناء الإجابة، بل فقط نقرت نقرة مزدوجة أخرى على مذياعها. "كرو؟ أجبني يا عزيزي".

"أنا هنا". حاضر دائماً. ينتظر فقط أن يُستدعى.

"أوقفهم في الاستراحة التالية. ما عداي وباري وفليك. سنسلك المخرَج التالي ونعود أدراجنا".

"هل ستحتاجين إلى طاقم؟".

"لن أعرف إلى أن نقرب أكثر، لكن... لا أعتقد".

"حسناً". صمت موجز، ثم أضاف: "تعباً".

علّقت روز المذيع ونظرت خارجاً إلى فدادين الذرة التي لا تنتهي على جهتي الطريق. أصيب كُرو بخيبة أمل، بالطبع. سيُصابون كلهم بخيبة أمل. فذوي البخار الكبار يشكّلون مشاكل لأنهم كلهم منيعون تقريباً من الإيحاء. وهذا يعني أخذهم بالقوة. ويحاول الأصدقاء أو أفراد العائلة التّدخّل في أغلب الأحيان. يمكن تنويمهم أحياناً، لكن ليس دائماً؛ الولد الذي يملك كتلة بخار كبيرة يستطيع أن يقاوم حتى أفضل جهود أندي لدغة الأفعى. لذا يضطرون أحياناً إلى قتل الأشخاص. هذا ليس جيداً، لكن الجائزة تستحق الأمر دائماً: تُخزّن الحياة والقوة في علبة فولاذية. تُخزّن ليوم مطر. حتى إنه توجد فائدة متبقية في عدة حالات. البخار وراثي، وفي أغلب الأحيان يملك جميع أفراد عائلة الهدف البعض منه على الأقل.

7

بينما انتظر معظم أعضاء العقدة الحقيقية في استراحة ظليلة تبعد ستين كيلومتراً شرق كاونسل بالفس، استدارت سيارات العيش التي تحتوي على المكتشفين الثلاثة، وغادرت الطريق الرئيسي في أدير، وتوجّهت شمالاً. بعدما ابتعدوا عن الطريق I-80، انتشروا وبدأوا البحث في شبكة الطرقات الزراعية المرصوفة بالحصى التي تقسم هذا الجزء من أبوا إلى مربعات كبيرة. راحوا يسيرون مقتفين أثر الرنة من اتجاهات مختلفة. يسمّى هذا تثليثاً.

أصبحت أقوى... أقوى قليلاً أكثر... ثم استقرت. بخار جيد لكن ليس بخاراً رائعاً. آه، حسناً. المتسوّلون لا يحقّ لهم أن يتشرّطوا.

8

أُعطى برادلي تريفور اليوم إجازة من أعماله الاعتيادية في المزرعة لكي يتمرن مع فريق نجوم البيسبول المحلي. لو رفض أبوه إعطائه الإجازة، لكان المدرب أعاد بقية الفتيان إلى منازلهم على الأرجح، لأن براد أفضل ضارب في الفريق. لن تظن ذلك عند النظر إليه - كان نحيلاً مثل مقبض المدمة، و فقط في الحادية عشرة من عمره - لكنه قادر على التغلب حتى على أفضل الرماة في المقاطعة. بعض تلك القوة نابغة من الصلابة الاعتيادية لفتى المزرعة، لكن ليس كلها على الإطلاق. بدا أن براد يعرف فحسب نوع الرمية التالية. لم يكن ذلك بسبب اختلاسه النظر إلى إشارات اللاعبين الخصم (وهذا احتمال طرحه بعض مدربي المقاطعة الآخرين بخُبت). كان فقط يعرف. مثلما كان يعرف أفضل مكان للمخزون الجديد، أو إلى أين ذهبت البقرة النائية، أو أين أضاعت أمه خاتم زواجها. انظري تحت الحصيرة الأرضية للسيارة، قال لها، وقد عثرت عليه هناك.

كان تمرين ذلك اليوم تمريناً جيداً جداً، لكن براد بدا حزيناً خلال جلسة المناقشة بعده، ورفض أخذ عبوة مياه غازية من المغطس المعبأ بالجليد عندما عُرضت عليه. قال إنه يعتقد أنه من

الأفضل له أن يعود إلى المنزل ويساعد أمه على إدخال الغسيل.

"هل سئمطر؟" سأل المدرّب ميخا جونسون. أصبح الجميع يثقون به في هكذا أشياء.

"لا أعرف"، قال بُراد بسأم.

"هل أنت بخير يا بُني؟ تبدو شاحباً قليلاً".

في الواقع، لم يشعر بُراد أنه بخير، فقد استيقظ ذلك الصباح مصدوعاً ومحموماً قليلاً. لكن هذا لم يكن سبب رغبته في العودة إلى المنزل الآن؛ انتابه فقط شعور قوي بأنه لم يعد يريد أن يكون في ملعب البيسبول. لم يبذُ ذهنه... بخير. لم يكن متأكداً إن كان هنا أو يحلم فقط أنه هنا - كم هذا الأمر مجنون؟ راح يحكّ بقعة حمراء على ساعده دون أن يعي ذلك. "نفس الوقت غداً، صح؟".

قال المدرّب جونسون إن هذا هو الاتفاق، وسار بُراد وقفازه يتدلّى من إحدى يديه. كان يهرول عادة - كلهم يفعلون ذلك - لكنه لم يشعر برغبة بالركض اليوم. لا يزال رأسه يؤلمه، والآن رجلاه تؤلمانه أيضاً. اختفى في الذرة خلف المدرّجات المكشوفة، بهدف أن يسلك طريقاً مختصراً إلى المزرعة التي تبعد ثلاثة كيلومترات. عندما خرّج إلى طريق البلدة D وهو ينزع الحرير عن شعره بيد بطيئة وحالمة، كانت واندركينغ متوسطة الحجم تتكاسل على الحصة. وواقفاً بجانبها، مبتسماً، كان باري الصّدع.

"آه، ها قد ظهرت"، قال باري.

"مَن أنت؟".

"صديق. تفضّل. سأوصلك إلى المنزل".

"بالأكيد"، قال بُراد. فسبب شعوره الحالي، بدت فكرة إيصاله ممتازة. حكّ البقعة الحمراء على ذراعه. "أنت باري سميث. أنت صديق. سأركب معك وستأخذني إلى المنزل".

صعد إلى سيارة العيش. انغلق الباب. انطلقت الواندركينغ.

في اليوم التالي خرج كل سكان مقاطعة أدير في رحلة بحث عن لاعب الوسط وأفضل ضارب في فريق البيسبول المحلي. وسأل الناطق بإسم شرطة الولاية المقيمين إن رأوا أي سيارات أو شاحنات غريبة. قدّم عدة أشخاص إفادتهم عن ذلك، لكنها كلها لم تُوصل إلى أي نتيجة. ورغم أن سيارات العيش الثلاثة التي تنقل المكتشفين كانت أكبر بكثير من شاحنات (وسيارة عيش روز القبعة كانت ضخمة حقاً)، إلا أن أحداً لم يبلغ عن رؤيتها. كانوا جماعة سيارات العيش، في النهاية، ويسافرون سوية. أما بُراد... فاخفى وحسب.

مثل آلاف الأولاد المشؤومين الآخرين، بدا أن الأرض انشقت وابتلعتة.

أخذوه شمالاً إلى مصنع مهجور لمعالجة الإيثانول يبعد عدة كيلومترات عن أقرب مزرعة. حملَ كُرو الفتى إلى خارج إيرثكروزر روز ومدَّه على الأرض بلطف. كان بُراد مقيداً بشريط لاصق ويبيكي. عندما تحلَّق أعضاء العقدة الحقيقية حوله (مثل مشيِّعين فوق قبر مفتوح)، قال، "رجاءً خذوني إلى المنزل. لن أخبر أحداً".

ركعت روز على رُكبتها بجانبه وتنهَّدت. "كنتُ لأفعل ذلك لو أستطيع يا بُني، لكنني لا أستطيع".

التقت عيناه بعيني باري. "قلتُ إنك أحد الأخيار! لقد سمعتُك! لقد قلتَ ذلك!".

"آسف يا صديقي". لم يبدُ باري أسفاً. بل بدا جائعاً. "المسألة ليست شخصية".

أعاد بُراد نثل عينيه إلى روز. "هل ستؤذونني؟ رجاءً لا تؤذونني".

بالطبع كانوا سيؤذونه. هذا مؤسف، لكن الألم ينقّي البخار، وأعضاء العقدة الحقيقية بحاجة إلى أن يأكلوا. الكركند أيضاً يشعر بالألم عندما يرمونه في وعاء الماء المغلي، لكن هذا لا يمنع الناس الدنيويين من فعل ذلك. الطعام طعامٌ، والصمود صمودٌ.

وضعت روز يديها خلف ظهرها. في إحداها، وضعت غ الطمّاعة سكيناً. كان قصيراً لكن حاداً جداً. ابتسمت روز للفتى وقالت، "أقل قدر ممكن".

دام الفتى لفترة طويلة. بقي يصرخ إلى أن تمرّقت أوتاره الصوتية وأصبحت صرخاته أشبه بالنباح. في لحظة من اللحظات، توقفت روز ونظرت حولها. ارتدت يداها، الطويلتان والقويتان، قفازات حمراء دموية.

"شيء؟"، سأل كُرو.

"سنتكلم لاحقاً"، قالت روز، وعادت إلى العمل. حوّلت أضواء دزينة مشاعل كهربائية قطعة الأرض الواقعة خلف مصنع الإيثانول إلى غرفة عمليات مؤقتة.

همس بُراد تريفور، "أرجوك اقتليني".

ابتسمت له روز القبعة ابتسامة مريحة. "قريباً".

لكنه لم يكن قريباً.

عاد النباح، وتحول إلى بخار في نهاية المطاف.

عند الفجر، دفنوا جثة الفتى. ثم رحلوا.

الفصل 6

الراديو الغريب

1

لم يحصل هذا منذ ثلاث سنوات على الأقل، لكنك لا تنسى بعض الأشياء. عندما يبدأ طفلك بالبكاء في منتصف الليل مثلاً. كانت لوسي لوحدها لأن دايفد يحضر مؤتمراً في بوسطن يمتد على يومين، لكنها عرّفت أنه لو كان هناك، لكان تسابق معها في الرواق إلى غرفة أبرا. لم ينس، أيضاً.

كانت إبنتهما تجلس على السرير، وجهها شاحب، وشعرها ناتئ حول رأسها بسبب النوم، وعيناها عريضتان وتحديقان في الفضاء بشكلٍ خالٍ من أي تعبير. الملاءة - وهي كل ما تحتاج إليه لكي تنام خلال الطقس الدافئ - مكوّرة حولها مثل شرنقة مجنونة.

جلّست لوسي بجانب أبرا ووضعت ذراعها حول كتفها. كان ذلك أشبه بمعاينة صخرة. هذا هو أسوأ جزء في المسألة، قبل أن تستفيق من سباتها. أن يوقظك صراخ إبنتك من نومك العميق أمر مُرعب، لكن عدم التجاوب أسوأ. بين سني الخامسة والسبعة، يكون الرعب الليلي أمراً شائعاً نوعاً ما، ولطالما خشيت لوسي أن ذهن الطفلة سينهار تحت الجهد عاجلاً أم آجلاً. ستستمر في التنفس، لكن عينيها لن تنفكاً أبداً عن العالم الذي تراه ولا يستطيعان رؤيته.

هذا لن يحصل، طمأنها دايفد، وأكد لها جون دالتون ذلك. الأولاد مرنون. إذا كانت لا تُظهر أي تأثيرات لاحقة - تقهقر، انعزال، سلوك وسواسي، سلس البول - فأنتما في السليم على الأرجح.

لكن ليس من السليم أن يوقظ الأولاد أنفسهم وهم يزحفون من الكوابيس. ليس من السليم أن تصدح أنغام جامحة من أوتار البيانو أحياناً من الطابق السفلي في عواقب ذلك، أو أن تُفّتح الحنفيات في الحمام في نهاية الرواق من تلقاء نفسها، أو أن تنفجر اللبنة التي فوق سرير أبرا أحياناً عندما تضغط هي أو دايفد مفتاح الضوء.

ثم جاء صديقها غير المرئي، وبدأت الفواصل الزمنية بين الكوابيس تطول. ثم توقفت في نهاية المطاف. حتى هذه الليلة. لكن الوقت لم يعد ليلاً، بالضبط؛ بإمكان لوسي رؤية أولى خيوط

الفجر الباهتة في الأفق الشرقي، والحمد لله على ذلك.

"أبرا؟ أنا ماما. كَلِّميني".

لم تَلَقَ أي ردّ لخمس أو عشر ثوانٍ. ثم استرخى التمثال الذي كانت لوسي تحيطه بذراعها، أخيراً، وعاد فتاةً صغيرةً من جديد. أخذت أبرا نفساً طويلاً مرتجفاً.

"حلمت أحد أحلامي المزعجة. مثل الأيام الخوالي".

"قدّرت ذلك يا عزيزتي".

بدا أن أبرا بالكاد تستطيع أن تتذكّر الكثير. يكون الحلم أحياناً عن أشخاص يصيحون على بعضهم البعض أو يتضاربون بقبضاتهم. أوقع الطاولة بعد مطاردتها، قد تقول. ويكون الحلم أحياناً أخرى عن دمىة راغدي أن عوراء تجلس على طريق عام. وذات مرة، عندما كانت أبرا في الرابعة من عمرها فقط، أخبرت أنها رأت أشخاصاً أشباحاً يركبون هيلين ريفنغتون، الذي كان معلماً سياحياً شعبياً في فرايجر. قام القطار بجولة من تينيتاون إلى كلاود غاب، ثم عاد أدراجه. استطعت رؤيتهم بسبب ضوء القمر، أخبرت أبرا والديها في ذلك الوقت. كان دايفد ولوسي يجلسان عن يمينها ويسارها، يحضنانها بذراعيهما. لا تزال لوسي تتذكّر الملمس الشديد الرطوبة لأعلى بيجامة أبرا، الذي كان مبللاً بالعرق. عرفت أنهم أشباح لأن وجوههم كانت مثل التفاح القديم واخترقهم ضوء القمر.

بعد ظهر اليوم التالي، كانت أبرا تركض وتلعب وتضحك مع أصدقائها كالمعتاد، لكن لوسي لم تنسَ الصورة أبدأ: أشخاص موتى يركبون ذلك القطار الصغير عبر الغابة، وجوههم مثل تفاح شفاف في ضوء القمر. سألت كونشيتا إن كانت قد أخذت أبرا على متن القطار خلال أحد "أيام الفتيات" الذي تقضيانهما معاً. قالت سَناً لا. لقد ذهبنا إلى تينيتاون، لكن القطار كان قيد الإصلاح في ذلك اليوم لذا رَكِبنا دَوّامة الخيل بدلاً منه.

الآن رفعت أبرا نظرها إلى أمها وقالت، "متى سيعود بابا؟".

"بعد الغد. قال إنه سيصل في الوقت المناسب للغداء".

"هذا ليس قريباً كفاية"، قالت أبرا. فرّت دمعة من عينها، تدرجت على خدها، وسقطت على أعلى بيجامتها.

"قريباً كفاية إلى ماذا؟ ماذا تتذكّرين يا أبا-دُو؟".

"كانوا يؤذون الفتى".

لم ترغب لوسي أن تلاحق هذا، لكنها شعرت أن عليها فعل ذلك. فقد كانت هناك ارتباطات كثيرة بين أحلام أبرا السابقة وبين الأشياء التي حصلت في الواقع. دايفد هو الذي لاحظ صورة راغدي أن العوراء في صحيفة صن الصادرة في كونواي الشمالية، تحت عنوان "مقتل ثلاثة أشخاص في انهيار أوسيبى". ولوسي هي التي بحثت عن تقارير الشرطة عن اعتقالات العنف المنزلي في الأيام التي تلت حلمين من أحلام أبرا عن أشخاص يصيحون ويضربون. حتى جون دالتون وافق أن أبرا ربما تلتقط إرسالات على ما سمّاه "الراديو الغريب في رأسها".

لذا قالت الآن، "أي فتى؟ هل يعيش قريباً من هنا؟ هل تعرفين؟".

هزّت أبرا رأسها. "يعيش بعيداً جداً. لا يمكنني أن أتذكر". ثم سطعت. السرعة التي تخرج بها من حالات الاضطراب تلك كانت بالنسبة للوسي موحشة مثل حالات الاضطراب نفسها. "الكنني أعتقد أنني أخبرت طوني. وهو قد يُخبر أباه".

طوني، صديقها غير المرئي. لم تذكره منذ سنتين، وأمّلت لوسي ألا يكون هذا نوعاً من الانتكاس. العاشرة سنّ كبير قليلاً ليكون للفتاة أصدقاء غير مرئيين.

"قد يكون والد طوني قادراً على إيقاف ذلك". ثم تجهم وجه أبرا. "الكنني أعتقد أن الأوان فات".

"لم يأت طوني لزيارتنا منذ مدة، أليس كذلك؟". نهضت لوسي ونفضت الملاء المزاحة. قهقهت أبرا عندما عامت على وجهها. أفضل صوت في العالم، بالنسبة للوسي. صوت عاقل. وسطعت الغرفة طوال الوقت. قريباً ستبدأ الطيور الأولى بالغناء.

"ماما، هذا يدغدغ!".

"الأمهات يحبين أن يدغدغن. هذا جزء من سحرهن. الآن، ماذا بشأن طوني؟".

"قال إنه سيأتي كلما احتجت إليه"، قالت أبرا وهي تستقرّ تحت الملاء. ربّنت على السرير بجانبها، وتمدّدت لوسي وشاركتها الوسادة. "كان ذلك الحلم مزعجاً واحتجت إليه. أعتقد أنه أتى، لكن لا يمكنني أن أتذكر حقاً. يعمل أبوه في مأوى العنزة".

هذا تعبيرٌ جديدٌ. "هل هو فندق للمشردين؟".

"لا يا ساذجة، إنه للأشخاص الذين سيموتون". بدت أبرا متساهلة، تأدبية تقريباً، لكن ارتعاشاً ملاً ظهر لوسي.

"يقول طوني إنه عندما يمرض الأشخاص كثيراً بحيث لا يمكنهم الشفاء، يذهبون إلى مأوى العنزة ويحاول أبوه جعلهم يشعرون بتحسن. لدى والد طوني قط اسمه يشبه إسمي. أنا أبرا والقط يدعى آزي. أليس هذا غريباً، لكن بطريقة مضحكة؟".

"نعم. غريب لكن مضحك".

قد يقول جون ودايفد، بناءً على تشابه الأسماء، إن الأمور عن القط هي تسامر فتاة صغيرة ذكية جداً في العاشرة من عمرها. لكنهما لن يصدقا ذلك كلياً، ولوسي بالكاد تصدقه. كم عدد الفتيات في العاشرة من أعمارهن اللواتي يعرفن ما هو مأوى العجزة، حتى ولو أخطأن في لفظ اسمه؟

"أخبريني عن الفتى الذي في حلمك". الآن وقد هدأت أبراً، بدت هذه المحادثة أمان.
"أخبريني من الذي كان يؤذيه يا أبا-دو".

"لا أتذكر، ما عدا أنني اعتقد أن بارني يُفترض أن يكون صديقه. أو ربما يدعى باري.
ماما، هل يمكنني الحصول على هوبي؟".

أرنبها المحشو، الذي يجلس الآن متدلي الأذنين في منفي على أعلى رف في غرفتها. لم تتم أبراً معه منذ سنتين على الأقل. أحضرت لوسي المنفي ووضعته بين ذراعي إبنتها. عانقت أبراً الأرنب عند كنزة بيجامتها الزهرية وغفت فوراً تقريباً. مع بعض الحظ، ستنام لساعة أخرى، ربما حتى لساعتين. جلست لوسي بجانبها، مُخفضة نظرها.

أتمنى أن يتوقف هذا لبضع سنوات أخرى، تماماً مثلما قال جون. والأفضل أن يتوقف اليوم، وهذا الصباح بالذات. كفى، رجاءً. لا مزيد من التفتيش في الصحف المحلية لرؤية إن قُتل فتى صغير على يد زوج أمه أو ضرب حتى الموت على يد متتمرين كانوا منتشين من الغراء أو من شيء آخر. لينتهي كل هذا.

"أتمنى"، قالت بصوتٍ منخفضٍ جداً، "من كل قلبي أن يتحطم الراديو في رأس فتاتي الصغيرة".

2

عندما عاد أعضاء العقدة الحقيقية أدراجهم غرباً على الطريق I-80، متوجهين نحو البلدة في أعالي كولورادو حيث سيمضون الصيف (دائماً بافتراض أنه لم تسنح لهم فرصة لتجميع بعض البخار الكبير القريب)، كان كُرو دادي يجلس على المقعد بجوار السائق في إيرثكروز روز، وجيمي الأرقام، المحاسب الممتاز للعقدة الحقيقية، يقود مركبة كُرو الأفينيتي كاونتري في الوقت الحاضر. تم توليف راديو الأقمار الاصطناعية في عربة روز عند محطة أغاني الريف وتذيع حالياً أغنية هانك جونيور "أعزم على الثمالة وأسعى إلى الهلاك". كان لحناً جيداً، وتركه كُرو ينتهي بالكامل قبل أن يُطفئ جهاز الراديو.

"قلتِ إننا سنتكلم لاحقاً. الآن هو لاحقاً. ماذا حصل هناك؟".

"كان لدينا متفرج"، قالت روز.

"حقاً؟"، قال كُرو رافعاً حاجبِي عينيه. كان قد أخذ كمية من بخار فتى تريفور مثلهم جميعاً، لكنه لم يبدُ أصغر سناً. نادراً ما يفعل ذلك بعد الطعام. من جهة أخرى، نادراً ما بدا أكبر سناً بين وجبات الطعام، إلا إذا كان الانقطاع طويلاً جداً. اعتقدت روز أنها مقايضة جيدة. ربما شيءٌ في جيناته. بافتراض أنه لا تزال لديهم جينات. قال نَت إن لديهم جينات بكل تأكيد. "تقصدون بخاراً؟".

أومات برأسها. انبسط الطريق I-80 أمامهم تحت سماء زرقاء باهتة منقطة بسُحب ركامية منجرفة.

"بخار كبير؟".

"آه أجل. ضخّم".

"كم يبعدُ عنا؟".

"الساحل الشرقي. أعتقد".

"إنك تقولين إن شخصاً نظرَ إلينا من هناك، على بُعد ألفين وخمسمئة كيلومتر تقريباً؟".

"يمكن أن تكون المسافة أطول حتى. ربما كان في كندا".

"فتى أو فتاة؟".

"على الأرجح فتاة، لكن ذلك حصل لبرهة قصيرة. ثلاث ثوانٍ كحد أقصى. هل هذا مهم؟"

لم يكن مهماً. "كم علية يمكنك أن تملأي من ولدٍ لديه تلك الكمية من البخار في المرَجَل؟".

"من الصعب القول. ثلاثة على الأقل". روز هي التي كانت تقَدِّم تقديراً منخفضاً هذه المرة. فهي تعتقد أن المتفرِّج المجهول قد يملأ عشر علب، وربما حتى اثنتي عشرة علية. كان حضور المتفرِّج وجيزاً لكن قوياً. وقد رأى ماذا كانوا يفعلون، ورعياها (إن كانت فتاةً) كان قوياً كفاية لتجميد يدي روز وجعلها تشعر ببغض سريع جداً. لم يكن شعورها هي، بالطبع - فنزع أحشاء شخصٍ دنيوي ليس كريهاً أكثر من نزع أحشاء غزالٍ - بل نوعاً من الارتداد النفسي.

"ربما علينا أن نستدير"، قال كُرو. "نحصل عليها بينما الحصاد جيد".

"لا. أعتقد أنها لا تزال تزداد قوةً. سندعها تنضج قليلاً".

"هل هذا شيء تعرفينه أم مجرد حدس؟".

هزَّت روز يدها في الهواء.

"حدس قوي كفاية للمخاطرة بتركها تموت على يد سائق متهور أو يستولي عليها منحرف يعتدي على الأطفال؟"، قال كُرو هذا من دون سخرية. "أو ماذا بشأن سرطان الدم، أو سرطان من نوع آخر؟ تعرفين كم أنهم سريعو التأثر بهكذا أمور".

"إذا سألت جيمي الأرقام، سيقول إن جداول تخمين المخاطر في صالحنا". ابتسمت روز وربّنت بحنان على فخذة. "أنت تقلق كثيراً جداً يا دادي. سنُكمل طريقنا إلى سايدوندر، مثلما خطّطنا له، ثم نتوجّه إلى فلوريدا بعد شهرين. يعتقد باري والجّد فليك أن هذه السنة قد تشهد الكثير من الأعاصير".

قطّب كُرو وجهه. "هذا يشبه الأكل من مكّبات القمامة".

"ربما، لكن البقايا في بعض تلك المكّبات لذيذة المذاق جداً. ومغذية. لا أزال ألوم نفسي على تفويت ذلك الإعصار في جوبلن. لكننا بالطبع نحصل على تحذير أقل بشأن العواصف المفاجئة مثلها".

"هذه الطفلة. رأتنا".

"نعم".

"وماذا كنا نفعل".

"إلى أين تريد أن تصل في كلامك يا كُرو؟".

"هل يمكنها المساس بنا؟".

"حبيبي، إن كانت أكبر من الحادية عشرة، سأكل قبعتي". ربّنت روز عليها للتشديد. "والداها لا يعرفان على الأرجح ما هي أو ماذا يمكنها أن تفعل. وحتى لو كانا يعرفان، الأرجح أنهما يبسطان الأمر كثيراً في ذهنيهما لكي لا يضطرا إلى التفكير فيه كثيراً".

"أو سيرسلونها إلى طبيب نفسي سيريد إعطاءها حبوباً"، قال كُرو. "وذلك سيكتمها ويصعب علينا إيجادها".

ابتسمت روز. "إذا كنتُ محقّة، وأنا متأكدة أنني محقّة، فإن إعطاء هذه الطفلة حبوب باكسيل سيشبه لَقّ غلاف بلاستيكي رقيق حول نور كشّاف. سنجدها عندما يحين الوقت. لا تقلق".

"القرار قرارك. أنتِ الزعيمة".

"هذا صحيح يا عزيزي". هذه المرة بدلاً من التريبت على فخذة، ضغطت على سلتة. "أوماها هذه الليلة؟".

"نزل لاكوينتا. لقد حجزتُ كامل الجهة الخلفية للطابق الأول".

"جيد. أنوي أن أركبك مثل أفعوانية".

"سنرى من يركب الآخر"، قال كُرو. فتى تريفور جعله يشعر أنه لعوب. وهكذا شعرت روز. هكذا شعر الجميع. شغل الراديو مرة أخرى. كانت تُذاع أغنية فرقة كروس كاناديان راغويد عن فتیان من أوكلاهوما لقوا سجانر الحشيشة بشكل خاطئ.

تابعت العقدة الحقيقية طريقها غرباً.

3

هناك رعاة سهلين ورعاة صعبيين لمنظمة مدمني الشراب المجهولين، وهناك رعاة أمثال كايسي كينغسلي لا يتقبلون أي خطأ من أتباعهم. في بداية علاقتهما، أمر كايسي دان أن يحضر تسعين اجتماعاً متتالياً، وأمره أن يهاتفه عند الساعة كل صباح. عندما أكمل دان اجتماعاته المتتالية التسعين، سُمح له عدم الاتصال صباحاً. ثم راحا يلتقيان ثلاث مرات في الأسبوع لتناول القهوة في مقهى صنسبوت كافييه.

كان كايسي يجلس في كشك عندما دخل دان بعد ظهر أحد أيام يوليو 2011، ورغم أن كايسي لم يبلغ سنّ التقاعد بعد، إلا أن راعي دان في منظمة مدمني الشراب المجهولين (وأول صاحب عمل له في نيو هامبشاير) بدا له عجوزاً جداً. معظم شعره سقط، ويسير بمشية عرجاء واضحة. يحتاج إلى استبدال وركه، لكنه بقي يؤجل العملية.

ألقى دان التحية، جلس، طوى يديه، وانتظر ما كان كايسي يسميه الوعظة.

"لست ثملاً اليوم يا دانو، أليس كذلك؟".

"صحيح".

"كيف حصلت أعجوبة ضبط النفس هذه؟".

راح يسمّع الدرس، "بفضل معونة السماوات وبرنامج مدمني الشراب المجهولين. كما أن الشخص الذي رعاني لعب دوراً صغيراً".

"مديح جميل، لكن لا تتملقني ولن أتملقك".

اقتربت پاتي نؤيس حاملةً إبريق القهوة وصبت كوباً لدان، دون أن يطلب منها ذلك. "كيف حالك أيها الوسيم؟".

ابتسم لها دان. "بخير".

نفشت له شعره، ثم توجّهت عائدةً إلى المنضدة، مع بعض التأرجح الإضافي في خطواتها. تبع الرجال التكتكة العذبة لوركيها، على عادة الرجال، ثم عاد كايسي يحدّق بدان.

"هل حققت أي تقدّم مع معونة السماوات تلك؟".

"ليس الكثير"، قال دان. "لديّ شعور أنه أمر قد يستغرق العمر كله".

"لكن هل طلبت مساعدةً في البقاء بعيداً عن الشراب هذا الصباح؟".

"نعم".

"على رُكبتك؟".

"نعم".

"وشكرت في الليل؟".

"نعم، وعلى رُكبتيّ".

"لماذا؟".

"لأنه عليّ أن أتذكّر أن الشراب وضعني هناك"، قال دان. كانت هذه هي الحقيقة المطلقة.

أوماً كايسي برأسه. "هذه هي الخطوات الثلاثة الأولى. أخبرني الآن لماذا كنت تشرب".

"لأنني مدمن شراب".

"ليس لأن أمك لم تحبّك؟".

"لا". كانت هناك عيوب في ويندي، لكن حبّها له - وحبّه لها - لم يكن أحد تلك العيوب أبداً.

"لأن أباك لم يحبّك؟".

"لا". رغم أنه كسر لي ذراعاً ذات مرة، وفي النهاية كاد يقتلني.

"لأنه وراثي؟".

"لا". رشّف دان قهوته. "لكنه وراثي. أنت تعرف ذلك، صح؟".

"بالتأكيد. وأعرف أيضاً أن هذا لا يهمّ. نحن نشرب لأننا مدمنو شراب. لا نتحسّن أبداً.

نحصل على إمهال يومي بناءً على حالتنا الروحية، فقط لا غير".

"نعم أيها الزعيم. هل انتهينا من هذا الجزء؟".

"تقريباً. هل فكّرت بتناول كوب شراب اليوم؟".

"لا. وأنت؟".

"لا". ابتسم كايسي ابتسامة ملأت وجهه بالنور وجعلته يافعاً مرة أخرى. "إنها أعجوبة. ألا توافقني أنها أعجوبة يا داني؟".

"نعم".

عادت پاتي حاملةً طبقاً كبيراً من البودينغ بالفانيليا - عليه حبّتا كرز وليس كرزة واحدة - ووضعتّه أمام دان. "كُل هذا. على حساب المنزل. أنت نحيل جداً".

"ماذا عني يا عزيزتي؟"، سأل كايسي.

نخرت پاتي. "أنت حسان. سأحضر لك عود صنوبر عائم، إذا كنتَ تريد. هذا يعني كوب ماء فيه عود تخليل". بعد أن كانت لها الكلمة الأخيرة، ابتعدت تترنّج.

"ألا تزال تتودّد لها؟"، سأل كايسي عندما بدأ دان يأكل البودينغ.

"فاتن"، قال دان. "حساس جداً ومن العصر الجديد".

"شكراً. ألا تزال تتودّد لها؟".

"كان بيننا شيء دام حوالي أربعة أشهر، وهذا حصل منذ ثلاث سنوات يا كايس. پاتي مخطوبة لفتى لطيف جداً من غرافتون".

"غرافتون"، قال كايسي باستخفاف. "مناظر جميلة، بلدة مقرفة. لا تتصرّف أنها مخطوبة عندما تكون أنت هنا".

"كايسي -"

"لا، لا تُسئ فهمي. لا أنصح أبداً أياً من عسافيري أن يُقحم أنفه - أو عضوه - في علاقة جارية. هذه تركيبة مرعبة لشراب. لكن... هل تواعد أحداً؟".

"هل يهّمك هذا؟".

"يصدف أنه يهّمني".

"ليس حالياً. كانت هناك ممرضة من منزل ريفنغتون - أخبرتك عنها..."

"سارة شيء".

"أولسون. تكلمنا قليلاً عن العيش معاً، ثم تلقت عرض عمل رائعاً من مستشفى ماساتشوستس العام. نتراسل بالبريد الإلكتروني أحياناً".

"لا علاقات خلال السنة الأولى، هذه قاعدة مبنية على التجربة"، قال كايسي. "لا يتقيد بها سوى قلة فقط من مدمني الشراب الذين يتعافون. أنت تقيدت بها. لكن يا دانو... حان الوقت لكي تكون لديك علاقة منتظمة مع إحداهن".

"يا للهول، لقد تحوّل راعيّ إلى الدكتور فيل فجأة"، قال دان.

"هل حياتك أفضل؟ أفضل مما كانت عندما نزلت هنا من الحافلة برجلين مترهلتين وعينين نازفتين؟".

"أنت تعرف أنها أفضل. أفضل مما كان يمكنني أن أتخيل".

"فكر إذاً بمشاركتها مع أحد. هذا كل ما أقوله".

"سأدوّن ملاحظة بذلك. هل يمكننا أن نناقش أشياء أخرى الآن؟ فريق الريد سوكس، ربما؟".

"أحتاج إلى أن أسألك شيئاً آخر أولاً بصفتي راعيك. ثم يمكننا أن نعود أصدقاء من جديد، نشرب القهوة معاً".

"موافق..."، نظر إليه دان بحذر.

"لم نتكلم أبداً عما تفعله في مأوى العجزة. كيف أنك تساعد الأشخاص هناك".

"لا"، قال دان، "وأفضل أن تُبقي الأمور هكذا. أنت تعرف ماذا يقولون في نهاية كل اجتماع، صح؟ 'ما رأيته هنا، ما سمعته هنا، عندما تخرج من هنا، أبقه هنا'. هذا هو أسلوبنا بشأن الجزء الآخر من حياتي".

"كم عدد أجزاء حياتك التي تأثرت بالشراب؟".

تنهّد دان. "أنت تعرف الجواب مسبقاً. كلها".

"إذاً؟". وعندما لم يقل دان شيئاً: "يسميك موظفو ريفنغتون طبيب النوم. الأخبار تنتشر يا دانو".

لزم دان الصمت. بقي بعض البودينغ، وستمازحه پاتي بشأن ذلك إذا لم يأكل الطبق كله، لكن شهيته انطفأت. افترض أنه كان يعلم أن هذه المحادثة آتية لا محالة، كما كان يعلم أنه بعد عشر

سنوات من دون أن يتناول أي شراب (ومع وجود عصفور أو عصفورين ليراقبهما بنفسه هذه الأيام)، سيحترم كايسي حدوده، لكنه لا يزال لا يريد إجراءها.

"تساعد الناس على الموت. ليس بوضع وسادات فوق وجوههم، أو أي شيء من هذا القبيل، لا أحد يعتقد ذلك، لكن فقط عبر... لا أعرف. يبدو أن لا أحد يعرف".

"أجلس معهم، هذا كل شيء. أتكلّم معهم قليلاً. إذا كان هذا ما يريدونه".

"هل تعمل وفق خطوات محدّدة يا دانو؟".

لو ظنّ دان أن هذه مناورة تحادثيّة جديدة لكان رحّب بها، لكنه يعرف أنها ليست مناورة. "أنتَ تعرف أنني أفعل ذلك. أنت راعي".

"أجل، تطلب المساعدة في الصباح وتشكر في الليل. تفعل ذلك على رُكبتيك. لذا هذه الخطوات الثلاثة الأولى. الرابعة هي كل ذلك الهراء الأخلاقي. ماذا عن الخطوة الخامسة؟".

هناك اثنتا عشرة خطوة بالإجمال. بعد سماعها تُقرأ بصوت عالٍ في بداية كل اجتماع حضّره، حفظها دان عن ظهر قلب. "نعترف أمام السماوات وأنفسنا وشخص آخر بالطبيعة الدقيقة لأخطائنا".

"أجل". رَفَع كايسي كوب قهوته، أخذ رشفةً، ونظر إلى دان من فوق الحافة. "هل فعلت هذه الخطوة؟".

"معظمها". وجَد دان نفسه يتمنى لو كان في مكان آخر. في أي مكان آخر تقريباً. كما وجَد نفسه يتمنى - لأول مرة منذ مدة طويلة - أن يتناول كوب شراب.

"دعني أتكهّن. لقد أخبرت نفسك كل أخطائك، وأخبرت السماوات كل أخطائك، وأخبرت شخصاً آخر - أنا - معظم أخطائك. هل أصبْتُ في تكهّني؟".

لم يقل دان شيئاً.

"إليك ما أعتقد"، قال كايسي، "ويمكنك أن تصحّح لي إن كنتُ مخطئاً. الخطوتان الثامنة والتاسعة تتكلّمان عن تنظيف الحُطام الذي خلفناه عندما كنا ثمّلين على مدار الساعة تقريباً. أظن أن جزءاً من عملك في مأوى العجزة، الجزء المهم منه، يتمحور حول تنفيذك تلك الإصلاحات. وأعتقد أن هناك خطأ واحداً لا يمكنك أن تتجاوزَه لأنك خجلٌ جداً لكي تتكلّم عنه. إذا كان الحال هكذا، لن تكون الأول، صديقي".

فكّر دان في سرّه: ماما.

فكّر دان في سرّه: حنوى.

رأى المحفظة الحمراء ورزمة الطوابع الغذائية المثيرة للشفقة. كما رأى بعض المال. الدولارات السبعون، التي تكفي للثمالة لأربعة أيام. خمسة إذا قسّمها بعناية وأبقى الطعام عند الحد الغذائي الأدنى. رأى المال في يده أولاً ثم رآه يدخل جيبيه. رأى الولد في قميص البرايقر وحفاض الطفل المرتخي.

فكّر في سرّه: *إسم الولد تومي.*

فكّر في سرّه، ليس للمرة الأولى أو الأخيرة: *لن أتكلّم عن هذا أبداً.*

"دانو؟ هل هناك شيء تريد إخباري به؟ أعتقد أن لديك شيئاً. لا أعرف منذ متى تحمل هذا العبء على كتفك، لكن يمكنك تركه معي وتخرج من هنا أخفّ بمئة كيلوغرام. هكذا تتم الأمور".

فكّر كيف حَبَّ الولد إلى أمه

(دينه *إسمها دينيه*)

وكيف، حتى غارقةً عميقاً في نومها الثمل، وَضَعَتْ ذراعها حوله واحتضنته. كانا وجهاً لوجه في شمس الصباح المتسلّلة عبر النافذة القذرة لغرفة النوم.

"لا يوجد شيء"، قال.

"انس الأمر يا دان. إنني أقول لك هذا بصفتي صديقك وراعيك".

بقي دان يحدّق في الرجل الآخر ولم يقل شيئاً.

تنهّد كايسي. "كم اجتماعاً حضرته قال فيه أحدهم إنك تكون مريضاً فقط بقدر ما تكون أسرارك مريضة؟ مئة؟ على الأرجح ألف. من بين كل نُكات منظمة مدمني الشراب المجهولين، هذه أقدم نكته".

لم يقل دان شيئاً.

"الكل واحد منا قعرٌ"، قال كايسي. "ستضطر يوماً ما إلى إخبار أحدهم عن قعرك. إذا لم تفعل ذلك، فستجد نفسك في لحظة من اللحظات في مقصف وبيدك كوب شراب".

"وصلت الرسالة"، قال دان. "هل يمكننا أن نتكلّم الآن عن ريد سوكس؟".

نظرَ كايسي إلى ساعته. "في وقت آخر. عليّ أن أعود إلى المنزل".

صح، فكّر دان في سرّه. *إلى كلبك وسمكتك الذهبية.*

"حسناً". أمسك الفاتورة قبل أن يستطيع كايسي إمساكها. "في وقت آخر".

عندما عاد دان إلى غرفة برجه، بقي ينظر إلى سبّورته لفترة طويلة قبل أن يمحو ببطء ما كُتب هناك:

إنهم يقتلون فتى البيسبول!

عندما عادت السبّورة فارغة من جديد، سأل، "مَن يكون فتى البيسبول هذا؟".

لا جواب.

"أبرا؟ هل لا تزالين هنا؟".

لا. لكنها كانت هناك؛ لو عاد من اجتماعه غير المريح مع كايسي قبل عشر دقائق، لكان رأى شكلها الشبكيّ. لكن هل أنت من أجله؟ لا يعتقد دان ذلك. رغم أن هذا جنونٌ لا يمكن إنكاره، إلا أنه يعتقد أنها ربما أنت من أجل طوني. الذي كان صديقه غير المرئي، في يوم من الأيام. الصديق الذي أحضّر له الرؤى أحياناً. الصديق الذي حدّره أحياناً. الصديق الذي تبين أنه نسخة أعمق وأكثر حكمة من نفسه.

بالنسبة للفتى الصغير الخائف الذي يحاول الصمود في فندق الأوفلوك، كان طوني أحياناً أكبر حامياً. السخرية الآن هي أنه بوجود الشراب خلفه، أصبح دانيال أنطوني تورانس راشداً أصلياً وطوني لا يزال ولداً. وربما حتى الولد الداخلي الأسطوري الذي يتحدّث عنه معلّمو العصر الجدد دائماً. شعّر دان بيقين أن مسألة الولد الداخلي استحضرت لتبرير الكثير من السلوك الأناني والهدّام (ما يحبّ كايسي تسميته متلازمة عليّ-أن-أحصل-عليه-الآن)، لكن لم يكن لديه شكّ أيضاً أن الرجال والنساء الناضجين يحتفظون بكل مراحل تطوّرهم في مكان ما في أدمغتهم - ليس فقط الولد الداخلي، بل الرضيع الداخلي، المراهق الداخلي، والشابّ الداخلي. وإذا كانت أبراً الغامضة قد أتت إليه، أليس طبيعياً منها أن تصطاد أبعد من ذهنه الراشد، بحثاً عن شخص من عمرها؟

عن رفيق لعب؟

عن حام، حتى؟

إذا كان الأمر كذلك، فإن هذا عملٌ أذاه طوني من قبل. لكن هل تحتاج أبراً إلى حماية؟ بالطبع هناك كزّب

(إنهم يقتلون فتى البيسبول)

في رسالتها، لكن الكزّب يتماشى طبيعياً مع البريق، حسبما عرّف دان منذ زمن طويل. لا يتوجب أن يعرف الأولاد ويرون الكثير. يمكنه أن يقصدها، وربما يحاول اكتشاف المزيد، لكن ماذا

سيقول لوالديها؟ مرحباً، أنتما لا تعرفانني، لكنني أعرف إبتنكما، فهي تزور غرفتي أحياناً وقد أصبحنا أصدقاء مقربين جداً؟

لم يعتقد دان أنهما سيحضران مأمور المقاطعة له، لكنه لن يلومهما إن فعلا ذلك، وبناءً على ماضيه مع السجون، لم يشعر برغبة قوية باكتشاف ذلك. من الأفضل ترك طوني يكون صديقها البعيد المسافة، إن كان ذلك ما يجري حقاً. قد يكون طوني غير مرئي، لكنه على الأقل مناسب من ناحية العمر تقريباً.

يمكنه إعادة تدوين الأسماء وأرقام الغرف على سبّورته لاحقاً. أما في الوقت الحاضر فقد أمسك قطعة الطباشير عن حافة السبّورة وكتب: **طوني وأنا نتمنى لك يوماً صيفياً سعيداً يا أبراً! صديقك الآخر، دان.**

درّس هذا للحظة، أوماً برأسه، وذهب إلى النافذة. بعد ظهر جميل في أواخر الصيف، ولا يزال يوم إجازته. قرّر أن يذهب في نزهة ويحاول إخراج المحادثة المقلقة مع كايبي من عقله. نعم، افتراض أن شقة دينيه في ويلمنغتون هي قعره، لكن إن كان عدم إخبار أي شخص بما حصل هناك لم يمنعه من تكديس عشر سنوات من عدم الثمالة، لم ير لماذا عدم إخبار أي شخص بما حصل يجب أن يمنعه من تكديس عشر سنوات أخرى. أو عشرين. ولماذا يفكر بالسنوات على أي حال، في حين أن شعار منظمة مدمني الشراب المجهولين هو يوم واحد تلو الآخر؟

ما حصل في ويلمنغتون حصل منذ زمن بعيد. وقد انتهى من ذلك الجزء من حياته.

أفقل غرفته عندما خرج، مثلما يفعل دائماً، لكن قفلاً لن يُبقي أبراً الغامضة خارجاً إذا أرادت زيارته. عندما يعود، قد تكون هناك رسالة أخرى منها على السبّورة.

ربما يمكننا أن نصبح أصدقاء بالمراسلة.

بالتأكيد، وربما عُصبة سرية من عارضات أزياء فيكتوريا سيكرت سيفضحن سر اندماج الهيدروجين.

خرج دان، مبتسماً.

5

كانت مكتبة أنيستون العامة تُقيم معرضها الصيفي السنوي للتخفيضات على الكتب، وعندما طلبت أبراً أن تذهب إلى هناك، ابتهجت لوسي من تأجيلها أعمالها لبعده الظهر ومن السير إلى الشارع الرئيسي مع إبتنتها. كان قد تم تجهيز طاولات على المرّجة عليها مختلف الكتب التي تم التبرّع بها، وبينما استعرضت لوسي طاولة الكتب الورقية الغلاف (\$1 للكتاب الواحد، 6 كتب بـ \$5، من اختيارك) بحثاً عن كتب جودي بيكو التي لم تقرأها، راحت أبراً تتفحص محتويات

الطاولات الموسومة "للشباب". كانت لا تزال بعيدة جداً عن كتب الراشدين حتى ذات الفئات الصغيرة، لكنها قارئة نَهمة (ومُبكرة النضج) لديها حب خاص لروايات الخيال والخيال العلمي. قميصها التائي المفضّل مطبوعة على جهته الأمامية صورة آلة معقّدة ضخمة فوق التصريح "روايات الآلات البخارية هي الأفضل".

بينما كانت لوسي تقرّر أن عليها الاكتفاء بأحد كتب دين كُونتز القديمة وأحد كتب ليزا غاردنر الأحدث قليلاً، أتت أبراً تركض نحوها. كانت تبتسم. "ماما! ماما! إسمه دان!".

"مَن إسمه دان يا حبيبيتي؟".

"والد طوني! تمنى لي يوماً صيفياً سعيداً!".

راحت لوسي تنظر حولها، متوقّعة أن ترى رجلاً غريباً معه فتى من عمر أبراً. كان هناك الكثير من الغرباء - إنه الصيف، في النهاية - لكنها لم تر شخصين يترافقان معاً.

رأت أبراً ما الذي كانت تفعله وقهقهت. "آه، إنه ليس هنا".

"أين هو إذًا؟".

"لا أعرف بالضبط. لكنه قريب".

"حسناً... أظن أن هذا جيد يا حبيبيتي".

لم تتمكّن لوسي إلا من نفش شعر إبنتها قبل أن تركض أبراً عائدةً لتجدّد صيدها لكتب خبراء الصواريخ، والمسافرين عبر الزمن، والمشعوذين. وقّفت لوسي تراقبها، وخياراتها المنسية مندليّة من يدها. هل أخبر دايفد عن هذا عندما يتصل من بوسطن أم لا؟ قرّرت عدم إخباره.

الراديو الغريب، هذا كل ما في الأمر.

من الأفضل تجاهل المسألة.

6

قرّر دان زيارة مقهى جافا اكسبرس وشراء كوبَي قهوة، ويأخذ واحداً إلى بيبي فريمان في تينيتاون. رغم أن وظيفة دان في بلدية فرايجر كانت قصيرة جداً، إلا أن الرجلين بقيا أصدقاء خلال السنوات العشرة الماضية. وأحد أسباب ذلك هو وجود كايسي قاسماً مشتركاً بينهما - مدير بيبي، راعي دان - لكن السبب الأغلب هو الكيمياء ببساطة. كان دان يستمتع بشخصية بيبي الخالية من الهراء.

كما يستمتع بقيادة هيلين ريفنغتون. على الأرجح ذلك الولد الداخلي من جديد؛ كان متأكداً أن هذا ما سيقوله أي طبيب نفسي. كان ببلي مستعداً عادة ليسلمه المقود، وغالباً ما يفعل ذلك بارتياح خلال فصل الصيف. بين الرابع من يوليو ويوم العمال، قام الريف برحلة الكيلومترات الستة عشرة ذهاباً إلى كلاود غاب وإياباً منها عشر مرات في اليوم، ولم يكن ببلي يصغر في السن.

بينما اجتاز المرّجة إلى جادة كرانمور، لمحّ دان فرد كارلينغ جالساً على مقعد ظليل في الممشى قرب ريفنغتون اثنيين. الممرض الذي ترك ذات يوم آثار أصابعه على العجوز تشارلي هايز المسكين لا يزال يعمل في النوبات الليلية، وكان كسولاً ومعكراً المزاج كعادته، لكنه تعلم على الأقل أن يدع طبيب النوم وشأنه. وهذا ممتاز بالنسبة لدان.

كان كارلينغ، الذي ستبدأ نوبته قريباً، يضع كيس ماكدونالد ملطّخاً بالدهون على حُضنه ويمضغ بيغ ماك. التقت عينا الرجلين للحظة. لم يلق أحدهما التحية على الآخر. دان يعتبر فرد كارلينغ وغداً كسولاً ذا نزعة سادية وكارلينغ يعتبر دان متطّفاً منافقاً، لذا التوازن قائم بينهما. طالما أن كل واحد منهما يدع الآخر وشأنه، ستكون الأمور بخير.

أحضّر دان كوبَي القهوة (كوب ببلي بأربع قطع سكر)، ثم اجتاز إلى المشاعات، التي كانت مزدحمة في الضوء الذهبي للمساء الباكر. صحنون فريسي تحلق في كل مكان. آباء وأمّهات يدفعون أطفالاً صغاراً على الأراجيح أو يلتقطونهم عند وقوعهم عن الزلاّقات. وهناك مباراة جارية على ملعب بيسبول، أولاد من YMCA فرايجر ضد فريق مطبوع على قمصانه البرتقالية "متوسطة أنيستون". لمحّ ببلي في محطة القطارات، واقفاً على كرسي بلا ظهر ولا ذراعين يصقل كروم الريف. بدا كل شيء جيداً. شعّر أنه في منزله.

إذا لم يكن، فكّر دان في سرّه، فإنه أقرب شيء للمنزل يمكن أن أحصل عليه. كل ما أحتاج إليه الآن هو زوجة تدعى سالي، وولد يدعى بيت، وكلب يدعى روفر.

تنزّه صعوداً على نسخة تينيتاون لجادة كرانمور متوجهاً نحو ظل محطة تينيتاون. "مرحباً يا ببلي، أحضرت لك بعض السكر المنكّه بالقهوة الذي تحبّه".

عند سماعه صوته، استدار أول شخص وجّه كلاماً ودوداً إلى دان في بلدة فرايجر. "أه، إنه صديقنا الطيب القلب. كنتُ أفكّر للتو أنني لا أمانع من - أه تباً، ها هو يحصل".

سقطت الصينية الكرتونية من يدي داني. شعّر بالدفء عندما طرطشت القهوة الساخنة حذاءه الرياضي، لكن هذا بدا غير مهم أبداً.

كان هناك ذباب يزحف على وجه ببلي فريمان.

لم يرغب ببيلي الذهاب لرؤية كايسي كينغسلي في الصباح التالي، لم يرغب أخذ اليوم إجازة، ولم يرغب بالطبع زيارة أي طبيب. بقي يقول لدان إنه بخير، إنه سليم صحياً، إنه بحالة ممتازة. حتى إنه لم يُصنّب بنزلة برد الصيف التي تصيبه عادة في يونيو أو يوليو.

لكن الأرق كان قد أصاب دان معظم الليلة السابقة، ولن يقبل جواباً سلبياً. كان ليقبل ذلك لو أنه اقتنع أن الأوان قد فات، لكنه لم يعتقد ذلك. فقد رأى الذباب من قبل، وتعلّم استخلاص معناه. حشداً من الذباب - ما يكفي لحجب ملامح الشخص خلف حجاب بغيض من الأبدان المتدافعة - وستعرف أنه لا يوجد أمل. حوالي دزينة منه تعني أنه يمكن فعل شيء. قلّة فقط تعني أن هناك وقتاً. كان عدد الذباب على وجه ببيلي ثلاثة أو أربعة فقط.

لم ير أي ذباب أبداً على وجوه المرضى في أواخر لحظاتهم في مأوى العجزة.

تذكّر دان زيارته أمه قبل تسعة أشهر من وفاتها، في يوم ادّعت فيه أيضاً أنها بخير، أنها سليمة صحياً، أنها بحالة ممتازة. إلى ماذا تنظر يا داني؟ سألت ويندي تورانس. هل هناك لطفة عليّ؟ مسحت طرف أنفها بطريقة هزلية، وقد مرّت أصابعها بين مئآت ذباب الموت الذي كان يغطيها من ذقنها إلى خط شعرها، مثل بُرْفَع جنين.

8

كايسي معتاداً على التوسّط، ومولّع بالتهكّم. يحبّ أن يقول للناس لماذا يجني ذلك الراتب السنوي الهائل المؤلف من ستة أرقام.

استمع إلى دان أولاً. ثم استمع إلى احتجاجات ببيلي عن كيف أنه لا محالة أن يغادر، ليس في عزّ فصل السنة والزوّار مصطّفون من قبل لركوب الريف في جولة الثامنة صباحاً. كما أن أي طبيب لن يكشف عليه بهذا مهلة قصيرة. إنه عزّ الموسم للأطباء أيضاً.

"متى خضعت لفحص طبي عام آخر مرة؟"، سأل كايسي حالما انتهى ببيلي من الكلام. كان دان وببيلي يقفان أمام مكتب كايسي، الذي كان قد أرجع كرسيه إلى الخلف، مُسنداً رأسه على مكانه المعتاد على الجدار، وشابكاً أصابعه على بطنه.

بدا ببيلي دفاعياً. "أظن في العام 2006. لكنني كنتُ بخير وقتها يا كايس. قال الطبيب إن ضغط دمي أقل بعشر نقاط من ضغط دمه".

انتقلت عينا كايسي إلى دان. كانتا مليئتين بالتخمين والحشوية لكن ليس الإنكار. يُبقي أغلب أعضاء منظمة مدمني الشراب المجهولين شفاهم مُطبقة خلال مختلف تفاعلاتهم مع العالم الخارجي، لكنهم يتكلمون - وأحياناً يثرثرون - بحرية كبيرة داخل المجموعات. لذا عزّف كايسي أن

موهبة دان تورانس في مساعدة المرضى في أواخر لحظاتهم لم تكن موهبته الوحيدة. وفقاً للإشاعة، يملك دان ت. بصيرة مفيدة من وقت لآخر. من النوع الذي لا يمكن شرحه بشكل دقيق.

"أنت صديق قوي لجوني دالتون، أليس كذلك؟"، سأل دان الآن. "طبيب الأطفال؟"

"نعم. أراه معظم ليالي الخميس، في كونواي الشمالية".

"هل لديك رقمه؟"

"في الواقع، أجل". لدى دان لائحة كاملة بأرقام أعضاء منظمة مدمني الشراب المجهولين على الجهة الخلفية للمفكرة الصغيرة التي أعطاها إياها كايسي، والتي لا يزال يحملها معه.

"اتصل به. أخبره أنه من المهم أن يرى هذا الشقي شخصاً فوراً. لا أظن أنك تعرف اختصاص الطبيب الذي يحتاج إليه، أليس كذلك؟ بالتأكيد ليس طبيب أطفال في سنّه".

"كايسي -"، بدأ بيلي يقول.

"اسكت"، قال كايسي، وأعاد انتباهه إلى دان. "بالله عليك، أعتقد أنك تعرف. هل هو شيء في رئتيه؟ هذا يبدو السبب الأكثر احتمالاً، بناءً على الطريقة التي يدخّن بها".

قرّر دان أنه قطع مسافةً طويلةً لكي يتراجع الآن. فتنهّد وقال، "لا، أعتقد أنه شيء في أمعائه".

"ما عدا عسر هضم طفيف، أمعائي -"

"قلتُ اسكت". ثم عائداً إلى دان: "طبيب أمعاء إذاً. أخبر جوني د. أن الأمر مهم". صمت قليلاً. "هل سيصدقك؟"

هذا كان سؤالاً يسرّ دان سماعه. فقد ساعد العديد من أعضاء منظمة مدمني الشراب المجهولين خلال إقامته في نيو هامبشاير، ورغم أنه طلب منهم جميعاً عدم التكلّم عما فعله لهم، إلا أنه عرّف جيداً أن بعضهم تكلم، ولا يزال يتكلم. وكان سعيداً عند معرفة أن جون دالتون لم يكن أحدهم.

"أعتقد ذلك".

"حسناً". أشار كايسي نحو بيلي. "أنت في إجازة اليوم، دون حسم ذلك من راتبك. إجازة مرّضية".

"الريف -"

"هناك عشرة أشخاص في هذه البلدة يستطيعون قيادة الريف. سأجري بعض الاتصالات، ثم أقوم بأول جولتين بنفسني".

"وركك العليل -"

"تباً لوركي العليل. اصنع معي معروفاً واخرج من هذا المكتب".

"لكن كايسي، أشعر أنني بخد -"

"لا يهمني إن كنت تشعر أنك بخير بما يكفي لتشارك في سباق ركض وصولاً إلى بحيرة وينيباسوكي. ستذهب لرؤية الطبيب ونقطة على السطر".

نظر بيلى إلى دان بامتعاض. "هل رأيت المتاعب التي أوقعتني بها؟ حتى إنني لم أشرب قهوتي الصباحية".

لقد رحل الذباب هذا الصباح - ما عدا أنه لا يزال هناك. عرّف دان أنه إذا ركّز، يمكنه رؤيته مرة أخرى إذا أراد ذلك... لكن من الأبله الذي يريد فعل ذلك؟

"أعرف"، قال دان. "لا خطورة، الحياة لعينة. هل يمكنني أن أستخدم هاتفك يا كايسي؟".

"تفضّل". نهض كايسي. "أظن أنني سأمشي الهوينا إلى محطة القطار وأثقب بضع تذاكر. هل لديك قبعة مهندس على مقاسي يا بيلى؟".

"لا".

"قبعتي على مقاسك"، قال دان.

9

بالنسبة لمنظمة لم تُعلن عن حضورها، لا تتبع أي بضائع، وتدعم نفسها بأوراق عملة متجدة تُرمى في سلال أو قبعات ببسبول تُمرّر على أعضائها، فإن لمنظمة مدمني الشراب المجهولين تأثيراً فعّالاً يتخطى أبواب مختلف القاعات المستأجرة وأقبية دور العبادة التي تقوم بأعمالها فيها. لم تكن شبكة الفتيان، فُكر دان في سرّه، بل شبكة الثملين.

اتصل بجون دالتون، وجون اتصل بأخصائي طب داخلي يدعى غريغ فيلرتون. لم يكن فيلرتون في البرنامج، لكنه يدين لجوني د. بخدمة. لم يعرفها دان، ولم يهتم بمعرفتها. كل ما يهّمه هو أن بيلى فريمان كان في وقت لاحق من ذلك اليوم على مقعد الكشف في عيادة فيلرتون في مستشفى لويستون. تبعد تلك العيادة حوالي مئة كيلومتر عن فرايجر، وبقي بيلى يتدبّر طوال الطريق.

"هل أنت متأكد أن عسر الهضم هو كل ما كان يزعجك؟"، سأل دان بينما ركنا في مرأب فيلرتون الصغير في شارع الصنوبر.

"أجل"، قال بيلي. ثم أضاف على مضض، "ازداد الألم قليلاً مؤخراً، لكن ليس إلى حد منعي من النوم ليلاً".

كذاب، فكّر دان في سرّه، لكنه لم يعلّق. لقد أوصلَ العجوز المخادع إلى هنا، وهذا هو الجزء الصعب.

كان دان يجلس في صالة الانتظار، يتصفّح عدداً من مجلة أوكيه! على غلافه صورة الأمير ويليام مع عروسه الجديدة الجميلة لكن النحيلة، عندما سمع صرخة ألم قوية من آخر الرواق. بعد عشر دقائق، خرج فيلرتون وجلس بجانب دان. نظر إلى غلاف المجلة وقال، "قد يكون هذا الشاب وريث العرش البريطاني، لكن لا مفرّ له من أن يصبح أصلع في الأربعين من عمره".

"أنت محقّ على الأرجح".

"بالطبع أنا محقّ. في الشؤون البشرية، الملك الحقيقي الوحيد هو التركيب الوراثية. سأرسل صديقك إلى مستشفى ماين المركزي العام ليُجري صورة مسح مقطعي. أنا متأكد تماماً ماذا سيظهر في الصورة. إذا كنتُ محقّقاً، سأحجز موعداً للسيد فريمان لدى جراح أوعية دموية باكراً صباح الغد".

"ما مشكلته؟"

كان بيلي قادماً في الرواق، يشبك إبزيم حزامه. بدا وجهه المسمّر شاحباً الآن ورطباً من العرق. "يقول إن هناك انتفاخاً في شرياني الأبهري. مثل فقاعة على عجلة السيارة. إلا أن عجلات السيارة لا تصيح عندما تنكزها".

"تمدّد الأوعية الدموية"، قال فيلرتون. "آه، وهناك احتمال أن يكون ورماً، لكنني لا أعتقد ذلك. على كل حال، الوقت من ذهب. الانتفاخ اللعين بحجم كرة الطاولة. جيد أنك أحضرتَه لكي يُفحص. لو انفجر دون وجود مستشفى قريبة...". هزّ فيلرتون رأسه.

10

صورة المسح المقطعي أكّدت تشخيص فيلرتون بأنه تمدّد الأوعية الدموية، وعند السادسة ذلك المساء، كان بيلي على سرير المستشفى، حيث بدا ضعيفاً إلى حد بعيد. جلس دان بجانبه.

"سأعطي أي شيء مقابل سيجارة"، قال بيلي متأسفاً.

"لا يمكنني مساعدتك في هذا".

تنهّد بيلى. "كان هذا سيحصل على أي حال. أُن يفتقدونك في منزل ريفنغتون؟".

"اليوم إجازة".

"يا لها من طريقة لعينة لتمضيته. اسمع، إذا لم يقتلونني بسكاكينهم وشوكهم صباح الغد، أظن أنني سأدين لك بحياتي. لا أعرف كيف عرفت، لكن إذا كان هناك أي شيء يمكنني أن أفعله لك - أقصد أي شيء على الإطلاق - ما عليك سوى أن تطلبه مني".

تذكّر دان كيف أنه نزل درجات حافلة مسافرة بين الولايات منذ عشر سنوات إلى تلج رقيق مثل دانتي العرس. تذكّر ابتهاجه عندما رأى القاطرة الحمراء الساطعة التي تجرّ هيلين ريفنغتون. كما تذكّر كيف أن هذا الرجل سأله إن أعجبه القطار الصغير بدلاً من أن يطلب منه الابتعاد عما لا يحق له أن يلمسه. بعض اللطف البسيط، لكنه فتح له الباب إلى كل ما لديه الآن.

"يا عزيزي بيلى، أنا الذي أدين لك، وأكثر مما يمكنني أن أسدده".

11

لاحظ حقيقة غريبة خلال سنوات عدم ثمالتة. عندما لا تسير الأمور في حياته بشكل جيد - تذكّر الصباح عام 2008 عندما اكتشف أن شخصاً حطّم النافذة الخلفية لسيارته بحجر - نادراً ما يفكر بالشراب. لكن عندما تسير بشكل جيد، يجد العطش القديم طريقة ليعود إليه. تلك الليلة بعد توديع بيلى، وعلى الطريق إلى البيت من لويسون وكل شيء على ما يرام، لمح مقصف نُزل يدعى "حذاء راعي البقر" وشعر برغبة لا تُقهر تقريباً بالدخول. بشراء إبريق شراب شعير ووضع ما يكفي من أرباع في علبه الموسيقى لساعة على الأقل. بالجلوس هناك والاستماع إلى جينينغز وجاكسون وهاغارد، دون التكلم مع أحد، دون التسبب بأي متاعب، فقط الانتشاء. الشعور بزوال ثقل عدم الثمالة - الذي يشبه أحياناً ارتداء حذاء من رصاص. وعندما يصل إلى آخر خمسة أرباع معه، سيشغل أغنية "أعزم على الثمالة وأسعى إلى الهلاك" ست مرات متتالية.

تجاوز النُزل، وركن في مراب ولمارت الهائل، وفتح هاتفه. ترك إصبعه يحوم فوق رقم كايسي، ثم تذكّر محادثتهما الصعبة في المقهى. قد يريد كايسي استئناف تلك المناقشة، خاصة موضوع الشيء الذي ربما يخفيه دان. هذا مشروع لا أمل فيه.

شعر كأنه انعتق من جسده، فعاد إلى النُزل وركن في الجهة الخلفية للمراب الترابي. انتابه شعور جيد. كما شعر أنه رجل أمسك مسدساً محشواً ووضع على صدغه. كانت نافذته مفتوحة وأمكنه سماع فرقة حية تعزف أحد ألحان ديرايترز القديمة: "كذبة الحبيب". لم يكن عزفهم سيئاً جداً، بل سيصبح رائعاً بعد تناوله بضعة أكواب شراب. ستكون هناك سيدات في الداخل يرغبن بالرقص. سيدات بلفاف، سيدات بلالئ، سيدات بتنانير، سيدات بقمصان رعاة البقر. هناك سيدات من هذا الصنف دائماً. تساءل عن نوع الشراب الاسكتلندي الذي لديهم في الداخل، وآه كم كان عطشاناً. فتح باب السيارة، وضع قدماً على الأرض، ثم جلس هناك مُخفضاً رأسه.

عشر سنوات. عشر سنوات جيدة، ويمكنه رميها في الدقائق العشرة القادمة. من السهل جداً فعل ذلك. مثل العسل للنحلة.

لكل واحد منا قعرٌ. ستضطر يوماً ما إلى إخبار أحدهم عن قعرك. إذا لم تفعل ذلك، إذا لم تفعل ذلك، فستجد نفسك في لحظة من اللحظات في مقصف وبيدك كوب شراب.

ويمكنني أن أُلقي اللوم عليك يا كايسي، فكَرِّ ببرودة. يمكنني القول إنك وضعت الفكرة في رأسي بينما كنا نشرب القهوة في صنسبوت كافيه.

كان هناك سهم أحمر يومض فوق الباب، ولافتة تقول "الإبريق 2\$ حتى 9 مساءً ميلر لايت تفضّل".

أغلق دان باب السيارة، وفتح هاتفه مرة أخرى، واتصل بجون دالتون.

"هل صديقك بخير؟"، سأل جون.

"نائم في المستشفى وجاهز للذهاب صباح الغد عند الساعة صباحاً. جون، أشعر برغبة بتناول الشراب".

"آه، لا!!!"، صاح جون بصوتٍ عالٍ مرتعشٍ. "ليس الشراب!".

وفجأة زالت الرغبة. ضحك دان. "حسناً، كنتُ بحاجة إلى ذلك. لكن إذا قلّدت صوت مايكل جاكسون مرة أخرى، سأشرب حتماً".

"يجب أن تسمعي أغني 'بيلي جين'. أنا وحش في الكاريوكي. هل يمكنني أن أطلب منك شيئاً؟".

"بالتأكيد". عبر الزجاج الأمامي، بإمكان دان رؤية زبائن حذاء راعي البقر يأتون ويرحلون، على الأرجح لا يتكلمون عن مايكل أنجلو.

"مهما كان شعورك، هل الشراب... لا أعرف... أسكتته؟".

"كتمّه. وضع وسادةً على وجهه وجعله يكافح ليتنفس".

"والآن؟".

"مثل سوبرمان، أستخدم قواي لنشر الحقيقة والعدالة والطريقة الأميركية".

"تقصد أنك لا تريد أن تتكلم عنه".

"لا"، قال دان. "لا أريد. لكنني أفضل الآن. أفضل مما ظننتُ أنه يمكنني أن أكون عليه. عندما كنتُ مرهقاً..."، وانخفضتْ صوته. عندما كان مرهقاً، كان كل يوم كفاعاً ليحافظ على سلامة عقله. كانت الأصوات في ذهنه شريرة؛ والصور شريرة أكثر. وقد وعد أمه ونفسه أنه لن يدمن الشراب مثل أبيه أبداً، لكن عندما بدأ أخيراً، في سنته الأولى من المدرسة الثانوية، شَعَرَ بارتياح كبير لدرجة أنه تمنى - في البداية - لو أنه لم يتأخر في البدء هكذا. كان الصُداغ ما بعد الثمالة صباح اليوم التالي أفضل ألف مرة من الكوابيس طوال الليل. وكل ذلك أدّى نوعاً ما إلى السؤال: كم كان إبناً فعلياً لأبيه؟ بكم طريقة؟

"عندما كنتُ مرهقاً، ماذا؟"، سأل جون.

"لا شيء. لا يهم. اسمع، من الأفضل أن أتحرّك. أنا أجلس في مرأب سيارات المقصف".

"حقاً؟"، بدا جون مهتماً. "أي مقصف؟".

"مكان يدعى حذاء راعي البقر. الإبريق فيه بدولارين حتى الساعة التاسعة".

"دان".

"نعم يا جون".

"أعرف ذلك المكان من الأيام الخوالي. إذا كنتُ ستشطف حياتك في المراض، لا تبدأ من هناك. السيدات دنيئات وأسنانهن مسوّسة بشكل شنيع ورائحة حمّام الرجال تشبه حمالة متعقّنة للأعضاء التناسلية. ذلك المكان مخصّص حصراً للوقت الذي تصل فيه إلى قعرك".

ها قد عادت تلك الكلمة مرة أخرى.

"لكل واحد منا قعرٌ"، قال دان. "أليس كذلك؟".

"أخرج من هناك يا دان". بدا جون جدّياً جداً الآن. "في هذه اللحظة بالذات. كفى تسويفاً. وابق على الهاتف معي إلى أن تختفي أضواء حذاء راعي البقر الموضوع على السطح من مرآة رؤيتك الخلفية".

شَعَلَ دان سيارته، خرج من المرأب، وتوجّه إلى الطريق 11.

"إنها تختفي"، قال. "إنها تختفي... ووو... اختفت". شَعَرَ بارتياح لا يُوصف. كما شَعَرَ بمرارة الندم - كم إبريقاً بدولارين كان يمكنه أن يشرب قبل الساعة التاسعة؟

"لن تشتري صندوق عبوات شراب شعير أو زجاجة شراب عنب قبل أن تعود إلى فرايجر، أليس كذلك؟".

"لا. أنا بخير".

"إذاً سأراك ليلة الخميس. تعال باكراً، أنا من يُعدّ القهوة. فولدجرز، من مخبئي الخاص".

"سأكون هناك"، قال دان.

12

عندما عاد إلى غرفة برجه وأشعل الضوء، رأى رسالة جديدة على السبّورة.

قضيتُ يوماً رائعاً!

صديقتك،

أبرا

"هذا جيد يا عزيزتي"، قال دان. "أنا مسرور".

رّة. نظام الاتصال الداخلي. ذهب إليه وضغط زر التحدّث.

"مرحباً يا طبيب النوم"، قالت لوريتا أيمز. "اعتقدتُ أنني رأيتك تدخل. أظن أن اليوم لا يزال يوم إجازتك، لكن هل تريد القيام بزيارة منزلية؟"

"لمن؟ السيد كامبيرون أو السيد موراي؟"

"كامبيرون. أزي يزوره منذ ما بعد العشاء".

كان بن كامبيرون في ريفنغتون واحد. الطابق الثاني. محاسب متقاعد في الثامنة والثمانين من عمره لديه قصور قلب احتقاني. رجل لطيف جداً. لاعب سكرابل بارع، ومزعج جداً في لعبة بارثيزي، يُقيم دائماً حواجز تثير جنون خصومه.

"أنا قادم"، قال دان. في طريقه للخروج، توقف مؤقتاً ليلقي نظرة خلفية نحو السبّورة. "تصبحين على خير يا عزيزتي"، قال.

لم يصله أي خبر من أبرا ستون قبل سنتين.

خلال نفس تلك السنتين، نام شيءٌ في مجرى دم العقدة الحقيقية. هدية فراق صغيرة من برادلي تريفور، الملقّب فتى البيسبول.

الجزء الثاني
الشياطين الفارغة

الفصل 7

"هل رأيتني؟"

1

صباح يومٍ في أغسطس 2013، استيقظت كونشيتا راينولدز باكراً في شقتها في بوسطن. كالعادة، أول شيء أدركته هو عدم وجود كلبة متكوّرة في الزاوية قرب خزانة الملابس. لقد رحلت بتي منذ سنوات الآن، لكن شتاً لا تزال تفتقدُها. ارتدت رداءها وتوجّهت إلى المطبخ، حيث تنوي إعداد قهوتها الصباحية. هذه رحلة قامت بها آلاف المرات من قبل، ولا يوجد سبب لتصدّق أن هذه المرة ستكون مختلفة في شيء. بالطبع لم يخطر ببالها أبداً أن تعتقد أنها أول حلقة في سلسلة أحداث حقّودة. لم تتعثّر، حسبما ستُخبر حفيدتها، لوسي، لاحقاً في ذلك اليوم، كما لم تصطدم بشيء. فقط سمعت صوت فرقة غير مهم في منتصف جسمها على الجهة اليمنى ثم كانت على الأرض وعذاب دافئ يركض إلى أعلى وأسفل في رجلها.

بقيت ممدّدة هناك لثلاث دقائق تقريباً، تحدّق في انعكاسها الباهت على الأرضية ذات الخشب الصلب المصقول، وتتمنى أن يهدم الألم. في الوقت نفسه كلّمت نفسها. أيتها العجوز الغبية، ليس معك رفيق. بقي دايفد يقول لك طوال السنوات الخمسة الماضية إنك عجوز جداً لكي تعيشي لوحدك والآن لن يتوقف أبداً عن تكرار ذلك.

لكن رقيقاً يعيش معها سيحتاج إلى الغرفة التي أعدتها للوسي وأبرا، وشتاً تعيش لزياراتهما. أكثر من أي وقت مضى، الآن وقد رحلت بتي وبدا أن كل مخزون الشّعر نفذ داخلها. وسواء كانت في السابعة والتسعين أم لا، كانت تنتقل بشكل جيد وتشعر أنها بصحة ممتازة. جينات جيدة من الجهة الأنثوية. ألم تدفن مومو الخاصة بها أربعة أزواج وسبعة أولاد وعاشت حتى سنّ المئة واثنين؟

رغم أنه، والحق يُقال (حتى ولو فقط لنفسها)، لم تشعر أنها بصحة ممتازة جداً هذا الصيف. هذا الصيف كانت الأمور... صعبة.

عندما انحسر الألم أخيراً - قليلاً - بدأت تزحف في الرواق القصير نحو المطبخ، الذي كان يمتلئ فجراً الآن. وجدت أن تقدير ذلك الضوء الوردى الجميل أصعب عند مستوى الأرض. كلما أصبح الألم لا يُحتمل، تتوقف مُسندةً رأسها على ذراع نحيلة، وتلهث. خلال تلك الاستراحات راحت تفكر بأعمار الرجل السبعة، وكيف تمثل دائرة مثالية (وغيبية تماماً). هذه كانت صيغة تحركها منذ زمن طويل، خلال السنة الرابعة من الحرب العالمية الأولى، المعروفة أيضاً - كم أن هذا مضحك - بالحرب لإنهاء كل الحروب. ثم كانت كونشيتا أبروتسي، تزحف في فناء مزرعة والديها في داقولي لكي تقبض على الدجاجات التي تسبقها بسهولة. من تلك البدايات المليئة بالغبار انطلقت لتعيش حياةً مثمرةً ومثيرةً للاهتمام. نشرت عشرين كتاب شعر، واحتست الشاي مع غراهام غرين، وتعشت مع رئيسين للجمهورية، و- أفضل شيء بين كل تلك الأمور - أنعم عليها بابنة حفيده جميلة ورائعة وموهوبة بشكل غريب. وإلى أين تؤدي كل تلك الأشياء المدهشة؟

إلى مزيد من الزحف. عودةً إلى البداية.

وصلت إلى المطبخ وشقت طريقها متمايلةً عبر مستطيل من الشمس إلى حيث تقف الطاولة الصغيرة التي تناولت عليها معظم وجبات طعامها. هاتفها الخلوي عليها. أمسكت شتا إحدى قوائم الطاولة وراحت تهزها إلى أن انزلق هاتفها إلى الحافة وسقط أرضاً - الحمد لله - دون أن يتحطم. طلبت الرقم الذي يُخبرونك بالاتصال به عندما يحصل أمر سيئ كهذا، ثم انتظر بينما لخص لها صوت مسجل كل سخافات القرن الحادي والعشرين بإخبارها أنه يجري تسجيل مكالمتها.

وأخيراً، صوت بشري فعلي.

"معكم 911، ما الحالة الطارئة لديكم؟".

المرأة على الأرض التي زحفت ذات يوم خلف دجاجات في إيطاليا الجنوبية تكلمت بوضوح وبشكل متماسك رغم الألم. "إسمي كونشيتا راينولدز، وأعيش في الطابق الثالث في مننين وتسعة عشر في شارع مارلبورو. يبدو أن وركي انكسر. هل يمكنك إرسال إسعاف؟".

"هل هناك أي شخص معك يا سيدة راينولدز؟".

"عقاباً على ذنوبي، لا. أنت تتكلمين مع عجوز غيبية أصرت أنها بخير لكي تعيش لوحدها. وبالمناسبة، هذه الأيام أفضل مناداتي آنسة".

2

تلقت لوسي المكالمة من جدتها قبل وقت قصير من إدخال كونشيتا إلى غرفة العمليات. "لقد كسرت وركي، لكن يمكنهم إصلاحه"، أخبرت لوسي. "أعتقد أنهم يضعون مسامير وما شابه".

"مومو، هل سقطت؟". أول شيء فكرت فيه لوسي هو أبرا، التي ستكون غائبة في مخيم صيفي لأسبوع آخر.

"آه نعم، لكن الكسر الذي سبب السقوط كان عفويًا بالكامل. يبدو أن هذا أمر شائع جداً لدى الأشخاص الذين في سنّي، وبما أن عدد الأشخاص الذين في سنّي أكبر بكثير مما كان عليه في الماضي، فإن الأطباء يرون الكثير من حالاتي هذه. ليس هناك داعٍ لكي تأتي فوراً، لكنني أعتقد أنك ستريدين أن تأتي قريباً جداً. يبدو أننا سنحتاج إلى التحدّث عن ترتيبات متنوعة".

شعرت لوسي ببرودة في معدتها. "أي نوع من الترتيبات؟".

الآن وقد أصبحت ممثلةً بالفاليوم أو المورفين أو مهما يكن الشيء الذي أعطوها إياه، شعرت كونشيتا بصفاء كبير. "يبدو أن الورك المكسور هو أبسط مشاكلني". شرحت. لم يأخذ ذلك وقتاً طويلاً. وانتهت بالقول، "لا تخبري أبرا. لديّ عشرات رسائل البريد الإلكتروني منها، وحتى رسالة فعلية، ويبدو أنها تستمتع بمخيمها الصيفي كثيراً. لدينا وقت كافٍ لاحقاً لكي تعرف أن مومو تدور حول البالوعة".

فكرت لوسي في سرّها، إذا كنتِ تعتقدين حقاً أنني سأضطر إلى إخبارها -

"أستطيع أن أتكهّن بما تفكرين فيه دون أن أكون عرّافة يا حبيبتي، لكن ربما سيفوتها الخبر السيئ هذه المرة".

"ربما"، قالت لوسي.

بالكاد أغلقت السماعة عندما رنّ الهاتف. "ماما؟ ماما؟". إنها أبرا، وكانت تبكي. "أريد أن أعود إلى المنزل. مومو مُصابة بالسرطان وأريد أن أعود إلى المنزل".

3

بعد عودتها المبكرة من مخيم تاباوينغو في ماين، أخذت أبرا فكرة عما يعانيه الأولاد في رحلاتهم المكوكية بين والدين مطلقين. فقد أمضت وأماها آخر أسبوعين من أغسطس وأول أسبوع من سبتمبر في شقة شتاء في شارع مارلبورو. خرجت العجوز من الجراحة في وركها بصحة جيدة، وقرّرت عدم الإقامة لفترة طويلة في المستشفى، أو الخضوع لأي علاج اكتشفه الأطباء لسرطان البنكرياس.

"لا حبوب، لا علاج كيميائي. سبع وتسعون سنة مدة كافية. أما بالنسبة لك يا لوسيا، فأنا أرفض أن أسمح لك بقضاء الأشهر الستة القادمة في إحضار لي وجبات طعام وحبوب وقصيرية السرير. لديك عائلة، ويمكنني أن أتحمّل تكاليف عناية على مدار الساعة".

"لن تعيشي نهاية حياتك بين غرباء"، قالت لوسي بنبرتها التي يجب-أن-تُطاع. كانت النبرة التي تعرف أبرا وأبوها وجوب عدم المجادلة معها. حتى كونشيتا لا تستطيع أن تتجادل معها.

لم تكن هناك مناقشة بشأن بقاء أبراء؛ في التاسع من سبتمبر، سيبدأ صفها الثامن في متوسطة أنيستون. كانت السنة السبئية لدايفد ستون، والتي يستخدمها لتأليف كتاب يقارن فيه العشرينات الهادرة بالسنينات الجامحة، وما شابه - على غرار العديد من الفتيات اللواتي ذهبت معهن إلى مخيم تاپ - بقيت أبراء تنتقل بين أبيها وأمها. خلال الأسبوع، تكون مع أبيها. وفي عطل نهاية الأسبوع، تُسجن إلى بوسطن لتكون مع أمها ومومو. اعتقدت أن الأمور لا يمكن أن تزداد سوءاً... لكنها تزداد سوءاً في أغلب الأحيان.

4

رغم أنه يعمل من المنزل الآن، إلا أن دايفد ستون لم يتكبد أبداً عناء نزول ممره الخاص ليحضر البريد. وقد ادعى أن الخدمة البريدية الأميركية بيروقراطية ذاتية الاستدامة لم يعد لها أي لزوم في مطلع القرن. بين الحين والآخر يصل طرد، أحياناً كتب طلبها لتساعده في عمله، وفي أغلب الأحيان شيء طلبته لوسي من كتالوغ، لكن ما عدا ذلك يدعي أنه مجرد بريد غير مرغوب به.

عندما تكون لوسي في المنزل، تُخرج محتويات صندوق البريد عند البوابة وتتفحصها بينما تحتسي قهوة منتصف صباحها. أغلب البريد هراء، ويذهب مباشرة إلى ما يسميه دايفد الملف الدائري. لكنها لم تكن في المنزل أوائل سبتمبر ذلك، لذا أبراء - التي أصبحت سيدة المنزل رمزياً - هي التي تتفحص صندوق البريد عندما تنزل من حافلة المدرسة. كما تغسل الأطباق، وتغسل ملابسها وملابس أبيها مرتين في الأسبوع، وتشغل روبات المكنسة الكهربائية، إذا تذكرت. تؤدي تلك الأعمال دون شكوى لأنها تعرف أن أمها تساعد مومو وأن كتاب أبيها مهم جداً. قال إن هذا الكتاب شعبي وليس أكاديمياً. فإذا نجح، قد يتمكن من التوقف عن التعليم ليؤلف بدوام كامل، لبعض الوقت على الأقل.

في هذا اليوم، السابع عشر من سبتمبر، احتوى صندوق البريد على منشور دوري من وولمارت، وبطاقة بريدية تُعلن عن افتتاح عيادة طبيب أسنان جديدة في البلدة (نكفل كيلومترات من الابتسامات!)، وإعلانين على ورق لامع عن بيع السماسرة العقاريين المحليين أسهماً في منتجع جبل الرعد للتزلج.

كانت هناك أيضاً صحيفة إعلانات محلية تدعى متسوق أنيستون تتضمن بضع قصص من وكالات الأنباء على صفحاتها الأماميتين وبضع قصص محلية (عن الرياضة الإقليمية) على صفحاتها الداخلية. أما الباقي فإعلانات وقسائم. لو كانت لوسي في المنزل، لكانت احتفظت ببعض القسائم ورمت بقية الصحيفة في سلة إعادة التصنيع. ولما كانت إبنتها رأتها أبداً. لكن في هذا اليوم، مع غياب لوسي في بوسطن، رأتها أبراء.

راحت تتصفحها وهي تسير بتكاسل على الممر الخاص للمنزل، ثم قلبتها. يحتوي الغلاف الخلفي على أربعين أو خمسين صورة فوتوغرافية ليست أكبر بكثير من الطابع البريدية، معظمها ملونة، وبعضها بالأسود والأبيض. وفوقها العنوان التالي:

هل رأيتني؟

خدمة أسبوعية من متسوق أنيستون

اعتقدت أبراً للحظة أنها نوع من المسابقات، مثل صيد الفضلات. ثم أدركت أنها صور أولاد مفقودين، وشعرت كما لو أن يداً أمسكت البطانة الناعمة لمعدتها وعصرتها مثل منشفة. كانت قد اشترت ثلاث علب أوريو من الكافيتيريا عند الغداء لرحلة العودة إلى المنزل في الحافلة. بدأت تشعر بها الآن تُرْفَع نحو حنجرتها بنفس تلك اليد القابضة.

لا تنظري إليها إن كانت تزعجك، أخبرت نفسها. كان الصوت الصارم والمويخ الذي تستخدمه في أغلب الأحيان عندما تكون منزعة أو مرتبكة (صوت مومو، رغم أنها لم تعي ذلك أبداً). فقط ارمها في سلة المهملات في المرأب مع بقية هذا الهراء. لكنها لم تكن قادرة على عدم النظر إليها.

هنا سينثيا أيلارد، وُلدت في 9 يونيو 2005. لذا سينثيا ستكون في الثامنة الآن. إذا كانت لا تزال حيّة، طبعاً. فُقدت منذ 2009. كيف يفقد أحدهم أثر فتاة في الرابعة من عمرها؟ تساءلت أبراً. لا شك أن لديها والدين رديئين حقاً. لكن طبعاً لم يفقدها والداها على الأرجح. الأرجح أن شخصاً غريب الأطوار يتجول في الحي رأى الفرصة سانحة أمامه فاقتنصها.

هنا مرتون أسكيو، وُلد في 4 سبتمبر 1998. اختفى في 2010.

وهنا، في منتصف الصفحة، فتاة صغيرة جميلة من أصول إسبانية تدعى آينجل باربيرا اختفت من منزلها في كنساس سيتي في سنّ السابعة منذ تسع سنوات. تساءلت أبراً إن كان والداها يظنان حقاً أن هذه الصورة الصغيرة جداً ستساعدهما على استعادتها. وإذا استعادها، هل سيظلان يعرفانها؟ وهل ستعرفهما هي أيضاً؟

تخلّصي من هذا الشيء، قال صوت مومو. لديك ما يكفي لتقلقي بشأنه دون النظر إلى الكثير من الأولاد المفقودين -

وقع نظرها على صورة في الصف السفلي، وفرّ منها صوت خافت. الأرجح أنه كان أنيناً. لم تعرف حتى السبب في البدء، رغم أنها عرّفته تقريباً؛ كان ذلك أشبه بالطريقة التي تعرف فيها أحياناً الكلمة التي تريد استخدامها لكنك لا تزال لا تستطيع التوصل إليها، فتبقى اللعينة جالسة على طرف لسانك.

كانت صورة فوتوغرافية لولد أبيض ذي شعر قصير وابتسامة كبيرة ساذجة. بدا كما لو أن هناك نَمْشاً على خديّه. لكن الصورة كانت صغيرة جداً لتأكيد ذلك،

(إنه نَمْش أنتِ تعرفين هذا)

كانت أبراً متأكّدة بطريقة أو بأخرى، على أي حال. نعم، هذه بُقع نَمَش، وإخوته الأكبر منه سنّاً سخروا منه بسببها وأخبرته أمه أنها ستزول في الوقت المناسب.

"أخبرته أن النَمَش يجلب الحظ السعيد"، همست أبراً.

برادلي تريفور، وُلد في 2 مارس 2000. فُقد منذ 12 يوليو 2011. العرق: قوقازي. المكان: بانكرتون، أيوا. العمر الحالي: 13. وتحت ذلك - تحت كل صور الأولاد المبتسمين في الأغلب: إذا كنت تعتقد أنك رأيت برادلي تريفور، اتصل بالمركز الوطني للأولاد المفقودين والمستغلين.

لكن لا أحد سيتصل بهم بشأن برادلي، لأن لا أحد سيراه. لم يكن عمره الحالي ثلاثة عشر أيضاً. لقد توقّف برادلي تريفور عن النمو في الحادية عشرة. توقّف مثل ساعة معصم معطّلة تُظهر نفس الوقت دائماً. وجَدت أبراً نفسها تتساءل إن بهُت النَمَش تحت الأرض.

"فتى البيسبول"، همست.

هناك زهور تزتر الممر الخاص للمنزل. انحنت أبراً، واضعةً يديها على رُكبتَيها، وهي تشعر أن الرزمة أصبحت ثقيلة جداً على ظهرها فجأة، وتقيأت قطع الأوريو والجزء غير المهضوم من غدائها المدرسي على زهور أمها. عندما تأكدت أنها لن تتقيأ مرة ثانية، دخلت المرأب ورمت البريد في سلة النفايات. كل البريد.

كان أبوها محقاً، هذا كله بريد غير مرغوب به.

5

كان باب الغرفة الصغيرة التي يستخدمها أبوها كمكتب له مفتوحاً، وعندما توقفت أبراً عند مغسلة المطبخ لتملاً كوب ماء تشطف به فمها من مذاق الشوكولا الحامض لقطع الأوريو، سمعته ينقر لوحة مفاتيح كمبيوتره بثبات. هذا جيد. فعندما يُبطئ أو يتوقف بالكامل، يصبح لديه ميل لأن يكون نكداً. كما يصبح قادراً أكثر على ملاحظتها. اليوم لم تكن تريد أن يلاحظها أحد.

"أبا-دو، هل هذه أنت؟"، قال أبوها بصوتٍ كأنه يغني.

كانت لتطلب منه عادة أن يتوقف رجاءً عن استخدام هذا الإسم الطفولي، لكن ليس اليوم. "نعم، هذه أنا".

"كيف كانت المدرسة؟".

توقف النقر الهادي. لا تخرج إلى هنا رجاءً، تمتت أبراً. لا تخرج وتنظر إليّ وتسالني لماذا وجهي شاحب أو ما شابه.

"جيدة. كيف حال الكتاب؟".

"يومي رائع"، قال. "أكتب عن تشارلستون وبلاك بوتوم. فو-دو-دي-أوه-دو". مهما يكن معنى هذا. المهم هو استئناف النقرات من جديد. الحمد لله.

"ممتاز"، قالت وهي تشطف كوبها وتضعه في المجففة. "سأصعد إلى الطابق العلوي لأبدأ واجباتي المدرسية".

"هذه هي فتاتي الشاطرة. فكّري بهار فرد في سنّ الثامنة عشرة".

"حسناً يا بابا". وربما ستفكّر فيها. أي شيء ليشغلها عن التفكير ببنكرتون، أيوا في سن الحادية عشرة.

6

سوى أنه لا يمكنها ذلك.

لأن.

لأن ماذا؟ لأن لماذا؟ لأن... حسناً...

لأن هناك أموراً يمكنني أن أفعلها.

دردشت إلكترونياً مع جيسكا لبعض الوقت، لكن عندما ذهبت جيسكا إلى المركز التجاري في كونواي الشمالية لتتعثّى مع والديها في حديقة باندا، فتحت أبرا كتاب العلوم الاجتماعية. كانت تنوي الانتقال إلى الفصل الرابع، وهو عشرون صفحة مضجرة جداً معنونة "كيف تعمل حكومتنا"، لكن بدلاً من ذلك سقط الكتاب مفتوحاً عند الفصل الخامس: "مسؤولياتك كمواطن".

يا إلهي، إذا كانت هناك كلمة لا ترغب أن تراها بعد ظهر اليوم، فهي مسؤوليات. دخلت الحمام لتُحضر كوب ماء آخر لأن المذاق في فمها لا يزال كريهاً ووجدت نفسها تحقّق بنمّشها في المرأة. كانت هناك ثلاث بُقع بالتحديد، واحدة على خدها الأيسر واثنان على أنفها. ليس سيئاً. إنها محظوظة في قسم النّمس. كما لم تكن لديها وحمّة، مثل بيثاني ستيفنز، أو عين مائلة مثل نورمان ماكغينلي، أو تأتأة مثل جيني ويتلو، أو إسم رهيب مثل المسكين الذي يُسخر منه بنس أفرشام. الإسم أبرا غريب قليلاً، بالطبع، لكن لا بأس به، ويعتبره الناس مثيراً للاهتمام أكثر مما يعتبرونه غريباً، مثل بنس، الملقب بين الفتيان (لكن الفتيات يكتشفن تلك الأمور بطريقة أو بأخرى دائماً) ب بنس العضو الذكري.

والشيء المهم هو أنني لم أقطع على يد مجانين لم يكثرثوا عندما رحّثُ وأصرخ وأتوسّلهم أن يتوقفوا. لم أضطر إلى رؤية بعض المجانين يلحقون دمي عن راحات أيديهم قبل أن أموت. أبادُو فتاة محظوظة.

لكن ربما ليست محظوظة إلى هذا الحد في النهاية. فالمحظوظ لا يعرف أشياء ليس له شأن أن يعرفها.

أغلقت غطاء المرحاض، جلست عليه، وبكت بهدوء مغطياً وجهها بيديها. من السيئ كفاية أن تضطر إلى التفكير ببرادلي تريفور مرة أخرى وكيف مات، لكن الأمر لا يقتصر عليه. هناك كل أولئك الأولاد الآخرين لكي تفكر فيهم، وصورهم كثيرة جداً لدرجة أنهم اضطروا إلى حشرها ببعضها على الغلاف الخلفي للصحيفة كما لو أنه تجمّع مدرسي من الجحيم. كل تلك الابتسامات بالفجوات بين الأسنان وكل تلك العيون التي عرفت من العالم حتى أقل مما تعرفه أبرا نفسها، وما الذي تعرفه؟ ليس حتى "كيف تعمل حكومتنا".

كيف شعر أهل أولئك الأولاد المفقودين؟ كيف واصلوا حياتهم؟ هل سينثيا أو مرتون أو أينجل هو أول شيء يفكرون فيه عند الصباح وآخر شيء يفكرون فيه عند الليل؟ هل تركوا غرفهم جاهزة لهم في حال عادوا إلى المنزل، أم هل تبرّعوا بكل ملابسهم وألعابهم للجمعيات الخيرية؟ سمعت أبرا أن هذا ما فعله والدا لينيا أوميارا بعد وفاته جرّاء سقوطه عن شجرة وارتطام رأسه بصخرة. لينيا أوميارا، الذي وصل في دراسته إلى الصف الخامس ثم... توقف. لكن بالطبع عرف والدا لينيا أنه مات، فهناك قبر يمكنهما زيارته ووضع زهور عليه، وربما هذا ما جعل الأمر مختلفاً. ربما لا، لكن أبرا اعتقدت ذلك. لأنه لولا ذلك ما عليك سوى التساؤل، أليس كذلك؟ مثلما يحصل عندما تتناول الفطور، تتساءل إن كان ولدك

(أينجل سينثيا مرتون)

يتناول الفطور أيضاً في مكان ما، أو يطير طائرة ورقية، أو يقطف البرتقال مع مجموعة مهاجرين، أو ما شابه. عليك أن تكون متيقناً أنه مات، هذا ما حصل لمعظمهم (ما عليك سوى مشاهدة برنامج حدث الساعة عند السادسة لتعرف ذلك)، لكن لا يمكنك أن تكون متيقناً.

لم يكن هناك شيء يمكنها أن تفعله بشأن عدم اليقين لدى والدي سينثيا أوبيلارد أو مرتون أسكيو أو أينجل باربيرا، لم تكن لديها أي فكرة عما حصل لهم، لكن هذا ليس صحيحاً بشأن برادلي تريفور.

كادت تنساه، ثم تلك الصحيفة الغبية... تلك الصور الغبية... والأمور التي عادت إليها، أمور لم تكن حتى تعرف أنها تعرفها، كما لو أنه تم إجحاف الصور في لاوعياها...

وتلك الأشياء التي يمكنها أن تفعلها. الأشياء التي لم تُخبر والديها عنها أبداً لأنها ستقلقهما، مثلما خمنت أنهما سيفلقان إذا عرفا أنها قبلت بوبي فلاناغان - قليلاً فقط، لا مصّ للوجه أو أي شيء

فظ هكذا - ذات يوم بعد المدرسة. هذا شيء لن يرغبوا أن يعرفاه. خمنت أبرا (ولم تكن مخطئة كلياً في هذا، رغم أنه لم يحصل أي توارد خواطر بشأنه) أنها لا تزال في ذهن والديها عالقة عند سن الثامنة وستبقى هكذا على الأرجح إلى أن يكبر نديها، وهي متأكدة أنهما لم يكبرا بعد - ليس إلى حد ملاحظتهما، على أي حال.

حتى الآن لم يجلسا معها لإجراء "الحديث". قالت جولي فاندوفر إن الوالدة تقريباً دائماً هي التي تكشف الخفايا، لكن الخفايا الوحيدة التي حصلت عليها أبرا مؤخراً هي مدى أهمية أن تُخرج النفائات كل صباح خميس قبل أن تأتي الشاحنة. "لا نطلب منك فعل أعمال كثيرة"، قالت لوسي، "وهذا الخريف من المهم جداً أن نشارك فيها جميعاً".

مومو على الأقل اقتربت من "الحديث". فقد أخذت أبرا جانباً ذات يوم في الربيع وقالت، "هل تعرفين ماذا يريد الفتيان من الفتيات، بعدما يصبح الفتيان والفتيات في مثل سنك؟".

"الجنس، أظن"، قالت أبرا... رغم أن كل ما بدا أن بنس أفرشام المتواضع ذاك يريد هو إحدى كعكاتها، أو أن يستعير رُبعاً لآلات البيع، أو أن يُخبرها كم مرة شاهد فيلم أفنجرز.

أومات مومو برأسها. "لا يمكنكِ لُوم الطبيعة البشرية، لكن لا تعطيهم إياه. نقطة على السطر. يمكنكِ إعادة التفكير بالأمر عندما تصبحين في التاسعة عشرة، إذا أردتِ ذلك".

كان ذلك مُحرجاً قليلاً، لكنه مباشر وصريح على الأقل. لم يكن هناك أي شيء واضح بشأن الشيء الذي في رأسها. هذا كان وَحمتها، غير مرئية لكن حقيقية. لم يعد والداها يتكلمان عن الجنون الذي حصل عندما كانت صغيرة. ربما اعتقدا أن ما سببه زال تقريباً. بالطبع أنها عرفت أن مومو مريضة، لكن هذا لا يشبه البتة موسيقى البيانو المجنونة، أو فتح حنفية الماء في الحمام، أو حفلة ذكرى الولادة (التي بالكاد تتذكرها) عندما جعلت الملاعق تتدلى من كل سقف المطبخ. كل ما في الأمر أنها تعلمت كيف تسيطر عليه. لكن ليس بالكامل.

وقد تغير. نادراً ما ترى الآن الأحداث قبل حصولها. أو تحرك الأشياء. عندما كانت في السادسة أو السابعة، كانت قادرة على التركيز على كومة كتبها المدرسية ورفعها حتى السقف. أمر سهل جداً، يشبه حياكة سراويل للقطعة الصغيرة، مثلما كانت مومو تحب أن تقول. الآن، حتى ولو كان كتاباً واحداً فقط، يمكنها التركيز عليه إلى أن تشعر أن دماغها سيتطاير من أذنيها، ولن تتمكن سوى من دفعه بضعة سنتيمترات على مكتبها. وهذا لا يحصل إلا في يوم جيد لها. أما في بقية الأيام، فلا تستطيع حتى رفرفة الصفحات.

لكن هناك أشياء أخرى يمكنها أن تفعلها، وفي حالات عديدة أفضل بكثير مما كانت تقدر عليه في صغرها. قراءة أفكار الأشخاص، مثلاً. لا يمكنها فعل ذلك مع الجميع - فبعض الأشخاص منطوون على أنفسهم كلياً، والبعض الآخر يبعثون ومضات متقطعة فقط - لكن العديد من الأشخاص يشبهون نوافذ مفتوحة ستائرهما. يمكنها أن تنظر داخلها في أي وقت تشاء. لا تريد ذلك في أغلب الأحيان، لأن الأشياء التي تكتشفها تكون حزينة أحياناً وفي أغلب الأحيان مروعة. فاكتشاف أن

السيدة موران، مدرّستها المحبوبة في الصف السادس، تقيم علاقة كان أكبر خبر صادم لها في ذلك الحين، وليس بطريقة إيجابية.

أما أغلب هذه الأيام فتُبقي جزء قراءة الأفكار معطلاً في ذهنها. وقد وجدت صعوبة في البدء في تعلّم كيفية فعل ذلك، مثل صعوبة تعلّم التزلّج بالمقلوب أو الطباعة بيدها اليسرى، لكنها تعلّمت. التدريب سبيل الإتقان (ليس بعد، على الأقل)، لكنه ساعدها بالتأكيد. لا تزال تنظر أحياناً، لكن بتردد دائماً، وجاهزةً لتنسحب عند أولى دلالات وجود شيء غريب أو مثير للإشمئزاز. ولم تختلس النظر أبداً إلى أفكار والديها، أو أفكار مومو. هذا عيب. على الأرجح أنه عيب مع الجميع، لكن مثلما قالت مومو بنفسها: لا يمكنكِ لوم الطبيعة البشرية، ولا يوجد شيء بشري أكثر من الحشرية.

يمكنها أحياناً جعل الأشخاص يفعلون بعض الأشياء. ليس الجميع، ليس حتى نصف الجميع، لكن الكثير من الأشخاص منفتحون جداً على الإيحاءات (الأرجح أنهم نفس الأشخاص الذين يظنون أن الأمور التي تُباع على التلفزيون ستزِيل تجاعيدهم حقاً أو تجعل شعرهم ينمو من جديد). عرفت أبراً أن هذه موهبة يمكنها تنميتها إذا درّبتها كما لو أنها عضلة، لكنها لم تفعل ذلك. فهذا أخافها.

هناك أشياء أخرى أيضاً، ليس لبعضها إسمٌ، لكن الشيء الذي تفكّر فيه الآن له إسمٌ. تسمّيه بُعد نظر. يأتي ويذهب، مثل النواحي الأخرى لموهبتها الخاصة، لكن إذا أرادت حقاً - وإذا كان هناك هدف تعتزم عليه - يمكنها استدعاه عادة.

يمكنني فعل ذلك الآن.

"اصمتي يا أبا-دُو"، قالت بصوتٍ منخفضٍ متوتر. "اصمتي يا أبا-دُو-دُو".

فَنَحَتْ كتاب علم الجبر عند صفحة الواجب المدرسي لهذه الليلة، والتي كانت قد علّمتها بورقة كتبت عليها كل إسم من الأسماء بويد، ستيّف، كام، وبيت عشرين مرة على الأقل. إنهم أعضاء فرقة الفتيان "في هذه الأنحاء" المفضّلة لديها. جذاًبون جداً، خاصة كام. أعزّ صديقاتها، إيما دين، تشاركها هذا الافتتان أيضاً. تلك العينان الزرقاوان، ذلك الشعر الأشقر.

ربما يمكنني المساعدة. سيحزن والداه، لكنهما سيعرفان على الأقل.

"اصمتي يا أبا-دُو. اصمتي يا أبا-دُو-دُو-الحمقاء".

إذا كان $5س - 4 = 26$ ، كم تساوي س؟

"ستون زليون!"، قالت. "مَن يبالي؟".

وقعت عينها على أسماء الفتیان اللطفاء من فرقة "في هذه الأنحاء"، المكتوبة بالأحرف المتصلة القصيرة والبدينة التي تحبّها مع إيما ("تبدو الكلمات بهذه الطريقة عاطفية أكثر"، هكذا أمرت إيما)، وفجأة بدت غبية وطفولية وخطأً بالكامل. لقد قطّعه ولعقوا دمه ثم فعلوا شيئاً حتى أسوأ له. في عالمٍ يمكن أن يحصل فيه شيء من هذا القبيل، بدا الهيام بفرقة فتیانٍ أسوأ شيء ممكن.

أغلقت أبراً كتابها بقوة، ونزلت إلى الطابق السفلي (استمرّ صوت النقرات من مكتب أبيها بلا هواده) وتوجّهت إلى المرأب. استخرّجت صحيفة المتسوّق من سلة النفايات، وأخذتها معها إلى غرفتها، وراحت تمسّدها على مكتبها.

كل تلك الوجوه، لكنها لا تهتمّ الآن إلا بوجه واحد فقط.

7

راح قلبها يدوّي بقوة-بقوة-بقوة. لقد شعرت بالخوف من قبل عندما تعمّدت أن تنتظر عن بُعد أو تقرأ الأفكار، لكنها لم تشعر بمثل هذا الخوف أبداً من قبل. ولا حتى ما يشبهه قليلاً.

ماذا ستفعلين إذا عرّفت؟

هذا سؤال لوقت لاحق، لأنها قد لا تتمكن من أن تعرف. وقد تمّنى جزءٌ جبانٌ من ذهنها ذلك.

وضّعت أبراً أول إصبعين من يدها اليسرى على صورة برادلي تريفور لأن يدها اليسرى هي اليد التي ترى أفضل. كانت تودّ أن تضع كل أصابعها عليها (ولو كانت غرضاً، لكانت أمسكته)، لكن الصورة صغيرة جداً. بعدما أصبحت أصابعها عليها، لم تعد قادرة حتى على رؤيتها. إلا أنها تستطيع رؤيتها. وهي تراها بشكل جيد جداً.

عينان زرقاوان، مثل عينيّ كام نولز من فرقة "في هذه الأنحاء". لا يمكنها الجزم من الصورة، لكنهما بنفس اللون العميق. عرّفت ذلك.

يستخدم يده اليمنى، مثلي. لكنه أعسر، مثلي أيضاً. اليد اليسرى هي التي كانت تعرف نوع الرمية التالية، كُرة سريعة أو منحنية -

لهنت أبراً لهائاً خفيفاً. فتى البيسبول عرّف بعض الأشياء.

فتى البيسبول كان مثلها حقاً.

نعم، هذا صحيح. لهذا السبب أخنوه.

أغمضت عينها ورأت وجهه. برادلي تريفور. براد، حسبما يناديه أصدقائه. فتى البيسبول. يدير قبعته أحياناً لأنها تبدو بهذه الطريقة كقبعة رالي. أبوه مزارع. وأمه تُعدّ الفطائر وتبيعها في

مطعم محلي، وكذلك في كشك العائلة في المزرعة. عندما رحل أخوه الكبير إلى الكآنية، أخذ بُراد كل أقرابه الموسيقية لفرقة أي سي/دي سي. كان وأعرّ أصدقائه، آل، يحبّان أغنية "كُرات كبيرة" بشكل خاص. فيجلسان على سرير بُراد ويغنيانها معاً ويضحكان ويضحكان.

مرّ عبر حقل الذرة وكان رجل ينتظره. ظنّ بُراد أنه رجل طيب، أحد الأخيار، لأن الرجل

"باري"، همست أبرا بصوتٍ منخفضٍ. خلف جفنيها المغلقين، راحت عيناها تتحرّكان بسرعة ذهاباً وإياباً مثل عيني شخص نائم يحلم حلماً مُشرقاً. "إسمه باري الصّدع. لقد خدعك يا بُراد. أليس كذلك؟".

لكن ليس باري فقط. لو كان هو فقط، لربما كان بُراد عرّف. لا شك أن كل أشخاص المشاعل تعاونوا معاً على إرسال نفس الفكرة: لا ضرر من ركوب شاحنة باري الصّدع أو عربة تخييمه أو مهما كانت، لأن باري رجل طيب. أحد الأخيار. صديق.

وأخذه...

تعمّقت أبرا أكثر. لم تضيّع وقتها على ما رآه بُراد لأنه لم ير سوى سجادة رمادية. كان مقيداً بشريط لاصق وممدداً بوجهه إلى أسفل على أرضية الشيء الذي كان باري الصّدع يقوده. لكن لا بأس بهذا. الآن وقد أصبحت على الموجة الصحيحة، يمكنها أن ترى بشكل أشمل منه. يمكنها أن ترى -

قفازه. قفاز بيسبول ماركة ويلسون. وباري الصّدع -

ثم طار ذلك الجزء بعيداً. قد يعود أو قد لا يعود.

كان الوقت ليلاً. يمكنها أن تشمّ رائحة روث. هناك مصنع. مصنع

(محطّم)

من نوع ما. كان هناك خط كامل من المركبات الداخلة إلى هناك، بعضها صغير، ومعظمها كبير، واثنان منها هائلتان. أضواؤها الأمامية مطفأة في حال كان هناك شخص ينظر، لكن كان هناك ثلاثة أرباع قمر في السماء. لذا الضوء كافٍ للرؤية. قادوا على طريق قطران وعر مليء بالحفر، تجاوزوا برج ماء، تجاوزوا حظيرة محطّم سقفاها، دخلوا بوابة صدئة مفتوحة، وتجاوزوا لافتةً. مرّ المشهد سريعاً لدرجة أنها لم تتمكن من قراءتها. ثم المصنع. مصنع محطّم ذو مداخن محطّمة ونوافذ محطّمة. كانت هناك لافتة أخرى تمكّنت من قراءتها بفضل ضوء القمر: "ممنوع الدخول بأمر من مأمور مقاطعة كانتون".

داروا حول الجهة الخلفية، وعندما وصلوا إلى هناك كانوا سيؤذون بُراد فتى البيسبول ويستمررون بإيذائه إلى أن يموت. لم ترغب أبراً أن ترى ذلك الجزء لذا جعلت كل شيء يسير إلى الخلف. هذا أصعب قليلاً، مثل فتح مرطبان ذي سداة مُحكمة الإغلاق جيداً، لكن يمكنها فعله. عندما عادت إلى حيث أرادت، تركت الشريط يسير.

أعجبَ باري الصّدع بالقفز لأنه نكّره بأيام طفولته. لهذا السبب جرّب أن يرتديه. جرّبه وشمّ رائحة الزيت الذي كان بُراد يستخدمه ليمنعه من أن يصبح قاسياً وضرب قبضته في الجيب بضع مر -

لكن المشاهد تسير إلى الأمام الآن ونسيت أمر قفاز بيسبول بُراد مرة أخرى.

برج الماء. الحظيرة ذات السقف المحطّم. البوابة الصدئة. ثم اللافتة الأولى. ماذا كان مكتوباً عليها؟

لا. لا تزال سريعة جداً، حتى مع ضوء القمر. لفت الشريط إلى الخلف مرة أخرى (برزت الآن نقاط عرق على جبهتها) وتركته يسير. برج الماء. الحظيرة ذات السقف المحطّم. استعدي، ها هي قادمة. البوابة الصدئة. ثم اللافتة. تمكّنت من قراءتها هذه المرة، رغم أنها لم تكن متأكدة أنها فهمتها.

أمسكت أبراً ورقة الرسائل التي دوّنت عليها أسماء أولئك الفتيان الأغبياء وقلّبتها. بسرعة، وقبل أن تنسى، خربشت كل شيء رآته على تلك اللافتة: "الصناعات العضوية" و"مصنع الإيثانول #4" و"فريمان، أيوا" و"مُغلق إلى أجل غير مسمى".

حسناً، لقد عرفت الآن أين قتلوه، وأين - كانت متأكدة - دفنوه، بقفاز البيسبول وكل شيء. ماذا الآن؟ إذا اتصلت برقم الأولاد المفقودين والمستغلّين، سيسمعون صوت فتاة صغيرة ولن يكثرثوا... سوى ربما لإعطاء رقم هاتفها إلى رجال الشرطة، الذين سيعتقلونها على الأرجح لمحاولة المزاح مع أشخاص حزينين وتعساء من قبل. ثم فكّرت بأمرها، لكن مع مرض مومو وموتها الوشيك، كان ذلك غير وارد على الإطلاق. لدى أمها ما يكفي لتقلق بشأنه غير هذا.

نهضت أبراً، ذهبت إلى النافذة، وحدّقت في شارعها، في متجر البقالة ليكتي-سبليت على الناصية (الذي يسمّيه الأولاد الأكبر سنّاً متجر البطالة، بسبب كل المخدرات التي تُدخّن خلفه، حيث توجد المكبّات)، والجبال البيضاء التي تنكز السماء الزرقاء الصافية لأواخر الصيف. بدأت تفرك فمها، وهي خصلة قلق يحاول والداها جعلها تُقلع عنها، لكنهما ليسا هنا، لذا تباً لذلك. تباً لكل ذلك.

بابا في الطابق السفلي.

لم ترغب أن تُخبره أيضاً. ليس لأن عليه إنهاء كتابه، بل لأنه لن يرغب أن يتورّط في شيء كهذا حتى ولو صدّقها. لم تحتج أبراً إلى قراءة أفكاره لكي تعرف ذلك.

مَن إذًا؟

قبل أن يمكنها التفكير بالجواب المنطقي، بدأ العالم خارج نافذتها يدور، كما لو أنه مركَّب على قرص هائل. فرَّت منها صرخة منخفضة وأمسكت طرفي النافذة، مكوِّرة السنائر في قبضتيها. هذا حصل من قبل، من دون إنذار مسبق دائماً، وترتعب كل مرة، لأنه يشبه التعرّض لنوبة صرَع. لم تعد في جسمها، كانت ذات بُعد جسدي بدلاً من أن تكون ذات بُعد نظر، وماذا لو لم يكن بإمكانها العودة؟

تباطأ القرص الدوّار، ثم توقف. الآن بدلاً من أن تكون في غرفة نومها، كانت في سوبرماركت. عرّفت ذلك لأن أمامها منضدة اللحوم. وفوقها (هذه اللافتة سهلة القراءة، بفضل الأضواء الفلورية الساطعة) وعدّ: "في متجر سام، كل قطعنا فاخرة!". للحظة أو لحظتين اقتربت منضدة اللحوم أكثر لأن القرص الدوّار جعلها تنزلق إلى داخل شخص كان يسير. يسير ويتسوّق. باري الصّدع؟ لا، ليس هو، رغم أن باري كان قريباً؛ باري هو الوسيلة التي أوصلتها إلى هنا. إلا أنها سُحبت بعيداً عنه من قبل شخص أكثر قوة بكثير. تستطيع أبراً رؤية عربة تسوّق محمّلة ببقالة في أسفل بصرها. ثم توقفت حركة السير إلى الأمام وانتابها هذا الإحساس، هذا الشعور

(المتقصّي المتطقل)

المجنون بأن شخصاً داخلها، وفهمت أبراً فجأة أنها لمرة واحدة لم تكن لوحدها على القرص الدوّار. كانت تنظر إلى منضدة لحوم في نهاية رواق سوبرماركت، وكان الشخص الآخر ينظر إلى خارج نافذتها في ريتشلاند كورت والجبال البيضاء ما وراءها.

تفجّر الذعر داخلها؛ كان أشبه بصبّ الزيت على النار. لم يفرّ أي صوت من شفّتيها، اللتين كانتا مُطبقتين بشكل محكم لدرجة أن فمها بدا مجرد غرزة، لكنها أنتجت داخل رأسها صرخة صاخبة أكثر من أي شيء كانت تظن نفسها قادرة على إنتاجه:

(لا! اخرجي من رأسي!)

8

عندما شَعَرَ دايفد بالمنزل يلعلع ورأى ضوء السقف في مكتبه يتمايل على سلسلته، كانت فكرته الأولى

(أبرا)

أن ابنته تعرّضت لإحدى فوراتها النفسية، لكن لم تحصل أي حادثة تحريك عقلي من ذلك الهراء منذ سنوات، أو أي شيء مماثل أبداً. عندما عادت الأمور وهدأت، كانت فكرته الثانية -

وبالنسبة له، فكرة معقولة أكثر بكثير - هي أنه اختبر للتو أول زلزال له في نيو هامبشاير. كان يعرف أن الزلازل تضرب من وقت لآخر، لكن... رائع!

نهض عن مكتبه (دون أن ينسى ضغط زر الحفظ)، وركض إلى الرواق. ثم نادى من أسفل السلم، "أبرا! هل شعرت بذلك؟".

خرجت من غرفتها، وهي تبدو شاحبة وخائفة قليلاً. "أجل، نوعاً ما... أعتقد أنني..."

"كان زلزالاً!، أخبرها دايفد بابتهاج. "زلزالك الأول! أليس هذا جميلاً؟".

"نعم"، قالت أبراً، بصوتٍ غير مسرورٍ جداً. "جميل".

نظرَ خارج نافذة غرفة الجلوس ورأى الناس يقفون على شرفاتهم ومروجهم. كان ماتّ رنفرو صديقه العزيز بينهم. "سأجتاز الشارع وأتكلم مع ماتّ يا حبيبتي. هل تريدان أن تأتي معي؟".

"أظن أنه من الأفضل أن أنهي واجب الرياضيات".

بدأ دايفد يتوجّه نحو الباب الأمامي، ثم استدار ليرفع نظره نحوها. "لست خائفة، أليس كذلك؟ لا داعي للخوف. لقد انتهى".

تمنّت أبراً لو أنه انتهى حقاً.

9

كانت روز القبعة تقوم بتسوّق مزدوج، لأن الجدّ فليك كان يشعر بتوعك مرة أخرى. رأت بضعة أعضاء آخرين من العقدة الحقيقية في متجر سام، وأومات لهم برأسها. توقفت لبرهة في قسم المعلبات لتتكلّم مع باري الصدع، الذي كان يُمسك لائحة زوجته بيده. كان باري قلقاً بشأن فليك.

"سيتعافى"، قالت روز. "أنت تعرف الجدّ".

ابتسم باري. "أقوى من بومة مسلوقة".

أومات روز برأسها وعادت تدفع عربة تسوّقها. "أنت محقّ".

مجرد بعد ظهر يوم أسبوع عادي في السوبرماركت، وعندما استأذنت باري للانصراف، أساءت في البدء فهم ما كان يحصل لها بأنه شيء عادي، ربما انخفاض مستوى السكر في دمها. فهي عرضة لهكذا حالات، وتُبقي عادة قطعة حلوى في جزدانها. ثم أدركت أن شخصاً موجود داخل رأسها. شخصاً ينظر.

لم ترتقِ روز إلى مكانتها كقائدة للعقدة الحقيقية بسبب ترددها. توقفت وعربة تسوقها موجهة نحو منضدة اللحوم (محطتها التالية التي تنوي التوقف عندها) ووثبت فوراً إلى داخل الأنبوب الذي شكّله شخصٌ فضوليٌّ وخطيرٌ ربما. ليس عضواً في العقدة الحقيقية، وإلا لكانت عرفته فوراً، لكنه ليس شخصاً دنيوياً عادياً أيضاً.

لا، هذا غير مألوف أبداً.

اختفى المتجر ووجدت نفسها فجأة تنظر إلى سلسلة جبال. ليست جبال الروكي، وإلا لكانت تعرّفت عليها. هذه أصغر. الكاتسكيل؟ الأديرونديك؟ يمكن أن تكون إحداهما، أو واحدة أخرى. أما بالنسبة للمتفرّج... اعتقدت روز أنه ولد. فتاة بكل تأكيد، وواحدة واجهتها من قبل.

عليّ أن أرى شكلها، وعندها يمكنني إيجادها في أي وقت أريده. عليّ أن أجعلها تنظر إلى

مر -

لكن عندها دوت فكرةٌ صاخبةٌ كطلقة بنديقية صيد في غرفة مُغلقة

(لا! اخرجي من رأسي!)

في رأسها مفرّغةٌ إياه كلياً ودفعتها مندهلةً نحو رفوف معلّبات الحساء والخضار. راحت تتساقط أرضاً وتتدحرج في كل مكان. للحظة أو لحظتين ظنّت روز أنها ستسقط مثلها، مُغمىً عليها مثل بطلة نديّة في رواية عاطفية. ثم عادت إلى رشدها. لقد قطعت الفتاة الاتصال، وبأسلوبٍ مُجفّلٍ نوعاً ما.

هل أنفها ينزف؟ مسحته بأصابعها لتتحقّق. لا. جيد.

أتى أحد الموظفين مُسرّعاً. "هل أنت بخير يا سيدتي؟".

"بخير. شعرتُ بضعف بسيطٍ لثانية أو ثانيتين. على الأرجح من عملية قلع الضرس التي أجريتها البارحة. لقد زال الآن. لقد أحدثتُ بعض الفوضى، أليس كذلك؟ أسفة. لحسن الحظ أنها معلّبات وليس زجاجات".

"لا مشكلة، لا مشكلة أبداً. هل تريدين الخروج والجلوس على مقعد انتظار سيارات الأجرة؟".

"لا داعي"، قالت روز. ولم يكن هناك داعٍ لفعل ذلك، لكنها انتهت من التسوّق لهذا اليوم. دفعت عربة التسوّق مسافة رواقين وتركتها هناك.

كانت قد أحضرت التاكوما (قديمة لكن موثوقة) من أرض المخيم العالية غرب سايدوندر،
وبعدما جلست خلف المقود، أخرجت هاتفها من جزدانها وضغطت زر الطلب السريع. رنّ للمرة
واحدة فقط في الطرف الآخر.

"كيف الحال يا روزي العزيزة؟"، قال كُرو دادي.

"لدينا مشكلة".

بالطبع كانت فرصة أيضاً. فتاة لديها ما يكفي في مِرجلها لإحداث دويّ كهذا - ما يكفي
ليس للعثور على روز فقط بل لإسقاطها أيضاً - لم تكن مجرد بخار بل اكتشاف القرن. شَعرت كأنها
القبطان أحاب يرى حوته الأبيض العظيم لأول مرة.

"أخبريني"، قال بنبرة جدّية الآن.

"منذ أقل من سنتين. الولد في أيوا. هل تتذكّره؟".

"بالتأكيد".

"هل تتذكّر أيضاً أنني أخبرتك أن لدينا متفَرّج؟".

"أجل. الساحل الشرقي. اعتقدت أنها ربما تكون فتاة".

"كانت فتاة، نعم. وقد عثرت عليّ مرة أخرى للتو. كنتُ في متجر سام، لا أزعج أحداً، ثم
ظهرت فجأة".

"لماذا، بعد كل هذا الوقت؟".

"لا أعرف ولا أبالي. لكن يجب أن نقبض عليها يا كُرو. يجب أن نقبض عليها".

"هل تعرف من أنت؟ أين نحن؟".

كانت روز قد فكّرت في هذا أثناء سيرها إلى الشاحنة. لم ترها المتطفلة، هي أكيدة من
ذلك. كانت الفتاة في الداخل تنتظر خارجاً. أما بالنسبة لما رآته؟ رواق سوبرماركت. كم عددها في
أميركا؟ مليون على الأرجح.

"لا أعتقد، لكن هذا ليس المهم".

"ما هو المهم إذاً؟".

"هل تتذكّرني أخبرك أنها بخار كبير؟ بخار ضخّم؟ حسناً، إنها حتى أكبر من ذلك. عندما
حاولت قلب الأمور عليها، طردتني خارج رأسها كما لو أنني قطعة صقلاب رَغِب. لا شيء من هذا

القبيل حصل معي سابقاً. وكنتُ لأقول إنه مستحيل".

"هل هي عضو محتمل في العقدة الحقيقية أم طعام محتمل؟".

"لا أعرف". لكنها تعرف. إنهم بحاجة إلى بخار - بخار مخزّن - أكثر بكثير من حاجتهم إلى أعضاء جدد. بالإضافة إلى ذلك، لا تريد روز أي عضو في العقدة الحقيقية لديه هذا القدر من الطاقة.

"حسناً، كيف نجدها؟ أي أفكار؟".

راحت روز تفكّر بما رأته من خلال عيني الفتاة قبل أن تُطرّد بشكل فظ إلى سوبرماركت سام في سايدوندر. ليس الكثير، لكن كان هناك متجر...

قالت، "يسمّيه الأولاد متجر البطالة".

"ماذا؟".

"لا شيء، لا تهتمّ. أحتاج إلى التفكير بالمسألة. لكننا سنقبض عليها يا كُرو. علينا أن نقبض عليها".

ساد بعض الصمت. عندما تكلم مرة أخرى، بدا كُرو حذراً. "بالطريقة التي تتكلمين بها، قد يكون هناك ما يكفي لملء دزينة علب. هذا إذا كنتِ لا تريدين حقاً محاولة تحويلها".

ضحكت روز ضحكة ذهن مشتت. "إذا كنتِ محقّة فليس لدينا ما يكفي من علب لتخزين بخارها. لو كانت جبلاً، فستكون إفرست". لم لم يردّ عليها بكلمة. لم تحتج روز إلى رؤيته أو نكر ذهنه لكي تعرف أنه مذهول. "ربما لسنا بحاجة إلى فعل أحد هذين الأمرين".

"لم أفهمك".

بالطبع لم يفهمها. لم يكن التفكير على المدى الطويل من مزايا كُرو أبداً. "ربما لسنا بحاجة إلى تحويلها أو قتلها. فكّر بالبقرة".

"البقرة".

"يمكنك أن تذبحها وتحصل على شرائح لحم تكفي لشهرين. لكن إذا أبقيتها حيّة واعتنيت بها، فستعطيك حليباً لست سنوات. وربما حتى ثمانية".

صمت. طويل. تركته يطول. عندما ردّ، بدا حذراً أكثر من أي وقت مضى. "لم أسمع بشيء كهذا أبداً. نقلّهم بعدما نحصل على البخار أو إذا كان لديهم شيء نحتاج إليه وكانوا أقوياء كفاية لتحمل التحويل، نحولهم. مثلما حولنا آندي في الثمانينات. قد يخالفني الجدّ فليك الرأي، إذا كنتِ

تصدّقين أنه يتذكّر الماضي السحيق عندما كان هنري الثامن يقتل زوجته، لكنني لا أعتقد أن العقدة الحقيقية حاولت يوماً التمسك بصاحب بخارٍ. إذا كانت قوية مثلما تقولين، يمكن أن يكون الأمر خطيراً".

أخبرني شيئاً لا أعرفه. لو شعرت بما شعرتُ به، لكنتِ اتهمتنني بالجنون لمجرد التفكير في ذلك. وربما أنا مجنونة. لكن...

لكنها سئمت من تمضية قسم كبير من وقتها - وقت العائلة كلها - في التفتيش عن غذاء. في العيش مثل عجر القرن العاشر بينما عليهم أن يعيشوا مثل الملوك والملكات. لأنهم ملوك وملكات فعلاً.

"تكلم مع الجدّ، إذا كان يشعر بتحسّن. وماري الثقيلة، المتواجدة منذ القدم مثل فليك تقريباً. أندي لدغة الأفعى. هذه جديدة، لكن لديها رأس جيد على كتفها. أي شخص آخر تعتقد أن لرأيه قيمة".

"تبا يا روزي. لا أعرف -"

"وأنا أيضاً، ليس بعد. لا أزال أترجّح. كل ما أطلبه منك الآن هو بذل بعض الجهد. أنت المستطلع، في النهاية".

"حسناً..."

"آه، وتأكد أن تتكلم مع وولنت. اسأله أي مخدر يمكنه أن يُبقي ولدًا دنيوياً لطيفاً ومنصاعاً لفترة طويلة من الزمن".

"لا تبدو لي هذه الفتاة شخصاً دنيوياً".

"آه، إنها دنيوية. بقرة حلوب دنيوية بدينة".

ليس صحيحاً تماماً. إنها حوت أبيض كبير رائع.

أنهت روز المكالمة دون أن تنتظر لترى إن كان لدى كُرو دادي أي شيء آخر ليقوله. كانت الزعيمة، وبالنسبة لها، انتهت المناقشة.

إنها حوت أبيض، وأريدها.

لكن أحاب لم يكن يريد حوته فقط لأن موبي سيزود أطناناً من شحم الحوت وكمية لا تنتهي تقريباً من براميل الدهن، وروز لا تريد الفتاة لأنها قد تزود - إذا ما توفّر خليط المخدر الصحيح والكثير من جلسات التهدة النفسية الفعّالة - كمية لا تنتهي تقريباً من البخار. المسألة شخصية أكثر من ذلك. تحويلها؟ جعلها عضو في العقدة الحقيقية؟ أبدأ. الفتاة طردت روز القبعة من رأسها كما لو

أنها بائع جوال بين البيوت يبيع منتجات تافهة بلا قيمة. لا أحد عاملها بهذه الطريقة الفظة من قبل. مهما تكن قوية، يجب تلقينها درساً.

وأنا المرأة المناسبة لتلقينها ذلك الدرس.

شغلت روز القبعة الشاحنة، وخرجت من مرأب السوبرماركت، وتوجّهت إلى مخيم بلوبل المملوك من أسرة. إنه مكان جميل حقاً، ولما لا؟ فقد كان يتضمن ذات يوم أحد أجمل منتجات العالم.

لكن بالطبع، الأوفرلوك احترق بالكامل منذ زمن طويل.

11

كان مات وكاسي رنفرو من عشاق الاحتفالات في الحي، وقرراً فجأة إقامة مأدبة شواء احتفاءً بالزلزال. دعيا جميع القاطنين في ريتشلاند كورت، ولبي الجميع تقريباً الدعوة. أحضر مات صندوق مياه غازية، وبضع زجاجات شراب عنب رخيص، وكرة شراب شعير من متجر البقالة ليكتي-سبليت في أعلى الشارع. كانت الحفلة ممتعة جداً، واستمتع دايفد ستون بوقته كثيراً. بالنسبة له، أبرا أيضاً استمتعت بوقتها. بقيت مع صديقتها جولي وإيما، وتأكد أنها أكلت همبرغر وبعض السلطة. أخبرته لوسي أن عليهما أن يكونا يقظين بشأن عادات إبنتهما في الأكل، لأنها وصلت إلى عمر تصبح عنده الفتيات واعيات جداً بشأن وزنهن ومظهرهن - العمر الذي يبدأ عنده فقدان الشهية أو الشره المرّضي يُظهر وجوههن النحيلة المتضوّرة جوعاً.

ما لم يلاحظه (رغم أن لوسي ربما كانت لتلاحظه لو كانت هناك) هو أن أبرا لم تكن تشارك في مهرجان قهقهة صديقتها الذي بدا أنه لا يتوقف. وبعد أكلها وعاء بوظة (وعاء صغيراً)، سألت أباه إن كان يمكنها العودة إلى الجانب المقابل للشارع وإنهاء واجباتها المدرسية.

"حسناً"، قال دايفد، "لكن اشكري السيد والسيدة رنفرو أولاً".

هذا أمر كانت أبرا لتفعله دون الحاجة إلى تذكيرها به، لكنها وافقت دون قول ذلك.

"على الرحب والسعة يا أبي"، قالت السيدة رنفرو. كانت عيناها تلمعان بشكل خارق للطبيعة تقريباً من ثلاثة أكواب شراب عنب أبيض. "أليس هذا جميلاً؟ يجب أن تضرّبنا الزلازل في أغلب الأحيان. رغم أنني كنتُ أتكلّم مع فيكي فنتون - هل تعرفين عائلة فنتون، في شارع بوند؟ إنه يبعد مجمّعاً سكنياً واحداً فقط وقالت إنهم لم يشعروا بأي شيء. أليس هذا غريباً؟".

"بالتأكيد"، وافقت أبرا، وهي تفكّر في سرّها أنه بشأن الأمور الغريبة، لم تكن السيدة رنفرو تعي شيئاً منها.

أنتهت واجباتها المدرسية وكانت في الطابق السفلي تشاهد التلفزيون مع أبيها عندما اتصلت أمها. تكلمت أبرا معها لبرهة، ثم حوّلت الهاتف إلى أبيها. قالت لوسي شيئاً، وعرفت أبرا ماذا كان حتى قبل أن يلقي دايف نظرة سريعة نحوها ويقول، "نعم، إنها بخير، فقط ثملة من الواجبات المدرسية، أعتقد. يعطون الأولاد الكثير هذه الأيام. هل أخبرتك أن زلزلاً صغيراً ضربنا؟".

"سأصعد إلى الطابق العلوي يا بابا"، قالت أبرا، ولوّح لها بيده بذهن شاردا.

جلّست إلى مكتبها، شغّلت كمبيوترها، ثم عادت وأطفأتها. لم ترغب أن تلعب نينجا الفاكهة ولم ترغب بالطبع أن تدرش مع أي شخص. عليها أن تفكّر بما ستفعله، لأن عليها أن تفعل شيئاً.

وضّعت كتبها المدرسية في حقيبة ظهرها، ثم رفعت نظرها ورأت المرأة من السوبرماركت تحقّق فيها من نافذتها. هذا مستحيل لأن النافذة في الطابق الثاني، لكنها هناك. بشرتها خالية من الشوائب وبأنقى بياض، عظامها الوجنية مرتفعة، عيناها الداكنتان مفتوحتان على مداهما ومائلتان قليلاً. اعتقدت أبرا أنها ربما أجمل امرأة رأتها في حياتها. كما أدركت فوراً، ومن دون أدنى شكّ، أنها مخبولة. كتل من الشعر الأسود أحاطت وجهها المثالي، المتعطرس نوعاً ما، وتدلت فوق كتفها. باقية مكانها فوق هذا الشعر الكثيف رغم زاوية إمالة المجنونة، كانت قبعة عالية سوداء رسمية أنيقة من المخمل البالي.

إنها ليست هناك في الواقع، وهي ليست في رأسي أيضاً. لا أعرف كيف يمكنني رؤيتها لكنني أراها ولا أعتقد أنها تع -

ابتسمت المرأة المجنونة عند النافذة المظلمة، وعندما تباعدت شفتها، رأت أبرا أن لديها سناً واحداً فقط في الصف العلوي، ناب شنيع مُفسد لونه. فهمت أنه آخر شيء رآه برادلي تريفور في حياته، وصرّخت، صرّخت بأعلى ما تستطيع... لكن فقط داخلها، لأن حنجرتها كانت مُقفلّة وأوتارها الصوتية مجمّدة.

أغمضت أبرا عينيها. وعندما عادت وفتحتها، كانت المرأة المبتسمة ذات الوجه الأبيض قد اختفت.

ليست هناك. لكن يمكنها القدوم. تعرف عني ويمكنها القدوم.

في تلك اللحظة، أدركت ماذا كان عليها أن تعرف فور رؤيتها المصنّع المهجور. هناك شخص واحد فقط حقاً يمكنها الاتصال به. شخص واحد فقط يمكنه مساعدتها. أغمضت عينيها مرة أخرى، هذه المرة لكي لا تختبئ من أنظار رهيبية تحقّق فيها من نافذتها، بل لتطلب المساعدة.

(طوني، أحتاج إلى أبيك! رجاءً يا طوني، رجاءً!)

وهي لا تزال مغمضة عينيها - لكنها تشعر الآن بدفء الدموع على رمشها وخديها - همست، "ساعدني يا طوني. أنا خائفة".

الفصل 8

نظرية النسبية الخاصة بأبرا

1

كانت الجولة الأخيرة لذلك اليوم على متن هيلين ريفنغتون تسمى رحلة الغروب، وفي العديد من الأمسيات عندما لا تكون لدى دان نوبة عمل في مأوى العجزة، يقود القطار بنفسه. ببلي فريمان، الذي قام بتلك الجولة لحوالي خمسة وعشرين ألف مرة خلال سنواته كموظف في البلدة، كان مبتهجاً لتركه يفعل ذلك.

"أنت لا تسأم من ذلك أبداً، أليس كذلك؟"، سأل دان ذات مرة.

"يمكنك أن تعزوه إلى طفولة محرومة".

لم يكن هذا هو السبب الفعلي، ليس حقاً، لكنه وأمه تنقلاً كثيراً بعد نفاذ مال التسوية، وعملت في وظائف كثيرة، معظمها ذات راتب متدنٍ، بسبب عدم وجود شهادة جامعية. نجحت في إبقاء سقفٍ فوق رأسيهما وطعامٍ على الطاولة، لكن الكمية لم تكن كثيرة أبداً.

ذات مرة - كان عندها في المرحلة الثانوية، ويعيشان في برادنتون، ليس بعيداً من تامبا - سألتها لماذا لم تواعد أبداً. كان قد أصبح وقتها كبيراً في السن بما يكفي ليعرف أنها لا تزال امرأة جميلة جداً. ابتسمت له ويندي تورانس ابتسامة معقوفة وقالت، "كان رجلٌ واحدٌ كافياً لي يا داني. كما أن لديّ أنت الآن".

"كم كانت تعرف عن إيمانك الشراب؟"، سأله كايسي ك. خلال أحد اجتماعاتهما في صنسبوت كافييه. "لقد بدأت يافعاً جداً، صح؟".

احتاج دان إلى التفكير ملياً بهذا السؤال. "على الأرجح أكثر مما كنتُ أعرف وقتها، لكننا لم نتكلم عن ذلك أبداً. أعتقد أنها كانت خائفة من فتح الموضوع. كما أنني لم أواجه أي مشكلة مع القانون - ليس وقتها، على أي حال - وتخرّجتُ من الثانوية بتفوق". ابتسم بتجهّم لكايسي فوق كوب قهوته. "وبالطبع لم أضربها أبداً. أظن أن هذا أحدث فرقاً".

لم يحصل أبداً على ذلك القطار اللعبة، أيضاً، لكن العقيدة الأساسية التي يعيش أعضاء منظمة مدمني الشراب المجهولين وفقاً لها هي لا تشرب وستتحسن الأحوال. تحسنت، أيضاً. لديه الآن أكبر قطار لعبة يمكن أن يتمناه أي فتى، وبيلي محقّ، هو لا يسأم منه أبداً. افتراض أنه قد يسأم منه بعد عشر سنوات أو عشرين سنة، لكن حتى وقتها اعتقد دان أنه سيظل يعرض أن يقود الجولة الأخيرة لليوم، فقط لكي يوجّه الريف نحو الغروب إلى كلاود غاب. المنظر رائع، وعندما يهدأ نهر ساكو (وهذا ما يحصل عادة بعدما تهمد تشنجاته الربيعية)، يمكنك رؤية كل الألوان مرتين، مرة فوق ومرة تحت. كل شيء صامت عند الطرف البعيد لجولة الريف؛ كما لو أن الدنيا تحبس أنفاسها.

الرحلات بين يوم العمال ويوم كولومبوس، عندما يتوقف الريف عن العمل للشتاء، هي الأفضل. يكون السياح قد رحلوا، والراكبون القلة يكونون من السكان المحليين، والذين يستطيع دان الآن مناداة العديد منهم بأسمائهم. في ليالي الأسبوع مثل هذه الليلة، هناك أقل من دزينة زبائن. وهذا جيد بالنسبة له.

كان الظلام دامساً عندما أعاد الريف إلى رصيفه في محطة تينيتاون. اتكأ على عربة الركاب الأولى وقبعته (المخيط عليها "المهندس دان" بالأحمر) مُرجعة إلى الخلف على رأسه، وراح يتمنى ليلة سعيدة لحفنة ركابه. كان يبلي يجلس على مقعد، والطرف المتوهج لسيجارته يضيء وجهه بشكل متقطع. لا شك أنه قارب السبعين، لكنه بدا بصحة جيدة، فقد تعافى بالكامل من عملياته الجراحية في البطن قبل سنتين، وقال إنه لا ينوي أن يتقاعد.

"ماذا سأفعل؟"، سأل في المرة الوحيدة التي فتح فيها دان الموضوع. "أتقاعد إلى مزرعة الموت حيث تعمل؟ انتظر أن يزورني قطع الأليف؟ أشكرك لكن لا شكراً".

عندما مضى آخر راكبين أو ثلاثة في سبيلهم، على الأرجح بحثاً عن عشاء، أطفأ ببلي سيجارته وانضم إليهم. "سأضعه في الحظيرة. إلا إذا كنت تريد فعل ذلك، أيضاً".

"لا، تفضّل. بقيت تجلس على مؤخرتك طويلاً كفاية. متى ستقلع عن التدخين يا ببلي؟ أنت تعرف أن الطبيب قال إن السجائر ساهمت في مشكلتك الصغيرة في الأمعاء".

"لقد خفّضتُ إلى لا شيء تقريباً"، قال ببلي، لكن مع تحديقه نزولاً بشكل مُقلق. كان بإمكان دان أن يعرف كم خفّض ببلي - وحتى لن يحتاج على الأرجح إلى أن يلمسه لكي يحصل على ذلك القدر من المعلومات - لكنه لم يفعل ذلك. ذات يوم في الصيف الماضي، رأى ولداً يرتدي قميصاً تائياً مطبوعة عليه لافتة مرورية مثمنة. بدلاً من "توقف"، قالت اللافتة "مكج". عندما سأله داني عن معناها، ابتسم له الولد ابتسامة ودية يخصّصها على الأرجح حصراً للسادة ذي العقلية الأربيعينية. "معلومات كثيرة جداً"، قال. شكره دان وهو يفكر في سرّه: هذه قصة حياتي يا صديقي.

لجميع أسرار. لقد عرف هذا من أوائل طفولته. يحقّ للأشخاص المحتشمين الاحتفاظ بأسرارهم، وببلي فريمان يُعتبر محتشماً.

"هل تريد أن نذهب لاحتساء القهوة يا دانو؟ هل لديك وقت؟ لن أحتاج إلى أكثر من عشر دقائق لأضع هذا السافل في سريره".

لمس دان غطاء المحرك بحبة. "بالتأكيد، لكن انتبه لكلامك. هذا ليس سافلاً، إنه -"
تلك كانت اللحظة التي انفجر فيها رأسه.

2

عندما استعاد رشده، وجد نفسه ممدداً على المقعد الذي كان بيلى يدخن عليه. ووجد بيلى يجلس بجانبه، وقد بدا قلقاً. تبا، بدا خائفاً حتى الموت. كان هاتفه في يده، وإصبعه متأهب فوق الأزرار.

"ضعه من يدك"، قال دان. خرجت الكلمات منه بنقيق مليء بالغبار. تتحنح وحاول مرة أخرى. "أنا بخير".

"هل أنت متأكد؟ يا إلهي، اعتقدت أنك أصبت بنوبة قلبية. اعتقدت ذلك حقاً".

هذا ما شعر به.

لأول مرة منذ سنوات تذكر دان دك هالوران، طبّاح فندق الأوفرلوك البار. لقد عرف دك فوراً تقريباً أن ابن جاك تورانس الصغير يشاركه موهبته. وتساءل دان الآن إن كان دك لا يزال حياً. طبعاً لا؛ كان يناهز الستين من عمره وقتها.

"من هو طوني؟"، سأل بيلى.

"ماذا؟".

"لقد قلت 'رجاءً يا طوني، رجاءً'. من هو طوني؟".

"شاب كنتُ أعرفه في أيام إدماني الشراب". لم يكن أبرع ارتجال ممكن، لكنه أول شيء خطر بباله الذي لا يزال شامداً. "صديق عزيز".

نظر بيلى إلى المستطيل المضاء لهاتفه الخلوي لعدة ثوانٍ طويلة، ثم طوى الهاتف ببطء ووضع في جيبه. "لعلك، أنا لا أصدق هذا أبداً. أعتقد أنك أصبت بإحدى ومضاتك. مثل اليوم الذي عرفت فيه عن..."، وربت على معدته.

"حسناً..."

رفع بيلى يده. "لا تقل المزيد. طالما أنك بخير، فهذا يكفي. وطالما أنه ليس شيئاً يتعلق بي. لأنني أريد أن أعرف إن كان يتعلق بي. لا أعتقد أن هذا ينطبق على الجميع، لكنه ينطبق علي".

"لا شيء يتعلّق بك". نهض دان وسرّاً من اكتشاف أن رجلَيْه ثابتتين تحته. "لكنني سأرفض دعوة القهوة، إذا لم يكن لديك مانع".

"البتّة. عليك العودة إلى غرفتك والاستلقاء قليلاً. لا تزال شاحباً. مهما يكن ما أصابك، فقد أصابك بقوة". ألقى ببلي نظرة سريعة على الريف. "لحسن الحظ أنه لم يحصل بينما كنت تقوده، بسرعة ستين".

"الحمد لله"، قال دان.

3

اجتاز جادة كرانمور إلى جهة منزل ريفنغتون، عازماً على الأخذ بنصيحة ببلي والاستلقاء، لكن بدلاً من الانعطاف عند البوابة التي تودّي إلى الطريق الفيكتوري القديم الكبير المزترّ بالزهور، قرّر أن يتنزّه قليلاً. كان يستعيد نفسه الآن، وكان هواء الليل عذّباً. بالإضافة إلى ذلك، كان يحتاج إلى التفكير ملياً بما حصل للتو.

مهما يكن ما أصابك، فقد أصابك بقوة.

هذا جعله يتذكّر ديك هالوران مرة أخرى، ويتذكّر كل الأشياء التي لم يقلها لكاي سي كينغسلي أبداً. ولن يقولها له. الأذى التي سبّبه لدينيه - ولإبنها، افتراض، بمجرد عدم فعله أي شيء - كان محفوراً في أعماقه، مثل ضرر عقل مغروز، وسيبقى هناك. لكن في سنّ الخامسة، داني تورانس هو الذي تأدّى - مع أمه، بالطبع - ولم يكن أبوه المذنب الوحيد. ديك فعلَ شيئاً بشأن ذلك. لو لم يفعل شيئاً، لكان دان وأمّه ماتا في الأوفرلوك. لا يزال التفكير بتلك الأشياء القديمة مؤلماً، لا تزال تلك الأشياء تسطح بالألوان الرئيسية الطفولية للخوف والرعب. كان ليفضلّ عدم التفكير بها مرة أخرى أبداً، لكن عليه التفكير بها الآن. لأن... حسناً...

لأنك لا تحصد إلا ما زرعته. ربما هذا بفعل الحظ أو القدر، لكنك في الحالتين، لا تحصد إلا ما زرعته. ماذا قال ديك في ذلك اليوم عندما أعطاني الصندوق المثقل؟ عندما يكون التلميذ جاهزاً، سيظهر الأستاذ. هذا لا يعني أنني جاهز لتعليم أي شخص أي شيء، ما عدا أنك إذا لم تتناول شراباً، فلن تشمل.

لقد وصل إلى نهاية المربع السكني؛ فاستدار وعاد أدراجه. الرصيف كله له وحده. موحشة السرعة الكبيرة التي تفرغ بها فرايجر بعدما ينتهي الصيف، وهذا ذكره بالطريقة التي فرغ بها الأوفرلوك. السرعة الكبيرة التي أصبح بها المكان بأكمله لأفراد عائلة تورانس الصغيرة فقط.

ما عدا للأشباح، بالطبع. لم ترحل أبداً.

4

كان هالوران قد أخبر داني أنه متوجّه إلى دنفر، حيث سيسافر جنوباً إلى فلوريدا. وسأل إن كان داني يريد مساعدته في نقل حقائبه إلى مرأب سيارات الأوفرلوك، وحَمَلَ داني حقيبةً إلى سيارة الطباخ المستأجرة. حقيبة صغيرة فقط، بالكاد أكبر من حقيبة ملفات، لكنه اضطر إلى استخدام يديه الاثنتين ليحملها. بعدما أصبحت الحقائق موضّبة بأمان في صندوق السيارة وجلسا معاً في السيارة، أعطى هالوران إسماً للشيء المخزّن في رأس داني تورانس، الشيء الذي لم يصدّقه والداه كثيراً.

لديك موهبة. لطالما سمّيتها بريقاً. هكذا كانت جدّتي تسمّيها أيضاً. هل شعرت بالوحدة ظناً منك أنك الوحيد؟

نعم، كان وحيداً، ونعم، ظنّ أنه الوحيد. حرّره هالوران من ذلك الوهم. في السنوات منذ ذلك الحين، التقى دان بأشخاص كُثر يملكون، وفق كلمات الطباخ، "بعض البريق". ببلي، مثلاً.

لكنه لم يلتق أبداً بأي شخص مثل الفتاة التي صرّخت في رأسه هذه الليلة. شعّر أن تلك الصرخة قد تمرّقه إرباً.

هل كان بتلك القوة؟ اعتقد ذلك. في يوم إغلاق الأوفرلوك، أخبر هالوران الفتى الصغير المنزعج الجالس بجانبه أن... ماذا قال؟

قال له أن يستمتع بموهبته.

وصَل دان عائداً إلى منزل ريفنغتون ووقف خارج البوابة. بدأت أولى الأوراق بالسقوط، ونسيم المساء جعلها تتطاير حول قدميه.

وعندما سألته عما يجب أن أفكر، أخبرني أي شيء. "فقط فكّر فيه بقوة"، قال. لذا فعلت ذلك، لكنني لطّفته في اللحظة الأخيرة، قليلاً على الأقل. لو لم أفعل ذلك، أعتقد أنني كنتُ قتلتُه. ارتعش إلى الخلف - لا، خَبَط إلى الخلف - وعضّ شفته. أتذكّر الدم. سمّاني مسدساً. ولاحقاً، سأل عن طوني. صديقي غير المرئي. لذا أخبرته.

يبدو أن طوني عاد، لكنه لم يعد صديق دان. أصبح الآن صديق فتاة صغيرة تدعى أبرا. إنها في ورطة مثلما كان دان فيما مضى، لكن الرجال الناضجين الذين يقصدون الفتيات الصغيرات يلفتون الانتباه ويثيرون الشك. حياته جيدة هنا في فرايجر، وشعّر أنها حياة استحقّها بعد كل تلك السنوات الضائعة.

لكن...

لكنه عندما احتاج إلى دِكْ - في الأوفرلوك، ولاحقاً، في فلوريدا، عندما عادت السيدة ماسي - أتاه دِكْ. في منظمة مدمني الشراب المجهولين، يسمّي الأشخاص هذا النوع من الأشياء نداء الخطوة الثانية عشرة. لأنه عندما يكون التلميذ جاهزاً، سيظهر الأستاذ.

في عدة مناسبات، ذهبَ دان مع كايسي كينغسلي ورجال آخرين في البرنامج لتلبية نداء الخطوة الثانية عشرة مع رجال عالقين في دوامة المخدرات أو الشراب. كانوا أحياناً أصدقاء أو مدراء احتاجوا إلى تلك الخدمة؛ لكنهم في أغلب الأحيان أنسبوا استنزفوا كل مورد آخر ووصلوا إلى حافة اليأس. حقّقوا نجاحات قليلة على مر السنوات، لكن معظم الزيارات انتهت بأبواب تُوصد بعنف أو دعوة كايسي وأصدقائه إلى بلّ كلامهم الفارغ وشرب مياهه. أحد أولئك، وهو جندي سابق مشوّش الذهن من مغامرة جورج بوش الباهرة في العراق، لوّح مسدّساً في وجههم. خلال عودتهم من الكوخ الحقير في شوكوروا حيث يعيش الجندي السابق مع زوجته المرتعبة، قال دان، "هذه كانت مضيعة للوقت".

"كانت لتكون هكذا لو أننا قمنا بها من أجلهما"، قال كايسي، "لكننا قمنا بها من أجلنا. هل تعجبك الحياة التي تعيشها يا داني؟". لم تكن هذه أول مرة يسأله فيها ذلك السؤال، ولن تكون الأخيرة.

"نعم". لا تردّد بشأن ذلك. ربما لم يكن رئيس جنرال موتورز أو يمثل مشاهد حب مع كايت وينسلت، لكن دان يعتبر أنه يمتلك كل شيء.

"هل تعتقد أنك استحقّيتها؟".

"لا"، قال دان مبتسماً. "ليس حقاً. لا يمكنك أن تستحق هذا".

"لذا ما الذي أعادك إلى مكان يعجبك النهوض فيه عند الصباح؟ هل كان حظاً أم فضلاً؟".

شعّر أن كايسي أراده أن يقول فضلاً، لكنه تعلّم خلال سنوات عدم الثمالة عادةً الصدق غير المريحة أحياناً. "لا أعرف".

"لا بأس، لأنه لا فرق عندما يكون ظهرك إلى الجدار".

5

"أبراء، أبراء، أبراء"، قال بينما صعد المسار إلى منزل ريفنغتون. "في ماذا أوقعت نفسك أيتها الفتاة؟ وفي ماذا توقعيني؟".

كان يفكّر أن عليه محاولة التواصل معها باستخدام البريد، وهذا ليس موثقاً بالكامل أبداً، لكن عندما دخل غرفة برجه، رأى أن ذلك لن يكون ضرورياً. كان التالي مكتوباً بشكل أنيق على سبّورته:

cadabra@nhmlx.com

احترار من إسمها الإلكتروني لبضع ثوانٍ، ثم فهمه وضحك. "إسم جيد يا فتاة، إسم جيد".

شغلّ كمبيوتره المحمول. بعد لحظة، كان ينظر إلى نموذج رسالة بريد إلكتروني فارغة. كُتِبَ عنوانها ثم جلس يراقب المؤشر الواصل. كم سنّها؟ وفقاً لما يمكنه احتسابه عبر اتصالاتهما السابقة القليلة، كانت في مكان ما بين سنّ الثانية عشرة الحكيمة وسنّ السادسة عشرة الساذجة قليلاً. أقرب إلى الثانية عشرة على الأرجح. وها هو، رجل كبير في السن كفاية لوجود شعرات بيضاء في ذقنه إذا لم يحلقها. ها هو يستعدّ لبدأ الدردشة معها عبر الكمبيوتر، مثلما يحصل في البرنامج التلفزيوني "القبض على مفترس".

ربما الموضوع غير مهم. وربما هو مهم؛ هي مجرد طفلة، في النهاية.

نعم، لكن طفلة خائفة جداً. كما أنه يشعر بفضول كبير. بدأ يشعر به منذ بعض الوقت. مثلما شعر هالوران، افتراض، بفضول بشأنه.

يمكنني الاستفادة من بعض الفضل الآن. والكثير من الحظ.

في مربع الموضوع في أعلى نموذج رسالة البريد الإلكتروني، كُتِبَ دان مرحباً يا أبرا. أنزل المؤشر سطرًا، وأخذ نفساً عميقاً، وكتب ثلاث كلمات: أخبريني ما الخطب.

6

بعد ظهر السبت التالي، كان دان يجلس في أشعة الشمس الساطعة على أحد المقاعد خارج المبنى الحجري الأخضر الداكن الذي يتضمن مكتبة أنيستون العامة. أمامه نسخة مفتوحة من صحيفة يونيون ليدر، وهناك كلمات على الصفحة، لكن لم تكن لديه أي فكرة عما تقوله. كان متوتراً جداً.

عند الساعة الثانية تماماً، اقتربت فتاة ترتدي سروال جينز على دراجتها الهوائية وأسندتها على الحاجز عند أسفل المرّجة. لوّحت له بيدها وابتسمت ابتسامة عريضة.

إذاً. أبرا. كما في كلمة "أدابرا".

بدت طويلة قياساً لعمرها، وكان معظم ذلك الطول في رجليها. وتم تجميع كتلة شعر أشقر متجعّد على شكل ذيل حصان سميك بدا جاهزاً ليمرّد ويرشّ في كل مكان. كان الطقس قارساً قليلاً، وكانت ترتدي سترة خفيفة مطبوع على ظهرها أعاصير أنيستون. أمسكت كتابين كانا مربوطين بمخفّف الصدمات الخلفي لدراجتها، ثم ركضت إليه، وهي لا تزال تبتسم تلك الابتسامة العريضة. مليحة لكن ليست جميلة. ما عدا لعينيها الزرقاوين المفتوحتين على مداهما. كانتا جميلتين.

"العَمّ دان! أه، من الجيد رؤيتك!"، وأعطته قبلة من صميم القلب على خده. لم يكن هذا في الحسبان. ثقّتها في كفايته الأساسية مُرّعة.

"من الجيد رؤيتك أيضاً يا أبرا. اجلسي".

كان قد أخبرها أن عليهما أن يكونا حذرين، وأبرا - طفلة بتلك الثقافة التي تملكها - فهمته فوراً. وكانا قد اتفقا أن أفضل شيء هو أن يلتقيا في العلن، وهناك أماكن قليلة في أنيستون علنية أكثر من المرجحة الأمامية للمكتبة، التي تقع بالقرب من وسط المدينة الصغيرة.

كانت تنظر إليه باهتمام صريح، وربما حتى بجوع. يمكنه أن يشعر بشيء يشبه أصابع صغيرة جداً تربّت بخفة داخل رأسه.

(أين طوني؟)

لمس دان صدغه بإصبع.

ابتسمت أبراً، وهذا زاد من جمالها، حوّلها إلى فتاة ستكسر القلوب بعد أربع أو خمس سنوات.

(مرحبا طوني!)

كان هذا صاخباً كفاية لجعله يجفل، وتذكّر مرة أخرى كيف ارتعش دك هالوران خلف مقود سيارته المستأجرة، وأصبحت عيناه فارغتين للحظة.

(نحتاج إلى التكلم بصوت عالٍ)

(حسناً نعم)

"أنا ابن عم أبيك، اتفقنا؟ لست عمّاً حقاً، لكن هكذا ستناديني".

"صح، صح، أنت العمّ دان. سنكون بخير طالما أن أعزّ صديقات أمي لا تأتي. إسمها غريتشن سيلفرلايك. أعتقد أنها تعرف شجرة عائلتنا بأكملها، وهي شجرة غير كبيرة جداً".

آه، رائع، فكّر دان في سرّه. أعزّ الصديقات فضولية.

"لا بأس"، قالت أبراً. "إنها البكر في فريق كرة القدم، ولا تفوّت أبداً مباراة لفريق الأعاير. الجميع تقريباً يحضرون المباراة، لذا توقف عن القلق من أن يظنك أحدهم -"

أنهت الجملة بصورة ذهنية - رسم متحرك، في الواقع - تمظهرت فوراً، بشكل بدائي لكن واضح. فتاة صغيرة في زقاق داكن يهدّدها رجل ضخم يرتدي معطفاً واقياً من المطر. كانت رُكبنا الفتاة الصغيرة تطرقان ببعضهما، وقبل أن تخبو الصورة، رأى دان بالون حوار يتشكّل فوق رأسها: يا للريبة، يا للسحنة العجيبة!

"في الواقع ليس مضحكاً جداً".

رسم صورة ذهنية خاصة به وأرسلها لها: دان تورانس في ملابس السجن، يفوده شرطيان ضخمان. لم يجرب أي شيء كهذا أبداً، ولم تكن صورته جيدة مثل صورتها، لكنه سرّاً من اكتشاف أنه يمكنه فعل ذلك. ثم، وقبل أن يُدرك ماذا يجري، استولت على صورته وجعلتها صورتها. سحب دان مسدساً من زناره، وصوّبه نحو أحد الشرطيين، وضغط الزناد. خرج مندبل من فوهة المسدس عليه كلمة طاخ!

راح دان يحدّق فيها، فاغر الفم.

وضعت أبراً يديها على فمها وقهقهت. "أسفة. لم أتمكن من مقاومة ذلك. يمكننا أن نقضي كل بعد الظهر في فعل هذا، أليس كذلك؟ وسيكون ممتعاً".

شعر أيضاً أنه سيكون مريحاً. لقد أمضت سنواتٍ معها كُرة رائعة لكن لا أحد ليلعب معها. وبالطبع الأمر مماثل معه. لأول مرة منذ طفولته - منذ هالوران - كان يرسل الكرة ويتلقاها أيضاً.

"أنت محقّة، سيكون ممتعاً، لكن الوقت الآن ليس مناسباً. تحتاجين إلى بدء هذا الشيء من الصفر. رسالة البريد الإلكتروني التي أرسلتها غطت النقاط الأساسية فقط".

"من أين يجب أن أبدأ؟".

"ما رأيك بكنيتك؟ بما أنني عمك الفخري، يجب أن أعرف على الأرجح".

هذا أضحكها. حاول دان منع نفسه من الضحك ولم يستطع. ليكن الله في عونك، لقد أعجبتك من قبل.

"أنا أبراً رافاييلا ستون"، قالت. توقف الضحك فجأة. "أمل فقط أن السيدة ذات القبعة لن تكتشف هذا أبداً".

7

جلساً معاً على المقعد خارج المكتبة لخمس وأربعين دقيقة، وشمس الخريف الدافئة تلمح وجهيهما. لأول مرة في حياتها شعرت أبراً بمتعة غير مشروطة - بفرح، حتى - من الموهبة التي لطالما حيرتها وأرعبتها أحياناً. بفضل هذا الرجل، أصبح لديها إسم لها حتى: البريق. هذا إسم جيد، إسم مريح، لأنها ظنّت دائماً أنها موهبة شريرة.

كان هناك الكثير ليتكلّموا عنه - مجلدات ملاحظات لمقارنتها - وبالكاك كانا قد بدأ عندما اقتربت امرأة خمسينية بدنية ترندي تنورة صوفية خشنة لتلقي التحية. نظرت إلى دان بحشوية، لكن ليس حشوية مشؤومة.

"مرحبا يا سيدة جيرارد. هذا عمّي دان. درّستني السيدة جيرارد مادة فنون اللغة العام الماضي".

"سعيد بلقائك يا سيدتي. دان تورانس".

صافحت السيدة جيرارد يده الممدودة بطريقة حسّاسة. استطاعت أبرا الشعور باسترخاء دان - العمّ دان. هذا جيد.

"هل تعيش في الجوار يا سيد تورانس؟".

"قاب قوسين، في فرايجر. أعمل في مأوى العجزة هناك. منزل هيلين ريفتغتون؟".

"آه. هذه وظيفة جيدة. أبرا، هل قرأت المتدجّل بعد؟ رواية مالامود التي نصحتك بها؟".

بدت أبرا كئيبة. "إنها على قائمتي - لقد تلقيت بطاقة هدية في ذكرى ولادتي - لكنني لم أبدأ بها بعد. تبدو صعبة".

"أنت جاهزة للأشياء الصعبة"، قالت السيدة جيرارد. "أكثر من جاهزة. ستبلغين المرحلة الثانوية في المدرسة أسرع مما تعتقدين، ثم الكلية. أقترح عليك أن تبدأي اليوم. سرّني التعرّف عليك يا سيد تورانس. لديك ابنة أخ ذكية جداً. لكن يا أبرا - مع الذكاء تأتي المسؤولية". لمست صدغ أبرا بإصبعها للتشديد على هذه النقطة، ثم صعدت درجات المكتبة ودخلتها.

استدارت إلى دان. "لم يكن ذلك سيئاً للغاية، صح؟".

"كل شيء جيد حتى الآن"، وافق دان. "بالطبع، إذا تكلمت مع والديك..."

"لن تتكلم معهما. ماما في بوسطن تساعد مومو. لديها السرطان".

"يؤسفني جداً سماع هذا. هل مومو"

(جَدِّكَ؟)

(جَدَّة والدي)

"بالإضافة إلى ذلك"، قالت أبرا، "نحن لا نكذب حقاً عن كونك عمّي. في حصة العلوم العام الماضي، أخبرنا السيد ستالي أن كل البشر يتشاركون نفس الخطة الجينية. قال إن الأشياء التي تجعلنا مختلفين صغيرة جداً. هل تعرف أننا نتشارك حوالي تسعة وتسعين بالمئة من بنيتنا الجينية مع الكلاب؟".

"لا"، قال دان، "لكن هذا يفسّر لماذا بدا لي ألو جيداً دائماً".

ضحكت. "لذا يمكنك أن تكون عمّي أو نسيبي أو أي شيء من هذا القبيل. هذا ما أقوله فحسب".

"هذه نظرية النسبية الخاصة بأبرا، أليس كذلك؟".

"أظن ذلك. وهل نحتاج إلى نفس لون العينين أو الخط الشعري لكي نكون أنسباء؟ لدينا شيء آخر مشترك بالكاد موجود بين أي شخصين آخرين. هذا يجعلنا من نوع خاص من الأنسباء. هل تعتقد أنها جينة، مثل جينة العينين الزرقاوين أو الشعر الأحمر؟ وبالمناسبة، هل تعرف أن أسكتلندا لها أعلى نسبة أشخاص لديهم شعر أحمر؟".

"لم أكن أعرف"، قال دان. "أنت ينبوع معلومات".

خبت ابتسامتها قليلاً. "هل هذا أمر سيئ؟".

"على الإطلاق. أظن أن البريق قد يكون جيناً، لكنني لا أعتقد ذلك حقاً. أعتقد أنه غير قابل للقياس".

"هل هذا يعني أنه لا يمكنك معرفة سببه؟".

"نعم". وجد نفسه يتذكّر تشارلي هايز، وكل الذين قبل تشارلي وبعده الذين رافقهم إلى خارج هذا العالم في شخصية طبيب النوم. يسمّي بعض الأشخاص لحظة الموت انتقالاً. وهذا مصطلح أعجب دان، لأنه بدا صحيحاً تقريباً. عندما ترى رجلاً ونساءً ينتقلون أمام عينيك - يغادرون تينيتاون التي يسمّيها الناس واقعاً ويجتازون فجوةً في السحاب نحو الآخرة - ستتغيّر طريقة تفكيرك. بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون حالات قصوى مميتة، العالم هو الذي ينتقل. في لحظات العبور تلك، لطالما شعر دان أنه في حضرة ضخامة غير مرئية كثيراً. ينامون، يستيقظون، يذهبون إلى مكان ما. يكملون حياتهم. كانت لديه أسباب ليصدّق ذلك، حتى عندما كان طفلاً.

"بماذا تفكّر؟"، سألت أبرأ. "يمكنني رؤيته، لكنني لا أفهمه. وأريد أن أفهمه".

"لا أعرف كيف أشرحه"، قال.

"أحد أسباب ذلك هو الأشخاص الأشباح، أليس كذلك؟ لقد رأيتهم ذات مرة، على متن القطار الصغير في فرايجر. كان حلماً لكنني أعتقد أنه كان حقيقياً".

اتّسعت عيناه. "هل رأيتهم حقاً؟".

"نعم. لا أعتقد أنهم أرادوا إيذائي - اكتفوا فقط بالنظر إليّ - لكنهم كانوا مخيفين نوعاً ما. أعتقد أنهم ربما كانوا أشخاصاً ركبوا القطار في الأيام الخوالي. هل رأيت أشخاصاً أشباحاً؟ لقد رأيتهم، أليس كذلك؟".

"نعم، لكن ليس منذ وقت طويل جداً". وبعضهم كان أكثر بكثير من مجرد أشباح. فالأشباح لا تترك مخلفات على مقعد المرحاض وستائر الدش. "أبرأ، كم يعرف والداك عن بريقك؟".

"يظنّ أبي أنه زال ما عدا مع أشياء قليلة - كأن أتصل من المخيمّ لأنني عرفتُ أن مومو مريضة - وهذا يسرّه. تعرف أمي أنه لا يزال هناك، لأنها تطلب مني أحياناً مساعدتها في العثور على شيء أضاعته - مثل مفاتيح سيارتها الشهر الفائت، حيث تركتهما على طاولة عمل بابا في المرأب - لكنها لا تعرف كم منه لا يزال هناك. لم يعودا يتكلمان عنه". سكتت قليلاً. "مومو تعرف. وهي غير خائفة منه مثل ماما وبابا، لكنها أخبرتني أن عليّ أن أكون حذرة. لأنه إذا عرّف الناس -". رسمت وجهاً هزلياً بأن قلبت عينيها ومدّت لسانها من طرف فمها. "يا للريبة، يا للسحنة العجيبة. أتعرف؟".

(نعم)

ابتسمت بامتنان. "بالتأكيد تعرف".

"لا أحد غيرها؟".

"حسناً... قالت مومو إن عليّ أن أتكلّم مع الدكتور جون، لأنه يعلم بعض الأمور من قبل. لقد، ممم، رأى شيئاً فعلته بالملاعق عندما كنتُ مجرد طفلة صغيرة. جعلتها تتدلى من السقف".

"هل يصدف أنه جون دالتون؟".

أضاء وجهها. "هل تعرفه؟".

"في الواقع، نعم. وجدّث له شيئاً ذات مرة. شيئاً أضاعه".

(ساعة!)

(هذا صحيح)

"لا أخبره كل شيء"، قالت أبرأ. بدت غير مرتاحة. "لم أخبره بالتأكيد عن فتى البيسبول، ولن أخبره أبداً عن المرأة ذات القبعة. لأنه سيخبر والديّ، ولديهما أمور كثيرة ليقلقا بشأنها من قبل. بالإضافة إلى ذلك، ماذا يمكنهما أن يفعلوا؟".

"دعينا نؤجل هذا في الوقت الحاضر. من هو فتى البيسبول؟".

"برادلي تريفور. براد. كان يدير قبعته إلى الخلف أحياناً ويسمّيها قبعة رالي. هل تعرف ما

هي؟".

أوما دان برأسه.

"لقد مات. قتلوه. لكنهم أدوه أولاً. أدوه كثيراً". بدأت شفنها السفلى ترتعش، وبدت فجأة أقرب إلى التاسعة من ثلاثة عشر تقريباً.

(لا تبكي يا أبرأ لا يمكننا تحمّل لفت الانتباه)

(أعرف، أعرف)

أخفّضت رأسها، أخذت عدة أنفاس عميقة، ثم عادت ورفعت نظرها إليه. كانت عيناها ساطعتين جداً، لكن فمها توقف عن الارتعاش. "أنا بخير"، قالت. "حقاً. أنا فقط مسرورة أنني لن أكون لوحدي وهذا داخل رأسي".

8

راح يُنصت لها جيداً بينما وصفت له ما تتذكّره من لقائها الأولي مع برادلي تريפור منذ سنتين. لم يكن الكثير. أوضح صورة تتذكّرها كانت لعدة مشاعل كهربائية متقاطعة تنيره بينما كان ممدداً على الأرض. وصرخاته. تذكّرتها جيداً.

"اضطروا إلى تسليط الأضواء عليه لأنهم كانوا يُجرون نوعاً من العمليات عليه"، قالت أبرأ. "هذا ما سمّوه، على أي حال، لكن كل ما كانوا يفعلونه في الواقع هو تعذيبه".

أخبرته عن إيجاد برادلي مرة أخرى على الغلاف الخلفي لصحيفة متسوّق أنيستون، مع كل الأولاد المفقودين الآخرين. كيف لمست صورته لترى إن كان يمكنها أن تكتشف عنه.

"هل يمكنك فعل ذلك؟"، سألت. "لمس الأشياء ورؤية صور في ذهنك؟ اكتشاف الأمور؟".

"أحياناً. ليس دائماً. كنت قادراً على فعل ذلك أكثر - وبشكل موثوق أكثر - عندما كنت صغيراً".

"هل تعتقد أن هذه القدرة ستزول مع الوقت؟ لن أمانع ذلك". سكتت قليلاً وراحت تفكّر. "مع أنني سأمانع نوعاً ما. من الصعب شرح الأمر".

"أعرف قصدك. إنه ميزتنا، أليس كذلك؟ ماذا يمكننا أن نفعل".

ابتسمت أبرأ.

"هل أنت متأكدة تماماً أنك تعرفين أين قتلوا هذا الفتى؟".

"نعم، ودفنوه هناك. حتى إنهم دفنوا قفازه البيسبول". سلّمته أبرأ ورقة مفكرة. كانت نسخة وليست الأصلية. كانت لتشعر بالإحراج لو رأى أي شخص كيف دوّنت أسماء فتيان فرقة "في هذه

الأثناء"، ليس مرة واحدة فقط بل مرات عديدة. حتى الطريقة التي دوّنتها بها بدت الآن خاطئة كلياً، تلك الأحرف الكبيرة التي يُفترض بها أن تعبر عن الحبّ.

"لا تغضبي بسبب هذا"، قال دان بذهن شارد بينما راح يدرس ما دوّنته على الورقة. "كنتُ مُولعاً بستيفي نيكس عندما كنتُ في سنّك. وبأنّ ويلسون أيضاً، من فرقة هارت. على الأرجح لم تسمعي بها أبداً، فهي غير مجارية لعصرك، لكنني كنتُ أحلم دائماً بدعوتها إلى إحدى حفلات الرقص التي تُقام كل ليلة جمعة في متوسطة غلنود. ما رأيك بهذا الغباء؟".

كانت تحدّق فيه، فاعرة الفم.

"غباء لكن طبيعي. أكثر شيء طبيعي في العالم، لذا هوّني على نفسك. ولم أكن أختلس النظر يا أبرا. كانت هناك فقط. قفزت إلى أمام وجهي نوعاً ما".

"يا إلهي". تورّد خدا أبرا بأحمر ساطع. "سأحتاج إلى بعض الوقت للاعتياد على هذا، أليس كذلك؟".

"سيحتاج كلانا إلى بعض الوقت يا صغيرتي". عاد ونظر إلى الورقة.

ممنوع الدخول بأمر من

مأمور مقاطعة كانتون

الصناعات العضوية

مَصنع الإيثانول #4

فريمان، أيوا

مُغلق إلى أجل غير مسمى

"حصلتِ على هذا عبر... ماذا؟ مشاهدته مراراً وتكراراً؟ إعادة لقّه كما لو أنه فيلم سينمائي؟".

"كانت لافتة ممنوع الدخول سهلة، لكن المسائل عن الصناعات العضوية ومَصنع الإيثانول، نعم. ألا يمكنك فعل ذلك؟".

"لم أجرب أبداً. ربما مرة، لكنني لم أعد أجرب على الأرجح".

"وجَدتُ فريمان، أيوا، على الكمبيوتر"، قالت. "وعندما استخدمتُ غُوغل إيرث، استطعتُ رؤية المَصنع. ذلك المكان موجود حقاً".

عادت أفكار دان إلى جون دالتون. آخرون في البرنامج تكلموا عن قدرة دان الغربية في العثور على الأشياء؛ جون لم يتكلم عنها أبداً. هذا ليس مدهشاً، حقاً. فالأطباء يتلون قسماً سرية يشبه ذلك الذي يُتلا في منظمة مدمني الشراب المجهولين، أليس كذلك؟ وهو ما يجعله قسماً مزدوجاً في حالة جون.

كانت أبرا تقول، "يمكنك الاتصال بوالدي برادلي تريفور، ألا يمكنك؟ أو بمكتب المأمور في مقاطعة كانتون؟ لن يصدّقوني، لكنهم سيصدّقون شخصاً بالغاً".

"أظن أنه يمكنني فعل ذلك". لكن الرجل الذي يعرف مكان دفن الجثة سينتقل فوراً إلى أعلى لائحة المشبوهين، لذا إذا فعل ذلك، عليه أن يكون حذراً جداً بشأن طريقة فعله إياه.

أبرا، المتاعب التي تجعليني أتكبّها.

"آسفة"، همست.

وَضَع يده فوق يدها وضغطها بلطف. "لا تأسفي. هذه جملة لم يكن يُفترض بك سماعها".

قَوّمت ظهرها. "يا إلهي، ها هي إيفون سترأود آتية. إنها في صفّي".

أبعد دان يده على عجل. رأى فتاة ممثلة ذات شعر بنيّ بنفس سنّ أبرا تقريباً قادمة على الرصيف. كانت تحمل حقيبة ظهر ومفكرة مكورةً عند صدرها. كانت عيناها ساطعتين وفضوليتين.

"ستريد معرفة كل شيء عنك"، قالت أبرا. "أعني كل شيء. وهي ثرثرة".

تبأً.

نظرَ دان إلى الفتاة المقتربة.

(لسنا مثيرين للاهتمام)

"ساعديني يا أبرا"، قال، وشعرَ بها تنضم إليه. بعدما كانا معاً، اكتسبت الفكرة عمقاً وقوة فوراً.

(لسنا مثيرين للاهتمام أبداً)

"هذا جيد"، قالت أبرا. "قليلاً بعد. افعله معي. كأننا نغني".

(بالكاد تريننا لسنا مثيرين للاهتمام كما أن لديك أشياء أفضل لتفعلينها)

أكملت إيفون سترأود طريقها مسرعةً، ولوّحت يدها لأبرا في إيحاء تحية غامضة دون أن تُبطئ سيرها. صعدت درجات المكتبة على عجل واختفت داخلها.

"مدهش"، قال دان.

ثم راحا يضحكان.

9

جَعَلَهَا دان تعيد عملية القرص الدوّار ثلاث مرات، لأنه أراد أن يتأكد أنه ينفّذها بشكل صحيح.

"لم تفعل هذا أبداً، أيضاً؟"، سألت أبرأ. "بُعد النظر؟".

"الإسقاط النجمي؟ لا. هل يحصل معك كثير؟".

"فقط مرة أو مرتين". ثم فكّرت بتمعّن. "ربما ثلاث مرات. ذات مرة دخلت فتاةً تسبح في النهر. كنتُ أنظر إليها من أسفل فنائنا. كنتُ في التاسعة أو العاشرة. لا أعرف لماذا حصل ذلك، فهي لم تكن في ورطة أو شيء من هذا القبيل، فقط تسبح مع أصدقائها. كانت تلك أطول مرة حصلت معي، حيث دامت لثلاث دقائق على الأقل. هل تسمّيه إسقاطاً نجمياً؟ مثل الفضاء الخارجي؟".

"إنه مصطلح قديم، من جلسات استحضار الأرواح منذ مئة سنة، وعلى الأرجح ليس مصطلحاً جيداً. كل ما يعنيه هو الشعور بالانعتاق من الجسد". هذا إذا كان بالإمكان تسمية أي شيء هكذا. "لكن - أريد التأكد أنني أفهم هذا جيداً - ألم تدخل فيك الفتاة التي تسبح؟".

هزّت أبرأ رأسها بشكل جازم، مما جعل ذيل حصانها يتطاير. "حتى لم تشعر بوجودي. المرة الوحيدة التي جرى فيها في الاتجاهين كانت مع تلك المرأة. تلك التي ترتدي القبعة. إلا أنني لم أر القبعة وقتها، لأنني كنتُ داخلها".

استخدم دان إصبعاً واحداً ليرسم دائرة. "دخلتها، ودخلتك".

"نعم". ارتعشت أبرأ. "هي التي طعنت برادلي تريفور إلى أن مات. عندما تبتسم يظهر سن طويل كبير في الأعلى".

شيءٌ بشأن القبعة ضرب وتراً حساساً، وهذا جعله يتذكّر دينيه من ويلمنغتون. لأن دينيه كانت ترتدي قبعة؟ لا، حتى ولو كانت ترتدي قبعةً فهو لا يتذكّرها؛ لأنه كان ثملاً جداً. شيءٌ لا معنى له على الأرجح - أحياناً يُجري الدماغ روابط وهمية، هذا كل ما في الأمر، خاصة عندما يكون تحت الإجهاد، والحقيقة (لم يكن يحبّ أن يعترف بذلك) هي أن دينيه لم تكن بعيدة عن أفكاره أبداً. بإمكان شيء عشوائي مثل رؤية صندل فلينيّ النعل في نافذة متجرٍ أن يعيدها إلى ذهنه.

"من دينيه؟"، سألت أبرأ. ثم رمشت بسرعة وتراجعت قليلاً، كما لو أن دان لوّح يده أمام عينيها فجأة. "آه. أظن أنه لا يُفترض بي أن أذهب إلى هناك. أسفة".

"لا بأس"، قال. "دعينا نعود إلى امرأتك ذات القبعة. عندما رأيتها لاحقاً - عند نافذتك - لم يكن الأمر مماثلاً؟".

"لا. حتى إنني غير متأكدة أن ذلك كان بريفاً. أعتقد أنه كان تذكراً، من المرة التي رأيتها فيها تؤذي الفتى".

"لذا لم تركِ هي أيضاً. لم تركِ أبداً". لو كانت المرأة خطيرة مثلما تعتقد أبرا، لكان هذا مهماً.

"لا. أنا متأكدة أنها لم ترني. لكنها تريد أن تراني". نظرت إليه بعينين جاحظتين، وراح فمها يرتعش مرة أخرى. "عندما حصلت عملية القرص الدوار، كانت تفكر بالمرأة. أرادتني أن أنظر إلى نفسي. أرادت استخدام عيني لكي تراني".

"ماذا رأيت عبر عينيك؟ هل يمكنها العثور عليك بهذه الطريقة؟".

راحت أبرا تفكر بعناية. قالت أخيراً، "كنت أنظر خارج نافذتي عندما حصل ذلك. كل ما يمكنني رؤيته من هناك هو الشارع. والجبال، بالطبع، لكن هناك الكثير من الجبال في أميركا، صح؟".

"صح". هل تستطيع المرأة ذات القبعة أن تطابق الجبال التي رأتها عبر عيني أبرا بصورة فوتوغرافية، إذا أجرت بحثاً مضمياً على الكمبيوتر؟ مثل أي شيء آخر في هذه المهنة، لا توجد أي طريقة للتأكد بشكل مطلق.

"لماذا قتلوه يا دان؟ لماذا قتلوا فتى البيسبول؟".

اعتقد أنه يعرف، وكان ليخفيه عنها لو كان يستطيع، لكن حتى هذا الاجتماع القصير كان كافياً ليخبره أنه لن يكون لديه أبداً ذلك النوع من العلاقة مع أبرا رافاييلا ستون. يكافح مدمنو الشراب الذين يتعافون لتحقيق "صدق كامل في كل شؤوننا"، لكن نادراً ما يحققونه؛ لا يستطيع أن يتجنبه هو وأبرا.

(طعام)

حدقت فيه، مذعورة. "أكلوا بريقه؟".

(أعتقد ذلك)

(إنهم مصاصو دماء؟)

ثم، بصوت عالٍ: "مثل أولئك في فيلم الشفق؟".

"ليس مثلهم"، قال دان. "وبالله عليك يا أبرأ، أنا أتكهن فقط". فُتح باب المكتبة. نظرَ دان نحوه، خائفاً أن تكون إيفون سنراود الفضولية أكثر مما ينبغي، لكن دخلَ ثنائياً من فتى وفتاة ينظران فقط إلى عيني بعضهما البعض. عاد إلى أبرأ. "علينا إنهاء هذا الاجتماع".

"أعرف". رفعت يدها، فركت شفيتها، أدركت ماذا كانت تفعل، وأعادتها إلى حُصنها. "لكن عندي أسئلة كثيرة. هناك أمور كثيرة أريد أن أعرفها. سأحتاج إلى ساعات".

"ليس لدينا هذا المتسع من الوقت. هل أنت متأكدة أنه جرى لدى سام؟".

"ماذا؟".

"هل كانت في أحد متاجر سام؟".

"آه. نعم".

"أعرف سلسلة المتاجر هذه. حتى إنني تبضعتُ من أحدها، لكن ليس في هذه الأرجاء".

ابتسمت. "بالطبع لا أيها العمّ دان، ليس هناك أي متجر منها هنا. كلها في الغرب. بحثتُ عنها في غوغل هي أيضاً". خفت الابتسامة. "هناك المئات منها، على طول الطريق من نبراسكا إلى كاليفورنيا".

"أحتاج إلى التفكير في هذا أكثر، وأنت أيضاً. يمكنك البقاء على اتصال بي عبر البريد الإلكتروني إذا كان الأمر مهماً، لكن من الأفضل أن تُبقي فمنا مغلقاً. اتفقنا؟".

"نعم"، قالت وابتسمت. "الجزء الجيد الوحيد في هذا هو وجود صديق يعرف كيف يُبقي فمه مغلقاً".

"هل يمكنك استخدام السبورة؟".

"بالتأكيد. هذا سهل جداً".

"يجب أن تتذكّري شيئاً واحداً، أهمّ من كل شيء آخر. المرأة ذات القبعة لا تعرف على الأرجح كيفية العثور عليك، لكنها تعرف أنك موجودة في مكان ما".

بقيت هادئة جداً. حاول قراءة أفكارها، لكن أبرأ كانت تحميها.

"هل يمكنك ضبط جهاز إنذار في ذهنك؟ لكي تعرفين إن كانت في مكان قريب منك، إما عقلياً أو جسدياً؟".

"تعتقد أنها ستلاحقني، أليس كذلك؟".

"قد تحاول. لسببين. أولاً، لأنك تعرفين بوجودها".

"وبوجود أصدقائها"، همست أبراً. "لديها الكثير من الأصدقاء".

(يحملون مشاعل كهربائية)

"ما هو السبب الآخر؟"، وأضافت قبل أن يتمكّن من الردّ: "لأنني سأكون صالحة للأكل. مثلما كان فتى البيسبول صالحاً للأكل. صح؟".

لا جدوى من إنكار ذلك؛ فجبهته عبارة عن نافذة لأبراً. "هل يمكنكِ ضبط إنذار؟ إنذار قُرب؟ هذا يعني -"

"أعرف معنى كلمة قُرب. لا أعرف، لكنني سأحاول".

عَرَفَ ماذا ستقول تالياً قبل أن تقوله، ولم يحتج إلى قراءة أفكارها ليعرف ذلك. هي مجرد طفلة، في النهاية. هذه المرة عندما أمسكت يده، لم يُبعدها. "عِدني أنك لن تدعها تنال مني يا دان. عِدني".

فوعدها، لأنها طفلة وتحتاج إلى مواساة. لكن بالطبع هناك طريقة واحدة فقط لكي يفني بهكذا وعد، وهي جعل التهديد يزول.

فكّر بالأمر مرة أخرى: أبراً، المتاعب التي تجعليني أتكبّدها.

وقالته مرة أخرى، لكن هذه المرة ليس بصوت عالٍ:

(أسفة)

"الذنب ليس ذنبك يا عزيزتي. أنتِ لم

(تطلبي هذا)

"أكثر مما طلبته أنا. ادخلي مع كتبك. يجب أن أعود إلى فرايجر. لديّ نوبة عمل هذه الليلة".

"حسناً. لكننا أصدقاء، صح؟".

"أصدقاء تماماً".

"هذا يسرّني".

"وأنا أكيد أن رواية المتدجّل ستعجبك. أعتقد أنك ستفهمينها. لأنك تدخلت ببضعة أمور في زمانك، أليس كذلك؟".

تعمّقت غمّازاتٌ جميلةٌ عند أطراف فمها. "أنت أدري".

"أه، صدّقيني"، قال دان.

راقبها تبدأ صعود الدرجات، ثم توقفت وعادت. "لا أعرف من هي المرأة ذات القبعة، لكنني أعرف أحد أصدقائها. إسمه باري الصدع، أو شيء من هذا القبيل. أنا أكيدة أنه أينما تكون، سيكون باري الصدع في مكان قريب. ويمكنني إيجادها، إذا كان معي قفاز فتى البيسبول". نظرت إليه نظرة هادئة بتلك العينين الزرقاوين الجميلتين. "سأعرف، لأن باري الصدع ارتداه لبعض الوقت".

10

في منتصف طريق العودة إلى فرايجر، وهو يفكر ملياً بامرأة أبرأ ذات القبعة، تذكر دان شيئاً جعل كل جسمه ينتفض. كاد ينحرف فوق الخط الأصفر المزدوج، وأطلقت له شاحنةً مقتربةً من الغرب على الطريق 16 بوقها بشكل مزعج.

حصل ذلك منذ اثنتي عشرة سنة، عندما كانت فرايجر لا تزال جديدة له، وعدم ثماليته متزعزعة جداً. كان يسير عائداً إلى نُزل السيدة روبرتسون الذي حجز فيه غرفة في ذلك اليوم بالذات. كانت هناك عاصفة تقترب، لذا صرّفه بيلى فريمان بعد أن أعطاه حذاءً طويلاً. الفردتان غير متشابهتين، لكنهما متطابقتين على الأقل. وبينما كان ينعطف الناصية من مورهد إلى إيوت، رأى -

استراحة أمامه مباشرة. دخلها دان وسار نحو صوت مياه جارية. إنه نهر ساكو، بالطبع؛ يجتاز عشرين بلدة صغيرة في نيو هامبشاير بين كونواي الشمالية وكروفورد نوتش، ويربطها مثل خرزات في سلسلة.

رأيتُ قبعةً عند المزارب. قبعة عالية سوداء رسمية قديمة مقصوفة مثل تلك التي قد يرتديها لاعب الخفّة. أو ممثل في كوميديا موسيقية قديمة. غير أنها لم تكن هناك حقاً، لأنني عندما أغمضتُ عينيّ وعددتُ إلى خمسة، اختفت.

"حسناً، هذا كان بريقاً"، قال للمياه الجارية. "لكن هذا لا يجعلها بالضرورة نفس القبعة التي رأتها أبرأ".

غير أنه لا يمكنه تصديق ذلك، لأنه لاحقاً في تلك الليلة حلم بدنيه. كانت ميتة، ووجهها معلّقاً بجمجمتها مثل عجينة على عصا. ميتة وترتدي البطانية التي سرقها دان من عربة تسوّق

المتشرد. ابق بعيداً عن المرأة ذات القبعة يا حبيبي. هذا ما قالته له. وشيء آخر... ماذا؟

إنها الملكة السافلة لحصن الجحيم.

"لا تتذكّرين ذلك"، قال للمياه الجارية. "لا أحد يتذكّر الأحلام بعد اثنتي عشرة سنة".

لكنه تذكّرها. والآن تذكّر بقية ما قالته المرأة الميتة من ويلمنغتون: إذا عبثت معها، ستأكلك

حيّاً.

11

دخل غرفة برجه بعيد السادسة حاملاً صينية طعام من الكافيتيريا. نظر إلى السبورة أولاً، وابتسم للمكتوب عليها:

شكراً لأنك صدقتني.

كما لو أنه كان لديّ أي خيار آخر يا عزيزتي.

محا رسالة أبراء، ثم جلس إلى مكتبه مع عشائه. بعد مغادرته الاستراحة، عادت أفكاره إلى ديك هالوران. افترض أن الأمر طبيعي تماماً؛ فعندما يطلب منك شخصٌ أخيراً أن تعلّمه، تذهب إلى أستاذك لكي تعرف كيف تفعل ذلك. انقطع دان عن التواصل مع ديك خلال سنوات إدمانه الشراب (بسبب الخزي في الأغلب)، لكنه اعتقد أنه قد يكون ممكناً معرفة ماذا حصل للعجوز. وربما حتى الاتصال به، إذا كان ديك لا يزال حيّاً. ومهلاً، الكثير من الأشخاص يعيشون حتى التسعين من أعمارهم، إذا اعتنوا بصحتهم. جدّة والدة أبراء، مثلاً.

أحتاج إلى بعض الأجوبة يا ديك، وأنت الوحيد الذي أعرف أنه قد يملك بعضاً منها. لذا اعمل لي معروفاً يا صديقي، وكُن لا تزال حيّاً.

شغل كمبيوتره وفتح فايرفوكس. كان يعرف أن ديك أمضى فصول شتائه يطبخ في سلسلة منتجات في فلوريدا، لكن لا يمكنه أن يتذكّر أسماءها أو حتى على أي ساحل تقع. كلاهما على الأرجح - نابولي في سنة، وبالم بيتش في السنة التالية، وساراسوتا أو كي وست في السنة التي بعد ذلك. هناك دائماً وظيفة لرجلٍ يمكنه إرضاء الأذواق، خاصة أذواق الأغنياء، وكان ديك قادراً على إرضائها بشكل مختلف عن كل الباقيين. خطرت فكرة ببال دان تقول إن أفضل حظوظه قد تكون الإملاء المراوغ لكنية ديك - ليس هالورن بل هالوران. كتب ريتشارد هالوران وفلوريدا في مربع البحث، ثم ضغط Enter. حصل على آلاف النتائج، لكنه كان أكيداً أن النتيجة التي يريدّها هي الثالثة من الأعلى، وفرت منه تهيدة خيبة أمل خافتة. نقر الرابط فظهر له مقالٌ من صحيفة ميامي هيرالد. لا شك. عندما يظهر العمر والإسم في عنوان المقال، ستعرف بالضبط إلى ماذا تنظر.

طبّاخ ساوث بيتش المشهور

ريتشارد "دك" هالوران، 81.

كانت هناك صورة فوتوغرافية صغيرة، لكن دان يمكنه أن يتعرّف على ذلك الوجه المبتهج في أي مكان. هل مات وحيداً؟ شكّ دان بذلك. كان الرجل اجتماعياً جداً... ومولعاً جداً بالنساء. الأرجح أن فراش موته كان محاطاً بأشخاص كثر، لكن الشخصين اللذين أنقذهما ذلك الشتاء في كولورادو لم يكونا هناك. كان لدى ويندي تورانس عذر شرعي: لقد سبقته إلى الموت. لكن ابنها...

هل كان في مقصف سيئ السمعة، يعجّ بشراب اسكتلندي وأغاني سائقي الشاحنات على علبة الموسيقى، عندما مات دك؟ ربما كان مسجوناً تلك الليلة بتهمة الثمالة وعدم الانضباط؟

كان سبب الموت نوبة قلبية. أعاد التمرير إلى بداية المقال وتفحص التاريخ: 19 يناير 1999. الرجل الذي أنقذ حياة دان وحياة أمه مات منذ خمس عشرة سنة تقريباً. لن تأتي مساعدة من ذلك الحي.

من خلفه، سمع الصرير الناعم لطبشورة على السبّورة. بقي جالساً في مكانه للحظة، وأمامه طعامه الذي يبرد وكمبيوتره المحمول. ثم استدار ببطء.

كانت الطبشورة لا تزال على الحافة أسفل السبّورة، لكن بدأت صورةً تظهر، على أي حال. بدائية لكن ممكن تمييزها. كانت صورة قفاز بيسبول. عندما انتهت، رسمت طبشورتها - غير المرئية، لكنها لا تزال تُصدر صوت الصرير المنخفض ذاك - علامة استفهام في جيب القفاز.

"أحتاج إلى التفكير في هذا"، قال، لكن قبل أن يتمكن من فعل ذلك، أزرّ نظام الاتصال الداخلي لمناداة طبيب النوم.

الفصل 9

أصوات أصدقائنا الموتى

1

في سنّ المئة واثنين، كانت إيلانور أوليت أكبر مقيمة معمرة في منزل ريفنغتون في خريف 2013 ذلك، كبيرة في السنّ بما يكفي بحيث أن كنيته لم تتأمرك أبداً. لم تكن تردّ عند مناداتها ويليت بل عند مناداتها باستخدام لفظ فرنسي أنيق أكثر بكثير: *أوه-لاي*. يسمّيها دان أحياناً الأنسة آه يا للروعة، وهذا يجعلها تبسم دائماً. رون ستيمسون، أحد الأطباء الأربعة الذين يقومون بجولات نهائية دورية في مأوى العجزة، أخبر دان ذات مرة أن إيلانور برهان على أن الحياة أقوى من الموت أحياناً. "كبهها متوقف عن العمل كلياً، رثاها مسودتان من التدخين لثمانين سنة، ولديها سرطان في القولون والمستقيم - يتقدّم بوتيرة الحلزون، لكنه حقود جداً - وجدران قلبها رقيقة مثل شارب قطة. ومع ذلك فهي صامدة".

إذا كان أزريل محقاً (وهو لا يُخطئ أبداً، بحسب خبرة دان) فإن إيجار إيلانور الطويل الأمد في الحياة على وشك أن ينتهي، لكنها لم تبدُ أبداً أنها امرأة واقفة على عتبة الحياة. كانت تجلس مستوية على السرير تمسّد القط عندما دخل دان. شعرها متموّج بشكل جميل - فقد زارها مصقّف الشعر البارحة - وقميص نومها الزهري نظيف جداً كالعادة، نصفه العلوي يعطي خديها الشاحبين بعض اللون، ونصفه السفلي متباعد عن ساقها النحيلتين كالعصا مثل فستان حفلة.

وضع دان يديه على خديه. "آه يا للروعة! امرأة جميلة! أنا مغرم!".

قلبت عينيها، ثم أمالت رأسها وابتسمت له. "لست مورييس شوفالييه، لكنني أحبك يا عزيزي. أنت مبتهج، وهذا مهم، أنت وقح، وهذا أهم، ولديك مؤخرة جميلة، وهذا الأهم. مؤخرة الرجل هي المكبس الذي يقود العالم، ولديك مؤخرة جيدة. لو كنت في عزّ شبابي، لكنك سديتها بإبهامي ثم أكلتُك حياً. من المفضلّ قرب حوض سباحة فندق لو ميريديان في مونتي كارلو، مع وجود جمهور ليصقّق لجهودي الأمامية والخلفية".

تمكّن صوتها، الأجنس لكن الإيقاعي، من جعل هذه الصورة فاتنة بدلاً من سوقية. بالنسبة لدان، كان صوت إيلانور الخشن من السجائر هو صوت مغنية ملهى رأت وفعلت كل شيء حتى قبل أن تطأ أقدام الجيش الألماني جادة الشانزليزيه في ربيع 1940. مرهق جداً، ربما، لكن ليس باهتاً البتة. ورغم أن إمارات الموت بدت على وجهها رغم اللون الباهت الذي عكسه عليه قميص نومها المختار ببراعة، إلا أن إمارات الموت بدت عليها منذ 2009، وهي السنة التي انتقلت فيها إلى الغرفة 15 في ريفنغتون واحد. فقط حضور آزي قال إن هذه الليلة مختلفة.

"أنا متأكد أنك كنت لتكوني مدهشة"، قال.

"هل تواعد أي سيدات يا عزيزي؟".

"ليس حالياً". باستثناء واحدٍ، وكانت يافعة جداً للحبّ.

"هذا مؤسف. لأن هذا في السنوات اللاحقة" - رفعت سبابتها النحيلة، ثم تركتها تنهدلّ نزولاً - "يصبح هذا. ستري".

ابتسم وجلس على سريرها. مثلما جلس على عدة أسرّة أخرى. "كيف تشعرين يا إيلانور؟".

"لا بأس". راقبت آزي يقفز عن سريرها ويخرج من الغرفة، فقد انتهى عمله لهذه الليلة. "استقبلت عدة زوّار. وتروا قطعك، لكنه صبر إلى أن أتيت".

"ليس قطي يا إيلانور. إنه قط المنزل".

"لا"، قالت، كما لو أن الموضوع لم يعد يهّمها كثيراً، "إنه قطعك".

شكّ دان أن تكون إيلانور قد استقبلت ولو زائراً واحداً - غير أزريل، طبعاً. ليس الليلة، ليس طوال الأسبوع أو الشهر الفائت، ليس طوال العام الماضي. كانت لوحدها في العالم. حتى المحاسب الدينصور الذي بقي يُشرف على أمورها المالية لسنوات عديدة، ويزورها بمشيئته المتناقلة مرةً كل فصلٍ حاملاً حقيبة ملفات بحجم صندوق سيارة ساب، مات الآن. ادّعت الأنسة آه يا للروعة أن لديها أنسباء في مونتريال، "لكنني لم أعد أملك ما يكفي من مال لكي تكون زيارتي جديرة بالاهتمام يا عزيزي".

"من الذي جاء إذا؟"، سألتها متوقفاً أنها قصدت جينا ويمز أو أندريا بوتشتاين، وهما الممرضتان اللتان تعملان نوبة الثالثة إلى الحادية عشرة في ريف واحد هذه الليلة. أو ربما پول لارسون، وهو ممرض بطيء الحركة لكن محترم يعتبره دان الصورة المعاكسة لـ فُرد كارلينغ، توقف ليثرثر معها قليلاً.

"مثلما قلتُ، عدة زوّار. إنهم يمرّون حتى الآن. استعراض لانهائي منهم. بيتسمون، ينحنون، وولد يهزّ لسانه مثل ذيل كلب. بعضهم يتكلّم. هل تعرف الشاعر جورج سيفيريس؟".

"لا يا سيدتي، لا أعرفه". هل يوجد آخرون هنا؟ لديه سبب ليصدّق أن هذا ممكن، لكنه لا يشعر بهم. هو لا يشعر بالآخرين دائماً.

"يسأل السيد سيفيريس، 'هل هذه أصوات أصدقائنا الموتى، أم فقط الغراموفون؟'. الأولاد هم الأتعس. كان هنا فتى سقط في بئر".

"حقاً؟".

"نعم، وامرأة انتحرت بواسطة نابض سرير".

لم يشعر ولو بأبسط دلالة لحضورٍ ما. هل يُعقل أن لقاءه مع أبرا ستون أضعفه؟ هذا ممكن، وعلى كل حال، البريق يأتي ويرحل في موجات لم يتمكن أبداً من تحديد مواعيدها. لكنه لا يعتقد أن هذا هو السبب. اعتقد أن إليانور أصابها الخبل على الأرجح. أو ربما تحاول خداعه. هذا ليس مستحيلاً. فإليانور آه يا للروعة تحبّ المزاح. لقد اشتهر أحدهم - هل كان أوسكار وايلد؟ - بأنه قال نكتة وهو على فراش موته: إما أن يرحل ورق الجدران هذا، أو أرحل أنا.

"عليك أن تنتظر"، قالت إليانور. لم تكن هناك فكاهاة في صوتها الآن. "ستعَلن الأضواء عن وصولٍ. قد تحصل إزعاجات أخرى. سيُفتح الباب. ثم يدخل زائرك".

نظرَ دان بارتياحاً إلى باب الرواق، الذي كان مفتوحاً من قبل. يتركه مفتوحاً دائماً، لكي يستطيع آزي المغادرة إذا أراد ذلك. وهو يغادر عادة بعدما يأتي دان ليستلم زمام الأمور منه.

"إليانور، هل تريدين بعض العصير البارد؟".

"كنتُ سأريد لو كان هناك -"، بدأت تقول، ثم فرّت الحياة من وجهها مثل فرار الماء من حوض فيه فجوة. تركّزت عيناها على نقطة فوق رأسه وفغر فاهها. ارتخى خذاها وسقط ذقنها إلى حدود صدرها الهزيل. كما سقط الجزء العلوي من طقم أسنانها الاصطناعية، وانزلق فوق شفتها السفلى، وعلق في ابتسامة مُقلّقة في الهواء الطلق.

تبأً، حصل هذا بسرعة كبيرة.

عقفت إصبعاً بعناية تحت الجزء العلوي من طقم أسنانها الاصطناعية وأخرجه من فمها. امتدّت شفتها إلى الخارج، ثم وثبتت عائدةً إلى مكانها مُحدثة صوتاً خفيفاً يشبه صوت سقوط قطرة ماء. وَضَع دان الجزء العلوي لطقم أسنانها الاصطناعية على منضدة سريرها، وبدأ يهَمّ بالنهوض، ثم عاد وجلس. انتظر الرذاذ الأحمر الذي تسمّيه ممرضة تامبا العجوز لهاثاً... كما لو أنه شهيق بدلاً من زفير. لم يأت.

عليك أن تنتظر .

حسناً، يمكنه أن يفعل ذلك، لبعض الوقت على الأقل. سعى إلى ذهن أبرأ ولم يجد شيئاً. قد يكون هذا أمراً جيداً. ربما تبذل جهودها لكي تحمي أفكارها. أو ربما فقد قدرته - حساسيته. إذا كان الأمر كذلك، لا يهم. سيعود. لطالما عاد، على أي حال.

تساءل (مثلما تساءل من قبل) لماذا لم ير أبداً ذباباً على وجه أي ضيف في منزل ريفنغتون. ربما لأنه لا يحتاج إلى ذلك. لديه آزي، في النهاية. هل رأى آزي شيئاً بعينه الخضراوين الحكيمتين؟ ربما ليس ذباباً، بل شيئاً؟ يجب أن يكون قد رأى شيئاً.

هل هذه أصوات أصدقائنا الموتى، أم فقط الغراموفون؟

الجو هادئ جداً في الطابق هذه الليلة، ولا يزال الوقت مبكراً! لم يكن هناك صوت محادثة من غرفة الاستراحة في نهاية الرواق. لا تلفزيون أو راديو. لا يمكنه سماع صرير حذاء بول الرياضي أو الصوت المنخفض لجينا وأندريا في محطة الممرضات. لم يرن أي هاتف. أما ساعته -

رفعها دان. لا عجب أنه لا يمكنه سماع تكتكتها الخافتة. لقد توقفت عن العمل.

انطفأ الضوء الفلوري في السقف، ولم يبق سوى مصباح طاولة إليانور مُضاءً. عاد الضوء الفلوري، وانطفأ المصباح. عاد مرة أخرى، ثم انطفأ والضوء الفلوري معاً. أضاء... انطفأ... أضاء.

"هل يوجد أحدٌ هنا؟".

خشخش الإبريق على منضدة السرير، ثم هدأ. وأصدرَ طقم الأسنان الاصطناعية الذي كان قد أخرجه من فمها طقطقةً مُقلقةً. امتدَّ تموجٌ غريبٌ على طول ملاءة سرير إليانور، كما لو أن شيئاً تحته جفل واندفع في حركة مفاجئة. طبعت نفخة هواء دافئ قبلةً سريعةً على خد دان، ثم زالت.

"من هنا؟". بقيت نبضات قلبه طبيعية، لكن يمكنه أن يشعر بها في عنقه ومِعصميه. بدا الشعر على الجهة الخلفية لعنقه سميكاً ومشدوداً. عرّف فجأة ما الذي كانت إليانور تراه في لحظاتها الأخيرة: استعراض

(أشخاص أشباح)

الموتى، يدخلون غرفتها من أحد الجدران ويخرجون من جدار آخر. يخرجون؟ لا، ينتقلون. لا يعرف سيفيريس، لكنه يعرف أودن: الموت يأخذ الفاحشي الثراء، المضحكين إلى حد بعيد، وأصحاب الأعضاء التناسلية الكبيرة. لقد رأتهم كلهم وكانوا هنا -

لكنهم لم يكونوا هنا. يعرف أنهم لم يكونوا هنا. الأشباح التي رأتها إيلانور رحلت وقد انضمت إلى استعراضها. قيل له إن عليه أن ينتظر. فكان ينتظر.

انغلق الباب الذي يؤدي إلى الرواق ببطء. ثم فُتح باب الحمام.

من فم إيلانور أوليت الميت خرجت كلمة واحدة: "داني".

2

عندما تدخل بلدة سايدوندر، ستمرّ بجانب لافتة تقول "مرحباً بك في قمة أميركا!". ليست القمة، لكنها قريبة كفاية. ثلاثون كيلومتراً من المكان الذي يصبح فيه المنحدر الشرقي غربياً، وينفّر ع طريق ترابي من الطريق العام الرئيسي ويتّجه شمالاً. اللافتة المحروقة في الخشب والمعلّقة على قنطرة فوق هذا الطريق الفرعي تقول "مرحباً بك في مخيم بلوبل! امكث لبعض الوقت أيها الصديق!".

هذا يبدو مماثلاً لحسن الضيافة الغربية القديمة، لكن السكان المحليين يعرفون أن بوابة الطريق مغلقة في أغلب الأحيان، وعندما تكون هكذا، تتدلّى منها لافتة أقلّ ترحيباً تقول: "مُغلق إلى أجل غير مسمى". طريقة قيامهم بأعمالهم التجارية تبقى سراً لسكان سايدوندر، الذين يودّون رؤية مخيم بلوبل مفتوحاً كل يوم لا تكون فيه طرقات المناطق الداخلية مقطوعة بالثلوج. يشناقون إلى التجارة التي كان الأوفرلوك يُحضرها، ويأملون أن يعوّض عنها المخيم ولو جزئياً (رغم معرفتهم أن المخيمين لا يملكون صنف المال الذي كان ضيوف الفندق يضحّونه في الاقتصاد المحلي). لكن الحال لم يكن هكذا. الإجماع العام هو أن المخيم ملاذٌ ضريبيٌّ لشركةٍ غنية.

إنه ملاذ، نعم، لكن الشركة التي تأويه هي العقدة الحقيقية، وعندما يكونون هنا، تكون سيارات العيش الوحيدة في مرأب السيارات الكبير هي سيارات عيشهم، وإيرتُكروزر روز القبعة هي الأطول بينها.

في ذلك المساء من سبتمبر، تجمّع تسعة أعضاء من العقدة الحقيقية في المبنى العالي السقف الريفيّ بشكل سار والمسمّى كوخ الأوفرلوك. عندما يكون المخيم مفتوحاً للعامة، يُستخدم الكوخ كمطعم يقدم وجبتي طعام في اليوم، الفطور والعشاء. يحضّر إيدي القصير ومو الضخمة (إسميهما الدنيوبيين إد ومورين هيغنز) الطعام. كلاهما لا يرقيان إلى معايير دك هالوران المطبخية - قلة يرقون إليها! - لكن من الصعب الإخفاق في إعداد الأشياء التي يأكلها المخيمون: رغيف لحم، معكرونة وجبنة، رغيف لحم، فطائر مغطاة بشراب القيقب، رغيف لحم، يخنة دجاج، رغيف لحم، مفاجأة الطون، ورغيف لحم مع صلصة الفطر. بعد العشاء، تُخلى الطاولة لبعض ألعاب الحظ والورق. وتُقام حفلات رقص في عطل نهاية الأسبوع. تجري تلك الاحتفالات فقط عندما يكون المخيم مفتوحاً. هذا المساء - وعلى بُعد ثلاث مناطق زمنية شرقاً، جُلس دان تورانس بجانب امرأة ميتة ينتظر زائره - هناك تجارة من صنف مختلف ستجري في كوخ الأوفرلوك.

كان جيمي الأرقام يجلس عند رأس طاولة نُصِبَتْ في وسط طابق القيقب المُطلّ المصقول. كمبيوتره المحمول مفتوح، وشاشته تُظهر صورة فوتوغرافية لمسقط رأسه، الذي يصدف أنه يقع عميقاً في جبال الكاربات (يحبّ جيمي أن يمزح بأن جدّه استضاف ذات يوم محامياً يافعاً من لندن يدعى جوناثن هاركر).

تحلّق حوله وقوفاً للنظر إلى الشاشة كلّ من روز، كُرو دادي، باري الصّدع، آندي لدغة الأفعى، تشارلي التأشيرة، آني المنزر، دوغ الديزل، والجدّ فليك. لا أحد منهم أراد أن يقف بجانب الجدّ، الذي بدت رائحته كما لو أن كارثة صغيرة حصلت في بنطلونه ثم نسي تنظيفها (وهذا شيء يزداد حصوله هذه الأيام)، لكن الأمر مهم وسيتحمّلونه.

جيمي الأرقام شخص متواضع ذو خط شعري منحسِر ووجه لطيف رغم أنه يشبه وجه القرد قليلاً. بدا في حوالي الخمسين من عمره، وهذا ثلث عمره الفعلي. "بحثث عن متجر البطالة في غوغل ولم أجد شيئاً مفيداً، وهذا ما توقّعتُه. في حال كان هذا يهّمكم، اعلّموا أن متجر البطالة مصطلح عامي بين المراهقين يعني فعل شيء ببطء شديد بدلاً من فعله بسرعة كبيرة حقاً -"

"لا يهّمنا"، قال دوغ الديزل. "وبالمناسبة، رائحتك كريهة أيها الجدّ. لا أقصد التقليل من شأنك، لكن متى كانت آخر مرة مسّحت فيها مؤخرتك؟".

كشف الجدّ فليك عن أسنانه - المتأكلة والصفراء، لكنها كلها أسنانه الأصلية - لدوغ. "مسّحتها لي زوجتك هذا الصباح يا ديز. بوجهها. أمر بغيض نوعاً ما، لكن يبدو أنها تحبّ هذا النوع من -"

"أخرسا، أنتما الاثنان"، قالت روز بصوت محايد وغير تهديدي، لكن دوغ والجدّ انكمشا بعيداً عنها، وبدا على وجهيهما تعبير طالّبين مُعاقبين. "أكمل يا جيمي. لكن لا تستطرد. أريد خطة متماسكة، وسريعاً".

"سيبقى الباقون مُمانعين مهما تكن الخطة متماسكة"، قال كُرو. "سيقولون إنها كانت سنة جيدة للبخار. تلك الحادثة في صالة السينما، حريق دار العبادة في ليتل روك، والعمل الإرهابي في أوستن. ناهيك عن خواريز. كنتُ مُرتاباً بشأن الذهاب جنوبي الحدود، لكنه كان جيداً".

أفضل من جيد، في الواقع. أصبحت خواريز تسمّى عاصمة جرائم القتل في العالم، ونالت لقبها بفضل ما يزيد عن ألفين وخمسمئة جريمة قتل في السنة. العديد منها جرائم تعذيب. الجو العام غنيّ جداً. لم يكن بخاراً نقياً، وجعلنا نشعر ببعض الغثيان في المعدة، لكنه أدّى المهمة.

"كل تلك الحبوب اللعينة سبّبت لي الإسهال"، قال تشارلي التأشيرة، "لكن عليّ أن أعترف أن الغنائم كانت ممتازة".

"كانت سنة جيدة حقاً"، وافقته روز، "لكن لا يمكننا العمل في المكسيك - نحن ملفتون للانتباه كثيراً. لأننا هناك أميركيون أغنياء. أما هنا فنتلاشى بين الأعشاب. ألم تسأموا من العيش من

سنة إلى سنة؟ في تنقل دائم ونعدّ العلب دائماً؟ هذا مختلف. هذا هو المنجم بحدّ ذاته".

لم يردّ أي واحد منهم عليها. إنها قاندهم، وفي النهاية سيفعلون ما تقوله، لكنهم لم يفهموا عن الفتاة. لا بأس. عندما يواجهونها بأنفسهم، سيفهمون. وعندما يحبسونها ويبدأون بإنتاج البخار بانتظام، سيعرضون الركوع على ركبهم وتقبيل قدمي روز. حتى إنها قد تقبل عرضهم.

"أكمل يا جيمي، لكن أوضح ماذا تقصد".

"أنا متأكد تماماً أن ما التقطته كان مصطلحاً عاماً بين المراهقين لمتجر البقالة ليكتي-سبليت. هذه سلسلة متاجر بقالة في نيو إنجلاند. عددها الإجمالي ثلاثة وسبعون متجراً، منتشرة من بروفيديانس إلى پرسك آيل. بإمكان أي تلميذ مدرسة معه جهاز آيباد أن يكتشف هذا في غضون دقيقتين. طبعت مواقعها واستخدمت البرنامج "دوّامة 360" لأحصل على صورها. وجدّث أن لسنة منها مناظر جبلية. اثنان في فيرمونت، اثنان في نيو هامبشاير، واثنان في ماين".

كانت حقيبة كمبيوتره المحمول تحت كرسية. أمسكها، راح يبحث بارتباك في الجيب الداخلي، وأخرج مجلداً سلّمه إلى روز. "هذه ليست صور المتاجر، إنها صور مختلف المناظر الجبلية التي يمكن رؤيتها من الأحياء الموجودة فيها المتاجر. مرة أخرى بفضل البرنامج "دوّامة 360"، الذي هو أفضل بكثير من غوغل إيرث، والذي أشكر قلبه الصغير الفضولي شكراً صادقاً. ألقى نظرة لتري إن كان أحدها مألوفاً. وإلا، حاولي استبعاد أي متجر يمكنك استبعاده بشكل مؤكّد".

فتحت روز المجلد وراحت تستعرض الصور الفوتوغرافية ببطء. الصورتان اللتان تُظهران جبال فيرمونت الخضراء وضعتهما جانباً فوراً. أحد المكانين في ماين كان خطأً أيضاً؛ فهو يُظهر جبلاً واحداً فقط، بينما رأت سلسلة جبال بأكملها. أما الصور الثلاثة الأخرى فنظرت إليها لمدة أطول. أعادتها أخيراً إلى جيمي الأرقام.

"أحد هذه المتاجر".

أدار الصور. "فرايبورغ، ماين... ماديسون، نيو هامبشاير... أنيستون، نيو هامبشاير. هل لديك شعور أي واحد من هذه الثلاثة؟".

أخذتها روز مرة أخرى، ثم رفعت صور الجبال البيضاء مثلما تُرى من فرايبورغ وأنيستون. "أعتقد أنه أحد هذه، لكنني سأؤكد".

"كيف ستفعلين هذا؟"، سأل كُرو.

"سأزورها".

"إذا كان كل ما تقولينه صحيحاً، فإن هذا يمكن أن يكون خطيراً".

"سأزورها عندما تكون نائمة. الفتيات اليافعات ينامنَ نوماً عميقاً. لن تعرف أبداً أنني كنتُ هناك".

"هل أنت متأكدة أنك بحاجة إلى فعل ذلك؟ هذه الأماكن الثلاثة قريبة جداً من بعضها البعض. يمكننا فحصها كلها".

"نعم!"، صاحت روز. "سنتجول في الشارع ونقول، 'إننا نبحث عن فتاة محلية، لكن لا يبدو أنه يمكننا قراءة مكانها مثلما نفعل عادة، لذا ساعدونا قليلاً. هل لاحظتم أي فتيات في المدرسة المتوسطة هنا لديهن موهبة استنبصار أو قراءة الأفكار؟".

تنهَّد كُرو دادي، حشَرَ يديه الكبيرتين عميقاً في جيبيهِ، ونظر إليها.

"آسفة"، قالت روز. "أنا متوترة قليلاً، مفهوم؟ أريد فعل هذا والانهاء منه. ولا داعي لأن تقلق بشأنني. يمكنني الاهتمام بنفسني".

3

جَلسَ دان ينظر إلى إيلانور أوليت الراحلة. إلى العينين المفتوحتين اللتين بدأتا تلمعان الآن. إلى اليدين الصغيرتين وراحتيهما المقلوبتين إلى أعلى. بالأخص إلى الفم المفتوح. داخله كل صمت الموت السرمدى.

"من أنت؟". فكَّر في سرِّه: كما لو أنني لم أعرف. ألم يتمنى الحصول على أجوبة؟

"لقد كُبرت بخير". لم تتحرَّك الشفتان، ولم يبدُ أن هناك أي مشاعر في الكلمات. ربما سرَّق الموت المشاعر البشرية من صديقه القديم، ويا له من خزي مرير. أو ربما كان شخصاً آخر يتنكَّر أنه دِكْ. شيئاً آخر.

"إذا كنتِ دِكْ، برهن ذلك. أخبرني شيئاً فقط كلانا يعرفه".

صمت. لكن الحضور كان لا يزال هنا. شعَّر به. ثم:

"سألتني لماذا أرادت السيدة برانت بنطلون رجل مرأب السيارات".

لم تكن لدى دان في البدء أي فكرة عما يتكلَّم الصوت. ثم فهم. كانت الذكرى على أحد الرفوف العالية حيث يُبقي كل ذكريات الأوفلوك السيئة. وصناديقه المُقلَّعة، بالطبع. كانت السيدة برانت تسدّد حسابها لتعادر الفندق عندما وَصَلَ داني مع والديه، والتقطَ فكرة عشوائية منها بينما أحضرَ خادم الأوفلوك سيارتها: أودَّ بالتأكيد دخول بنطلونه.

"كنتُ مجرد فتى صغير لديه راديو ضخم داخل رأسه. أشفقْتُ عليك. كنتُ خائفاً عليك أيضاً. وكنتُ محقاً في خوفي، أليس كذلك؟".

في هذا كان هناك صدى باهت للطافة صديقه القديم وفكاهته. نعم، هذا دِكْ. نظرَ دان إلى المرأة الميتة، مصعوقاً. اشتعلت الأضواء في الغرفة وانطفأت مرة أخرى. ارتعش إبريق الماء ارتعاشةً موجزةً أخرى.

"لا يمكنني البقاء طويلاً يا بُنيّ. التواجد هنا مؤلم".

"دِكْ، هناك فتاة صغيرة -"

"أبرا". تنهيدة تقريباً. "إنها مثلك. لا تحصد إلا ما زرعته".

"تعتقد أن هناك امرأة تلاحقها. ترتدي قبعة. قبعة عالية سوداء رسمية قديمة الطراز. لديها أحياناً سن طويل واحد فقط فوقها. عندما تكون جائعة. هذا ما أخبرتني إياه، على أي حال".

"أطرح سؤالك يا بُنيّ. لا يمكنني البقاء. هذا العالم هو حلمٌ حلمٌ بالنسبة لي الآن".

"هناك آخرون. أصدقاء المرأة ذات القبعة العالية السوداء الرسمية. رأتهم أبرا يحملون مشاعل كهربائية. من هم؟".

صمت آخر. لكن دِكْ لا يزال هناك. تغَيَّرَ، لكنه هناك. يستطيع دان الشعور به عند أطراف أعصابه، وكنوعٍ من الكهرباء تتزلج على الأسطح الرطبة لعينيه.

"إنهم الشياطين الفارغة. أشخاص مرضى ولا يعرفون".

"لا أفهم".

"لا. وهذا جيد. لو التقيت بهم من قبل - لو أحسّوا بوجودك ولو للحظة - لكنت متّ منذ زمن طويل، لكانوا استخدموك ورموك مثل كرتونة فارغة. هذا ما حصل لذلك الذي تسمّيه أبرا فتى البيسبول. ولعدة أشخاص آخرين. الأولاد الذين يبرقون يصبحون فرائس لهم، لكنك خمنت ذلك من قبل، أليس كذلك؟ الشياطين الفارغة موجودون على الأرض مثل السرطان على البشرة. ركبوا الجمال في الصحراء ذات يوم؛ وبعدها قادوا قوافل في أوروبا الشرقية. يأكلون الصراخ ويشربون الألم. لقد حصلت على أهوالك في الأوفرلوك يا داني، لكنك نجوت من أولئك الأشخاص على الأقل. الآن وقد عقدت تلك المرأة الغربية العزم على القبض على الفتاة، لن يتوقفوا إلى أن يقبضوا عليها. قد يقتلونها. قد يحولونها. أو قد يحتفظون بها ويستخدمونها إلى أن تنضب بالكامل، وهذا أسوأ من كل الأشياء الأخرى".

"لا أفهم".

"أعرفها. اجعلها فارغة مثلهم". خرجت تنهيدة خريفية من الفم الميت.

"دِكْ، ماذا يُفترَض بي أن أفعل؟".

"أحضِرِ للفتاة ما طلبته".

"أين هم، أولئك الشياطين الفارغة؟".

"في طفولتك، المكان الذي يأتي منه كل شيطان. لا يحق لي قول المزيد".

"كيف أوقفهم؟".

"الطريقة الوحيدة هي قتلهم. اجعلهم يأكلون سمهم. افعل ذلك وسيختفون".

"المرأة ذات القبعة، المرأة الغربية، ما اسمها؟ هل تعرف؟".

من آخر الرواق أتى صوت ارتطام مسّاحة دلو التمسّيح بالأرض، وبدأ يُول لارسون يصفّر. تغيّر الهواء في الغرفة. شيء كان متوازناً بعناية بدأ يتأرجح خارج الحقيقة الآن.

"أذهب إلى أصدقائك. أولئك الذين يعرفون ما أنت. يبدو لي أنك كُبرت بخير يا بُني، لكن لا يزال هناك دين عليك". ساد صمت مؤقت، ثم الصوت الذي كان ولم يكن دكّ هالوران تكلم لمرّة واحدة أخيرة، بنبرة أمر بارد: "سدّه".

ارتفع رذاذ أحمر من عينيّ إليانور وأنفها وفمها المفتوح. طاف فوقها لحوالي خمس ثوانٍ، ثم اختفى. بقيت الأضواء هادئة. وكذلك حصل مع الماء في الإبريق. لقد رحل دكّ. وبقي دان هنا مع جثة فقط.

الشياطين الفارغة.

إذا كان قد سمع جملة فظيعة أكثر من هذه ذات يوم، لا يمكنه أن يتذكّرها. لكنها منطقية... إذا كنت قد رأيت الأوفرلوك على حقيقته. كان ذلك المكان يعجّ بالشياطين، لكنها شياطين ميتة على الأقل. لا يعتقد أن هذا ينطبق على المرأة ذات القبعة العالية السوداء الرسمية وأصدقائها.

لا يزال هناك دين عليك. سدّه.

نعم. لقد ترك الفتى الصغير ذا الحفاض المرتخي وقميص برايقز التائي لكي يعيل نفسه بنفسه. لن يفعل ذلك مع الفتاة.

انتظر دان في محطة الممرضات قدوم سيارة دفن جوردي وأبنائه، ورأى النقالة المغطاة تخرج من الباب الخلفي لريفنغتون واحد. ثم ذهب إلى غرفته وجلس ينظر إلى جادة كرانمور، المهجورة تماماً الآن. هبّت رياح ليلية عرّت أشجار السنديان من أولى أوراقها المتبدّلة ألوانها

وأرسلتها ترقص في الشارع. في الجانب البعيد لمشاعات البلدة، كانت تينيتاون مهجورة بشكل مماثل تحت أضواء أمن برتقالية عالية الكثافة.

اذهب إلى أصدقائك. أولئك الذين يعرفون ما أنت.

بيلي فريمان يعرف، من اللحظة الأولى تقريباً، لأن بيلي يملك بعض ما يملكه دان. وإذا كان هناك دين على دان، افترض أن هناك دين على بيلي أيضاً، لأن بريق دان الأكبر والأكثر إشراقاً أنقذ حياة بيلي.

لا يعني أنني سأقول له ذلك بهذه الصيغة.

لا يعني أنه سيضطر إلى فعل ذلك.

ثم هناك جون دالتون، الذي أضاع ساعة والذي يصدق أنه طبيب الأطفال الخاص بأبرا. ماذا قال دك من خلال فم إيلانور آه يا للروعة الميت؟ لا تحصد إلا ما زرعته.

أما بالنسبة للشيء الذي طلبته أبرا، فهذا أسهل حتى. لكن الحصول عليه... قد يكون معقداً قليلاً.

5

عندما نهضت أبرا صباح الأحد، وجدت رسالة بريد إلكتروني من .dtor36@nhmlx.com

أبرا: لقد تكلمت مع صديق باستخدام الموهبة التي نتشاركها، وقد اقتنعت أنك في خطر. أريد أن أتكلم عن حالتك مع صديق آخر، صديق مشترك بيننا: جون دالتون. لن أفعل ذلك إلا بموافقتك. أعتقد أن جون وأنا يمكننا استرداد الغرض الذي رسمته على سبورتني. هل ضبطت جهاز إنذارك؟ ربما بعض الأشخاص يبحثون عنك، ومن المهم جداً ألا يعثروا عليك. يجب أن تكوني حذرة. أطيب الأمنيات وانتبهي لنفسك. احذفي رسالة البريد الإلكتروني هذه.

العم د.

كانت مُفتنعة بحقيقة رسالة بريده الإلكتروني أكثر من اقتناعها بمحتوياتها، لأنها عرفت أنه لا يحبّ التواصل بهذه الطريقة؛ كان يخشى أن يتطّقل والداها على بريدها ويظنّان أنها تتحدّث مع متحرّشٍ.

فقط لو عرفا عن المتحرّشين الذين عليها أن تقلق بشأنهم حقاً.

كانت خائفة، لكنها - الآن وقد أشرق ضوء النهار ولم تكن هناك مجنونة جميلة في قبعة عالية سوداء رسمية تحقّق فيها من النافذة - متحمّسة أيضاً. كان وضعها يشبه التواجد في إحدى روايات الحب والرعب الخارقة تلك، التي من النوع الذي تسمّيه السيدة روبنسون في مكتبة المدرسة بتكبر "خلاعة المراهقين". في تلك الكتب، تغازل الفتيات مسنذبين، مصّاصي دماء - حتى زومبيين - لكنهن بالكاد يصبحن مثلهم.

كان لطيفاً أيضاً وجود رجل ناضج يساندها، ولا ضرر من أنه وسيم، بأسلوب مهلهل ذكّر لها قليلاً بجاكس تيلير في المسلسل التلفزيوني "أبناء الفوضى"، وهو برنامج شاهدته مع إيما دين سرّاً على كمبيوترها.

لم ترسل رسالة العمّ دان الإلكترونيّة إلى سلة نفاياتها فحسب، بل إلى سلة النفايات الدائمة، والتي تسمّيها إيما "ملف الحبيب النووي" (كما لو أن لديك حبيب يا إيما، فكّرت أبراً في سرّها بسخرية). ثم أطفأت الكمبيوتر وأغلقت غطاءه. لم ترسل له رسالة بريد إلكتروني. ليست مضطرة إلى فعل ذلك. ما عليها سوى أن تُغمض عينيها.

أرسلت الرسالة، وتوجّهت أبراً إلى الدُش.

6

عندما عاد دان حاملاً قهوته الصباحية، وجد نصّاً جديداً على سبّورته.

يمكنك إخبار الدكتور جون لكن ليس والديّ.

لا. ليس والديها. على الأقل ليس بعد. لكن لم يكن لدى دان أي شكّ أنهما سيكتشفان أن شيئاً ما يجري، وعلى الأرجح عاجلاً وليس آجلاً. سيجتاز ذلك الجسر (أو يحرقه) عندما يصل إليه. لديه الآن أمور أخرى كثيرة ليفعلها، بدءاً من المكالمات.

ردّ ولد عليه، وعندما طُلب التحدّث مع ربييكا، أوقع الهاتف بصوت قرقرّة وسمع مناداة بعيدة "جَدّتي! المكالمات لك!". بعد بضع ثوانٍ، كانت ربييكا كلوزن على الخط.

"مرحباً يا بيكا، أنا دان تورانس".

"إذا كان هذا بشأن السيدة أوليت، فقد تلقيتُ رسالة بريد إلكتروني هذا الصباح من -"

"لا ليس بشأنها. أحتاج إلى طلب إجازة لبعض الوقت".

"طبيب النوم يريد إجازة؟ لا أصدّق. اضطررتُ الربيع الفائت أن أركلك خارج الباب لكي تأخذ إجازتك، وبقيتَ رغم ذلك تأتي مرة أو مرتين في اليوم. هل المسألة عائلية؟".

دان، متذكّراً نظرية النسبية الخاصة بأبرا، ردَّ إيجاباً.

الفصل 10

الزينة الزجاجية

1

كان والد أبرأ يقف عند طاولة المطبخ مرتدياً رداء حمّامه ويخفق بعض البيض في وعاءٍ عندما رنَّ هاتف المطبخ. الدُّش يرشّ بقوة في الطابق العلوي. إذا تقيّدت أبرأ بعادتها صباح كل يوم أحد، سيبقى الدُّش يرشّ بقوة إلى أن ينتهي الماء الساخن.

فحص شاشة المكالمة الواردة. إنها من رمز المنطقة 617، لكن الرقم الذي يليه لم يكن الرقم الذي يعرفه في بوسطن، الرقم الذي يرنّ الخط الأرضي في شقة حماته. "ألو؟".

"آه، دايفد، يسرّني أنني وجدتك". إنها لوسي، وبدت منهكة تماماً.

"أين أنت؟ لماذا لا تتصلين من هاتفك الخليوي؟".

"مستشفى ماساتشوستس العام، من هاتف عمومي. لا يمكننا استخدام الهواتف الخليوية هنا. اللافتات في كل مكان".

"هل مومو بخير؟ هل أنت بخير؟".

"أنا بخير. أما مومو فمستقرة... الآن... لكن حالتها بقيت سيئة جداً لبرهة". بلعت ريقها. "لا تزال سيئة". عندها انهارت لوسي. لم تكن تبكي فحسب، بل تشهق من أعماق قلبها.

انتظر دايفد. كان مسروراً أن أبرأ تأخذ دُشاً، وأمل أن يطول الماء الساخن لوقت طويل. بدا هذا سيئاً.

أخيراً أصبحت لوسي قادرةً على التكلّم من جديد. "هذه المرة كسرت ذراعها".

"آه. حسناً. هل هذا كل شيء؟".

"لا، هذا ليس كل شيء!"، قالت وهي تصرخ تقريباً بذلك الصوت الذي يبغضه جداً والذي يقول ضمناً لماذا الرجال أغبياء إلى هذا الحد، الصوت الذي أخبر نفسه أنه جزء من إرثها الإيطالي دون أن يفكر للحظة أنه قد يكون، أحياناً، غيبياً جداً في الواقع.

أخذ نفساً مهدئاً. "أخبريني يا عزيزتي".

فأخبرته، رغم أنها عاودت الشهيق مرتين، واضطر دايفد إلى أن ينتظر انتهاءها من فعل ذلك. كانت مُنهكة، لكن هذا مجرد جزء من المشكلة. فقد أدرك أنها في أعماقها تتقبل فحسب ما بقي ذهنها يعرفه منذ أسابيع: مومو ستموت حقاً. ربما ليس بسلام.

كونشيتا، التي أصبحت تنام بشكل متقطع وخفيف الآن، استيقظت بعد منتصف الليل واحتاجت إلى استخدام المراض. بدلاً من ضغط الجرس لكي تُحضر لها لوسي قصرية السرير، حاولت النهوض والذهاب إلى الحمام بنفسها. تمكّنت من أن تارجح رجلها إلى الأرض واستوتت جالساً، لكن عندها تغلّبت عليها الدوخة وسقطت عن السرير، وهبطت على ذراعها اليسرى. لم تنكسر فحسب، بل تهشمت. لوسي، المتعبّة من أسابيع من التمريض الليلي الذي لم تتمرّن عليه أبداً، استيقظت على صوت صراخ جدّتها.

"لم تكن تطلب المساعدة فحسب"، قالت لوسي، "ولم تكن تصرخ أيضاً. كانت تزعق، مثل ثعلب تمرّقت ساقه في أحد تلك الأفخاخ الفظيعة التي تقبض على الساق".

"حبيبتي، لا شك أن ذلك كان مريعاً".

واقفة في مُختلى مظلل في الطابق الأول حيث توجد آلات وجبات خفيفة و- يا للعجب - بضعة هواتف عاملة، جسمها يؤلمها ومُغطى بعرق يجف (يمكنها أن تشمّ نفسها، ولم تكن بالتأكد رائحة عطر دولنشي أند غابانا)، رأسها يطرق بسرعة بأول صداع نصفي يصيبها منذ أربع سنوات، عرّفت لوسيا ستون أنه لا يمكنها أن تُخبره أبداً كم كان الوضع مريعاً حقاً. آه كم كان بوحاً نتناً. تعتقد أنك تفهمين الحقيقة الأساسية - تصبح المرأة عجوزاً، تضعف قواها، وتموت - ثم تكتشفين أن المسألة تنطوي على أكثر من ذلك بكثير. تكتشفين أنك عندما تجدين المرأة التي كتبت بعض أهم قصائد جيلها قابعة في بركة من بولها، تزعق لحفيدتها لكي توقّف الألم، توقّف الألم، آه يا إلهي، توقّف الألم. عندما ترين الساعد الذي كان ناعماً سابقاً مفتولاً مثل منشفة وتسمعين الشاعرة تشتمه وتلعنه ثم تتمنى أن تموت لكي يتوقف الألم.

هل يمكنك أن تُخبري زوجك كيف أنك لا تزالين نصف نائمة، ومتنبّسة من الخوف بأن أي شيء تفعلينه سيكون خطأ؟ هل يمكنك أن تُخبريه أنها خدّشت لكِ وجهك عندما حاولت تحريكها وأنها راحت تعوي مثل كلب دهسته سيارة؟ هل يمكنك أن تشرحي له كيف شعرت عندما تركت جدّتك المحبوبة ممدّدة على الأرض بينما اتصلت بالرقم 911، ثم جلست بجانبها بانتظار وصول الإسعاف، وجعلتها تشرب أوكسيكودون مُذاباً في الماء عبر قشة شرب قابلة للطي؟ كيف لم تصل

سيارة الإسعاف ولم تصل ورحت تفكرين بأغنية غوردون لايتفوت، "حُطام إدموند فيتزجيرالد"، التي تسأل إن كان أحدٌ يعرف كيف تحوّل الأمواج الدقائق إلى ساعات في أوقات المحنة؟ الأمواج التي كانت تلطم مومو كانت أمواج ألم، وكانت تغرق، وبقيت تلطمها.

عندما بدأت تصرخ من جديد، كانت لوسي قد وضعت ذراعيها تحتها ورفعتها إلى سريرها بحركة نتر خرقاء عرّفت أنها ستؤلم لها كتفّيها وظهرها لعدة أيام، أو حتى عدة أسابيع. سدّت أذنيها لصرخات مومو ضعيفي أَرْضاً، أنت تقتلينني. ثم جلّست لوسي مُسندةً ظهرها على الجدار، وبدأت تلهث وقد التصق شعرها بخديّها على شكل سلاسل بينما راحت مومو تبكي وتحتضن ذراعها المشوّهة ببشاعة وتساءل لماذا أذتها لوسي بهذه الطريقة ولماذا يحصل هذا لها.

وصلت سيارة الإسعاف أخيراً، وأعطى رجلٌ - لم تعرف لوسي إسمه لكنها شكرته في دعائها - مومو حقنةً جعلتها تنام. هل يمكنك أن تُخبري زوجك أنك تمنّيت لو أن الحقنة قتلتها؟

"كان مريعاً جداً"، هذا كل ما قالته. "أنا مسرورة جداً أن أبرا لم تشأ أن تأتي في عطلة نهاية هذا الأسبوع".

"أرادت ذلك، لكن لديها الكثير من الواجبات المدرسية، وقالت إن عليها الذهاب إلى المكتبة البارحة. لا شك أنه كان أمراً مهماً جداً، لأنك تعرفين كم تزعجني عادة بشأن الذهاب إلى مباراة كرة القدم". ثرثرة. غبية. لكن هل هناك أي شيء آخر؟ "الوسي، يؤسفني جداً أنك اضطررت إلى تحمّل كل ذلك لوحده".

"أنا فقط... آه لو كنت تستطيع سماعها تصرخ. كنت ستفهم عندها. لا أريد أبداً سماع أي شخص يصرخ هكذا مرة أخرى. لطالما كانت بارعة جداً في المحافظة على هدوئها بينما يفقد جميع الذين حولها هدوءهم..."

"أعرف -"

"ثم تتقلّص إلى ما كانت عليه ليلة أمس. الكلمات الوحيدة التي كان يمكنها أن تتذكّرها هي تَباً واللعنة وحقيرة وسافلة و-"

"تجاهلي الأمر يا عزيزتي". توقف الدُش في الطابق العلوي. ستحتاج أبرا إلى بضع دقائق فقط لتجفّف نفسها وترتدي ملابسها ليوم الأحد؛ ستنزل قريباً، أطراف قميصها تنطّير ورباط حذائها الرياضي يرفرف.

لكن لوسي لم تكن جاهزة لتجاهل الأمر. "أتذكّر قصيدة كتبتّها ذات يوم. لا يمكنني سردها حرفياً لكنها تبدأ بشيء كهذا: 'السموات عالمة بالأشياء السريعة العطب، وتزخر أفاقها الغائمة بزينة من أفخر أصناف الزجاج'. كنتُ أعتبر هذه الفكرة تقليديةً جداً لقصيدة من تأليف كونشيتا راينولدز، زائدة الرقة تقريباً".

وها هي أبا-دُو الخاصة به - أبا-دُو الخاصة بهم - ببشرتها المتورّدة من الدُش. "كل شيء على ما يرام يا بابا؟".

رَفَع دايفد يده: مهلاً لحظة.

"الآن أعرف ماذا قصدت حقاً، ولن أتمكن أبداً من قراءة تلك القصيدة مرة أخرى".

"أبي هنا يا حبيبتى"، قال بصوتٍ مَرِحٍ كاذبٍ.

"جيد. سأحتاج إلى التكلّم معها. لن أصرّح بعد الآن، لذا لا تقلق، لكن لا يمكننا حمايتها من هذا".

"ربما من أسوأ ما في ذلك؟"، سأل بلطف. كانت أبرا تقف قرب الطاولة، وشعرها الرطب معقود في ذيلَي حصان جَعَلَاها تبدو في العاشرة من عمرها مرة أخرى. كان وجهها متجهماً.

"ربما"، وافقت، "لكن لم يعد بإمكانني فعل هذا يا دايفي. ليس حتى مع مساعدة نهائية. اعتقدتُ أنني قادرة، لكن لا أستطيع. هناك مأوى للعجزة في فرايجر، يبعد قليلاً عن الطريق. أخبرتني عنه ممرضة الاستقبال. أعتقد أن على المستشفيات الاحتفاظ بلائحة لهذا النوع من الحالات بالتحديد. على أي حال، المكان يدعى منزل هيلين ريفنغتون. اتصلتُ بهم قبل أن أتصل بك، ولديهم مكان شاغر بدءاً من اليوم. أظن أن السماوات دفعت قطعة أخرى من زينتها عن رف الموقد ليلة أمس".

"هل شتتا مستيقظة؟ هل ناقشتِ هذا -"

"استعادت وعيها منذ ساعتين تقريباً، لكنها مشوّشة الذهن. الماضي والحاضر امتزجا معاً في سلطةٍ ما".

بينما كنتُ لا أزال مستغرقاً في نومي، فكّر دايفد في سرّه وهو يشعر بالذنب. أحلم بكتابي، بلا شك.

"عندما تستعيد رشدها - أفترض أن هذا سيحصل - سأخبرها، بألطف ما أستطيع، أن القرار ليس قرارها. حان الوقت ليعتوا بها في مأوى العجزة".

"حسناً". عندما تقرّر لوسي شيئاً - تقرّره حقاً - يكون أفضل شيء يفعله هو أن يتنحّى جانباً ويدعها تفعل ما تريده.

"بابا؟ هل ماما بخير؟ هل مومو بخير؟".

عرّفت أبراً أن أمها بخير وأن جدّة أمها ليست بخير. أغلب ما أخبرته لوسي لزوجها أتى إليها بينما كانت لا تزال في الدُش، واقفةً هناك والشامبو والدموع ينهران على خديها. لكنها أصبحت بارعة في إظهار سعادة على وجهها إلى أن يُخبرها أحدهم بصوت عالٍ أنه حان الوقت لتُظهر حزنها. تساءلت إن كان صديقها الجديد دان تعلم مسألة إظهار السعادة هذه في طفولته. إنها متأكدة أنه تعلمها.

"تشيا، أعتقد أن أبي تريد التحدّث إليك".

تنهّدت لوسي وقالت، "أعطني إياها".

مدّ دايفد سماعة الهاتف إلى إبنته.

2

عند 2:00 بعد ظهر ذلك الأحد، علّقت روز القبعة لافته تقول "الرجاء عدم الإزعاج إلا عند الضرورة القصوى" على باب سيارة عيشها الضخمة. كانت الساعات القادمة مخطّطاً لها بعناية. لن تأكل طعاماً اليوم، بل ستشرب ماءً فقط. وبدلاً من قهوة منتصف الصباح، أخذت حبة مقيّي. عندما يحين الوقت لتلاحق ذهن الفتاة، ستكون صافيةً مثل كوب فارغ.

من دون وجود أي وظائف جسدية لكي تُلهيها، ستكون روز قادرةً على معرفة كل شيء تحتاج إليه: إسم الفتاة، مكانها الدقيق، كم تعرف، و- هذا مهم جداً - مع مَنْ تكلمت على الأرجح. ستستلقي روز بلا حراك على سريرها المزدوج في الإيرثكروزر من الرابعة بعد الظهر إلى العاشرة مساءً، وهي تنظر إلى السقف وتتأمل. عندما يصبح ذهنها صافياً كجسمها، ستأخذ بخاراً من إحدى العلب في الحُجيرة المخفية - مجرد نشقة واحدة ستكون كافية - وستجول العالم مرة أخرى إلى أن تصبح داخل الفتاة وتصبح الفتاة داخلها. عند الواحدة فجراً، ستكون طريقتها نائمة نوماً عميقاً وستختار روز ما تريده من محتويات ذهنها. وحتى قد تتمكّن من زرع اقتراح: سيأتي بعض الرجال. سيساعدونك. اذهبي معهم.

لكن مثلما أشار ذلك المزارع-الشاعر غير المجاري للعصر بوبي بورنز منذ أكثر من منئي سنة فإن أفضل الخطط يمكن أن تسوء، وبالكاد بدأت تُلقَى أولى جمل تعويذة استرخائها عندما أتى شخص سيئ يقرع بابها.

"انصرف!،، صرّخت. "ألا تستطيع أن تقرأ اللافتة؟".

"روز، نَت معي"، صاح كُرو. "أعتقد أن لديه ما طلبته، لكنه يحتاج إلى إذنٍ ليبدأ العمل، وتوقيت هذا الشيء مزعج جداً".

بقيت مستلقية مكانها للحظة، ثم زفرت نفساً غاضباً ونهضت، وانتزعت قميصاً تائياً لسايدوندر (قبّلني عند سطح العالم!) وأنزله فوق رأسها. وصل إلى أعلى فخذها. فتحت الباب. "الويل لكما إن لم يكن هذا جيداً".

"يمكننا العودة لاحقاً"، قال وولنت. كان رجلاً صغيراً ذا رأس أصلع وشعر رمادي مجعد منفوش فوق أذنيه. كان يُمسك ورقة في يده.
"لا، فقط تكلم بسرعة".

جلسوا إلى الطاولة في المطبخ/غرفة الجلوس. انتزعت روز الورقة من يد ننت وألقت لمحة سريعة عليها. كانت تُظهر رسماً بيانياً كيميائياً معقداً مليئاً بمسدّسات. لم تفهم منه شيئاً. "ما هذا؟".

"مسكّن فعّال"، قال ننت. "إنه جديد، ونظيف. حصل جيمي على هذه الورقة الكيميائية من أحد أصولنا في وكالة الأمن القومي. سيُفقدونها وبعيها من دون احتمال التسبب لها بجرعة مُفرطة".

"نعم، هذا يمكن أن يكون ما نحتاج إليه". تعرف روز أنها بدت حاقدة. "لكن ألم يكن بإمكان هذا أن ينتظر حتى الغد؟".

"آسف، آسف"، قال ننت بخنوع.

"أنا لستُ آسفاً"، قال كُرو. "إذا كنتِ تريدين التحرك بسرعة لنيل هذه الفتاة وبشكل نظيف، لن يكون عليّ التأكيد أننا نستطيع الحصول على بعض هذه المادة فحسب، بل عليّ ترتيب الأمور بحيث تُسحق إلى أحد أماكننا البريدية".

تملك العقدة الحقيقية مئات الأماكن البريدية في أميركا، معظمها في متاجر شبكة مايل بوكسز ومختلف فروع UPS. واستخدامها يتطلب التخطيط مسبقاً لعدة أيام، لأنهم يسافرون دائماً في سيارات عيشهم. لا يستخدم أعضاء العقدة الحقيقية وسائل النقل العام تماماً مثلما لا يحزّون أعناقهم. السفر الجوي الخاص ممكنٌ لكنه بغيضٌ لأنهم يعانون من مرض الارتفاع الشديد. يعتقد وولنت أن لأجهزتهم العصبية علاقةً بذلك كونها تختلف جذرياً عن الجهاز العصبي للشخص الدنيوي. كان همّ روز مركزاً على جهازٍ عصبيٍّ ممّولٍ من دافعي الضرائب. عصبيٍّ جداً. أصبح جهاز الأمن القومي يراقب عن كثب حتى الرحلات الخاصة منذ أحداث 11 سبتمبر، وقاعدة الصمود الأولى للعقدة الحقيقية هي عدم لفت الانتباه أبداً.

بفضل نظام الطرقات العامة بين الولايات، خدمت سيارات العيش أهدافهم دائماً، وستخدمها هذه المرة أيضاً. بإمكان مجموعة صغيرة من السائقين يتناوبون فيها على القيادة كل ست ساعات أن توصلهم من سايدوندر إلى نيو إنغلاند الشمالية في أقل من ثلاثين ساعة.

"حسناً"، قالت بهدوء. "ماذا لدينا على الطريق I-90 في الجزء الشمالي من ولاية نيويورك أو ماساتشوستس؟".

لم يتلعمن كُرو أو يُخبرها أن عليه التحقّق من ذلك والردّ عليها لاحقاً. "مكتب بريد EZ، في ستربريدج، ماساتشوستس".

رُفرت أصابعها نحو حافة ورقة الكيمياء غير المفهومة التي كان نَت يُمسكها بيده. "اجعل هذه الأمور تُرسَل إلى هناك. استخدم ثلاثة وسطاء على الأقل لكي تتمكن من إنكار كل شيء إذا حصل مكروه. اجعلها تنتقل حقاً".

"هل لدينا هذا القدر من الوقت؟"، سأل كُرو.

"لا أرى لما لا"، قالت روز - وهي ملاحظة ستعود لثُورقها لاحقاً. "أرسلها جنوباً، ثم إلى الغرب الأوسط، ثم إلى نيو إنغلاند. فقط أوصلها إلى ستربريدج يوم الخميس. استخدم البريد العادي السريع، وليس فيديكس أو UPS".

"يمكنني فعل ذلك"، قال كُرو. لا تردّد.

حوّلت روز انتباهها إلى طبيب العقدة الحقيقية. "من الأفضل أن تكون محقّقاً يا وولنت. إذا جعلتها تُصاب بجرعة مُفرطة فعلاً بدلاً من مجرد تنويمها، سأضمن لك أنك ستكون أول عضو في العقدة الحقيقية يُنفى منذ البوق الكبير".

شحب لون وولنت قليلاً. جيد. لم تكن لديها نيّة بنفي أي شخص، لكنها لا تزال تغتاض عندما يقطعها أحدٌ.

"سُوصل المخدر إلى ستربريدج، وسيعرف نَت كيفية استخدامه"، قال كُرو. "لا مشكلة".

"أليس هناك شيء أبسط؟ شيء يمكننا تدبير أمرنا به هنا؟".

قال نَت، "ليس إذا كنت تريدين ضمان أنها لن تصبح مايكل جاكسون بين أيدينا. هذا المخدر آمن ومفعوله سريع. إذا كانت قوية مثلما يبدو أنك تعتقدين، فالسرعة أمر مهم -"

"حسناً، حسناً، فهمتُ. هل انتهينا هنا؟".

"هناك شيء آخر"، قال وولنت. "أظن أنه يمكنه الانتظار، لكن..."

نظرت خارج النافذة و، يا للهول، ها هو جيمي الأرقام قادم مستعجل عبر مرأب السيارات المجاور لكوخ الأوفرلوك ويحمل ورقة أيضاً. لماذا علّقت لافتة عدم الإزعاج على مسكة بابها؟ لماذا لم تعلّق لافتة تقول 'تفضّلوا جميعكم'؟

جمّعت روز كل مزاجها السيئ، حشّته في كيس، خزّنته في الجهة الخلفية لذهنها، وابتسمت ببسالة. "ما الأمر؟".

"الجَدّ فليك"، قال كُرو، "لم يعد قادراً على السيطرة على أمعائه".

"لم يكن قادراً على السيطرة عليها طوال السنوات العشرين الفائتة"، قالت روز. "يرفض ارتداء حفاض، ولا يمكنني إجباره. لا أحد يستطيع إجباره".

"هذا مختلف"، قال نَت. "بالكاد يمكنه النهوض من السرير. باباه وسوزي السوداء العينين تهتمان به بأفضل ما يمكنهما، لكن عربته تعيق برائحة كريهة جداً -"

"سيتحسّن. سُنطعمه بعض البخار". لكن لم تعجبها النظرة على وجه نَت. لقد تُوفّي تومي الشاحنة منذ سنتين، وبحسب قياس العقدة الحقيقية للزمن، يمكن أن يكون ذلك حصل منذ أسبوعين. والآن الجَدّ فليك؟

"عقله ينهار"، قال كُرو بفضاظة. "و..."، نظرَ إلى وولنت.

"كانت بيتي تهتم به هذا الصباح، وتعتقد أنها رآته يدور".

"تعتقد"، قالت روز. لم ترغب أن تصدّق ذلك. "هل رأى أي شخص آخر ذلك يحصل؟ باباه؟ سو؟".

"لا".

هزّت كتفها كما لو أنها تقول ها قد توضّحت المسألة. قرّع جيمي الباب قبل أن يمكنهم مناقشة المسألة أكثر، وهذه المرة كانت مسرورة من المقاطعة.

"ادخل!".

أطلّ جيمي برأسه. "هل أنت متأكدة أنه يمكنني الدخول؟".

"نعم! لماذا لا تُحضِر معك فرقة موسيقية؟ تباً، كنت فقط أحاول الدخول في حالة تأمّل بعد بضع ساعات لطيفة من تقيؤ أحشائي".

رَمَقها كُرو بنظرة استنكار طفيفة، وربما استحققتها - الأرجح أنها استحققتها، فهؤلاء الأشخاص يؤدّون فقط واجبهم في العقدة الحقيقية مثلما طلبت منهم - لكن إذا ارتقى كُرو ذات يوم إلى كرسي القيادة، فسيفهم. لن تحظى أبداً بلحظة واحدة لنفسك، إلا إذا هدّدتهم بألم الموت. وفي عدة حالات، حتى ذلك لن ينفَع.

"الديّ شيء قد تريدين رؤيته"، قال جيمي. "وبما أن كُرو ونَت هنا من قبل، فكَرّث -"

"أعرف بماذا فكَرّث. ما الأمر؟".

"كنتُ أتقصّي على الانترنت عن تلك البلديتين اللتين حصرت مكان الفتاة فيهما - فرايبورغ وأنيستون. وجدتُ هذا في صحيفة يونيون ليدر. إنه من عدد الخميس الفائت. ربما ليس شيئاً مهماً".

أخذت الورقة. كان الخبر الرئيسي عن مدرسة في قرية معزولة تُلغي برنامج فريق كرة القدم لديها بسبب تخفيض في الميزانية. وتحتة خبر صغير أحاطه جيمي بدائرة.

"زلزال صغير"

قيل إنه ضرب أنيستون

كم يمكن أن يكون الزلزال صغيراً؟ صغير جداً، إذا كنا سنصدّق

سكان ريتشلاندر كورت، شارع قصير في أنيستون ينتهي الطريق في آخره

عند نهر ساكو. في وقت متأخر بعد ظهر الثلاثاء، نُقل عن عدة مقيمين

في الشارع شعورهم بهزة أرضية جعلت النوافذ ترتعش، والأرض تهتز،

والزجاجيات تسقط عن الرفوف. أشار داين بورلاند، وهو متقاعدٌ

يعيش في نهاية الشارع، إلى تشقّق على عرض ممره الخاص المزفت

بالأسفلت حديثاً. "إذا كنت تريد برهاناً، ها هو"، قال.

رغم أن مركز المسح الجيولوجي في رنثام، ماساتشوستس، أشار إلى أنه

لم يكن هناك زلزال في نيو إنغلاند بعد ظهر الثلاثاء الفائت، اعتنم مات

وكاسي رنفرو الفرصة ليُقيما "حفلة زلزال" حضرها معظم سكان الشارع.

يقول أندرو سيتفلد من مركز المسح الجيولوجي إن الاهتزاز الذي

شعر به سكان ريتشلاندر كورت ربما كان اشتداد ضغط الماء في نظام

الصرف الصحي، أو ربما طائرة عسكرية خرقت جدار الصوت. وعندما

نُقلت تلك الاقتراحات إلى السيد رنفرو، ضحك بابتهاج. "نعرف بماذا

شعرنا"، قال. "كان زلزالاً. والأضرار طفيفة حقاً، كما أننا استفدنا منه

بحفلة رائعة".

(أندرو غولد)

أعادت روز قراءته مرتين، ثم رفعت نظرها وبدأت عيناها تلمعان. "صيد موفق يا جيمي".
ابتسم. "شكراً. سأترككم وشأنكم إذاً".

"خذت معك، عليه أن يتفقد الجدّ. كُرو، ابق قليلاً".

عندما رحلا، أغلق الباب. "تعتقدين أن الفتاة سببت تلك الهزة في نيو هامبشاير؟".

"أجل. لست متأكدة مئة بالمئة، لكن ثمانين بالمئة على الأقل. ووجود مكان لأركّز عليه -
ليس فقط بلدة بل شارعاً - سيسهل المسألة عليّ كثيراً هذه الليلة، عندما أذهب للبحث عنها".

"إذا استطعتِ غرس دودة تعاون في رأسها يا روزي، فقد لا نحتاج إلى تخديرها حتى".

ابتسمت وهي تقول لنفسها مرة أخرى كم أن كُرو لا يملك أي فكرة كم هذه الفتاة مميزة.
ستقول لنفسها لاحقاً، وأنا مثله. اعتقدتُ أنني أعرف. "أظن أنه لا يوجد قانون يمنع الأمل. لكن بعدما
نُمسكها، سنحتاج إلى شيء متطور أكثر قليلاً من مخدر، حتى ولو كان فعلاً جداً. سنحتاج إلى
مخدر عجيب سيُقيها لطيفة ومتعاونة إلى أن تقرّر أن التعاون في مصلحتها".

"هل ستأتين معنا عندما نذهب لإمساكها؟".

كانت روز قد افترضت ذلك، لكنها تردّدت الآن بعد أن تذكرت الجدّ فليك. "لست أكيدة".

لم يطرح أسئلة - وهو أمر قدرته كثيراً - واستدار إلى الباب. "سأتأكد أن أحداً لن يزعجك
مرة أخرى".

"جيد. وتأكد أن وولنت سيفحص الجدّ فحصاً شاملاً - أعني من باب البدن إلى الشهية. إذا
كان يدور حقاً، أريد معرفة ذلك غداً، عندما أخرج من خلف الستارة". فتحت الحُجيرة التي تحت
الأرضية وأخرجت إحدى العلب. "وأعطه ما تبقى في هذه".

صُدّم كُرو. "كله؟ روز، لا جدوى إذا كان يدور".

"أعطه إياه. لقد شهدنا سنة جيدة، مثلما ذكر لي العديد منكم مؤخراً. يمكننا تحمّل بعض
التبذير. كما أن للعقدة الحقيقية جدّ واحد فقط. يتذكّر الزمن الذي كان فيه سكان أوروبا يقطنون
الأشجار بدلاً من الشقق. لن نخسره إذا كان هذا بمقدورنا. لسنا همجيين".

"قد يخالفك الأشخاص الدنيويون الرأي".

"لهذا السبب هم دنيويون. الآن اخرج من هنا".

بعد يوم العمال، تُغلق تينيتاون أبوابها عند 3 بعد الظهر أيام الأحد. بعد ظهر هذا اليوم، وعند السادسة إلا ربعاً، جلس ثلاثة عمالقة على المقاعد القريبة من نهاية جادة كرانمور المصغرة، يقزّمون صيدلية تينيتاون ومسرح تينيتاون (حيث يمكنك اختلاس النظر عبر نافذته خلال الموسم السياحي ورؤية لقطات أفلام صغيرة تُعرض على شاشة صغيرة). أتى جون دالتون إلى الاجتماع مرتدياً قبعة ريد سوكس، وقد وَضَعَهَا على رأس تمثال هيلين ريفنغتون الصغير في ساحة المحكمة الصغيرة. "أنا متأكد أنها كانت من المشجعين"، قال. "كل شخص في هذه النواحي من مشجعي الفريق. لا أحد يُبدي ولو إعجاباً بسيطاً بفريق اليانكيز ما عدا المنفيين أمثالي. كيف يمكنني أن أخدمك يا دان؟ إنني أفوّت العشاء مع العائلة كرمي لهذا. زوجتي امرأة متفهّمة، لكن ليس كثيراً".

"ماذا سيكون رأيها بشأن تمضيتك بضعة أيام معي في أيوا؟"، سأل دان. "على حسابي الشخصي طبعاً. عليّ القيام بزيارة وفق الخطوة الثانية عشرة إلى عمّ يقتل نفسه بالشراب والكوكايين. عائلتي تتوسّلني لكي أتدخّل، ولا يمكنني فعل ذلك لوحدي".

لا تفرض منظمة مدمني الشراب المجهولين أي قواعد بل العديد من التقاليد (والتي كانت، في الواقع، قواعد). أكثرها صرامةً هو أنك لا تقوم أبداً بزيارة وفق الخطوة الثانية عشرة إلى مدمن شراب حالي لوحده، إلا إذا كان مدمن الشراب ذاك مسجوناً بأمان في مستشفى أو مركز للتخلّص من السموم أو مأوى محلي. لأنك إذا فعلت ذلك، فقد ينتهي بك المطاف أن تشاركه الشراب كوباً تلو الكوب. الإدمان، مثلما يحبّ كايسي كينغسلي أن يقول، موهبة لا تنضب.

نظرَ دان إلى بيلي فريمان وابتسم. "هل لديك شيء تريد أن تقوله؟ تفضّل، لا تتردّد".

"لا أعتقد أن لديك عمّاً. لست متأكداً أنه تبقت لديك أي عائلة حتى".

"هل هذا فقط؟ أنت فقط غير متأكد؟".

"حسناً... أنت لا تتكلّم عنها أبداً".

"الكثير من الأشخاص لديهم عائلة ولا يتكلّمون عنها. لكنك تعرف أنه ليس لديّ أحد، أليس كذلك يا بيلي؟".

لم يقل بيلي شيئاً، لكنه بدا منزعجاً.

"داني، لا يمكنني الذهاب إلى أيوا"، قال جون. "جدول مواعيدي ممتلئ حتى في نهاية الأسبوع".

كان دان لا يزال مركّزاً على بيلي. مدّ الآن يده إلى جيبه، أمسك شيئاً، وأخرج قبضته المغلقة. "ماذا معي؟".

بدا بيلى منزجاً أكثر من أي وقت مضى. ألقى نظرة سريعة على جون، لم ير أي مساعدة هناك، ثم عاد ونظر إلى دان.

"يعرف جون ما أنا"، قال دان. "فقد ساعدته ذات مرة، ويعرف أنني ساعدتُ بضعة آخرين في البرنامج. أنتَ بين أصدقاء هنا".

فكّر بيلى بالمسألة، ثم قال: "قد تكون عملة معدنية، لكنني أعتقد أنها إحدى ميدالياتك من منظمة مدمني الشراب المجهولين. من النوع الذي يعطونك إياه كلما أمضيتَ سنة أخرى دون ثمالة".

"أي سنة هي هذه؟".

تردّد بيلى وهو ينظر إلى قبضة دان المغلقة.

"دعني أساعدك"، قال جون. "لا يزال لم يشمل منذ ربيع 2001، لذا إذا كان يحمل ميدالية، فهي على الأرجح للسنة الثانية عشرة".

"هذا منطقي، لكنه ليس منطقياً". كان بيلى يركّز الآن، وظهر خطان عموديان عميقان يحفران جبهته فوق عينيه مباشرة. "أعتقد أنها قد تكون... السابعة؟".

فتّح دان راحة يده. كان مكتوباً على الميدالية الرقم VI الكبير.

"تبا"، قال بيلى. "أنا بارع عادة في التكهّن".

"اقتربت بما فيه الكفاية"، قال دان. "وهذا ليس تكهّناً، إنه البريق".

أخرج بيلى علبة سجائره، نظر إلى الطبيب الجالس على المقعد الذي بجانبه، وأعادها إلى جيبه. "القول قولك".

"دعني أخبرك قليلاً عن نفسك يا بيلى. عندما كنتَ صغيراً، كنتَ عظيماً في تكهّن الأشياء. كنتَ تعرف متى تكون أمك في مزاج جيد فتستغل الفرصة لتطلب منها دولاراً أو دولارين إضافيين. وكنتَ تعرف متى يكون أبوك في مزاج سيئ، فنتحاشاه".

"كنتُ أعرف طبعاً أن هناك بعض الليالي من الأفضل لي ألا أتدّمّر فيها بشأن الاضطرار إلى أكل فضلات الطعام"، قال بيلى.

"هل كنتَ تراهن؟".

"سباقات الأحصنة. جنيثُ مبلغاً كبيراً من المال. ثم عندما أصبحتُ في حوالي الخامسة والعشرين، فقدتُ براعتي نوعاً ما في اختيار الحصان الفائز. مرّ عليّ شهر اضطررتُ فيه إلى توسّل تأجيل دفع الإيجار، وهذا داواني من المراهنه على الأحصنة".

"نعم، تتضاءل الموهبة مع تقدّم الشخص في العمر، لكنك لا تزال تملك بعضها".

"لديك أكثر مني"، قال بيلي. لا تردّد الآن.

"هذا صحيح، أليس كذلك؟"، قال جون. لم يكن سؤالاً حقاً؛ كان أشبه بتعليق.

"لديك فقط موعد واحد في الأسبوع القادم تشعر حقاً أنه لا يمكنك تفويته أو تحويله إلى طبيب آخر"، قال دان. "فتاة صغيرة مصابة بسرطان المعدة. إسمها فيليسي -"

"فريديكا"، قال جون. "فريديكا بيمل. إنها في مستشفى ميريماك فالي. يُفترض بي أن أراجع طبيب الأورام الخاص بها ووالديها".

"صباح السبت".

"نعم. صباح السبت". نظرَ إلى دان باندهاش. "يا إلهي. هذا الذي لديك... لم تكن لديّ أي فكرة أن هناك كمية كبيرة منه".

"سأعيدك من أيوا يوم الخميس. الجمعة كحد أقصى".

إلا إذا جرى اعتقالنا، ففكر في سرّه. عندها قد نبقى هناك لفترة أطول. نظرَ ليري إن كان بيلي قد قرأ تلك الفكرة الأقل من مشجّة. لم تكن هناك أي دلالة على أنه قرأها.

"عما يتمحور هذا؟".

"مريض آخر من مرضاك. أبراستون. إنها مثل بيلي ومثلي يا جون، لكنني أعتقد أنك تعرف هذا من قبل. لكنها أقوى بكثير بكثير. لديّ أكثر من بيلي، وهي تجعلني أبدو مثل عرّافة في قرية نائية".

"يا إلهي، الملاحق".

احتاج دان إلى ثانية لكي يتذكّر. "جعلتها تتدلى من السقف".

حدّق فيه جون مُبرّق العينين. "قرأت هذا في ذهني؟".

"أخشى أن المسألة أبسط من هذا. لقد أخبرتني".

"متى؟ متى؟".

"سنصل إلى ذلك، لكن ليس بعد. دعنا نجرب أولاً بعض قراءة الأفكار". أمسك دان يد جون. هذا يساعد؛ اللمس يساعد تقريباً دائماً. "أتى والداها لرؤيتك عندما كانت مجرد طفلة صغيرة. أو ربما كانت عمّتها أو جدّة والدتها. كانا قلقين بشأنها حتى قبل أن تزخرف المطبخ بأوان فضية،

لأنه كانت تجري ظواهر نفسية من كافة الأصناف في ذلك المنزل. هناك شيء يتعلق بالبيانو... ساعدني يا بيلي".

أمسك بيلي يد جون الحرة. وأمسك دان يد بيلي، مما شكّل دائرة مغلقة. جلسة صغيرة لاستحضار الأرواح في تينيتاون.

"موسيقى البيتلز"، قال بيلي. "على البيانو وليس على الغيتار. كان ذلك... لا أعرف. جعلهما يفقدان عقلهما لبرهة".

حدّق فيه جون.

"اسمع"، قال دان، "لديك إذن لتتكلم. تريدك أن تتكلم. صدّقني يا جون".

بقي جون دالتون يفكّر لدقيقة كاملة تقريباً. ثم أخبرهما كل شيء، باستثناء شيء واحد.

حادثة عرض مسلسل عائلة سيمبسون على كل قنوات التلفزيون كانت غريبة جداً.

4

عندما أنهى كلامه، سأل جون السؤال البديهي: كيف يعرف دان عن أبرا سنتون؟

أخرج دان مفكرة صغيرة بالية من جيبه الخلفي. على غلافها صورة فوتوغرافية لأمواج تلطم أرضاً ممتدة في البحر والشعار "لا شيء عظيم ينشأ فجأة".

"كنت معتاداً على حمل هذا، أليس كذلك؟"، سأل جون.

"نعم. أنت تعرف أن كايسي ك. راعي، صح؟".

قلّب جون عينيه. "من يمكنه أن ينسى ذلك، بما أنك كلما فتحت فمك في أي اجتماع، تبدأ بقول 'راعي، كايسي ك. يقول دائماً؟'".

"جون، لا أحد يحبّ الشخص المتذّكي".

"بلى، زوجتي"، قال. "لأنني متذّكٍ فحل".

تنهّد دان. "انظر إلى المفكرة".

تصفّحها جون. "إنها الاجتماعات. من العام 2001".

"أخبرني كايسي أن عليّ إكمال برنامج من اثنتي عشرة خطوة، وأدوّن كل شيء. انظر إلى الخطوة الثامنة".

وجدها جون. دار فرايجر الميثودية. اجتماع لم يكن يحضره في أغلب الأحيان، لكنه يعرف عنه. مدونة تحته، بأحرف أنيقة، الكلمة أبرا.

رفع جون نظره إلى دان غير مصدق تماماً. "تواصلت معك عندما كان عمرها شهرين؟".

"انظر إلى اجتماعي التالي تحته"، قال دان، "لذا لا يمكن أن أكون قد أضفتُ اسمها لاحقاً لكي أثير إعجابك. إلا إذا زِيَّفتُ المفكرة بأكملها، وهناك أشخاص كُثر في البرنامج سيتذكرون رؤيتها معي".

"بما فيهم أنا"، قال جون.

"أجل، بما فيهم أنت. في تلك الأيام، كانت مفكرة اجتماعاتي معي دائماً في يدي وكوب قهوة في اليد الأخرى. كانا بطانية أمانى. لم أعرف مَنْ هي وقتها، ولم يكن ذلك يهمني كثيراً. كانت إحدى تلك اللمسات العشوائية فقط لا غير. كما لو أن طفلاً في مَهده مدَّ يده ولمس أنفك.

"ثم، بعد سنتين أو ثلاث سنوات، كتبت كلمةً على سبورة أحتفظ بها في غرفتي. كان الكلمة مرحباً. بقيت تتواصل معي بعد ذلك، بين الحين والآخر. حتى إنني غير متأكد أنها كانت تُدرك ما الذي تفعله. لكنني كنتُ هناك. عندما تحتاج إلى مساعدة، كنتُ الوحيد الذي تعرفه، والوحيد الذي تلجأ إليه".

"أي نوع من المساعدة تحتاج إليه؟ أي نوع من المتاعب تواجهه؟". استدار جون إلى بيلي.
"هل تعرف أنت؟".

هزَّ بيلي رأسه. "لم أسمع بها أبداً، وبالكَاد أزور أنيستون من الأصل".

"مَنْ قال إن أبراً تعيش في أنيستون؟".

أمال بيلي إبهاماً نحو دان. "هو. أليس كذلك؟".

عاد جون إلى دان. "حسناً. لنفترض أنني اقتنعتُ. أسمعنا القصة كلها".

أخبرهم دان عن كابوس أبراً حول فتى البيسبول. الأشكال التي تصوّب مشاعل كهربائية عليه. المرأة حاملة السكين، التي لعقت دم الفتى عن راحتي يديها. عن كيف أن أبراً، بعد ذلك بوقت طويل، رأت صورة الفتى في صحيفة بالصدفة.

"ولماذا يمكنها أن تفعل ذلك؟ لأن الولد الذي قتلوه كان من أصحاب البريق أيضاً؟".

"أنا متأكد أن هذه هي طريقة حصول التواصل الأولي. لا شك أنه لجأ إليها بينما كان أولئك الأشخاص يعذبونه - أبراً لا تشكُّ أبداً أن هذا ما فعلوه به - وأن هذا الذي سبب نشوء الارتباط".

"ارتباطاً استمر حتى بعد وفاة ذلك الفتى، براد تريفور؟".

"أعتقد أن نقطة اتصالها اللاحقة هي شيء امتلكه الفتى تريفور - قفازه البيسبول. وكانت قادرةً على ربطه بقتله لأن أحدهم ارتداه في يده. لا تعرف كيف يمكنها فعل ذلك، وأنا لا أعرف أيضاً. كل ما أعرفه بشكل مؤكد هو أنها قوية للغاية".

"على غرار قوتك أنت".

"إليك المسألة"، قال دان. "أولئك الأشخاص - هذا إذا كانوا أشخاصاً - تقودهم امرأة ترتكب جريمة القتل بنفسها. اليوم الذي رأته فيه أبراً صورة براد تريفور بالصدفة على صفحة الأولاد المفقودين في الصحيفة المحلية، دخلت ذهن تلك المرأة. والمرأة دخلت ذهن أبراً. بقيتا لعدة ثوانٍ تنظران من خلال عيني بعضهما البعض". رَفَعَ يديه، كورّهما في قبضتين، وبرمهما. "استدارة وانقلاب. تظنّ أبراً أنهم سيقفون أثرها، وأنا أظن ذلك أيضاً. لأنها يمكن أن تشكّل خطراً عليهم".

"المسألة تنطوي على أكثر من ذلك، أليس كذلك؟"، سأل بيلى.

نظرَ إليه دان، منتظراً.

"الناس الذين لديهم هذا البريق يملكون شيئاً، صح؟ شيء يريدُه أولئك الأشخاص. شيء لا يمكنهم الحصول عليه إلا بالقتل".

"نعم".

قال جون، "هل تعرف تلك المرأة مكان أبراً؟".

"لا تعتقد أبراً، لكن عليك أن تتذكّر أنها في الثالثة عشرة فقط. يمكنها أن تكون مخطئة".

"هل تعرف أبراً مكان تلك المرأة؟".

"كل ما تعرفه هو أنه عند حصول ذلك الاتصال - ذلك التبادل للرؤية - كانت المرأة في أحد فروع سوبرماركت سام. هذا يضعها في مكان ما في الغرب، لكن هناك فروع للسوبرماركت في تسع ولايات على الأقل".

"بما في ذلك أيوا؟".

هزَّ دان رأسه.

"إذاً لا أرى ما الذي يمكننا إنجازه بالذهاب إلى هناك".

"يمكننا الحصول على القفاز"، قال دان. "تعتقد أبراً أنها إذا حصلت على القفاز، يمكنها أن ترتبط بالرجل الذي ارتداه لبعض الوقت. تسميه باري الصدع".

جلس جون مُخفضاً رأسه، وراح يفكر. تركه دان يفعل ذلك.

"حسناً"، قال جون أخيراً. "هذا جنون، لكنني سأصِدِّقه. بناءً على ما أعرفه عن تاريخ أبراً وبناءً على تاريخي الشخصي معك، من الصعب في الواقع عدم تصديقه. لكن إذا كانت تلك المرأة لا تعرف مكان أبراً، أليس من الحكمة ترك الأمور وشأنها؟ لا تركل كلباً نائماً وكل ذلك؟".

"لا أعتقد أن هذا الكلب نائم"، قال دان. "أولئك

(الشياطين الفارغة)

المخبولون يريدونها لنفس السبب الذي أرادوا فتى تريفور - أنا أكيد أن بيلي محق في ذلك. كما أنهم يعرفون أنها تشكّل خطراً عليهم. للتعبير عن هذا بمصطلحات منظمة مدمني الشراب المجهولين، لديها القدرة على فضح مجهوليتهم. وربما لديهم موارد لا يمكننا إلا التكهن بها. هل تريد أن تعيش مريضةً من مرضاك في خوف دائم، شهراً تلو الشهر وربما سنة تلو السنة، وتنتوقع دائماً ظهور عائلة خارقة للطبيعة لتختطفها من الشارع؟".

"بالطبع لا".

"أولئك الحقيرون يعيشون على أولاد مثلها. أولاد مثلما كنتُ أنا. أولاد لديهم بريق". راح يحدّق بتجهّم في وجه جون دالتون. "إذا كان هذا صحيحاً، يجب إيقافهم".

قال بيلي، "إذا لم أكن سأذهب إلى أيوا، ماذا عليّ أن أفعل؟".

"عدنا نقول التالي"، قال دان. "ستعود نفسك على كل تفاصيل أنيستون في الأسبوع المقبل. في الواقع، إذا أعطاك كايسي إجازةً، سنقيم في فندق رخيص هناك".

5

دخلت روز أخيراً حالة التأمل التي كانت تسعى إليها. أكثر شيء وجدت صعوبة في التخلّي عنه كان قلقها عن الجدّ فليك، لكنها تجاوزته في النهاية. ارتقت فوقه. هي الآن سائحة ضمن نفسها، تكرّر الجمل القديمة - سابانا هانتي ولودسام هانتي وكاهانا ريزوني هانتي - مراراً وتكراراً، وشفاتها بالكاد تتحرّكان. الوقت مُبكر جداً لتسعى وراء الفتاة المزعجة، لكن الآن وقد تُركت لوحدها وكان العالم هادئاً، من الداخل والخارج، لم تكن على عجلة من أمرها. التأمل بحدّ ذاته شيء جيد. بدأت روز تجمّع أدواتها وتركّز تركيزها، وتعمل ببطء وبدقة شديدة.

ساباثا هانتي، لودسام هانتي، كاهانا ريزوني هانتي: كلمات كانت قديمة عندما كان أعضاء العقدة الحقيقية يتنقلون في أوروبا بعربات خيل، يبيعون أعشاباً وحلياً رخيصةً. وكانت قديمة على الأرجح عندما كانت بابل يافعة. الفتاة قوية، لكن العقدة الحقيقية جبارة، ولا تتوقع روز حصول أي مشكلة حقيقية. ستكون الفتاة نائمة، وستتحرك روز بهدوء تام، فتأخذ المعلومات التي تريدها وتزرع اقتراحات أشبه بمتفجرات صغيرة. ليس دودة واحدة فقط، بل وكر دود بأكمله. قد تكتشف الفتاة بعضه وتعطّله.

أما بقية الدود، فسيقبع في ذهنها بسلام.

6

تكلّمت أبراً مع أمها على الهاتف لحوالي خمس وأربعين دقيقة تلك الليلة بعد أن أنهت واجباتها المدرسية. انقسمت المحادثة إلى قسمين. في القسم الأول، تكلّمتا عن يوم أبراً، وأسبوعها المدرسي القادم، وزيّها لحفلة الهالوين القادمة؛ ناقشنا الخطط الجارية لنقل مومو شمالاً إلى مأوى فرايجر للعجزة (الذي لا تزال أبراً تظنّه "مأوى العنزة")؛ وأطلعت لوسي أبراً على آخر تطوّرات حالة مومو، التي قالت إنها "جيدة جداً في الواقع، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كل الظروف والملابسات".

في القسم الآخر، استمعت أبراً إلى قلق لوسي المزعج من أنها خيّبت أمل جدّتها بطريقة أو بأخرى، وإلى حقيقة حالة مومو: خائفة، مشوشة الذهن، تتألم كثيراً. حاولت أبراً إرسال أفكار مهدئة للأعصاب إلى أمها: هوني عليك يا ماما و نحن نحبك يا ماما و لقد بدلت فُصاري جهك وهذا أقصى ما يمكنك فعله. تحب أن تصدّق أن بعض تلك الأفكار ترسّخت في ذهنها، لكنها لم تصدّق ذلك حقاً. لديها مواهب عديدة - من النوع المدهش والمخيف في آن معاً - لكن تغيير الحرارة العاطفية لشخص آخر لم تكن إحدى تلك المواهب أبداً.

هل يستطيع دان فعل ذلك؟ تعتقد أنه يستطيع. تعتقد أنه يستخدم ذلك الجزء من بريقه ليساعد الأشخاص في مأوى العنزة. إذا كان باستطاعته فعل ذلك حقاً، ربما سيساعد مومو عندما تصل إلى هناك. وهذا سيكون جيداً.

نزلت إلى الطابق السفلي مرتديّةً البيجامة الزهرية التي أهدتها إياها مومو في ذكرى ولادتها الأخيرة. كان أبوها يشاهد مباراة ريد سوكس ويشرب كوب شراب شعير. طبعت قبلة كبيرة على أنفه (قال دائماً إنه يكره هذا، لكنها عرّفت أنه يحبه نوعاً ما) وأخبرته أنها ستنام.

"لا الواجبات المدرسية إيه كومبلات، مادوموازيل؟".

"نعم يا بابا، لكن الكلمة الفرنسية للواجبات المدرسية هي دوقرار".

"من الجيد معرفة هذا، من الجيد معرفة هذا. كيف حال أمك؟ أسألك لأنني لم أتمكن من التكلّم معها لأكثر من تسعين ثانية قبل أن تنتزعي الهاتف مني".

"إنها بخير". عرّفت أبراً أن هذه هي الحقيقة لكنها عرّفت أيضاً أن بخير مصطلح نسبي. بدأت تجتاز الرواق، ثم استدارت. "قالت إن مومو مثل زينة زجاجية". لم تقل ذلك، ليس بصوت عالٍ، لكنها كانت تفكّر في ذلك. "تقول إننا كلنا هكذا".

كتمّ دايف صوت التلفزيون. "حسناً، أظن أن هذا صحيح، لكن بعضنا مصنوع من زجاج صلب بشكل مدهش. تذكّرني أن مومو بقيت موضوعة بشكل آمن عالياً على الرف لسنوات عديدة. تعالي الآن يا أبا-دو وعانقي أباك. لا أعرف إن كنت بحاجة إلى عناق، لكن يمكنني الاستفادة من واحد".

7

بعد عشرين دقيقة كانت في السرير ومصباح ليل السيد يوه الدب، وهو غرض لا يزال يحتفظ بمنصبه من أيام الطفولة، يتوهج على خزانة الملابس. سعت إلى دان ووجدته في غرفة نشاطات تحتوي على أحاج، مجلات، طاولة كرة طاولة، وتلفزيون كبير على الجدار. كان يلعب الورق مع اثنين من نزلاء مأوى العنزة.

(هل تكلمت مع الدكتور جون؟)

(نعم سنذهب إلى أبوا بعد الغد)

ترافقت هذه الفكرة مع صورة سريعة لطائرة قديمة ثنائية الأسطح. في داخلها رجلان يرتديان خوذات طيران قديمة الطراز، أو شحة، ونظارات. هذا جعل أبراً تبتسم.

(إذا أحضرنا لك)

صورة قفاز ملتقط. لم يكن هذا الشكل الدقيق لقفاز فتى البيسبول، لكن أبراً عرّفت ماذا كان دان يحاول أن يقول.

(هل ستخرجين عن طورك)

(لا)

يُستحسن بك ألا تفعلي ذلك. فإمساك قفاز الفتى الميت أمرٌ فظيخ، لكن سيكون عليها فعل ذلك.

8

تأبعت روز تأملاتها حتى الواحدة والنصف فجر ذلك الاثنين. أما باقي أعضاء العقدة الحقيقية (باستثناء أني المنزر ومو الضخمة، اللتين كانتا تعنتيان حالياً بالجدّ فليك) فكانوا يغطّون في نوم عميق عندما قرّرت أنها جاهزة. كانت تُمسك في يد صورة مطبوعة من كمبيوترها لوسط بلدة أنيستون، نيو هامبشاير غير المثير للإعجاب كثيراً. وتُمسك إحدى العلب في اليد الأخرى. رغم أنه لم يكن قد بقي شيء داخلها أكثر من مجرد نشقة بخار طفيفة، إلا أنه لم يكن لديها شك أن ذلك سيكون كافياً. ووضعت أصابعها على الصمام، مستعدة لإرخائه.

نحن العقدة الحقيقية، ونصمد: سابانا هانتي.

نحن المُختارون: لودسام هانتي.

نحن المحظوظون: كاهانا ريزوني هانتي.

"خذي هذا واستخدميه جيداً يا روزي العزيزة"، قالت. عندما أدارت الصمام، تطايرت تنهيدة قصيرة من رذاذ فضي. استنشقت، استرخت على وسادتها، وتركت العلبة تسقط على السجادة محدثةً لطمة خافتة. رفعت صورة شارع أنيستون الرئيسي أمام عينيها. لم تعد ذراعها ويدها هناك تماماً، وبالتالي بدت الصورة كأنها تعوم في الهواء. في مكان ليس بعيد عن ذلك الشارع الرئيسي، تعيش فتاة صغيرة في زقاق يسمّى على الأرجح ريتشلاند كورت. ستكون تغطّ في نومها، لكن روز القبعة ستكون في مكان ما في ذهنها. افترضت أن الفتاة الصغيرة لا تعرف شكل روز القبعة (تماماً مثلما أن روز لا تعرف شكل الفتاة... على الأقل ليس بعد)، لكنها تعرف ملمس روز القبعة. كما تعرف إلى ماذا كانت روز تنظر في متجر سام البارحة. هذه علامتها، وسيلة دخولها.

راحت روز تحقّق في صورة أنيستون بعينين ثابتتين وحالمتين، لكن ما كانت تبحث عنه حقاً هو قسم اللحوم في متجر سام، حيث كل قطعنا فاخرة. كانت تبحث عن نفسها. وعثرت عليها بعد بحث قصير بشكل مُرضٍ. مجرد أثر سمعي في البدء: صوت موسيقى السوبرماركت. ثم عربة تسوّق. ما بعد ذلك، لا يزال كل شيء مظلماً. لا بأس؛ سيأتي الباقي. تبعت روز الموسيقى، التي كانت بعيدة وبتردد صداها الآن.

كان ظلامٌ، كان ظلامٌ، كان ظلامٌ، ثم ضوء خفيف والقليل أكثر. ها هو ممر السوبرماركت، ثم أصبح رواقاً وعرفت أنها تكاد تدخل. تسارعت نبضات قلبها قليلاً.

ممدّة على سريرها، أغمضت عينيها لكي لا ترى الطفلة شيئاً إن أدركت ماذا يحصل - هذا غير محتمل لكن ليس مستحيلاً. أخذت روز بضع ثوانٍ لتراجع أهدافها الرئيسية: الاسم، المكان الدقيق، امتداد المعرفة، أي شخص ربما تكون قد أخبرته.

(استدر، أيها العالم)

استجمعت قواها ودفعَت. هذه المرة الإحساس بالاستدارة لم يكن مفاجئاً بل شيئاً خطّطت له ولديها سيطرة تامة عليه. للحظة كانت لا تزال في ذلك الرواق - الأنبوب بين ذهنيهما - ثم أصبحت في غرفة كبيرة تركب فيها فتاة صغيرة ذات جدائل درّاجة هوائية وتغني أغنية سخيفة. هذا حلم الفتاة الصغيرة وكانت روز تشاهده. لكن لديها أمور أفضل لتفعلها. لم تكن جدران الغرفة جدراناً حقيقيةً، بل جوارير ملفات. يمكنها فتحها مثلما تشاء الآن بعد أن أصبحت في الداخل. كانت الفتاة الصغيرة تحلم بأمان في ذهن روز، تحلم أنها في الخامسة وتركب درّاجتها الهوائية الأولى. ممتاز. أكملني حلمك يا أميرتي الصغيرة.

تجاوزتها الفتاة على درّاجتها، وهي تغني لا-لا-لا ولم تلاحظ شيئاً. كانت هناك عجلتا تدريب على درّاجتها، لكن صورتها بقيت تظهر وتختفي. خمنت روز أن الأميرة تحلم باليوم الذي تعلّمت فيه أخيراً كيفية الركوب من دونهما. دائماً يوم ممتاز في حياة أي ولد.

استمتعي بدرّاجتك يا عزيزتي، بينما أستكشف كل شيء عنك.

متنقّلة بثقة، فتحت روز أحد الجوارير.

فور وصولها إلى الداخل، بدأ إنذارٌ مُصمّمٌ للأذان ينهق والتهبت أضواء بيضاء ساطعة في كل أرجاء الغرفة، مسلّطة عليها أنوارها وكذلك حرارتها. لأول مرة منذ سنوات عديدة، فُيَض على روز القبعة، التي كانت ذات يوم روز أوهارا من مقاطعة أنتريم في إيرلندا الشمالية، على حين غرّة بالكامل. قبل أن تتمكن من إخراج يدها من الجارور، انغلق عليها بقوة. كان الألم هائلاً. صرّخت وارتدت إلى الخلف ترتعش، لكن تم تثبيتها بسرعة.

قفز ظلها عالياً على الجدار، لكن ليس ظلها هي فقط. أدارت رأسها ورأت الفتاة الصغيرة تُطبق عليها. إلا أنها لم تعد صغيرة. كانت الآن شابة ترتدي سترة جلدية بلا كُمّين، وعلى صدرها المزهر تنين، وهناك رباط أزرق يشدّ شعرها إلى الخلف. الدّراجة أصبحت فحلاً أبيض. كانت عيناه، مثل عيني المرأة المحاربة، ملتهبتين.

المرأة المحاربة تُمسك رمحاً.

(لقد عدتِ قال دان إنك ستعودين وقد عدتِ)

ثم - شيء لا يُصدّق لدى شخص دنيوي، حتى ولو كان شخصاً يملك بخاراً كبيراً - متعة.

(جيد)

لم تعد الطفلة طفلةً ممدّدةً بانتظارها. لقد نصبت فحاً بقصد أن تقتل روز... ووفق نقطة الضعف الذهنية لروز، يمكنها قتلها على الأرجح.

مستجمعة كل ذرة من قوتها، حاربت روز، ليس برمح من القصص المصورة، بل بمدقّ
حاذّ تدعمه كل سنواتها وإرادتها.

(ابتعدي عني! تراجعني أيتها اللعينة! مهما يكن ما تعتقدينه، أنت مجرد فتاة صغيرة!)

بقي التصوّر الناضج للفتاة عن نفسها - أفتارها - يتقدّم، لكنها جفلت عندما أصابتها فكرة
روز، وتهشّم رمحها على جدار جوارير الملفات على يسار روز وليس في جنبها الذي كانت
تصوّب عليه.

ابتعدت الطفلة (هي مجرد طفلة، هكذا بقيت روز تقول لنفسها) على حصانها واستدارت
روز إلى الجارور الذي أمسكها. قبضت عليه بيدها الحرة وراحت تشدّ بكل قوتها، متجاهلةً ألمها. لم
يتزحزح الجارور في البدء. ثم ارتخى قليلاً وتمكّنت من إخراج راحة يدها. كانت تنزف.

شيء آخر كان يحصل. هناك إحساس رفرقة في رأسها، كما لو أن طائراً يحلّق هناك. ما
هذا الهراء الجديد؟

متوقعةً أن ينغرز ذلك الرمح اللعين في ظهرها في أي لحظة، راحت روز تشدّ بكل قوتها.
خرجت يدها بالكامل وكوّرت أصابعها في قبضة في الوقت المناسب. لو انتظرت لحظة أخرى،
لكان الجارور قطعها لها عندما انغلق بقوة. راحت أطاقرها تنبض، وعرفت عندما سنحت لها
الفرصة لتنتظر إليها أنها ستكون أرجوانية اللون من الدم المحتقن داخلها.

استدارت. كانت الفتاة قد اختفت. والغرفة فارغة. لكن إحساس الرفرفة ذاك استمرّ. بل
تكثّف. فجأة أصبح الألم في يدها ومعضّمها آخر شيء يُشغِل بالها. لم تكن الوحيدة التي ركبت
القرص الدوّار، ولا يهمّ أن عينيها لا تزالان مغمضتين في العالم الحقيقي، حيث تستلقي على
سريرها المزدوج.

كانت الشقية اللعينة في غرفة أخرى مليئة بجوارير ملفات.

غرفتها. رأسها.

بدلاً من سارقة، أضحت روز هي المسروقة.

(اخرجني اخرجني اخرجني)

لم تتوقف الرفرفة؛ بل تسارعت. دفّعت روز ذعرها بعيداً، وحاربت لتستعيد صفاء ذهنها
وتركيّزها، وعثرت على بعضٍ منهما. ما يكفي فقط لتحريك القرص الدوّار من جديد، رغم أنه
أصبح ثقيلًا بشكل غريب.

(استدر، أيها العالم)

عندما استدار، شعرت بالرفرفة المجنّنة في رأسها تتناقص أولاً ثم تتوقف عندما أعيدت الفتاة الصغيرة إلى أينما كانت قد جاءت.

ما عدا أن هذا ليس صحيحاً، وهذا جدّي جداً لكي تنغمسي في رفاهية الكذب على نفسك. أنت التي ذهبت إليها. وأوقعت نفسك في الفخ مباشرة. لماذا؟ لأنه رغم كل ما تعرفينه، استخفّيت بها.

فتحت روز عينيها، استوت جالساً، ولوّحت قدميها إلى السجادة. ارتطمت إحداهما بالعلبة الفارغة وركلتها بعيداً. كان قميص سايدوندر التائي الذي ارتدته قبل أن تستلقي رطباً وتفوح منه رائحة عرق كريهة. نظرت غير مصدّقة إلى يدها، التي وجدتها مرضوضة ومتورّمة. كانت أطرافها تتحوّل من الأرجواني إلى الأسود، وخمّنت أنها قد تخسر اثنين منها على الأقل.

"لكنني لم أعرف"، قالت. "لم تكن هناك أي طريقة لكي أعرف". كرهت النحيب الذي سمعته في صوتها. كان صوت عجوز كثيرة الشكوى. "أي طريقة على الإطلاق".

تحتاج إلى الخروج من هذا المخيم اللعين. قد يكون أكبر وأفخر مخيم في العالم، لكنه بدا الآن بحجم تابوت. شقّت طريقها إلى الباب، وهي تتمسك بالأشياء حولها لتحافظ على توازنها. ألقت نظرة سريعة على الساعة في لوحة القيادة قبل أن تخرج. الثانية إلا عشر دقائق. كل شيء حصل في عشرين دقيقة فقط. غير معقول.

كم اكتشفت قبل أن أتحرّر منها؟ كم تعرف؟

لا مجال لمعرفة ذلك بشكل مؤكّد، لكن حتى القليل يمكن أن يكون خطيراً. يجب تدبير أمر الشقية، وقريباً.

خرجت روز إلى أوائل ضوء القمر الشاحب وأخذت بضعة أنفاس طويلة مهدئة من الهواء المنعش. بدأت تشعر بتحسّن طفيف، تستعيد طبيعتها قليلاً، لكنها لم تتمكن من التخلّص من إحساس الرفرفة ذاك. الشعور بوجود شخص آخر داخلها - شخص دنيوي، لا أقل - ينظر إلى حاجاتها الخاصة. كان الألم سيئاً، والمفاجأة من الوقوع في فخ كان أسوأ، لكن أسوأ شيء هو الإذلال والشعور بالانتهاك. لقد سُرقت منها.

ستدفعين ثمن ذلك يا أميرتي. لقد عبثت مع السافلة الخطأ.

هناك شكل يتّجه نحوها. كانت روز قد استقرّت على أعلى درجة في سيارة عيشها، لكنها نهضت الآن، متوتّرة، مستعدة لأي شيء. ثم اقترب الشكل أكثر ورأت أنه كُرو. كان يرتدي سروال بيجامته وخفه.

"روز، أعتقد أنه من الأفضل لك -"، ثم توقّف عن الكلام. "أي شيء لعين حصل لديك؟".

"لا تهتمّ بيدي اللعينة"، ردّت بحدّة. "ماذا تفعل هنا في الثانية بعد منتصف الليل؟ خاصة عندما تعرف أنني سأكون مشغولة؟".

"إنه الجدّ فليك"، قال كُرو. "تقول أنني المنزر إنه يموت".

الفصل 11

توميه 25

1

بدلاً من أن تعبق برائحة صنوبر معطر الجو وسيجار ألكازار، كانت فليثوود الجَدّ فليك هذا الصباح تعبق برائحة البراز والمرض والموت. كما كانت مزدحمة أيضاً، فتضم عشرة أعضاء من العقدة الحقيقية على الأقل، تجمّع بعضهم حول سرير العجوز، والعديد منهم جلسوا أو وقفوا في غرفة الجلوس، يشربون القهوة. أما البقية فكانوا في الخارج. بدا الجميع مذهولين ومتوترين. لم تكن العقدة الحقيقية معتادة على الموت بين أعضائها.

"انصرفوا"، قالت روز. "كرو وئت - ابقيا".

"انظري إليه"، قالت بيتي الصّدع بصوتٍ مرتعشٍ. "إلى البقع! وهو يدور مثل المجنون يا روز! أه، هذا رهيب!".

"هيا"، قالت روز. تكلمت بهدوء وربّنت بلطف على كتف بيتي في حين أنها شعرت برغبة بركل مؤخرتها اللندنية الشرقية البدنية إلى خارج الباب. كانت إذاعة إشاعات كسولة، لا تنفع لشيء سوى تدفئة سرير باري، وهي على الأرجح ليست بارعة جداً في ذلك. ظنّت روز أن التذمّر هو تخصص بيتي. عندما لا تكون فاقدة عقلها، طبعاً.

"بالله عليكم يا جماعة"، قال كُرو. "إذا كان سيموت، لا داعي لأن يفعل ذلك أمام جمهور".

"سيجتاز هذا"، قال سام القيثارة. "أقوى من بومة مسلوقة، هذا هو الجَدّ فليك". لكنه وّضع ذراعه حول باباه الروسية، التي بدت مُنهكةً، وعانقها بشدّة للحظة.

بدأوا يتحرّكون، بعضهم يلتفت ليلقي نظرة أخيرة قبل أن ينزل الدرجات للانضمام إلى الآخرين. عندما لم يبق سوى ثلاثتهم، اقتربت روز من السرير.

راح الجَدّ فليك يحدّق فيها دون أن يراها. انزمت شفتاه بعيداً عن لثته. وسقطت كُتل كبيرة من شعره الأبيض الرفيع على غطاء الوسادة، مما جعله يبدو مثل كلب مُصاب بالحمى. كانت عيناه

ضخمتين ورطبتين وملينتين بالألم. كان عارياً ما عدا من سروال داخلي، وجسمه الهزيل منقّط بعلامات حمراء تبدو كبثور أو لسعات حشرة.

استدارت إلى وولنت وقالت، "ما هذه العلامات اللعينة؟".

"بُقع كوبليك"، قال. "هكذا تبدو لي، على أي حال. رغم أن بُقع كوبليك تكون عادة داخل الفم فقط".

"تكلم كلاماً مفهوماً".

مرّرت يديه في شعره الخفيف. "أظن أنه مُصاب بالحصبة".

فغرّ فم روز من الصدمة، ثم ضحكت بصوتٍ صاخبٍ. لم ترغب أن تقف هنا تستمع إلى هذا الهُراء؛ أرادت بعض الأسبرين ليدها، التي كانت تُسْعِرُها بالألم مع كل نبضة من قلبها. بقيت تفكّر بالطريقة التي تبدو بها أيدي شخصيات أفلام الرسوم المتحركة عندما تُضْرَب بمطرقة. "نحن لا نلتقط الأمراض الدنيوية!".

"حسناً... لم نلتقطها من قبل".

راحت تحقّق فيه بشراسة. أرادت قبعتها، فقد شعّرت أنها عارية من دونها، لكنها تركتها في الإيرثكروزر.

قال نَت، "يمكنني إخبارك بما أراه، وهو حصبة حمراء".

مرض دنيوي يدعى حصبة. يا لهذا الوضع المثالي اللعين.

"هذا مجرد... هُراء!".

جفل، ولما لا؟ فقد بدت حادّة حتى لنفسها، لكن... آه، يا إلهي، الحصبة؟ أقدم عضو في العقدة الحقيقية يُحتضّر من مرض من أيام الطفولة حتى الأولاد لم يعودوا يُصابون به؟

"ذلك الولد من أيوا الذي يلعب البيسبول كانت عليه بضع بُقع، لكنني لم أظن أبداً... لأننا نعم، مثلما قلت. نحن لا نلتقط أمراضهم".

"حصل هذا منذ سنوات!".

"أعرف. كل ما يمكنني التفكير فيه هو أنه كان في البخار، وكان في مرحلة سبات نوعاً ما. لعلمك، هناك أمراض تفعل ذلك. تبقى هامة لسنوات أحياناً، ثم تظهر".

"ربما مع الأشخاص الدنيويين!", بقيت تعود إلى هذه النقطة.

اكتفى وولنت بهزّ رأسه.

"إذا التقطه الجَدّ، لماذا لم نلتقطه نحن أيضاً؟ لأن أمراض الطفولة تلك - جذري الماء، الحصبة، النُكاف - تمرّ في الأولاد الدنيويين مثل مرور البراز في الإوزة. هذا غير منطقي". ثم استدارت إلى كُرو دادي وناقضت نفسها فوراً. "بماذا كنت تفكّر أيها اللعين عندما تركتهم يقفون هنا ويتنفسون هواءه؟".

اكتفى كُرو بهزّ كتفيه، ولم تبعد عيناه أبداً عن العجوز المرتعش على السرير. كان وجه كُرو الضيق الوسيم متأملاً.

"الأوضاع تتغيّر"، قال نَت. "لمجرد أنه كانت لدينا حصانة من الأمراض الدنيوية منذ خمسين أو مئة سنة لا يعني أنها لا تزال لدينا الآن. كل ما نعرفه هو أن هذا يمكن أن يكون جزءاً من سياق طبيعي".

"هل تحاول إخبارني أن هناك شيئاً طبيعياً في هذا؟"، أشارت إلى الجَدّ فليك.

"حالة واحدة لا تعني وباءً"، قال نَت، "ويمكن أن يكون مُصاباً بشيء آخر. لكن إذا حصل هذا مرة أخرى، سيكون علينا وضع أياً من يُصاب به في حجر صحي كامل".

"هل سيفيد ذلك؟".

تردّد لوقت طويل. "لا أعرف. ربما كلنا مُصابون به. ربما هذا جرس إنذار ضُبط ليرونّ أو ينفجر بناءً على مؤقّت. وفقاً لأحدث تفكير علمي، هذه هي الطريقة التي يشيخ بها الأشخاص الدنيويون. يعيشون ويعيشون، بنفس الحالة تقريباً، ثم يتعطل شيء في جيناتهم. تبدأ التجاعيد بالظهور وفجأة يحتاجون إلى عصا لكي يتمكنوا من السير".

كان كُرو يراقب الجَدّ. "ها قد بدأ. تباً".

أصبحت بشرة الجَدّ فليك حليبيّة. ثم نصف شفافة. وعندما بدأت تقترب من الشفافية الكاملة، استطاعت روز رؤية كبده، والأكياس الذابلة الرمادية السوداء لرنّتيه، والعقدة الحمراء النابضة لقلبه. يمكنها رؤية أوردته وشرائينه مثل الطرقات العامة والرئيسية على شاشة نظام تموضعها العالمي المضمّن في لوحة قيادتها. يمكنها رؤية الأعصاب البصرية التي تربط عينيه بدماعه. إنها تشبه سلاسل شبحيّة.

ثم عاد. تحرّكت عيناه، التقت عينيّ روزي، وبقيت تحديقان فيهما. مدّ يده وأمسك يدها التي لم تتعرّض لأذى. كانت ردّة فعلها الأولى هي الابتعاد - إذا كان مُصاباً بما قاله نَت، فمرضه مُعدٍ - لكن تباً. إذا كان نَت محقّقاً، فقد تعرّضوا كلهم لنفس المرض.

"روز"، همس. "لا تتركيني".

"لن أتركك". جلست بجانبه على السرير، وشبكت أصابعها بأصابعه. "كرو؟".

"نعم يا روز".

"الطرد الذي أرسلته إلى ستربريدج - سيحتفظون به، صح؟".

"بالتأكيد".

"حسناً، سنرى ذلك. لكن لا يمكننا الانتظار طويلاً. الفتاة الصغيرة أخطر بكثير مما اعتقدت". تنهدت. "لماذا تأتي المشاكل معاً دائماً؟".

"هل هي من فعل هذا بيدك، بطريقة أو بأخرى؟".

هذا سؤال لم ترغب أن تُجيب عليه مباشرة. "لن أكون قادرةً على الذهاب معك، لأنها تعرفني الآن". لأنه أيضاً، فكرت في سرّها لكنها لم تقله، إذا كان هذا ما يظنّه وولنت، فسيحتاج الباقون أن أكون هنا لألعب دور الأم الشجاعة. "لكن يجب أن نقبض عليها. أصبح هذا أكثر أهمية من ذي قبل".

"لأن؟".

"إذا كانت قد أُصيبت بالحصبة، فستكون قد اكتسبت الحصانة الدنيوية منه. وهذا قد يجعل بخارها مفيداً في كافة الوسائل".

"يتم تلقيح الأولاد ضد كل ذلك الهراء الآن"، قال كرو.

أومأت روز برأسها. "هذا يمكن أن يفيدنا أيضاً".

بدأ الجدّ فليك يدور دورةً أخرى. من الصعب مشاهدته، لكن روز أجبرت نفسها على فعل ذلك. وعندما لم يعد بإمكانها رؤية أعضاء العجوز من خلال بشرته السريعة العطب، نظرت إلى كرو ورفعت يدها المرضوضة والمكشوفة.

"أيضاً... تحتاج إلى من يلقنّها درساً".

2

عندما استيقظ دان في غرفة برجه يوم الاثنين، رأى أن الجدول قد مُحي مرة أخرى عن سبّورته واستُبدل برسالة من أبراء، تبدأ بوجه مبتسم. كانت كل الأسنان ظاهرة، مما أعطاه مظهراً مرحاً.

لقد أنت! كنت جاهزة وأذيتُها!

أذيتها حقاً!!

تستحق ذلك، لذا أشعر بالسعادة!!!

أحتاج إلى التكلّم معك، ليس بهذه الوسيلة أو عبر الشبكة.

نفس المكان كما من قبل 3 بعد الظهر

استلقى دان على سريره، غطى عينيه، وذهب يبحث عنها. وجدها تسير إلى المدرسة مع ثلاثة من صديقاتها، مما ألقه بسبب خطورة ذلك. على الصديقات وعلى أبراً أيضاً. أمل أن يكون بيلي هناك ويؤدي دوره. كما أمل أن يكون بيلي كتوماً ولا يعتبره أحد حراس الحي المتحمسين شخصاً مشبوهاً.

(يمكنني القدوم جون وأنا لن نغادر قبل الغد لكن يجب أن يكون سريعاً ويجب أن نكون يقظين)

(نعم حسناً جيد)

3

كان دان يجلس مرة أخرى على مقعد خارج مكتبة أنيستون الخضراء الداكنة عندما خرجت أبراً مرتدية ملابس مدرسة عبارة عن سترة حمراء وحذاء رياضي أحمر جذاب. كما تمسك حقيبة ظهر بواسطة رباطٍ واحدٍ. بدت لدان كما لو أنها كبرت ثلاثة سنتيمترات منذ آخر مرة رآها فيها.

لوّحت له بيدها. "مرحبا أيها العمّ دان!!"

"مرحبا يا أبراً. كيف كانت المدرسة؟"

"رائعة! نلتُ علامة A على تقريرتي في مادة البيولوجيا!!"

"اجلسي دقيقة وأخبريني ما حصل".

مشت إلى المقعد، وكانت ممثلةً كياسةً وطاقاً لدرجة أنها بدت كأنها ترقص. العينان تلمعان، اللون متورّد: مراهقة ذات صحة سليمة بعد يوم مدرسي وكل أنظمتها خضراء. كل شيء فيها قال جاهز-استعد-انطلق. لم يكن هناك سبب لكي يُقلق هذا دان، لكنه شعر بالقلق. كان هناك شيء واحد جيد جداً: شاحنة فورد رتبية مركونة على بُعد نصف مربع سكني، والعجوز الجالس خلف المقود يرشف كوب قهوة ويقرأ مجلةً. يبدو كأنه يقرأ مجلةً، على الأقل.

(بيلي؟)

لا جواب، لكنه رفع نظره عن مجلته للحظة، وهذا كان كافياً.

"حسناً"، قال دان بصوتٍ منخفضٍ. "أريد سماع ما حصل بالضبط".

أخبرته عن الفخ الذي نصبته، وكيف عمل بشكل جيد. استمع لها دان بدهشة وإعجاب... وبذلك القلق المتزايد. تفتها بقدراتها ألقته. كانت ثقة طفلة، والأشخاص الذين يتعاملان معهم ليسوا أطفالاً.

"طلبتُ منك ضبط إنذار فحسب"، قال عندما انتهت.

"هذا كان أفضل. لا أعرف إن كنتُ سأتمكن من النيل منها بهذه الطريقة لو لم أدعي أنني دنيرس في كتب لعبة العروش، لكنني أعتقد ذلك. لأنها قتلت فتى البيسبول والكثيرين غيره. أيضاً لأن...". تعثرت ابتسامتها قليلاً لأول مرة. بينما كانت تروي قصتها، رأى دان كيف ستبدو في الثامنة عشرة. ورأى الآن كيف بدت في التاسعة.

"لأن ماذا؟".

"لأنها ليست بشرية. لا أحد منهم بشري. ربما كانوا ذات يوم، لكنهم لم يعودوا الآن". قومت كتفها وقذفت شعرها إلى الخلف. "لكنني أقوى. وهي تعرف ذلك أيضاً".

(اعتقدت أنها دفعتك بعيداً)

عبست فيه منزعةً، مسحت فمها، ثم أدركت أن يدها تفعل ذلك فأعادتها إلى حُصنها. بعدما أصبحت هناك، قبضت عليها اليد الأخرى لتبقيها جامدة. هناك شيء مألوف في هذه الحركة، لكن لماذا يستغرب ذلك؟ فقد رآها تفعل هذا من قبل. لديه الآن أمور أهم ليقلق بشأنها.

(المررة القادمة سأكون جاهزة إذا كانت هناك مرة قادمة)

قد يكون هذا صحيحاً. لكن إذا كانت هناك مرة قادمة فإن المرأة ذات القبعة ستكون جاهزة أيضاً.

(أريدك فقط أن تكوني يقظة)

"سأكون يقظة. بالتأكيد". هذا، بالطبع، ما يقوله كل الأولاد لكي يسترضوا الراشدين في حياتهم، لكنه ومع ذلك جعل دان يشعر بتحسّن. قليلاً، على أي حال. بالإضافة إلى ذلك، هناك ببلي في شاحنته F-150 ذات الطلاء الأحمر الباهت.

راحت عيناها ترقصان مرة أخرى. "اكتشفتُ الكثير من الأمور. لهذا السبب احتجتُ إلى رؤيتك".

"أي أمور؟".

"ليس مكانها، لم أصل إلى ذلك الحدّ، لكنني اكتشفتُ... لأنها عندما كانت في ذهني، كنتُ في ذهنها. نوع من المقايضة، صح؟ كان مليئاً بالجوارير، كما لو أنني كنتُ في أكبر غرفة مراجع في العالم، رغم أنني ربما رأيتُ ذهنها بهذه الطريقة فقط لأنها هي التي رأت ذهني هكذا. لو كانت تنظر إلى شاشات كمبيوتر في ذهني، لكانتُ رأيتُ شاشات كمبيوتر على الأرجح".

"كم عدد الجوارير التي فتحتها؟".

"ثلاثة. ربما أربعة. يسمّون أنفسهم العقدة الحقيقية. معظمهم عجائز، ويشبهون مصاصي الدماء حقاً. يبحثون عن الأولاد مثلي. ومثلك، أظن. لكنهم لا يشربون الدم، بل يتنفسون الشيء الذي يخرج عندما يموت الأولاد المميزون". جفّلت من الاشمزاز. "كلما أذوهم أكثر قبل موتهم، كلما خرج ذلك الشيء أقوى. يسمّونه بخاراً".

"إنه أحمر، صح؟ أحمر أو زهري ضارب إلى الحمرة؟".

كان متيقناً من ذلك، لكن أبراً عبست وهزّت رأسها. "لا، أبيض. سحابة بيضاء ساطعة. لا شيء أحمر فيه. واسمع: يمكنهم تخزينه! ما لا يستهلكونه يضعونه في حاويات تشبه الأباريق العازلة للحرارة. لكنهم لا يكتفون أبداً. رأيتُ ذات مرة برنامجاً عن أسماك القرش. قال إنهم يتحرّكون دائماً، لأنهم لا يكتفون مما يأكلون أبداً. أعتقد أن العقدة الحقيقية هي هكذا". ابتسمت. "إنهم أشخاص أشقياء".

مادة بيضاء. ليست حمراء بل بيضاء. لا شك أنها ما سمّته الممرضة العجوز لهاثاً، لكن من نوع مختلف. لأنها تأتي من أشخاص سليمين صحياً وليس من عجائز يُحتضرون من كل مرض ممكن للإنسان تقريباً؟ لأنهم كانوا ما سمّته أبراً "أولاداً مميزين؟" الاثنان معاً؟

كانت تومئ برأسها. "الاثنان معاً، على الأرجح".

"حسناً. لكن أهم شيء هو أنهم يعرفون عنك. هي تعرف عنك".

"إنهم خائفون قليلاً من أنني قد أخبر أحداً عنهم، لكنهم ليسوا خائفين كثيراً".

"لأنك مجرد ولد، ولا أحد يصدّق الأولاد".

"صح". نفخت الشعر عن جبهتها. "مومو ستصدّقني، لكنها ستموت. إنها ذاهبة إلى مأوى العنزة لديك يا دان. أفصد مأوى العنزة. ستساعدها، أليس كذلك؟ إذا لم تكن في أيوا؟".

"بأقصى ما أستطيع. أبراً - هل هم قادمون للنيل منك؟".

"ربما، لكن إذا فعلوا ذلك فلن يكون بسبب ما أعرفه. بل بسبب ما أنا عليه". زالت سعادتها الآن وقد أصبحت تواجه هذا وجهاً لوجه. فَرَكَتَ فمها مرة أخرى، وعندما أنزلت يدها، كانت شفتاها متباعدتين في ابتسامة غاضبة. لهذه الفتاة مزاج سيئ، فكَرَّ دان في سرّه. يمكنه أن يتماثل مع ذلك. فهو لديه مزاج سيء أيضاً. وقد أوقعه في ورطة أكثر من مرة.

"لكنها لن تأتي. تلك السافلة. هي تعرف أنني أعرفها الآن، وسأشعر بها إذا اقتربت، لأننا مرتبطتان ببعض نوعاً ما. لكن هناك آخرون. إذا أتوا من أجلي، سيؤذون أي شخص يعترض طريقهم".

أمسكت أبرا يديه بيديها، وضغطت بقوة. هذا أقلق دان، لكنه لم يجعلها تفلته. تحتاج الآن إلى لمس شخص تثق به.

"علينا إيفاهم لكي لا يستطيعون إيذاء أبي أو أمي، أو إحدى صديقاتي. ولكي لا يقتلون مزيداً من الأولاد".

للحظة التقط دان صورة صافية من أفكارها - لم تُرسلها له، بل موجودة هناك في الأمامية. كانت مجموعة صور فوتوغرافية ملصقة ببعضها. أولاد، العشرات منهم، تحت عنوان "هل رأيتني؟". كانت تتساءل كم ولداً منهم قضت عليه العقدة الحقيقية، قتلته لأخذ لهائه النفسي الأخير - الطعام الشهى المُجوني الذي تعتاش عليه هذه المجموعة - وتركته في قبر غير معلّم.

"عليك إحضار قفاز البيسبول ذلك. إذا حصلتُ عليه، سأتمكن من معرفة مكان باري الصّدع. أعرف أنني سأتمكن من ذلك. وسيكون بقيتهم حيث يكون هو. إذا لم تكن تستطيع قتلهم، يمكنك على الأقل التبليغ عنهم إلى الشرطة. أحضِر لي ذلك القفاز يا دان، رجاءً".

"إذا كان حيث تقولين إنه موجود، سُنحضره. لكن عليك الحذر في هذه الأثناء يا أبرا".

"سأفعل، لكنني لا أعتقد أنها ستحاول التسلل إلى ذهني مرة أخرى". عادت ابتسامة أبرا. رأى دان فيها المرأة المُحاربة الحاسمة التي تدّعيها أحياناً - دنيرس، أو أياً يكن. "ستندم إذا فعلت ذلك".

قرّر دان التغاضي عن الأمر. لقد بقيا معاً على هذا المقعد لأطول مدة يجرؤ عليها. وأطول من ذلك، حقاً. "لقد ضبطتُ نظاماً أمنياً خاصاً بي نيابة عنك. إذا نظرتِ إلى داخلي، أتخيّل أنه يمكنك معرفة ما هو، لكنني لا أريدك أن تفعل ذلك. إذا حاول شخص آخر من تلك العقدة التنقيب في ذهنك - ليس المرأة ذات القبعة، بل شخصاً آخر - لا يمكنه اكتشاف ما لا تعرفينه".

"آه. حسناً". يمكنه رؤيتها تفكّر أن أي شخص آخر يحاول ذلك سيندم أيضاً، وهذا زاد من قلقه.

"فقط... إذا وجدتِ نفسك في موقف حرج، صيحي بي لي بكل قوتك. مفهوم؟".

(نعم مثلما ناديت ذات يوم صديقك ديك)

جفل قليلاً. ابتسمت أبرا. "لم أكن أختلس النظر؛ أنا فقط -"

"أفهم. أخبريني الآن شيئاً واحداً قبل أن تذهبي."

"ماذا؟"

"هل نلت حقاً علامة A على تقريرك البيولوجي؟"

4

عند الثامنة إلا ربعاً مساءً ذلك الاثنين، حصلت روز على نقرة مزدوجة على جهازها اللاسلكي. إنه كُرو. "من الأفضل أن تأتي إلى هنا"، قال. "إنه يحصل".

كان أعضاء العقدة الحقيقية يقفون حول سيارة عيش الجَدّ في دائرة صامتة. اخترقتهم روز (التي ترتدي قبعاتها الآن بالزاوية المعتادة التي تتحدّى الجاذبية)، وتوقفت مؤقتاً لتعانق أندي، ثم صعدت الدرجات، طرقت مرةً، ودخلت. كان نَت يقف مع مو الضخمة وأني المنزر، ممرضتا الجَدّ المعترضتان، وكُرو يجلس على حافة السرير. نهض عندما دخلت روز. كان عمره بادياً عليه هذا المساء. الخطوط تحيط فمه، وهناك خيوط قليلة من الحرير الأبيض في شعره الأسود.

نحتاج إلى أخذ بخار، فكّرت روز. وعندما ينتهي هذا، سنفعل ذلك.

كان الجَدّ فليك يدور بسرعة الآن: شفاف أولاً، ثم خالص مرة أخرى، ثم شفاف. لكن كل شفافية كانت أطول، ويختفي المزيد منه. عرّف ما الذي يحصل، لأن روز ترى ذلك. كانت عيناها عريضتين ومرتعبتين؛ وجسمه يتلوى من ألم التغييرات التي تحصل له. لطالما سمحت لنفسها بأن تصدّق، عند مستوى عميق في ذهنها، خلود أعضاء العقدة الحقيقية. نعم، كل خمسين أو مئة سنة تقريباً، يموت أحدهم - مثل ذلك الهولندي المغفل الضخم، هانس أبعد يديك، الذي صعفته الكهرباء جرّاء سقوط خط كهربائي خلال عاصفة في أركنساس بُعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أو كايتي الرُقع، التي غرقت، أو تومي الشاحنة - لكن أولئك كانوا استثناءات. الذين يسقطون عادة يسقطون بسبب إهمالهم. لذا لطالما صدّقت ذلك. لكنها ترى الآن أنها كانت حمقاء مثل الأولاد الدنيويين المتشبهين بتصديقهم كذبة ساننا كلوز وأرنب احتفال الربيع.

دار عائداً إلى الصلابة، وهو يئنّ ويبيكي ويرتعش. "اجعلي هذا يتوقف، يا روزي العزيزة، اجعليه يتوقف. هذا مؤلم -"

قبل أن تتمكن من الإجابة - وحقاً، ماذا كان يمكنها أن تقول؟ - بدأ يتلاشى مرة أخرى إلى أن لم يبق منه شيء سوى صورة عظام وعيناها العائمتان المحدّقتان. كانتا الأسوأ.

حاولت روز أن تتواصل معه بذهنها وتواسيه بهذه الطريقة، لكن لم يكن هناك شيء للتمسك به. حيث كان الجدّ فليك دائماً - نكداً في أغلب الأحيان، وعذباً أحياناً - كانت هناك الآن مجرد عاصفة هادرة من صور محطمة. تراجعت روز عنه وهي ترتعش. فكّرت في سرّها مرة أخرى، لا يمكن أن يكون هذا يحصل.

"ربما علينا إراحته من بؤسه"، قالت مو الضخمة وهي تغرز أظافرها في ساعد آني، لكن لم يبدو أن آني شعرت بذلك. "أعطه حقنة، أو أي شيء. لديك شيء في حقيبتك، أليس كذلك يا نّت؟ هذا مؤكّد".

"ما نفع ذلك؟"، كان صوت وولنت أجش. "ربما سابقاً، لكن الأمر يجري بسرعة كبيرة الآن. ليس لديه أي نظام لكي يسري فيه أي دواء. إذا أعطيتُه حقنة في ذراعه، سنراها تبيل السرير بعد خمس ثوانٍ. من الأفضل ترك الأمر يحصل. هذا لن يطول كثيراً".

عدت روز أربع دورات كاملة إضافية. في الدورة الخامسة، حتى عظامه اختفت. بقيت مُقلتا عينيه للحظة، راحتا تحدقان فيها أولاً ثم تدحرجتا لتتنظرا إلى كُرو دادي. علقتا فوق الوسادة، التي كانت لا تزال مضغوطة بوزن رأسه وملطخة ببلسم الشعر، الذي بدا أنه يملك كميات لا تنتهي منه. اعتقدت أنها تذكّرت غ الطماعة تُخبرها ذات يوم أنه يشتريه من موقع إيباي. إيباي، تباله!

ثم اختفت العينان أيضاً، ببطء. ما عدا أنهما لم ترحلا حقاً بالطبع؛ عرفت روز أنها ستراها في أحلامها لاحقاً هذه الليلة. مثلما سيراهما كل الحاضرين عند فراش موت الجدّ فليك. هذا إذا ناموا من الأصل.

انتظروا، فلا أحد منهم مُقتنع كلياً أن العجوز لن يظهر أمامهم مرة أخرى مثل شبح والد هاملت أو جاكوب مارلي أو شخص آخر، لكن لم يكن هناك سوى شكل رأسه المختفي، والبقع التي خلفها بلسم شعره، والسروال الداخلي المفرغ منه الهواء والملطخ بالبراز والبول الذي كان يرتديه.

انفجرت مو في بكاء مريّر ودفنت رأسها في الصدر الكريم لأنني المنزر. سمع المنتظرون في الخارج ذلك، وبدأ صوتٌ واحدٌ (لن تعرف روز صوت من أبدأ) يتكلم. انضم إليه صوت آخر، ثم صوت ثالث ورابع. وسرعان ما كانوا كلهم ينشدون تحت النجوم، وشعرت روز بقشعريرة تملأ ظهرها. مدّت يدها، وجدت يد كُرو، وضغطت عليها.

انضمت إليهم آني. ثم مو، بكلمات مكتومة. نّت. ثم كُرو. أخذت روز القبعة نفساً عميقاً وأضافت صوتها إلى أصواتهم.

لودسام هانتي، نحن المُختارون.

كاهانا ريزوني هانتي، نحن المحظوظون.

ساباتا هانتي، ساباتا هانتي، ساباتا هانتي.

نحن العقدة الحقيقية، ونصمد.

5

لاحقاً، انضم إليها كُرو في عربتها الإيرثكروزر. "لن تذهبي شرقاً حقاً، أليس كذلك؟".

"لا. ستكون أنت في سدّة المسؤولية".

"ماذا نفعل الآن؟".

"ننذبه طبعاً. لسوء الحظ، لا يمكننا إعطاه أكثر من يومين".

كانت الفترة التقليدية سبعة أيام: لا مضاجعة، لا كلام خامل، لا بخار. فقط تأمل. ثم دائرة وداع يذكر خلالها كل شخص إحدى الذكريات عن الجدّ جوناس فليك ويتخلّى عن غرض واحد حصل عليه منه، أو قرّنه به (روز اختارت غرضها من قبل، خاتم عليه تصميم سلّتيّ كان الجدّ قد أعطاهما إياه عندما كان هذا الجزء من أميركا لا يزال أرضاً هنديةً وكانت تسمّى وقتها روز الإيرلندية). لا تبقى أي جثة أبداً عندما يموت أحد أعضاء العقدة الحقيقية، لذا عليهم أن يكتفوا بأغراض الذكرى. يتم لف تلك الأشياء بكتّان أبيض وتُدْفَن.

"لذا متى تغادر مجموعتي؟ ليل الأربعاء أم صباح الخميس؟".

"ليل الأربعاء". أرادت روز القبض على الفتاة في أقرب وقت ممكن. "قُد إلى هناك مباشرة. وأنت متأكد أنهم سيحتفظون بمادة إفقاد الوعي في نقطة البريد في سثربريدج؟".

"نعم. أريحي بالك بشأن ذلك".

لن يرتاح بالي إلى أن أرى تلك السافلة الصغيرة جالسة في الغرفة المجاورة لغرفتي، مخدّرة بالكامل، مكبّلة اليدين، وملبّنةً بالبخار اللذيذ المذاق القابل للامتصاص.

"من ستأخذ معك؟ عدّدهم لي".

"أنا، نَت، جيمي الأرقام، إذا كنتِ قادرة على الاستغناء عنه -".

"أقدر. ومن أيضاً؟".

"أندي لدغة الأفعى. إذا كنا نحتاج إلى تنويم شخص، فهي التي يمكنها تحقيق ذلك. والصدع. هو بالتأكيد. إنه أفضل متعقّب لدينا الآن بعد رحيل الجدّ. غيركِ أنتِ، طبعاً".

"حذه مهما كلف الأمر، لكنك لن تحتاج إلى متعقّب لكي تجد هذه الفتاة"، قالت روز. "لن تكون هذه مشكلة. ومركبة واحدة فقط تكفي. خذ وينباغو ستيف الساذج".

"كلمته من قبل بشأن ذلك".

أومات برأسها مسرورة. "شيء آخر. هناك متجر صغير في سايدوندر يدعى المقاطعة المجهولة".

رفع كرو حاجبي عينيه. "القصر الإباضي الذي يعرض دمية ممرضة قابلة للنفخ في النافذة؟".

"أرى أنك تعرفه". كانت نبرة روز جافة. "اسمعي الآن يا دادي".

راح كرو يستمع.

6

طار دان وجون دالتون من مطار لوغان صباح الثلاثاء عند بدء شروق الشمس. غيرًا طائرتهما في ممفيس وهبطا في ديموين عند 11:15 في يوم بدا أشبه بمنصف يوليو أكثر منه أواخر سبتمبر.

أمضى دان الجزء الأول من رحلة بوسطن-إلى-ممفيس يتظاهر أنه نائم لكي لا يضطر إلى التعامل مع الشكوك التي شعّر بها تفرّخ مثل أعشاب ضارة في ذهن جون. في مكان ما فوق الجزء الشمالي من ولاية نيويورك، توقّف عن التظاهر وغفا فعلاً. أما جون فنام بين ممفيس وديموين، لذا مرّ الوقت بخير. وبعدها أصبحا في أبوا فعلاً، يقتربان من بلدة فريمان في سيارة فورد فوكوس غير ملفتة للنظر استأجراها من مكتب هرتز، شعّر دان أن جون تخلى عن شكوكه. في الوقت الحاضر، على الأقل. لكن ما حلّ محلها كانت الحشرية والإثارة المضطربة.

"فتيان في رحلة بحث عن كنز"، قال دان. كان قد أخذ قبيلولة أطول، لذا كان الشخص الجالس خلف المقود. نرة مرتفعة، صفراء الآن أكثر منها خضراء، تمرّ بهما على كلا الجانبين.

جفلّ جون قليلاً. "ماذا؟".

ابتسم دان. "أليس هذا ما كنت تفكّر فيه؟ نحن أشبه بفتيان في رحلة بحث عن كنز؟".

"أنت مُرعب لعين يا دانيال".

"أظن. لقد اعتدّ على ذلك". هذا لم يكن صحيحاً تماماً.

"متى اكتشفت أنه يمكنك قراءة الأفكار؟".

"لا يقتصر هذا على قراءة الأفكار. البريق موهبة متغيرة بشكل فريد. إذا كان موهبةً يبدو أحياناً - في كثير من الأوقات - أشبه بوحمة مشوّمة. أنا أكيد أن أبراستقول الشيء نفسه. أما بشأن

توقيت اكتشافي له... لم أكتشفه أبداً. لطالما أمتلكُ هذه القدرة. أتت مع المعدات الأصلية".

"ورحت تشمل لتمحوها".

اندفع مرموطٌ بدينٌ بكل جسارة مجتازاً الطريق 150 على مهل. انحرف دان ليتجنبه، واختنق المرموط في الذرة دون أن يُسرع خطاه. المكان جميل هنا، والسماء تبدو عميقة ألف كيلومتر ولا يوجد أي جبل في أي مكان. نيو هامبشاير مكان جيد، وبدأ يعتبرها موطنه، لكن دان اعتقد أنه سيشعر دائماً براحة أكبر في السهول. بأمان أكثر.

"أنت أدري من ذلك يا جوني. لماذا يشرب أي مدمن شراب؟".

"لأنه مدمن شراب؟".

"أصبت. الأمر بهذه البساطة. احذف كل الثرثرة المستخدمة في علم النفس ولن تبقى لديك سوى الحقيقة الصارخة. شربنا لأننا مدمنون".

ضحك جون. "كايسي ك. لَقَنكِ الدرس حقاً".

"حسناً، هناك أيضاً العامل الوراثي"، قال دان. "كايسي يتجاهل ذلك الجزء دائماً، لكنه هناك. هل كان أبوك يثمل؟".

"هو وأمي العزيزة. كان بإمكانهما لوحدهما فقط إبقاء المقصف في النادي الريفي ناجحاً تجارياً. أتذكر اليوم الذي خلعت فيه أمي ملابس كرة المضرب وقفزت إلى الحوض معنا نحن الأولاد. صَفَّق الرجال. ظنَّ أبي أنه أمر مذهل. أنا، ليس كثيراً. كنتُ في التاسعة، وإلى أن ذهبتُ إلى الكلية كنتُ الفتى ابن الأم المتعرية. وأنت؟".

"لم تكن أمي تكثرث لأي شيء. كانت تسمي نفسها أحياناً ويندي كوبي شراب شعير. لكن أبي... كوب شراب عنب واحد أو عبوة شراب شعير واحدة يُدخله في نوبة نشاط مُفرط". ألقى دان نظرة سريعة على عدّاد المسافات ورأى أنه لا يزال أمامهما ستون كيلومتراً كي يصلوا. "تريد سماع قصة؟ واحدة لم أروها لأي شخص أبداً؟ يجب أن أحذرك من أنها قصة غريبة. إذا كنت تعتقد أن البريق يقتصر على هراء تافه مثل التخاطر، فأنت مُخطئ جداً". صمت قليلاً. "هناك عوالم أخرى غير هذه".

"هل... ممم... رأيت تلك العوالم الأخرى؟". شرّد دان عن ذهن جون قليلاً، لكن الدكتور جون بدا متوتراً قليلاً فجأة. كما لو أنه ظن أن الشاب الجالس بجانبه قد يُقجم يده فجأة في قميصه ويصرخ أنه تقمّص نابليون بونابرت.

"لا، فقط بعض الأشخاص الذين يعيشون هناك. تسميهم أبرا الأشخاص الأشباح. هل تريد سماع القصة أم لا؟".

"لست متأكداً أنني أريد، لكن ربما من الأفضل لي أن أسمعها".

لم يعرف دان كم سيصيّد طبيب الأطفال هذا من نيو إنغلاند عن الشتاء الذي أمضته عائلة تورانس في فندق الأوفرلوك، لكنه وجد أنه لا يهّمه كثيراً. فروايته القصة في هذه السيارة الرتبية، تحت سماء الغرب الأوسط الساطعة هذه، ستكون أمراً جيداً بما فيه الكفاية. هناك شخص واحد كان ليصيّدقها كلها، لكن أبراً يافعة جداً، والقصة مخيفة جداً. جون دالتون يجب أن يفني بالعرض. لكن كيف يبدأ؟ بجاك تورانس، افترض. رجل حزين جداً فشل في التعليم والتأليف والزواج. ماذا يسمي لاعبو البيسبول ثلاثة إخفاقات متتالية؟ سومبريرو ذهبية؟ لم يحقّق والد دان سوى نجاح ملحوظ واحد فقط: عندما أتت اللحظة أخيراً - تلك التي كان الأوفرلوك يدفعها نحوه من يومهم الأول في الفندق - رفض أن يقتل ابنه الصغير. لو كان هناك نقش تذكاري على ضريحه، فسيكون...

"دان؟"

"أبي حاول"، قال. "هذا أفضل ما يمكنني أن أقوله عنه. معظم المشاكل الحاقدة في حياته أتت في زجاجات. لو جرّب منظمة مدمني الشراب المجهولين، لكانت الأمور اختلفت كثيراً على الأرجح. لكنه لم يجربها. لا أعتقد أن أمي عرفت حتى بوجود هكذا منظمة، وإلا لكانت اقترحت عليه تجربتها. حين صعدنا إلى فندق الأوفرلوك، حيث دبّر له أحد أصدقائه وظيفة وكيل الفندق خلال فصل الشتاء، كان يمكن أن تكون صورته بجانب تعريف مصطلح ثمل جاف في القاموس".

"هناك كان الأشخاص الأشباح؟"

"نعم. لقد رأيتهم. هو لم يرههم، لكنه شعّر بهم. ربما كان يمتلك بريقه الخاص. الأرجح أنه امتلكه الكثير من الأمور وراثية في النهاية، ليس فقط الميل نحو إدمان الشراب. وقد ضغطوا عليه. اعتقد أنهم - الأشخاص الأشباح - أرادوه، لكن هذه كانت مجرد كذبة أخرى. ما أرادوه كان الفتى الصغير ذا البريق الكبير الرائع. بشكل مماثل لرغبة تلك العقدة الحقيقية بالحصول على أبراً".

توقّف عن الكلام، وتذكّر كيف أجاب دك، عبر استخدامه الفم الميت لإليانور أوليت، عندما سأله دان عن مكان الشياطين الفارغة. في طفولتك، المكان الذي يأتي منه كل شيطان.

"دان؟ هل أنت بخير؟"

"نعم"، قال دان. "على أي حال، عرفتُ أن هناك خطباً ما في ذلك الفندق اللعين حتى قبل أنا أجتاز الباب. عرفتُ عندما بقينا نحن الثلاثة نعيش شطف العيش في بولدر، على المنحدر الشرقي. لكن أبي كان بحاجة إلى وظيفة لكي يتمكن من إنهاء مسرحية يعمل عليها..."

حين وصلنا إلى أدير، كان يُخبر جون كيف انفجر مرّجّل الأوفرلوك، وكيف احترق الفندق القديم إلى الأرض في عاصفة ثلجية عاتية. أدير بلدة صغيرة لا تحتوي على أكثر من إشارتي

مرور، لكن فيها فندق هوليداي إن أكسبرس، ولاحظ دان موقعه.

"هذا هو المكان الذي سننزل فيه بعد ساعتين من الآن"، أخبر جون. "لا يمكننا التنقيب عن الكنز في وضح النهار، كما أنني نعسان جداً. لم أكن أنام كثيراً مؤخراً".

"كل ذلك حصل لك حقاً؟"، سأل جون بصوتٍ خافتٍ.

"حصل حقاً". ابتسم دان. "هل تعتقد أنه يمكنك تصديقه؟".

"إذا عثرنا على قفاز البيسبول حيث نقول إنه موجود، سيكون عليّ أن أصدق أموراً كثيرةً. لماذا أخبرتني؟".

"لأن جزءاً منك يعتقد أنه من الجنون أن نتواجد هنا، رغم ما تعرفه عن أبراً. أيضاً لأنك تستحق أن تعرف بشأن وجود... قوي. لقد واجهتها سابقاً؛ أما أنت لا. كل ما رأيته هو فتاة صغيرة يمكنها أن تؤدي خدعاً نفسيةً متنوعةً مثل جعل الملاعق تتدلى من السقف. رحلتنا هذه ليست رحلة فتيان يبحثون عن كنز يا جون. إذا اكتشفت العقدة الحقيقية ماذا ننوي أن نفعل، سنوضع على لائحة الأهداف إلى جانب أبراً ستون مباشرة. وإذا قررت الانسحاب من هذه المهمة، سأطبع قبلتين على خديك وأودعك متمنياً لك السلامة".

"وتتابع هذا بمفردك".

ابتسم له دان. "حسناً... هناك بيبي".

"بيبي في الثالثة والسبعين على الأقل".

"سيقول إن هذه مبالغة. يحب بيبي إخبار الناس أن الشيء الجيد في أن يكون الشخص كبيراً في السن هو أنه لن يضطر إلى القلق بشأن الموت يافعاً".

أشار جون بإصبعه. "حدود بلدة فريمان". ابتسم لدان ابتسامة صارمة صغيرة. "لا يمكنني أن أصدق بالكامل أنني أفعل هذا. ماذا ستقول إذا كان مصنع الإيثانول ذلك قد زال؟ إذا تم هدمه منذ أن التقط غوغل إيرث صورته، والأرض مكانه مزروعة ذرة؟".

"سنجده هناك"، قال دان.

8

وجداه هناك: سلسلة كتل أسمنتية رمادية مسقوفة بمعدن مموج صدئ. مدخنة واحدة لا تزال واقفة؛ سقطت اثنتان أخريان تقبعان على الأرض الآن مثل أفاعٍ مقطّعة. النوافذ محطّمة والجدران مغطاة برسوم رُسمت برذاذ طلاء ملطّخ سيسخر منها كل الرسامين الجداريين في أي مدينة كبيرة. هناك طريق خدمة مليء بالحفر يتفرّع من الطريق الرئيسي ذي الحارتين، وينتهي في

مرأب سيارات فرّخت فيه بذور ذرة تائهة. كان برج الماء الذي رأته أبراً قريباً من هناك، منتصباً في الأفق مثل آلة حرب مريخية في إحدى روايات هـ. ج. ولز، ومطبوع على جهته "فريمان، أيوا". كما وجدا الحظيرة ذات السقف المحطم.

"راضٍ؟"، سأل دان. كانا قد أبطأا سرعتهما إلى حدود الزحف. "المصنع، برج الماء، الحظيرة، لافتة ممنوع الدخول. كل شيء مثلما قالت إنه سيكون بالضبط".

أشار جون إلى البوابة الصدئة في نهاية طريق الخدمة. "ماذا لو كانت هذه مُقفلة؟ لم أتسلّق سوراً سلكياً منذ أن كنتُ في الإعدادية".

"لم تكن مُقفلةً عندما أحضرتُ القتلة ذلك الولد إلى هنا، وإلا لكانت أبراً أخبرتنا ذلك".

"هل أنت متأكد من ذلك؟".

شاهدا شاحنة مزرعة قادمة من الاتجاه الآخر. زاد دان السرعة قليلاً ورفع يداً أثناء تجاوزهما إياها. الشابّ الجالس خلف المقود - يرتدي قبعة جون دير خضراء، نظارات شمسية، رداء سروالي - رفع يده بالمقابل لكن بالكاد نظرَ نحوهما. هذا شيء جيد.

"سألتُ ماذا لو -"

"أعرف ماذا سألتُ"، قال دان. "إذا كانت مُقفلةً، سنتعامل مع الأمر. بطريقة أو بأخرى. دعنا الآن نعود إلى ذلك الفندق الرخيص ونستلم غرفتنا. أنا مُنهك".

9

بينما كان جون يدفع أجرة غرفتين متجاورتين في الهوليداي إن - دفع نقداً - قصّد دان متجر الأجهزة في أدير. اشترى مسحاةً، مدمّةً، معزقتين، مألج حديقة، زوجي قفازات، وحقّية قماشية لتخزين مشترياته الجديدة. الأداة الوحيدة التي أرادها في الواقع هي المسحاة، لكنه شَعَرَ أنه من الأفضل أن يشتري عدة أدوات.

"ما الذي أتى بك إلى أدير، هل لي أن أسأل؟"، سأل البائع بينما كان يسعّر أدوات دان.

"مارّ فقط. أختي في ديموين، وحديقتها كبيرة. تملك على الأرجح معظم هذه الأمور، لكن يبدو أن الهدايا تحسّن دائماً حُسن ضيافتها".

"فهمتُ يا أخ. وستشكرك على هذه المعزقة ذات المقبض القصير. لا توجد أداة مفيدة أكثر منها، ولا يخطر على بال معظم البستانيين الهواة شراء واحدة أبداً. نقبل بطاقات ماستر كارد، فيزا -"

"

"أعتقد أنني سأعطي البلاستيك بعض الراحة"، قال دان وهو يُخرج محفظته. "فقط أعطني إيصالاً للعمّ سكرّ".

"بالتأكيد. وإذا أعطيتني إسمك وعنوانك - أو إسم أختك وعنوانها - سنرسل لها كتالوغنا".

"أتعلم؟ سأنقل لها هذا الخبر اليوم"، قال دان ووضع مجموعة صغيرة من العشريّات على المنضدة.

10

عند الساعة الحادية عشرة تلك الليلة، سمع دان طرْقاً خفيفاً على بابه. فتّحه ليدخل جون. كان طبيب أطفال أبراً شاحباً ومتوتراً. "هل نمت؟".

"قليلاً"، قال دان. "وأنت؟".

"أغفو وأصحو. في الأغلب أصحو. أنا متوتر مثل قطة لعينة. ماذا سنقول إذا أوقفنا شرطي؟".

"سنقول إننا سمعنا عن ملهى رخيص في فريمان وقرّرنا البحث عنه".

"ليس هناك شيء في فريمان سوى الذرة. حوالي تسعة مليارات فدان منها".

"نحن لا نعرف هذا"، قال دان بلطف. "نحن مجرد عابري سبيل. كما أنه لن يوقفنا أي شرطي يا جون. لا أحد سيلاحظنا حتى. لكن إذا كنت تريد أن تبقى هنا -"

"لم أجتز نصف البلاد لكي أجلس في فندق رخيص أشاهد برنامج جاي لينو. فقط دعني أستخدم المرحاض. استخدمتُ مرحاضي قبل أن أغادر الغرفة، لكنني أحتاج إلى استخدامه مرة أخرى الآن. يا للهول كم أنا متوتر".

بدأت الرحلة إلى فريمان طويلة جداً لدان، لكن بعدما غادرا أدير، لم يمرّ بأي سيارة واحدة. المزارعون ينامون باكراً، وكانا قد خرجا عن دروب سير الشاحنات.

عندما وصلّا إلى مصنع الإيثانول، أطفأ دان أضواء السيارة المستأجرة، انعطف إلى طريق الخدمة، وقاد ببطء إلى البوابة المغلقة. خرّج الرجلان. شتمّ جون عندما أضيئ ضوء سقف الفورد. "كان عليّ تعطيل هذا الشيء قبل أن نغادر الفندق. أو أن أحطّم اللمبة، إذا لم يكن هناك مفتاح لتعطيله".

"اهدأ"، قال دان. "لا يوجد أحد هنا غيرنا". ومع ذلك كان قلبه يخفق بقوة في صدره بينما سارا إلى البوابة. إذا كانت أبراً محقّة فإن فتى صغيراً قُتل ودُفن هنا بعد أن جرى تعذيبه ببؤس. إذا كان هناك أي مكان يجب أن يكون مسكوناً بالأشباح -

جَرَّبَ جون فتح البوابة، وعندما لم ينفَع دفعها، جَرَّبَ سحبها. "لا شيء. ماذا الآن؟ نتسلَّق، أظن. أنا مستعد أن أجرِّب، لكنني على الأرجح سأكسر -"

"مهلاً". أخرج دان قلماً مضيئاً من جيب سترته وسلَّط ضوءه على البوابة، ملاحظاً أولاً القفل المحطَّم، ثم جدلات الأسلاك السميقة فوقه وتحتَه. عاد إلى السيارة، وكان دوره الآن ليَجفل عندما أضيء ضوء صندوق السيارة. تَباً. لا يمكنك التفكير بكل شيء. أخرج الحقيبة القماشية الجديدة بحدَّة، وخبَّطَ غطاء صندوق السيارة. عادت الظلمة.

"خذ"، قال لجون وهو يحمل زوج قفازات. "ارتدِ هذه". ارتدى دان قفازاته، وفكَّ قفل السلك، وعلَّق القطعتين بإحدى ماسات السور السلكي لاستخدامها كمرجع لاحقاً. "حسناً، هيا بنا".
"عليَّ أن أبول مرة أخرى".
"يا للهول. أمسك نفسك".

11

قاد دان الفورد ببطء وعناية إلى رصيف التحميل. هناك حُفر كثيرة، بعضها عميق، وكلها صعب رؤيته والأضواء الأمامية مطفأة. آخر شيء أراداه في العالم هو إسقاط السيارة في إحداها وتحطيم محور العجلات. كانت الأرض خلف المصنع مزيجاً من تربةٍ وأسفلتٍ متداعٍ. وصلاً بعد خمسة عشر متراً إلى سور سلكي آخر، وخلفه، حقول ذرة لا تنتهي. لم تكن منطقة الرصيف كبيرة مثل مرأب السيارات، لكنها كبيرة كفاية.

"دان؟ كيف سنعرف أين -"

"الزم الصمت". حنى دان رأسه إلى أن لمس حاجبه المقود وأغمض عينيه.

(أبرا)

لا شيء. كانت نائمة، طبعاً. إنه صباح الأربعاء في أنيستون. جلس جون بجانبه، وهو يمضغ شفتيه.

(أبرا)

تحرك خفيف. يمكن أن يكون خياله. أمل دان أنه أكثر من ذلك.

(أبرا!!)

فُتحت عينان في ذهنه. مرَّت لحظة ارتباك، نوع من البصر المزدوج، ثم كانت أبراً تنظر معه. أصبح رصيف التحميل والبقايا المفتتة للمداخن أوضح فجأة، رغم أنه كان هناك فقط ضوء النجوم للرؤية به.

بصرها أفضل بكثير من بصري.

خرَجَ دان من السيارة. وجون أيضاً، لكن دان بالكاد لاحظ ذلك. فقد تنازل عن التحكّم للفتاة التي كانت تجلس مستيقظة الآن على سريرها على بُعد ألف وثمانمئة كيلومتر. شَعَرَ كما لو أنه كاشف معادن بشري. ما عدا أنه لم يكن - لم يكونا - يبحث عن معادن.

(سير إلى ذلك الشيء الأسمتي)

سار دان إلى رصيف التحميل ووقف مُديراً ظهره له.

(ابدأ السير ذهاباً وإياباً الآن)

صمت مؤقت بينما راحت تبحث عن طريقة لتوضيح ما أرادته.

(مثلما يجري في برنامج CSI التلفزيوني)

مشى حوالي خمسة عشر متراً إلى اليسار، ثم استدار يمينا، مبتعداً عن الرصيف بشكل قطري. كان جون قد أخرج المسحاة من الحقيبة القماشية ووقف قرب السيارة المستأجرة وهو يراقب.

(هنا ركنوا سيارات عيشهم)

استدار دان يساراً مرة أخرى، وراح يسير ببطء، وهو يركل من وقت لآخر قرميدة رخوة أو قطعة أسمنت من أمامه.

(أنت قريب)

توقف دان. شمّ رائحةً بغیضةً. رائحة تحلّل.

(أبرا! هل)

(نعم آه يا للهول يا دان)

(هوني عليك يا عزيزتي)

(لقد مشيت كثيراً استدر وسر ببطء)

استدار دان على كعب واحد، مثل جندي يؤدي استدارة غير متقنة إلى الخلف. بدأ يعود نحو رصيف التحميل.

(إلى اليسار قليلاً إلى يسارك أبطأ)

ذهَب في ذلك الاتجاه، وراح يتوقف بعد كل خطوة صغيرة. ها قد عادت الرائحة من جديد، أقوى قليلاً. فجأة بدأ العالم الليلي الواضح بشكل خارق للطبيعة يصبح ضبابياً بعد امتلاء عينيه بدموع أبرأ.

(ها هو فتى البيسبول أنتَ تقف فوقه مباشرة)

أخذ دان نفساً عميقاً ومسح خديه. كان يرتعش. ليس لأنه يشعر بالبرد، بل هي. مستويةً جلوساً على سريرها، تُمسك أرنبها المحشو الكثير الكتل، وترتجف مثل ورقة قديمة على شجرة ميتة.

(اخرجي من هنا يا أبرأ)

(دان هل أنتَ)

(نعم بخير لكنك لست بحاجة إلى رؤية هذا)

فجأة زال ذلك الوضوح المطلق في البصر. لقد قطعت أبرأ الاتصال، وهذا جيد.

"دان؟"، نادى جون بصوتٍ منخفضٍ. "بخير؟".

"نعم". كان صوته لا يزال مختنقاً بدموع أبرأ. "أحضِر المسحاة".

12

احتاجا إلى عشرين دقيقة. حفر دان طوال الدقائق العشرة الأولى، ثم مرّر المسحاة إلى جون، الذي عثر في الواقع على بُراد تريפור. ابتعد عن الحفرة وهو يغطي فمه وأنفه. كانت كلماته مكتومة لكن مفهومة. "حسناً، هناك جثة. يا إلهي!".

"ألم تشمّها من قبل؟".

"مدفونة عند هذا العمق، وبعد سنتين؟ هل تقول إنك شممتها؟".

لم يردّ دان، لذا واجه جون الحفرة مرة أخرى، لكن من دون اقتناع هذه المرة. وقّف لثوانٍ قليلةً مُحنياً ظهره كما لو أنه لا يزال ينوي استخدام المسحاة، ثم قوّم ظهره وتراجع إلى الخلف عندما سلط دان ضوء قلمه إلى الحفرة الصغيرة التي حفرها. "لا أقدر"، قال. "اعتقدتُ أنني قادر، لكنني لا أقدر. ليس مع... هذا. أشعر أن ذراعِي مطاطيتان".

سلمه دان الضوء. سلطه جون على الحفرة، مركزاً الشعاع على ما أخافه: حذاء رياضي متلبّد بالتربة. راح دان يكشط التربة عن جهتيّ الجثة ببطء لأنه لم يرغب أن يزج البقايا الأرضية لفتى البيسبول أكثر من الضروري. شيئاً فشيئاً، بدأ شكلاً مغطى بالتربة يبرز. ذكره ذلك بالمنحوتات على النواويس التي رآها في ناشونال جيوغرافيك.

أصبحت رائحة التحلل قوية جداً الآن.

ابتعد دان وتسارعت أنفاسه، منتهياً بأعمق نَفَسٍ يمكنه أخذه. ثم نزل إلى نهاية القبر الضحل، حيث حذاء بُراد تريفور ناتئ الآن على شكل الرقم سبعة. زحف برُكْبَتَيْهِ وصولاً إلى المكان الذي اعتقد أن خصر الفتى يجب أن يكون فيه، ثم رفع يده للقلَمِ المضيء. سلّمه إياه جون وانصرف. كان يشهق بصوتٍ مسموعٍ.

عضّ دان على المشعل الكهربائي النحيل بين شفّتيه وبدأ يكشط المزيد من التربة. ظهر له قميصٌ تائيٌّ متشبّهٌ بصدر غائر. ثم ظهرت يدان. كانت الأصابع، التي لم تعد الآن سوى عظام ملفوفة بجلد أصفر، مشبوبة فوق شيء. بدأ صدر دان يختنق بحثاً عن هواء، لكنه أبعد أصابع الفتى تريفور عن بعضها بلطف قدر المستطاع. ومع ذلك انكسر أحدها مُحدثاً صوت سحْقٍ جافٍ.

لقد دفنوه مُمسكاً قفازه البيسبول إلى صدره. كان جيبه المدهون بالزيت بمحبة مليئاً بحشرات تتلوى.

فرّ الهواء من رئتي دان في هَبّةٍ مصدومة، والنَفَسُ الذي استنشقه لكي يستبدله كان غنياً بالعفن. اندفع خارج القبر إلى يمينه، وتمكّن من التقيؤ على التربة التي كانا قد أخرجها من الحفرة وليس على بقايا برادلي تريفور، الذي كانت جريمته الوحيدة أنه وُلد مع شيء أرادته قبيلة وحوش. وقد سرقوه منه على آخر أنفاس صرخات احتضاره.

13

أعادوا دفن الجثة، حيث أن جون أنجز معظم العمل هذه المرة، وغطى البقعة بسرداب مؤقت من قِطع أسفلت محطّمة. لم يرغب كلاهما التفكير بالثعالب أو الكلاب الشاردة تلثم ما بقي من لحمه القليل.

عندما انتهيا، عادا إلى السيارة وجلسا دون نطق أي كلمة. قال جون أخيراً، "ماذا سنفعل بشأنه يا دانو؟ لا يمكننا تركه. لديه والدان. أجداد. إخوة وأخوات على الأرجح. كلهم لا يزالون يتساءلون".

"عليه أن ينتظر لبعض الوقت. لفترة طويلة كفاية لكي لا يقول أحدٌ، 'غريب، لقد أتت تلك المكالمات المجهولة مباشرة بعد أن اشترى شخص غريب مساحةً من متجر أجهزة أدير!'. هذا لن يحصل على الأرجح، لكن لا يمكننا المخاطرة".

"كم طويلة تلك الفترة؟"

"ربما شهر".

فكّر جون بهذا، ثم تنهّد. "وربما حتى شهرين. لنعطِ أهله هذه المدة ليواصلوا الظنّ أنه ربما فرّ وحسب. لنعطهم هذه المدة قبل أن نكسر لهم قلوبهم". هزّ رأسه. "لو اضطررتُ إلى النظر إلى وجهه، لا أعتقد أنني سأقدر على النوم مرة أخرى أبداً".

"ستتفاجأ ما بمقدور الإنسان أن يتعايش معه"، قال دان. كان يفكّر بالسيدة ماسي، المخزّنة بأمان الآن في الجهة الخلفية لذهنه، وقد زالت أيام مطاردة شبحها له. شغلّ السيارة، أنزل زجاج نافذته، وخبط قفاز البيسبول بالباب عدة مرات ليزيل عنه الأوساخ. ثم ارتداه، مُدجلاً أصابعه إلى الأماكن التي دخلت إليها أصابع الولد في فترات بعد ظهر عديدة يغمرها نور الشمس. أغمض عينيه. ثم أعاد فتحهما بعد حوالي ثلاثين ثانية.

"أي شيء؟"

"أنت باري. أنت أحد الأختيار".

"ما معنى هذا؟"

"لا أعرف، ما عدا أنني متأكد أنه من تسميته أبراً باري الصدع".

"لا شيء آخر؟"

"ستكون أبراً قادرة على الحصول على المزيد".

"هل أنت متأكد من ذلك؟"

تذكّر دان الطريقة التي ازدادت بها حدّة بصره عندما فتحت أبراً عينيهما داخل رأسه. "أجل. سلّط ضوءك قليلاً على جيب القفاز، لو سمحت. هناك شيء مكتوب داخله".

فعل جون ذلك، كاشفاً خط يد ولد دقيق: **توميه 25**.

"ما معنى هذا؟"، سأل جون. "اعتقدتُ أن اسمه تريفور".

"جيم توميه لاعب بيسبول. رقمه خمسة وعشرون". راح يحدّق في جيب القفاز للحظة، ثم وضعه بلطف على المقعد بينهما. "كان اللاعب المفضّل لدى هذا الولد. سمّي قفازه على اسمه. سأقضي على أولئك اللعينين. أقسم أنني سأقضي عليهم وأجعلهم يندمون".

14

روز القبة تبرق - كل أعضاء العقدة الحقيقية يبرقون - لكن ليس بالطريقة التي يبرق بها دان أو بيلي. لم ينتاب روز أو كرو أي شعور، بينما كانا يودعان بعضهما، أن الولد الذي أخذوه منذ سنوات في أيوا تُكشف جثته في تلك اللحظة من قبل رجلين يعرفان الكثير عنهم. كان بإمكان روز النقاط الاتصالات المتبادلة بين دان وأبراً لو كانت في حالة تأمل عميق، لكن عندها ستلاحظ الفتاة

الصغيرة حضورها فوراً. بالإضافة إلى ذلك، الوداع الحاصل في إيرثكروزر روز تلك الليلة كان من النوع الحميمي جداً.

كانت مستلقية شابكةً أصابعها خلف رأسها تشاهد كُرو يرتدي ملابسه. "لقد زرت ذلك المتجر، صح؟ المقاطعة المجهولة؟".

"ليس شخصياً، لديّ سُمعة عليّ حمايتها. أرسلتُ جيمي الأرقام". ابتسم كُرو بينما شدّ حزامه. "كان بإمكانه الحصول على ما احتجنا إليه في خمس عشرة دقيقة، لكنه غاب لساعتين. أعتقد أن جيمي وجد منزلاً جديداً".

"حسناً، هذا جيد. أمل أنكم تستمتعون بوقتكم أيها الفتيان"، قالت محاولةً لتلطيف الجو، لكن بعد يومين من الحداد على الجدّ فليك، وقد زاد الوداع من حدّته، كان تلطيف أي شيء أمراً صعباً. "لم يحصل على أي شيء يُقارَن بك".

رفعت حاجبي عينيها. "حصلت على نظرة تمهيدية، أليس كذلك يا هنري؟".

"لم أحتج إلى واحدة". راح يحدّق فيها وهي ممدّدة عارية وشعرها مبسوط في مروحة داكنة. كانت طويلة حتى وهي مستلقية. لطالما أحبّ الطويلات. "أنتِ ميزة الجذب الرئيسية في حياتي وستبقين هكذا دائماً".

مبالغة - براءة اختراع مسجلة باسم كُرو - لكنها أشعرتها بالسرور رغم ذلك. نهضت وضغطت نفسها عليه، حاشرةً يديها في شعره. "كن حذراً. أعد الجميع سالمين. وأحضرها معك". "اتفقنا".

"إذاً من الأفضل أن تُسرّع".

"لا تقلقي. سنكون في سثربريدج عندما يفتح مكتب بريد EZ أبوابه صباح الجمعة. ثم في نيو هامبشاير عند الظهر. وقتها، سيكون باري قد حدّد مكانها".

"طالما أنها لم تحدّد مكانه".

"لست قلقاً بشأن ذلك".

جيد، فكّرت روز. سأطلق بشأنكما. سأطلق إلى أن أرى الأصفاد على معصمَيها والمِلزمات على كاحليها.

"جمال المسألة"، قال كُرو، "هو أنها إذا شعرت بنا وحاولت وضع جدار تشويش، سيستخدم باري مفتاحاً له".

"إذا كانت خائفة كفاية، فقد تلجأ إلى الشرطة".

رسم لها ابتسامة. "تعتقدين؟ نعم أيتها الفتاة الصغيرة، سيقولون، نحن متأكدون أن أولئك الأشخاص المريعين يلاحقونك. لذا أخبرينا إن كانوا من الفضاء الخارجي أم مجرد زومبيين عاديين. بهذه الطريقة سنعرف عما نبحت".

"لا تمزح، ولا تأخذ هذا بخفة. ادخل بنظافة واخرج بنفس الطريقة، هكذا يجب أن يتم الأمر. لا دخلاء. لا متفرجين أبرياء. اقتل الوالدين إذا لزم الأمر، اقتل أي شخص يحاول التدخل، لكن افعل ذلك بهدوء".

أدى لها كُرو تحيةً هزليةً. "نعم، سيدي".

"اخرج من هنا أيها الأحمق. لكن أعطني قبلة أخرى أولاً. وربما بعضاً من ذلك اللسان المنثَّف، فوق البيعة".

أعطاهما ما طلبت. احتضنته روز بقوة، ولفترة طويلة.

15

بقي دان وجون صامتين معظم مسافة العودة إلى الفندق في أدير. كانت المساحة في صندوق السيارة، وقفاز اليبسبول على المقعد الخلفي، ملفوفاً بإحدى مناشف هوليداي إن. قال جون أخيراً، "علينا إطلاع والدي أبراً على هذا الآن. ستكره ذلك وسيرفض لوسي ودايفد تصديقه، لكن علينا فعله".

نظرَ إليه دان بوجه صارم وقال: "ما أنت، قارئ أفكار؟".

لم يكن جون قارئ أفكار، بل أبراً، وصوتها الصاخب المفاجئ في ذهن دان جعله مسروراً أن جون هو الذي يقود هذه المرة. فلو كان خلف المقود، لكانا انتهيا على الأرجح في كومة ذرة أحد المزارعين.

(لا!!!!!!)

"أبراً". تكلم بصوت عالٍ لكي يستطيع جون سماع نصف المحادثة على الأقل. "أبراً، اسمعيني".

(لا يا دان! يعتقدان أنني بخير! يعتقدان أنني طبيعية تقريباً الآن!)

"عزيزتي، إذا احتاج أولئك الأشخاص إلى قتل أمك وأبيك للوصول إليك، هل تعتقدين أنهم سيترددون؟ أنا لا أعتقد. ليس بعد الذي وجدناه هناك".

لم تكن هناك حجة مضادة يمكنها إبداءها على هذا، وأبدا لم تحاول... لكن رأس دان امتلاً فجأة بحزنها وخوفها. انتفخت عيناه مرة أخرى وانهمرت الدموع على خديه.

تباً.

تباً، تباً، تباً.

16

صباح الخميس الباكر.

كانت وينباغو ستيف الساذج، وتقودها آندي لدغة الأفعى حالياً، تسير شرقاً على الطريق I-80 في نبراسكا الغربية بالسرعة القانونية مئة وخمسة كيلومترات في الساعة. بدأت خيوط الفجر الأولى تظهر في الأفق، بينما الوقت أكثر بساعتين في أنيستون. كان دايف ستون في رداء حمامه يُعدّ القهوة عندما رنّ الهاتف. إنها لوسي، تتصل من شقة كونسيتا في شارع مارلبورو. بدت كامراً مستنزفة تقريباً.

"إذا لم يتغيّر شيء إلى الأسوأ - رغم أنني أظن أن هذا هو الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن تتغيّر فيه الأمور الآن - سيُخرجون مومو من المستشفى بداية الأسبوع القادم. تكلمت مع اثنين من الأطباء الذين يعالجونها ليلة أمس".

"لماذا لم تتصلي بي يا حبيبتي؟"

"مُتعبة جداً. ومكتئبة جداً. اعتقدت أنني سأشعر بتحسّن بعد النوم طوال الليل، لكنني لم أحصل على الكثير. حبيبي، هذا المكان مليء جداً بها. ليس فقط بعملها، بحيويتها..."

اضطرب صوتها. انتظر دايفد. إنهما معاً منذ أكثر من خمس عشرة سنة، ويعرف أنه عندما تكون لوسي منزعجة، يكون الانتظار أفضل أحياناً من التكلم.

"لا أعرف ماذا سنفعل بكل هذا. مجرد النظر إلى الكتب يجعلني مُتعبة. هناك الآلاف منها على الرفوف ومكدّسة في مكتبها، ويقول المشرف إن هناك الآلاف في المخزن أيضاً".

"لسنا مضطرين إلى التقرير الآن".

"يقول إن هناك أيضاً صندوقاً مكتوباً عليه أليساندرا. هذا الاسم الحقيقي لأمي، رغم أنني أظن أنها لطالما سمّت نفسها ساندرأ أو ساندي. لم أكن أعرف أبداً أن مومو تملك أغراضها".

"بالنسبة لإنسانة تعبّر عن كل مكنوناتها في شعرها، بإمكان سنا أن تكون سيدة كتومة عندما تريد ذلك".

بدا أن لوسي لم تسمعه، لأنها تابعت تتكلم بنفس النبرة المملة، المتذمّرة قليلاً، المُنهكة جداً.
"تم ترتيب كل شيء، رغم أنني سأضطر إلى تغيير موعد سيارة الإسعاف الخاصة إذا قرروا
إخراجها يوم الأحد. قالوا إنهم قد يفعلون ذلك. الحمد لله أن لديها تأميناً جيداً. هذا يعود إلى أيام
تدريسها في جامعة تافتس. لم تجني قرشاً واحداً من الشعر. هل بقي أحدٌ في هذا البلد الملعون يدفع
قرشاً لكي يقرأه؟".

"لوسي -"

"حصلت على غرفة جيدة في المبنى الرئيسي في منزل ريفنغتون - جناح صغير. قمتُ
بالجولة الإلكترونية على الإنترنت. علماً أنها لن تستخدمه لفترة طويلة. كَوْنْتُ صداقة مع كبيرة
المرضات في طبقتها هنا، وتقول إن مومو وصلت إلى نهاية -"

"تشيا، أحبك يا حبيبتني".

هذا - لقب كونشيتا القديم لها - أسكتها أخيراً.

"بكل قلبي وروحي غير الإيطاليين حقاً".

"أعرف، وأشكر الله على ذلك. كان هذا صعباً جداً، لكنه شارف على الانتهاء. سأكون
هناك الاثنين بالحد الأقصى".

"نحن بشوق لرؤيتك".

"كيف حالك؟ وحال أبراهام؟".

"كلانا بخير". سيُسمح لدايفد بمواصلة اعتقاد ذلك لحوالي ستين ثانية أخرى.

سمع لوسي تتنأب. "قد أعود إلى السرير لساعة أو ساعتين. أعتقد أنه يمكنني النوم الآن".

"افعلي ذلك. عليّ إيقاظ أبراهام للمدرسة".

ودّعا بعضهما، وعندما استدار دايفد عن الهاتف على جدار المطبخ، رأى أن أبراهام
مستيقظة من قبل. كانت لا تزال ترتدي بيجامتها، شعرها في كل اتجاه، عيناها حمراوين، ووجهها
شاحباً. كانت تُمسك هوبي، أرنبها المحشو القديم.

"أبا-دو؟ حبيبتني؟ هل أنت مريضة؟".

نعم. لا. لا أعرف. لكن أنت ستصبح مريضاً عندما تسمع ما سأخبرك به.

"أحتاج إلى التكلّم معك يا بابا. ولا أريد الذهاب إلى المدرسة اليوم. غداً أيضاً. ربما ليس
لبعض الوقت". تردّدت. "أنا في ورطة".

أول شيء جعلته هذه الجملة يفكر فيه كان مريعاً لدرجة أنه دفعه بعيداً، لكن ليس قبل أن تلمح أبرا ذلك.

ابتسمت بفتور. "لا، لست حاملاً".

توقّف في طريقه إليها، في منتصف المطبخ، وفغر فمه. "هل -"

"نعم"، قالت. "قرأت أفكارك للتو. رغم أن أي شخص كان ليخمن بماذا كنت تفكر يا بابا - كان واضحاً على وجهك تماماً. وهذا يسمّى بريقاً وليس قراءة الأفكار. لا أزال قادرة على فعل معظم الأشياء التي كانت تخيفكما عندما كنتُ صغيرة. ليس كلها، لكن معظمها".

تكلم ببطء شديد. "أعرف أنه لا تزال تتنابك هواجس أحياناً. أمك وأنا نعرف".

"المسألة أكثر من ذلك بكثير. لديّ صديق. إسمه دان. ذهب مع الدكتور جون إلى أيوا -"

"جون دالتون؟".

"نعم -"

"من هو دان هذا؟ هل هو ولد يعالجه الدكتور جون؟".

"لا، إنه رجل ناضج". أمسكت يده وقادته إلى طاولة المطبخ. جلسا هناك، وأبرا لا تزال تحمل هويي. "لكن عندما كان ولداً، كان مثلي".

"أبرا، لا أفهم شيئاً من هذا".

"هناك أشخاص أشرار يا بابا". عرفت أنه لا يمكنها إخباره أنهم أكثر من أشخاص، أسوأ من أشخاص، إلى أن يصبح دان وجون قادرين على مساعدتها في الشرح. "قد يريدون إيدائي".

"لماذا يريد أي شخص إيداءك؟ كلامك غير منطقي. أما بالنسبة لكل تلك الأشياء التي كنتِ تفعلينها، إذا كنتِ لا تزالين قادرة على فعلها، كنا سنعد -"

فُتح الجارور تحت الأوعية المعلقة، ثم انغلق، ثم فُتح مرة أخرى. لم تعد قادرة على رفع الملاعق، لكن الجارور كان كافياً للفت انتباهه.

"بعدما فهمتُ كم كان ذلك يُقلقكما - كم كان يخيفكما - أخفيته. لكن لم يعد بإمكانني إخفاؤه. يقول دان إنه عليّ إخباركما".

ضغطت وجهها بفرو هويي الرثّ وبدأت تبكي.

الفصل 12

يسمونه بخاراً

1

شغلّ جون هاتفه الخلوي حالما خرج ودان من الجسر المتنقل في مطار لوغان في وقت متأخر بعد ظهر الخميس. بالكاد لاحظ وجود أكثر من عشر مكالمات فائتة عندما رنّ الهاتف في يده. ألقى نظرة سريعة على الشاشة.

"ستون؟"، سأل دان.

"الديّ الكثير من المكالمات الفائتة من نفس الرقم، لذا سأقول إنه لا شكّ هو".

"لا تردّ عليه. أعد الاتصال به عندما نصبح على الطريق السريع متجهين شمالاً وأخبره أننا سنصل حوالي -". ألقى دان نظرة سريعة على ساعته، التي لم يغيّر لها أبداً عن التوقيت الشرقي. "السادسة. عندما نصل إلى هناك، سنخبره كل شيء".

وضع جون هاتفه الخلوي في جيبه على مضض. "أمضيّ رحلة العودة أملاً ألا أفقد رخصتي كطبيب بسبب ذلك. أما الآن فأمل فقط ألا تقبض علينا الشرطة حالما نركن أمام منزل دايف ستون".

دان، الذي استشار أبرا عدة مرات في طريق عودتهما عبر البلاد، هزّ رأسه. "لقد أقتنعت أنه ينتظر، لكن هناك أمور كثيرة تجري في تلك العائلة الآن، والسيد ستون شخص مرتبك جداً حالياً".

ابتسم جون ابتسامة كئيبة. "ليس الوحيد".

2

كانت أبراً تجلس على الدرجة الأمامية مع أبيها عندما دخلَ دان بسيارته في الممر الخاص لمنزل عائلة سُنون. لم يتأخرا في الوصول، فالساعة لا تزال الخامسة والنصف.

وقفت أبراً قبل أن يتمكن دايف من إمساكها وأخذت تركض نحو السيارة وشعرها يطير خلفها. رآها دان متوجهة نحوه فسلم قفاز فيلدر الملفوف بمنشفة إلى جون. رمت نفسها على ذراعيه وهي ترتعش.

(لقد وجدته وجدته ووجدت القفاز أعطني إياه)

"ليس بعد"، قال دان وهو يُنزلها أرضاً. "علينا توضيح المسألة مع أبيك أولاً".

"أي مسألة؟"، سأل دايف. أمسك أبراً بمعصمها وسحبها بعيداً عن دان. "مَن هم أولئك الأشرار الذين تتكلم عنهم؟ ومَن أنت؟". انتقلت نظراته إلى جون، ولم يكن هناك شيء ودود في عينيه. "ماذا يجري هنا؟".

"هذا دان يا بابا. هو مثلي. لقد أخبرتك".

قال جون، "أين لوسي؟ هل تعرف عن هذا؟".

"لن أخبرك أي شيء إلى أن أعرف ماذا يجري".

قالت أبراً، "لا تزال في بوسطن، مع مومو. أراد بابا أن يتصل بها، لكنني أفنعتُه أن ينتظر وصولكما". بقيت عيناها مسمرتين على القفاز الملفوف بمنشفة.

"دان تورانس"، قال دايف. "هل هذا إسمك؟".

"نعم".

"تعمل في مأوى العجزة في فرايجر؟".

"هذا صحيح".

"منذ كم من الوقت وأنت تلتقي إبنتي؟" كان يشدّ يديه ويرخيهما. "هل تعرّفتَ عليها عبر الانترنت؟ أظن ذلك". نقل نظره إلى جون. "لو لم تكن طبيب أطفال أبراً من يوم ولادتها، لكنتُ اتصلتُ بالشرطة منذ ست ساعات، عندما لم تردّ على هاتفك".

"كنتُ في طائرة"، قال جون. "لم أستطع".

"سيد سُنون"، قال دان. "أنا لا أعرف إبنتك منذ مدة طويلة مثل جون، لكن تقريباً. أول مرة التقيتُها، كانت مجرد طفلة. وهي التي تواصلت معي".

هزّ دايف رأسه. بدا حائراً، غاضباً، وميلاً قليلاً إلى تصديق أي شيء يُخبره إياه دان.

"دعنا ندخل المنزل"، قال جون. "أعتقد أنه يمكننا شرح كل شيء - تقريباً كل شيء - عندها ستكون سعيداً جداً أننا هنا، وأنا ذهبنا إلى أيوا لكي نفعل ما فعلناه".

"أمل جداً يا جون، لكن لدي شكوكي".

دخلوا المنزل، ودايف يضع ذراعه حول كتفي أبرا - بدوا في تلك اللحظة أشبه بسجان وسجين أكثر منهما أب وابنة - وجون دالتون خلفهما، ودان في الأخير. نظر إلى الجانب المقابل للشارع إلى الشاحنة الحمراء الصدئة المركونة هناك. رفع له بيلى إبهامه... ثم شبك أصابعه متمنياً له الحظ. أعاد له دان الإيماءة، وتبع الآخرين عبر الباب الأمامي.

3

بينما جلس دايف في غرفة جلوسه في ريتشلاند كورت مع ابنته المحيرة وضييفه المحيرين أكثر، كانت الوينباغو التي تضم فريق الإغارة للعقدة الحقيقية جنوبي شرقي توليدو. وولنت وراء المقود. أندي شتاينر وباري نائمان - أندي كالميتة، وباري يدرجها من جهة إلى أخرى ويتمتم. كان كرو في قاعة الجلوس، يتصفح مجلة النيويورك. الأشياء الوحيدة التي تعجبه حقاً هي الرسوم الهزلية والإعلانات الصغيرة جداً لبنود غريبة مثل الكنزات المصنوعة من فرو الياك، قبعات العبد الفييتنامية، والسيجار الكوبي المقلد.

ارتدى جيمي الأرقام بجانبه ومعه كمبيوتره المحمول. "كنت أستعرض الشبكة. وزرت بعض المواقع، لكن... هل يمكنني أن أريك شيئاً؟".

"كيف يمكنك استعراض الشبكة من طريق عام بين الولايات؟".

ابتسم له جيميه ابتسامة استخفاف. "اتصال 4G يا عزيزي. نحن في العصر الحديث".

"القول قولك". وضع كرو مجلته جانباً. "ماذا لديك؟".

"صور مدرسية من متوسطة أنيستون". ضغط جيمي لوحة اللمس وظهرت صورة فوتوغرافية. لم تكن صورة ضبابية من صحيفة ورقية، بل صورة عالية الجودة لفنّانة ترتدي فستاناً أحمر ذا أكمام منفوخة. كان شعرها المجدول كستنائياً، وابتسامتها عريضة وواثقة.

"جوليان كروس"، قال جيمي. ضغط لوحة اللمس مرة أخرى وظهرت صورة فتاة حمراء الشعر ذات ابتسامة خبيثة. "إيما دين". ضغط مرة أخرى وظهرت صورة فتاة أجمل حتى. عيان زرقاوان، شعر أشقر يوطر وجهها وينسكب فوق كتفيها. تعبير جاد، لكن الغمّازات تلمح إلى ابتسامة. "هذه أبرا ستون".

"أبرا؟".

"أجل، يسمّيون أولادهم أي شيء هذه الأيام. هل تتذكّر عندما كانت الأسماء جاين ومابلّ جيدة كفاية للأشخاص الدنيويين؟ قرأتُ في مكان ما أن سلاي ستالون سمّى ابنه سايدج مُونبلاد. آه كم هذا سخيف".

"تعتقد أن إحدى هذه الفتيات الثلاثة هي فتاة روز".

"إذا كانت محقّة أن الفتاة مراهقة، يجب أن تكون إحداهن. دين أو ستون على الأرجح، لأنهما الاثنتان اللتان تعيشان في الشارع الذي ضربه زلزال خفيف، لكن لا يمكنك تجاهل الفتاة كروس بالكامل. فهي تعيش على مقربة من هناك". قام جيمي الأرقام بإيماءة دائرية على لوحة اللمس وانضغطت الصور الثلاثة بشكلٍ متتالي في صفٍ واحدٍ. مكتوب تحت كل صورة منها بخطٍ ملثوٍ نكريات مدرستي.

راح كُرو يدرسها. "هل سيلاحظ أحدٌ أنك تسرق صور فتيات صغيرات عن فايسبوك، أو شيء من هذا القبيل؟ لأن ذلك يُطلق كل أنواع أجراس التحذير في بلاد الدنيويين".

بدا جيمي مستاءً. "فايسبوك التافه. حصلتُ على هذه من ملفات متوسطة فرايجر، ونقلتها من كمبيوترها إلى كمبيوتري مباشرة". قلّد صوت امتصاص بشع. "ولعلمك، رجلٌ لديه مجموعة كاملة من كمبيوترات وكالة الأمن القومي لا يستطيع تعقب أثري في هذه المسألة. من البطل؟".

"أنت"، قال كُرو. "أظن".

"من منهنّ تظنها؟".

"إذا كان عليّ أن أختار..."، ضغطَ كُرو صورة أبرا. "لديها نظرة مميزة في عينيها. نظرة بخارية".

احتر جيمي بشأن هذا لبرهة، وقرّر أنها قدرة، وقهقه. "هل هذا مفيد؟".

"نعم. هل يمكنك طباعة هذه الصور وضمان حصول كل الآخرين على نُسخ منها؟ بالأخص باري. إنه المتعقّب الرئيسي في هذا".

"سأفعل ذلك الآن. معي طابعة فوجيتسو سكانسناب. آلة صغيرة رائعة سهلة الحمل. كنتُ أستخدم S1100 في الماضي، لكنني قايضتُها عندما قرأتُ في مجلة عالم الكمبيوتر -"

"فقط افعل ذلك، اتفقنا؟".

"بالتأكيد".

أمسك كُرو مجلته مرة أخرى وانتقل إلى الرسم الهزلي على الصفحة الأخيرة، الرسم الذي يُفترض بك أن تملأ مربع التعليق فيه. رسم هذا الأسبوع يبين امرأة مسنة تدخل مقصفاً وتجر دباً مقيداً بسلسلة. فمها مفتوح، لذا لا شك أن مربع التعليق هو حوارها. فكّر كُرو ملياً، ثم كتب: "حسناً، من الحقيير منكم الذي وصفني بالحقيرة؟".

الأرجح أن هذا ليس أفضل تعليق.

تابعت الوينباغو سيرها في المساء المزداد ظلمةً. في قُمرة القيادة، أضاءت الأضواء الأمامية. وعلى أحد الأسرّة، تشقلب باري الصدع وحكّ معصمه في نومه. ظهرت بقعة حمراء هناك.

4

جلس الرجال الثلاثة صامتين بينما صعدت أبراً إلى الطابق العلوي لتُحضر شيئاً من غرفتها. فكّر دايف في اقتراح شرب بعض القهوة - فقد بدوا مُتعبين، وبحاجة إلى أن يحلّقا ذقنهما - لكنه قرّر أنه لن يقدّم لأي واحد منهما حتى رفاقة بسكويت مملّح جافة إلى أن يحصل على شرح. كان قد ناقش مع لوسي ماذا سيفعلان عندما تأتي أبراً إلى المنزل ذات يوم في المستقبل غير البعيد كثيراً وتُخبرهما أن فتى دعاها إلى الخروج معه، لكن هذين الشخصين رجلان، رجلاّن، وبدا له أن الذي لا يعرفه بينهما يواعد ابنته منذ بعض الوقت. بطريقة أو بأخرى، على أي حال... وألم يكن هذا هو السؤال حقاً: ما كانت تلك الطريقة؟

قبل أن يخاطر أي واحد منهم ببء محادثة ستكون مُربكة بلا شك - وربما لاذعة - سُمع الرعد المكتوم لحداء أبراً الرياضي على الدرجات. دخلت الغرفة حاملةً نسخةً من صحيفة متسوّق أنيستون. "انظروا إلى الصفحة الخلفية".

قلّب دايف الصحيفة وكشّر. "ما هذه البقعة البنية؟".

"قهوة جافة. رميتُ الصحيفة في سلة النفايات، لكنني لم أتمكن من التوقف عن التفكير فيها، لذا أعدتُ إخراجها. لم أتمكن من التوقف عن التفكير فيه". أشارت إلى صورة برادلي تريפור في الصف السفلي. "وفي والديه. إخوته وأخواته، إن كان لديه أخوة وأخوات". اغرورقت عيناها بالدموع. "كانت لديه حبوب نَمش يا بابا. كان يكرهها، لكن أمه قالت له إنها تجلب الحظ السعيد".

"لا يمكنك معرفة ذلك"، قال دايف دون اقتناع أبداً.

"إنها تعرف"، قال جون، "وأنت أيضاً. جارنا في هذا يا دايف. رجاء. هذا مهم".

"أريد أن أعرف عنك وعن ابنتي"، قال دايف لدان. "أخبرني عن ذلك".

استعرض دان ذلك مرة أخرى. خربشته إسم أبراً على مفكرته لاجتماعات منظمة مدمني الشراب المجهولين. أول مرحبا كُتبت بالطبشور. شعوره الواضح بحضور أبراً ليلة وفاة تشارلي هايز. "سألُها إن كانت الفتاة الصغيرة التي تكتب أحياناً على سبّورتى. لم تُجبنى بكلمات، بل كان هناك بعض موسيقى بيانو. لحن بيتلز قديم، أعتقد".

نظرَ دايف إلى جون. "أخبرته عن ذلك!".

هزَّ جون رأسه.

قال دان، "تلقيتُ منها منذ سنتين رسالة على السبّورة تقول، 'إنهم يقتلون فتى البيسبول!'. لم أعرف معنى ذلك، ولستُ متأكداً أن أبراً عرفت معناه أيضاً. كان يمكن أن يكون ذلك نهاية الموضوع، لكنها بعد ذلك رأت العملية". أشار إلى الغلاف الخلفي لصحيفة متسوق أنيستون بكل تلك البورتريهات التي بحجم طابع بريدي.

رَوّت أبراً الباقي.

عندما انتهت من الكلام، قال دايف: "إذاً سافرتَ إلى أيوا بناءً على أقوال فتاة في الثالثة عشرة من عمرها".

"فتاة مميزة جداً في الثالثة عشرة من عمرها"، قال جون. "فتاة لديها بعض المواهب المميزة جداً".

"اعتقدنا أن كل ذلك انتهى". رمى دايف نظرة اتهام نحو أبراً. "باستثناء بعض الهواجس الصغيرة القليلة، اعتقدنا أنها تخطت ذلك".

"آسفة يا بابا". كان صوتها لا يزيد عن كونه همساً.

"ربما ليس عليها أن تتأسف"، قال دان وأمل ألا يكون قد بدا غاضباً مثلما شعّر. "لقد أخفت قدرتها لأنها عرفت أنك وزوجتك أردتما أن تزول موهبتها. أخفتها لأنها تحبكما وأرادت أن تكون ابنة صالحة".

"أظنها أخبرتك هذا؟".

"لم نناقش ذلك أبداً"، قال دان. "لكن كانت لديّ والدة أحببُها كثيراً، ولأنني أحببُها كثيراً، فعلتُ الشيء نفسه".

رمته أبراً بنظرة امتنان بحت. وبينما أخفضت نظرها مرة أخرى، أرسلت له فكرةً. شيئاً كانت مُحرجة أن تقوله بصوت عالٍ.

"كما لم ترغب أن تعرف صديقاتها. اعتقدت أنهن لن يعدن يحببنا. أنهن سيصبحن خائفات منها. كانت محقة على الأرجح بشأن ذلك أيضاً".

"دعنا لا نتوه عن المسألة الرئيسية"، قال جون. "سافرنا إلى أيوا، نعم. وجدنا مصنع الإيثانول في بلدة فريمان، تماماً حيث قالت أبرا إنه سيكون. وجدنا جثة الفتى. وقفازه. كتب اسم لاعب البيسبول المفضل لديه في الجيب، لكن اسمه - براد تريفور - مكتوب على الرباط".

"لقد قُتل. هذا ما تقوله. من قبل مجموعة مجانيين متجولين".

"يقودون عربات تخييم ومركبات وينباغو"، قالت أبرا. كان صوتها خافتاً وحالماً. كانت تنتظر إلى قفاز البيسبول الملفوف بمنشفة بينما تكلمت. كانت خائفة منه، وأرادت وضع يديها عليه. وصلت تلك الأحاسيس المتنازعة إلى دان بوضوح لدرجة أنها جعلته يشعر بالغثيان. "لديهم أسماء مضحكة، مثل أسماء القراصنة".

سأل دايف، بنبرة حزينة تقريباً، "هل أنت متأكدة أن الولد قُتل؟".

"المرأة ذات القبعة لعقت دمه عن يديها"، قالت أبرا. كانت تجلس على الدرجات، فذهبت الآن إلى أبيها ووضعت وجهها على صدره. "عندما تريد ذلك، لديها سن خاص. كلهم لديهم سن خاص".

"ذلك الولد كان مثلكِ حقاً؟".

"نعم". خرج صوت أبرا مكتوماً لكن مفهوماً. "يمكنه أن يرى من خلال يده".

"ما معنى ذلك؟".

"مثلاً عندما تأتي بعض أنواع الرميات، يصيبها لأن يده رأتها أولاً. وعندما تفقد أمه شيئاً، يضع يده فوق عينيه وينظر عبرها ليري أين يتواجد ذلك الشيء. أعتقد. لا أعرف ذلك الجزء بشكل مؤكّد، لكنني أستخدم يدي بهذه الطريقة أحياناً".

"ولهذا السبب قتلوه؟".

"أنا متأكد من ذلك"، قال دان.

"لماذا؟ لكي يحصلوا على بعض الفيتامينات؟ هل تعرف كم يبدو هذا سخيلاً؟".

لم يردّ أحدٌ.

"ويعرفون أن أبرا تُدرك أفعالهم؟".

"يعرفون". رفعت رأسها. كان خدّاهما متورّدين ورطبين من الدموع. "لا يعرفون إسمي أو أين أعيش، لكنهم يعرفون أنني موجودة".

"علينا إذاً إبلاغ الشرطة"، قال دايف. "أو ربما... أظن أننا سنريد مكتب التحقيقات الفدرالي في قضية كهذه. قد يجدون صعوبة في تصديق الأمر في البداية، لكن إذا كانت الجثة هناك".

قال دان، "لن أخبرك أن هذه فكرة سيئة إلى أن نرى ماذا تستطيع أبراً أن تفعل بقفاز البيسبول، لكن عليك أن تفكر جيداً بالعواقب. عليّ، على جون، عليك وعلى زوجتك، والأهم على أبراً".

"لا أرى أي صنف من المتاعب يمكن أن تتعرّض له أنت وجون -"

تململ جون على كرسيه. "بالله عليك يا دايفد. من عثر على الجثة؟ من نبشها ثم أعاد دفنها، بعد أن أخذ دليلاً لا شك أن جماعة الجنائيات سيُعتبرونه حيويّاً؟ من نقل ذلك الدليل إلى الجزء الآخر من الدولة لكي تستطيع فتاة في الصف الثامن استخدامه مثل لوح ويجا؟".

رغم أنه لم يتقصّد ذلك، إلا أن دان انضم إلى النقاش. بدأوا يشكّلون عصابة، وكان ليستاء من ذلك في ظروف أخرى، لكن ليس في مثل هذه الظروف. "عائلتك في أزمة من قبل يا سيد ستون. حماك تموت، زوجتك حزينة ومنهكة. هذا الخبر سيضرب الصحف والانترنت مثل قنبلة. عشيرة قتلة متجوّلين مقابل فتاة صغيرة يُعتدّ أنها تعاني من مشاكل نفسية. سيريدونها على التلفزيون، سترفض، وهذا سيجعلهم أشرس فحسب. سيتحوّل شارعك إلى ستيديو بث مباشر، وستنتقل نانسي غرايس على الأرجح لتسكن في المنزل المجاور، وبعد أسبوع أو أسبوعين سيصبح كل رُعاع الإعلام خدعة بأعلى أصواتهم. هل تتذكّر والد فتى البالون؟ أنت مرشّح أن تكون مثله. في غضون ذلك، سيبقى أولئك الأشخاص طليقين ليفعلوا ما يشاؤون".

"لذا من يُفترّض به أن يحمي ابنتي الصغيرة إذا أتوا وراءها؟ أنتما؟ طبيب وممرض في مأوى عجزة؟ أم هل أنت مجرد بواب؟".

أنت حتى لا تعرف عن عامل الصيانة ذي الثلاث وسبعين سنة الواقف حارساً في آخر الشارع، فكّر دان في سرّه وابتسم رغماً عنه. "أنا قليلٌ من الاثنين معاً. اسمع يا سيد ستون -"

"وفق الصداقة القوية التي رأيتها بينك وبين ابنتي، أظن أنه من الأفضل أن تناديني دايف".

"حسناً يا دايف. أظن أن خطوتك التالية تعتمد على ما إذا كنت مستعداً أن تراهن على أن رجال الشرطة سيصدقونها. خاصة عندما تُخبرهم أن جماعة عربات الوينباغو مصّاصو دماء".

"يا للهول"، قال دايف. "لا يمكنني إخبار لوسي عن هذا. ستفقد صوابها. كل صوابها".

"يبدو أن هذا أجاب على سؤال عما إذا كان يجب إبلاغ الشرطة أم لا"، علّق جون.

ساد الصمت للحظة. في مكان ما في المنزل كانت ساعة تتكّتك. وفي مكان ما في الخارج، كان كلب ينبج.

"الزلال"، قال دايف فجأة. "ذلك الزلال الصغير. هل كان ذلك أنت يا أبي؟".

"أنا متيقّنة"، همست.

عانقها دايف، ثم نهض ونزع المنشفة عن قفاز البيسبول. أمسكه، وأخذ يتفحصه. "لقد دفنوه معه"، قال. "اختطفوه، عدّبوه، قتلوه، ثم دفنوه مع قفازه البيسبول".

"نعم"، قال دان.

استدار دايف إلى ابنته. "هل تريدين حقاً لمس هذا الشيء يا أبرا؟".

مدّت يديها وقالت، "لا. لكن أعطني إياه على أي حال".

5

تردّد دايف ستون، ثم سلّمها إياه. أخذته أبرا في يديها ونظرت إلى الجيب. "جيم توميه"، قالت، ورغم أن دان سيكون مستعداً أن يراهن بكل مدّخراته (بعد اثنتي عشرة سنة من العمل المتواصل وعدم الثمالة المتواصلة، كانت لديه بعض المدّخرات في الواقع) أنها لم تسمع بإسمه أبداً من قبل، لفظته بشكل صحيح: توميه. "إنه في نادي الستمئة".

"هذا صحيح"، قال دايف. "هو -"

"اسكت"، قال دان.

راقبوا. رفعت القفاز إلى وجهها وشمّت الجيب (تذكّر دان الحشرات وضغط على نفسه ليمنع نفسه من أن يجفل). قالت، "باري الصّدع. يسمّونه هكذا لأن عينيه منحرفتان إلى أعلى عند الزوايا. إنه... لا أعرف... مهلاً..."

ضمّت القفاز إلى صدرها، كما لو أنه طفل. بدأت تتنفس أسرع. فغر فمها وراحت تئنّ. قلق دايف ووضع يده على كتفها. نفضتها أبرا عنها. "لا يا بابا، لا!". أغمضت عينيها وعانقت القفاز. انتظروا.

فتحت عينيها أخيراً وقالت، "إنهم قادمون من أجلي".

نهض دان، ركع بجانبها، ووضع يداً واحدةً فوق يديها.

(كم شخص قادم بعضهم أم كلهم)

"بعضهم فقط. باري معهم. لهذا السبب يمكنني أن أرى. هناك ثلاثة آخرون. ربما أربعة. أحدهم سيدة لديها وشم أفعى. يسموننا دنيويين. نحن أشخاص دنيويون بالنسبة لهم".

(هل المرأة ذات القبعة)

(لا)

"متى سيصلون إلى هنا؟"، سأل جون. "هل تعرفين؟".

"غداً. عليهم أن يتوقفوا أولاً ويُحضروا..."، سكتت قليلاً. راحت عيناها تجولان في الغرفة دون أن تريا شيئاً. انزلقت يدٌ من تحت يد دان وبدأت تفرك فمها. اليد الأخرى قبضت على القفاز. "عليهم... لا أعرف...". بدت الدموع تنهمر من زوايا عينيها، ليس من الحزن بل من الجهد. "هل هو دواء؟ هل هو... مهلاً، مهلاً، أفلتني يا دان، عليّ أن... عليك أن تفلتني..."

أبعدَ يده. سُمع صوت نقرة والفرقة الزرقاء للكهرباء الساكنة. عزف البيانو سلسلة نغمات متنافرة. على طاولة عَرَضِيَّة بجانب الباب إلى الرواق، كانت عدة تماثيل هامل خزفية تهتز وتطرق. مرّرت أبرا القفاز على يدها. وجحظت عيناها.

"أحدهم يدعى كُرو! أحدهم طبيب وهذا من حسن حظهم لأن باري مريض! إنه مريض!". راحت تحدّق فيهم بحدّة، ثم ضحكت. صوتها جعلّ الشعرات على عنق دان تتصلّب. اعتقد أنها بلا شكّ الطريقة التي يضحك بها المجانين عندما يتأخر دواؤهم. كان هذا كل ما يمكنه فعله لكي لا ينتزع القفاز من يدها.

"لديه الحصبة! التقط عدوى الحصبة من الجدّ فليك وسيبدأ يدور قريباً! إنه ذلك الولد اللعين! ما كان يجب أبداً أن يأخذ الحقنة! علينا إخبار روز! علينا -"

كان هذا كافيّاً لدان. سحب القفاز من يدها ورماه عبر الغرفة. توقّف عزف البيانو. أصدرت تماثيل الهامل قرقعةً أخيرةً وجمدت مكانها، وكان أحدها على شفير السقوط عن الطاولة. راح دايف يحدّق في ابنته فاغراً فمه. ونهض جون إلى قدميه، لكنه بدا غير قادر على التحرك.

أمسك دان أبرا بكتفيها وهزّها بعنف. "أبرا، اخرجي من هذه الحالة".

راحت تحدّق فيه بعينين ضخمتين عائميتين.

(عودي يا أبرا لا بأس)

كتفاها، اللذان كانا قد ارتفعا إلى حدود أذنيها تقريباً، استرخيا تدريجياً. عادت عيناها تريانه من جديد. زفرت نَفْساً عميقاً وسقطت على ذراع أبيها. كانت ياقة قميصها التائي داكنة من العرق.

"أبي؟"، سأل دايف. "أبا-دُو؟ هل أنت بخير؟".

"نعم، لكن لا تناديني هكذا". أخذت نَفْساً عميقاً وزفرته في تنهيدة طويلة أخرى. "يا إلهي، هذا كان عنيفاً". نظرت إلى أبيها. "لم أستم يا بابا، أحدهم من فعل ذلك. أظنه كُرو. إنه قائد فريق القادمين".

جلس دان بجانب أبراً على الأريكة. "متأكدة أنك بخير؟".

"نعم. الآن. لكنني لا أريد أبداً أن ألمس هذا القفاز مرة أخرى. إنهم ليسوا مثلنا. يشبهون البشر وأعتقد أنهم كانوا بشرأ، لكن لديهم الآن أفكاراً كالسحلية".

"قلت إن باري مُصاب بالحصبة. هل تتذكّرين هذا؟".

"باري، نعم. الذي يسمّونه الصّدع. أتذكّر كل شيء. أنا عطشانة جداً".

"سأحضر لك ماءً"، قال جون.

"لا، أحضِر شيئاً فيه سكر. رجاءً".

"هناك كولا في البرّاد"، قال دايف. مسّد شعر أبراً، ثم خدّها، ثم الجهة الخلفية لعنقها. كما لو أنه يريد طمأنة نفسه أنها لا تزال هناك.

انتظروا عودة جون حاملاً عبوة الكولا. استولت عليها أبراً، وراحت تشرب بنهم، ثم تجشأت. "أسفة"، قالت، وقهقهت.

لم يشعر دان بهذه السعادة أبداً في حياته لسماع قهقهة. "جون. الحصبة أكثر خطورة لدى الراشدين، صح؟".

"صحيح. يمكنها أن تسبّب التهاباً رئوياً، وحتى عمى، نتيجة ندوب في القرنية".

"موت؟".

"بالتأكيد، لكنه نادر".

"هذا مختلف بالنسبة لهم"، قالت أبراً، "لأنني لا أعتقد أنهم يمرضون عادة. فقط باري مريض. سيتوقفون ويُحضرون طرداً. لا شك أنه دواء لهم. من النوع الذي تأخذه في حقنة".

"ماذا قصدت بالدوران؟"، سأل دايف.

"لا أعرف".

"إذا كان باري مريضاً، هل سيوقفهم ذلك؟"، سأل جون. "هل سيعودون أدرجهم إلى حيث جاءوا؟".

"لا أعتقد. قد يكونون مريضين من قبل من باري، ويعرفون ذلك. ليس لديهم شيء ليخسروه وكل شيء ليكسيوه، هذا ما يقوله كُرو". شربت المزيد من الكولا، مُمسكةً العبوة بيديها الاثنتين، ثم راحت تنظر إلى كل واحد منهم، منتهيةً عند أبيها. "يعرفون شارعي. وربما يعرفون إسمي، في النهاية. حتى إن لديهم صورة. لستُ متأكدةً. ذهن باري ملخبط. لكنهم يعتقدون... أنه إذا لا يمكنني إلتقاط عدوى الحصبة..."

"فإن جوهرك قد يكون قادراً على أن يداويهم"، قال دان. "أو على الأقل أن يلقح الآخرين".

"لا يسمونه جوهرًا"، قالت أبرا. "يسمونه بخارًا".

صقّ دايف بيديه مرةً، برشاقة. "كفى. سأتصل بالشرطة. سيعتقلون أولئك الأشخاص".

"لا يمكنك فعل ذلك". تكلمت أبرا بالصوت الممل لامرأةٍ مكتئبةٍ في الخمسين من عمرها. "افعل ما تريده، قال ذلك الصوت. إنني فقط أخبرك".

أخرَج هاتفه الخليوي من جيبه، لكنه أمسكه بدلاً من فتحه. "لماذا؟".

"ستكون لديهم قصة جيدة عن سبب سفرهم إلى نيو هامبشاير والكثير من التجانس الجيد. كما أنهم أغنياء. أغنياء حقاً، على غرار غنى وولمارت والمصارف وشركات النفط. قد يرحلون، لكنهم سيعودون. سيعودون دائماً ليحصلوا على ما يريدونه. يقتلون الأشخاص الذين يعترضون سبيلهم، والأشخاص الذين يحاولون كشف أمرهم، وإذا احتاجوا إلى دفع رشاوى للإفلات من عواقب أفعالهم، فهذا ما سيفعلونه". وَضَعَت عبوة الكولا على طاولة القهوة واحتضنت أباها بذراعيها. "رجاءً يا بابا، لا تُخبر أحداً. أفضل أن أذهب معهم على أن يؤذوك أنت أو ماما".

قال دان، "لكن الآن هناك فقط أربعة أو خمسة منهم".

"نعم".

"أين الباقون؟ هل تعرفين هذا الآن؟".

"في مكان يدعى مخيم بلوبيرد. أو ربما مخيم بلوبل. إنه مُلكهم. هناك بلدة قريبة. هناك توجد السوبرماركت، متجر سام. البلدة تدعى سايدوندر. روز هناك، والعقدة الحقيقية. هذا ما يسمون أنفسهم، العم... دان؟ هل من سوء؟".

لم يردّ دان. لم يكن قادراً على الكلام، في الوقت الحاضر على الأقل. كان يتذكّر صوت دكّ هالوران الخارج من الفم الميت لإليانور أوليت. سأل دكّ أين هي الشياطين الفارغة، وبدا جوابه منطقياً الآن.

في طفولتك .

"دان؟"، قال جون. بدا صوته بعيداً. "لونك أبيض كالورقة".

بدا كل شيء منطقياً بشكل غريب. لقد عرّف من البداية - حتى قبل أن يراه فعلياً - أن فندق الأوفرلوك مكانٌ شريئٌ. لقد زال الآن، احترق كلياً، لكن من قال إن الشر احترق معه أيضاً؟ بالطبع ليس هو. عندما كان ولداً، زاره الموتى الذين هربوا.

هذا المخيم الذي يملكونه - يقف حيث وُقِفَ الفندق. أعرف ذلك. وعاجلاً أم آجلاً، عليّ أن أعود إلى هناك. أعرف ذلك أيضاً. على الأرجح عاجلاً. لكن أولاً -

"أنا بخير"، قال.

"أتريد بعض الكولا؟"، سألت أبراً. "السكر برأبي يحل الكثير من المشاكل".

"لاحقاً. عندي فكرة. إنها بدائية، لكن ربما يمكننا نحن الأربعة التعاون معاً لتحويلها إلى خطة".

6

رَكَنت آندي لدغة الأفعى في مرأب الشاحنات لاستراحةٍ على الطريق الرئيسي بالقرب من وستفيلد، نيويورك. دَخَلَ نَت ساحة الخدمة ليُحضر عصيراً لباري، الذي كان محموراً الآن وحجرته متقرّحة بشكل مؤلم. بينما انتظروا عودته، أجرى كُرو مكالمة مع روز. أجابت من الرنّة الأولى. أطلّعها على آخر المستجدات بأسرع ما يمكنه، ثم انتظر.

"ما الذي أسمع في الخلفية؟"، سألت.

تنهّد كُرو وفركَ يده على خدّه. "هذا جيمي الأرقام. إنه يبكي".

"قل له أن يصمت. قل له إنه لا يوجد بكاء في البيسبول".

نقلَ له كُرو ذلك، غافلاً حسّ الفكاهة الغريب لدى روز. جيمي، الذي كان لحظتها يمسح وجهه بباري بقطعة قماش رطبة، تمكّن من كتم شهقاته الصاخبة المزعجة (لا مفرّ من أن يعترف كُرو بذلك).

"هذا أفضل"، قالت روز.

"ماذا تريديننا أن نفعل؟".

"أمهلني لحظة، إنني أحاول أن أفكر".

شعر كُرو أن فكرة اضطرار روز إلى محاولة التفكير مزعجة تقريباً مثل البقع الحمراء التي ظهرت الآن على كل وجه باري وجسمه، لكنه فعلَ مثلما قيل له، فبقي يُمسك الأيفون إلى أذنه دون أن يقول شيئاً. كان يتعرق. من الحمى، أم أن الجو خانقٌ هنا فحسب؟ تحفّص كُرو ذراعيه بحثاً عن شوائب حمراء ولم يجد أيّاً منها. بعد.

"هل تسببون وفق الخطة؟"، سألت روز.

"حتى الآن، نعم. حتى إننا متقدمون فيها قليلاً".

سُمع طرق مزدوج على الباب. نظرت آندي إلى الخارج، ثم فتحت.

"كُرو؟ هل لا تزال معي؟".

"نعم. عادت للتو ومعه بعض العصير لباري. حنجرته متقرحة".

"جرب هذا"، قال وولنت لباري، وهو ينزع السدادة. "هذا عصير تفاح. لا يزال بارداً من البراد. سيهدئ معدتك كثيراً".

نهض باري على مرفقيه وابتلع عندما أمال نت الزجاجة الصغيرة على شفتيه. وجد كُرو صعوبة في النظر. لقد رأى حُملاًناً صغيرةً تشرب من زجاجات التمريض بنفس هذه الطريقة الضعيفة لا-أقوى-على-فعل-ذلك-لوحدي.

"هل يمكنه أن يتكلم يا كُرو؟ إذا كان يستطيع، أعطه الهاتف".

دفع كُرو جيمي جانباً وجلس بجانب باري. "انهض. تريد أن تتكلم معك".

حاول وضع الهاتف بجانب أذن باري، لكن الصدع أخذه منه. إما العصير أو الأسبرين الذي جعله نت يبلعه أعطاه بعض القوة.

"روز"، قال بصوتٍ أشبه بالنقيق. "أسف بشأن هذا يا حبيبتى". راح يُنصت، وهو يومئ برأسه. "أعرف. فهمتُ. أنا...". راح يُنصت مرة أخرى. "لا، ليس بعد، لكن... أجل. أستطيع. سأفعل. أجل. أحبك أيضاً. ها هو". سلّم الهاتف إلى كُرو، ثم عاد وانهار على الوسادات المكدسة، بعد أن زالت موجة قوته المؤقتة.

"أنا هنا"، قال كُرو.

"هل بدأ يدور؟".

ألقى كُرو نظرة سريعة على باري. "لا".

"الحمد لله. يقول إنه لا يزال يستطيع تحديد مكانها. أمل أن يكون محققاً. إذا لم يكن قادراً، سيكون عليك إيجادها بنفسك. يجب أن نقبض على تلك الفتاة".

يعرف كُرو أنها تريد الفتاة - ربما جوليان، ربما إيما، على الأرجح أبرا - لأسبابها الخاصة، وهذا كافٍ بالنسبة له، لكن هناك المزيد على المحك. ربما استمرارية وجود العقدة الحقيقية. في همسٍ تشاوريٍّ في الجهة الخلفية للوينباغو، أخبرت كُرو أن الفتاة على الأرجح لم تُصب أبداً بالحصبة، لكن بخارها قد لا يزال قادراً على حمايتهم، بسبب التلقيح الذي حصلت عليه في طفولتها. لم يكن هذا رهاناً مضموناً، لكنه أفضل بكثير من عدم وجود رهان من الأصل.

"كُرو؟ كلمني يا عزيزي".

"سنجدها". ألقى نظرة على خبير الكمبيوتر في العقدة الحقيقية. "جيمي حصر البحث عند ثلاثة احتمالات، كلها في مربع سكني واحد. لدينا صورهن".

"ممتاز". سكتت قليلاً، وعندما تكلمت مرة أخرى كان صوتها خافتاً، أكثر دفناً، وربما متزعزعاً قليلاً. يكره كُرو فكرة أن روز خائفة، لكنه اعتقد أنها خائفة فعلاً. ليس على نفسها، بل على العقدة الحقيقية التي من واجبها حمايتها. "أنت تعرف أنني لن أرسلك أبداً وباري مريض لو لم أعتقد أن هذه المسألة حيوية جداً".

"أجل".

"أقبض عليها، أفقدها وعيها، وأحضرها لنا. واضح؟".

"واضح".

"إذا مرض بقيتكم، إذا شعرت أن عليك استئجار طائرة نقّاة وإحضارها جواً -"

"سنفعل ذلك أيضاً". لكن كُرو ارتعب من هذا الاحتمال. فأي واحد منهم غير مريض عندما يركبون الطائرة سيصبح مريضاً عندما ينزلون منها - خلل في التوازن، خلل في السمع لشهر أو أكثر، شلل، تقيؤ. والطيران سيخلف بالطبع أثراً ورقياً. وهذا ليس جيداً لركابٍ يرافقون فتاة صغيرة مخدرة ومخطوفة. ومع ذلك: للضرورات أحكام.

"حان وقت عودتكم إلى الطريق"، قالت روز. "اعتن بباري يا عزيزي. ببقيتهم أيضاً".

"هل الجميع بخير لديك؟".

"بالتأكيد"، قالت روز وأغلقت الخط قبل أن يتمكن من طرح أي سؤال آخر. لا بأس بهذا. أحياناً لا تحتاج إلى التخاطر لكي تعلم أن الشخص الآخر يكذب. حتى الأشخاص الدنيويون يعرفون

ذلك.

قَدَفَ الهاتف على الطاولة وصَفَّقَ بيديه برشاقة. "حسناً، هيا نواصل طريقنا. المحطة التالية، ستربريدج، ماساتشوستس. نَت، ابقَ مع باري. سأقود للساعات الستة القادمة، ثم يحين دورك يا جيمي".

"أريد العودة إلى المنزل"، قال جيمي الأرقام بتجهم. كان على وشك أن يقول المزيد، لكن يداً ساخنةً أمسكت معصمه قبل أن يتمكن.

"ليس لدينا خيار آخر غير هذا"، قال باري. كانت عيناه تتألقان من الحمى، لكنهما كانتا عاقلتين ومُدركتين. في تلك اللحظة، شَعَرَ كُرو بفخر كبير تجاهه. "لا يوجد أي خيار يا فتى الكمبيوتر، لذا كن رجلاً. الأولوية للعقدة الحقيقية. دائماً".

جلس كُرو خلف المقود وأدار المفتاح. "جيمي"، قال. "اجلس معي لدقيقة. أريد أن أثرثر معك قليلاً".

جلس جيمي الأرقام على مقعد الراكب.

"تلك الفتيات الثلاثة، كم أعمارهن؟ هل تعرف؟".

"هذا وأمر كثيرة أخرى. لقد قرصنتُ سجلاتهن المدرسية عندما حصلتُ على الصور. مَنْ يسرق بيضةً يسرق جملاً، صح؟ دينٌ وكروس في الرابعة عشرة. الفتاة ستون أصغر بسنة. لقد تخطتُ صفاً مدرسياً في المرحلة الابتدائية".

"أجد أن هذا يوحي بوجود بخار"، قال كُرو.

"أجل".

"وكلهن يعيشن في الحي نفسه".

"صحيح".

"أجد أن هذا يوحي بوجود حميمية".

كانت عينا جيمي لا تزالان متورمتين من الدموع، لكنه ضحك. "أجل. الفتيات، مثلما تعلم. ثلاثتهن يضعن على الأرجح نفس أحمر الشفاه ويعشقن نفس الفرق الموسيقية. ماذا تريد أن تعرف؟".

"لا شيء محدد"، قال كُرو. "مجرد معلومات. المعلومات قوة، أو هكذا يقولون".

بعد دقيقتين، كانت وينباغو ستيف الساذج تعاود الظهور على الطريق العام بين الولايات I-90. عندما وصل عداد السرعة إلى مئة وخمسة، شغل كُرو نظام تثبيت السرعة وترك المركبة تسير تلقائياً.

7

شرح دان ماذا يجول في ذهنه، ثم انتظر جواب دايف ستون. بقي لوقت طويل يجلس بجانب أبراً مُخفضاً رأسه وشابكاً يديه بين رُكبتيه.

"بابا؟"، سألت أبراً. "قل شيئاً رجاءً".

رفع دايف نظره وقال، "من يريد شراب شعير؟".

تبادل دان وجون نظرة مرتبكة سريعة ورفضاً.

"حسناً، أنا أريد. ما أريده حقاً هو كوب شراب اسكتلندي، لكنني مستعد أن أراهن من دون أي معلومة منكما أيها السادة أن رشف شراب اسكتلندي قد لا يكون فكرة جيدة في هكذا ليلة".

"سأحضره لك يا بابا".

دخلت أبراً المطبخ. سمعوا فرقة السداة وهسهسة المشروب الغازي - أصوات أعادت بعض الذكريات إلى دان، معظمها سعيدة غدراً. عادت ومعها عبوة شراب شعير وكوباً زجاجياً.

"هل يمكنني أن أصبّه لك؟".

"على راحتك".

راقب دان وجون بافتتان صامت أبراً تميل الكوب الزجاجي وتسكب شراب الشعير ببطء لتخفف كمية الرغوة، كما لو أنها ساقية قديمة في هذه المهنة. سلّمت الكوب إلى أبيها ووضعت العبوة على واقية بجانبه. أخذ دايف رشفة كبيرة، تنهّد، أغمض عينيه، ثم فتحهما مرة أخرى.

"هذا جيد"، قال.

أنا أكيد من ذلك، فكّر دان في سرّه، ورأى أبراً تراقبه. كان وجهها، المنفتح عادة، غامضاً، ولم يستطع للحظة قراءة الأفكار التي خلفه.

قال دايف، "ما تقترحه جنون، لكن فيه بعض العناصر الجاذبة. أهمها هو الفرصة لرؤية تلك... المخلوقات... بعيني. أعتقد أنني أحتاج إلى ذلك لأنني - رغم كل شيء أخبرتني إياه - أشعر باستحالة تصديق وجودهم. حتى بوجود القفاز، والجنّة التي تقول إنكما عثرتما عليها".

فَنَحَتْ أبرا فمها لنتكلم. أوقفها أبوها بيدٍ مرفوعةٍ.

"أصِدِّقْ أنكم تصدِّقون"، أكمل يقول. "ثلاثتكم. وأصِدِّقْ أن مجموعة أفراد مخبولين بشكل خطير ربما - أقول ربما - يطاردون ابنتي. قد أوافق على فكرتك بالطبع يا سيد تورانس، لو لم تكن تتضمن إحضار أبرا. لن أستخدم ابنتي كطعم أبدأ".

"لن تضطر إلى فعل ذلك"، قال دان. كان يتذكَّر كيف أن حضور أبرا على رصيف التحميل خلف مَصنع الإيثانول حَوَّله إلى نوع من كلاب تقفِّي الجثث البشرية، وكيف أصبح بصره حاداً عندما فَنَحَتْ أبرا عينيها داخل رأسه. حتى إنه بكى دموعها، رغم أن اختباراً للحمض النووي قد لا يُظهر ذلك.

"ماذا تقصد؟"

"ابنتك غير مضطرة أن تكون معنا لكي تكون معنا. إنها فريدة بهذه الطريقة. أبرا، هل لديك صديقة يمكنك زيارتها غداً بعد المدرسة؟ ربما حتى المبيت في منزلها؟"

"بالتأكيد، إيما دين". استطاع أن يرى من التلألؤ المتحمَّس في عينيها أنها فهمت مسبقاً ماذا يجول في ذهنه.

"فكرة سيئة"، قال دايف. "لن أتركها بلا حراسة".

"كانت أبرا محروسة طوال وقت تواجدنا في أيوا"، قال جون.

ارتفع حاجبا أبرا وفغر فمها قليلاً. شَعَرَ دان بالسرور من رؤية هذا. كان متأكداً أنها كانت قادرة على اختراق دماغه في أي وقت تشاء، لكنها فعلت مثلما طلب منها.

أخرَج دان هاتفه الخلوي وضغط زر الاتصال السريع. "بيلي؟ لما لا تأتي إلى هنا وتتضم إلى الحفلة".

بعد ثلاث دقائق، دخل بيلي فريمان منزل عائلة ستون. كان يرتدي سروال جينز، قميصاً قطنياً أحمر ذا أذيال تصل إلى رُكبتيه تقريباً، وقبعة قطار تينيتاون نزعها عن رأسه قبل أن يصافح دايف وأبرا.

"لقد ساعدته في مشكلة معدته"، قالت أبرا وهي تنقل نظرها إلى دان. "أتذكَّر ذلك".

"لقد كنتِ تخترقين دماغي في النهاية"، قال دان.

تورَدت خجلاً. "ليس عن قصد. أبدأ. هذا يحدث لا إرادياً أحياناً".

"ألا أعرف أنا هذا؟".

"مع كل احترامي لك يا سيد فريمان"، قال دايف، "لكنك عجوز قليلاً لكي تكون حارساً خاصاً، ونحن نتكلم عن ابنتي".

رفع بيلي أطراف قميصه وكشفَ مسدساً ألياً في قرابٍ أسودٍ بالٍ. "كولت 1911"، قال. "ألي كلياً. يعود إلى الحرب العالمية الثانية. هذا عجوز أيضاً، لكنه سيؤدي الواجب".

"أبرا؟"، سأل جون. "هل تعتقد أن بإمكان الرصاصات قتل تلك الأشياء، أم فقط أمراض الطفولة قادرة على ذلك؟".

كانت أبراً تنظر إلى المسدس. "آه نعم"، قالت. "الرصاصات ستفي بالغرض. إنهم ليسوا أشخاصاً أشباحاً. إنهم حقيقيون مثلنا".

نظرَ جون إلى دان وقال، "لا أفترض أن معك مسدساً؟".

هزَّ دان رأسه ونظر إلى بيلي. "لديّ بندقية غزلان يمكنني أن أعيرك إياها"، قال بيلي.

"هذا... قد لا يكون كافياً"، قال دان.

استغربَ بيلي. "حسناً، أعرف رجلاً في ماديسون. يشتري ويبيع أموراً أكبر. بعضها أكبر بكثير".

"يا للهول"، قال دايف. "هذا يزداد سوءاً أكثر فأكثر". لكنه لم يقل أي شيء آخر.

قال دان، "بيلي، هل يمكننا أن نحجز القطار غداً، إذا أردنا القيام بنزهة عند الغروب في كلاود غاب؟".

"بالتأكيد. الناس يفعلون هذا طوال الوقت، خصيصاً بعد يوم العمال، عندما تنخفض الأسعار".

ابتسمت أبراً. كانت ابتسامة رآها دان من قبل. إنها ابتسامتها الغاضبة. تساءل إن كان أعضاء العقدة الحقيقية سيترددون إذا عرفوا أن هدفهم تمتلك ابتسامة مثل هذه في مخزونها.

"جيد"، قالت. "جيد".

"أبرا؟". بدا دايف مرتبكاً وخائفاً قليلاً. "ماذا؟".

تجاهلته أبراً في الوقت الحاضر. كان دان الذي تكلمت معه. "يستحقون ذلك على ما فعلوه بفتى البيسبول". مسحت فمها بيدها المكورة، كما لو أنها أرادت محو تلك الابتسامة، لكن عندما أبعدت يدها كانت الابتسامة لا تزال هناك، وشفناها الرفيعتان تُظهران أطراف أسنانها. شدت يدها في قبضة.

"يستحقون ذلك".

الجزء الثالث

مسائل الحياة والموت

الفصل 13

كلاود غاب

1

كان مكتب البريد EZ في شارع متاجرٍ، بين ستاربكس وأورايلي لقطع السيارات. دخله كُرو بُعيد العاشرة صباحاً، قدّم هويته بإسم هنري روثمان، وقّع لاستلام طرد بحجم علبة أحذية، وخرج واضعاً إياه تحت ذراعه. رغم تكيف الهواء، كانت الوينباغو تعبق ببنانة مرض باري، لكنهم اعتادوا على تلك الرائحة وبالكاد شمّوها. عنوان المرسل على الصندوق هو لشركة سمكرة في فلاشينغ، نيويورك. هكذا شركة موجودة فعلاً، لكن لا دخل لها بهذا التسليم بالذات. راح كُرو والأفعى وجيمي الأرقام يراقبون نَت يقطع شريط الطرد بسكين جيشه السويسري ويفتحه. أخرج طبقةً من التحزيم البلاستيكي المنفوخ، ثم طيةً مزدوجة من الزغب القطني. تحت ذلك، وبين حبوب الرغوة البيضاء الجافة الصغيرة، كانت زجاجة كبيرة بلا ملصق تحتوي على سائل بلون القش، ثماني محاقن، ثمانيه سهام قصيرة مريشة، ومسدس هزيل.

"يا للهول، يوجد ما يكفي لإرسال صفّها كله إلى الأرض الوسطى"، قال جيمي.

"لدى روز احترام كبير لتلك الفتاة الصغيرة"، قال كُرو. أخرج مسدس مهدى الأعصاب من سريره بين حبوب الرغوة البيضاء الجافة الصغيرة، تفحصه، وأعادته إلى مكانه. "ونحن مثلها أيضاً".

"كُرو!"، كان صوت باري متخثراً وأجش. "تعال إلى هنا!".

ترك كُرو محتويات الصندوق لولنت وذهب إلى الرجل الذي يتعرق على السرير. كان باري مُغطى الآن بمئات الشوائب الحمراء الساطعة، عيناه متورمتين حتى حدود الإغلاق تقريباً، شعره متلبّداً على جبهته. استطاع كُرو الشعور بالحمى تغليه، لكن الصدع أقوى بكثير مما كان عليه الجَدّ فليك. لا يزال لم يبدأ الدوران.

"أنتم بخير؟"، سأل باري. "لا حمى؟ لا بُقع؟".

"نحن بخير. لا تقلق بشأننا، تحتاج إلى الراحة. وربما بعض النوم."

"سأنام عندما أموت، ولم أمت بعد". لمعت عينا باري الحمراءوان. "إنني ألتقطها".

أمسك كُرو يده دون أن يفكر بما يفعله، ذكّر نفسه بأن يغسلها بماء ساخن والكثير من الصابون، ثم تساءل ما نفع ذلك. كانوا كلهم يتنفسون هواءه، تناوبوا كلهم على مساعدته في دخول المرحاض. لقد لمست أيديهم كل جسمه. "هل تعرف أي واحدة من الفتيات الثلاثة هي؟ هل حصلت على إسمها؟".

"لا".

"هل تعرف أننا قادمون من أجلها؟".

"لا. توقف عن طرح الأسئلة ودعني أخبرك ما أعرفه. إنها تفكر بروز، هكذا حدّدت مكانها، لكنها لا تفكر فيها بإسمها. "المرأة ذات القبعة والسن الطويل"، هذا ما تسميها. الفتاة..."، انحنى باري إلى إحدى الجهتين وسعل في منديل رطب. "الفتاة خائفة منها".

"يجدر بها ذلك"، قال كُرو بتجهم. "أي شيء آخر؟".

"شطائر لحم. بيض مُبهر".

انتظر كُرو.

"لست متأكداً بعد، لكنني أعتقد... أنها تخطّط لنزهة. ربما مع والديها. سيذهبون على... متن قطار لعبة؟". عبس باري.

"أي قطار لعبة؟ أين؟".

"لا أعرف. قرّبني منها وسأعرف. أنا متأكد أنني سأعرف". استدارت يد باري في يد كُرو، وشدّ عليها فجأة بقوة كافية لإيذائه. "قد تكون قادرة على مساعدتي يا دادي. إذا استطعت الصمود واستطعت القبض عليها... إيذاءها بما يكفي لجعلها تنفث بعض البخار... عندها ربما..."

"ربما"، قال كُرو، لكن عندما أخفض نظره استطاع رؤية - لثانية فقط - العظام داخل أصابع باري.

2

بقيت أبراً هادئة إلى حد مذهل في المدرسة ذلك الجمعة. لم يجد أي أستاذ ذلك غريباً، رغم أنها مُفعمّة بالحيوية عادة وثرثرة قليلاً. كان أبوها قد اتصل بمرمضة المدرسة ذلك الصباح، وطلب

منها إخبار أساتذة أبرأ أخذ الأمور بروية معها قليلاً. أرادت الذهاب إلى المدرسة، لكنهم تلقوا خبراً سيئاً بشأن جدّة أبرأ البارحة. "لا تزال تحاول أن تفهم"، قال دايف.

قالت الممرضة إنها فهمت، وستمرّر الرسالة.

ما كانت أبرأ تفعله في الواقع ذلك اليوم هو التركيز على تواجدها في مكانين في الوقت نفسه. كان ذلك أشبه بالتربيت على رأسك وفرك معدتك في آن: صعب أولاً، لكن ليس صعباً جداً بعدما تعتاد عليه.

كان يجب على جزء منها أن يبقى مع جسمها، أن يُجيب على سؤال عَرَضيّ في الصف (متمرسّة في رفع اليد منذ الصف الأول، ووجدت أنه من المزعج اليوم مناداتها عندما كانت تجلس فحسب طاويةً يديها بشكل أنيق على مكتبها)، أن يتكلّم مع صديقاتها على الغداء، وأن يسأل المدرّب ريني إن كان يمكنها أن تعتذر عن النادي الرياضي والانتقال إلى المكتبة بدلاً من ذلك. "الديّ وجع في البطن"، قالت، وهذا مصطلح أنثوي في المدرسة يعني أنت دورتي الشهرية.

كانت هادئة بشكل مماثل في منزل إيما بعد المدرسة، لكن هذا لم يكن مشكلة كبيرة لأن إيما تأتي من عائلة تعشق الكتب، وكانت تقرأ حالياً سلسلة ألعاب الجوع للمرة الثالثة. حاول السيد دين أن يردش مع أبرأ عندما عاد إلى المنزل من عمله، لكنه أقنع عن ذلك وغاص في أحدث عدد لمجلة الخبير الاقتصادي عندما أجابت أبرأ باقتضاب ورمقته السيدة دينه بنظرة تحذير.

بالكاد لاحظت أبرأ أن إيما وضعت كتابها من يدها وسألتها إن أرادت الخروج إلى الفناء الخارجي لبرهة، لأن معظمها كان مع دان: الرؤية من خلال عينيه، الشعور بيديه وقدميه على أدوات محرّك هيلين ريفنغتون الصغير، تدوّق شطيرة اللحم التي أكلها والليموناضة التي ألحقها بها. عندما يتكلّم دان مع أبيها، كانت هي التي تتكلّم في الواقع. أما بالنسبة للدكتور جون؟ كان يركب في مؤخرة القطار، ولذلك لم يكن الدكتور جون موجوداً. فقط كلاهما في العربية، مجرد نزهة صغيرة عاطفية بين أب وابنته في أعقاب الخبير السيئ عن مومو.

من وقت لآخر تنتقل أفكارها إلى المرأة ذات القبعة، المرأة التي أدت فتى البيسبول إلى أن مات ثم لعقت دمه بفمها المشوّه والشره. لم تستطع أبرأ منع نفسها، لكنها لم تكن متأكدة أن هذا مهم. فإذا كان ذهن باري يلمسها، فإن خوفها من روز لن يفاجئه، أليس كذلك؟

خطرت فكرة ببالتها لم يكن بإمكانها خداع متعقب العقدة الحقيقية لو كان بكامل صحته، لكن باري مريض جداً. لم يعرف أنها تعرف اسم روز. لم ينتبه أن يتساءل لماذا فتاة غير مؤهلة لنيل رخصة قيادة قبل العام 2015 تقود قطار تينيتاون عبر الغابة غرب فرايجر. لو انتبه إلى ذلك، لافترض على الأرجح أن القطار لا يحتاج إلى سائق حقاً.

لأنه يعتقد أنه لعبة.

"- سكرابل؟".

"هممم؟"، نظرت حولها إلى إيما، غير متأكدة في البدء أين كانتا. ثم رأت أنها تمسك كرة سلة. حسناً، الفناء الخارجي. كانتا تلعبان لعبة الحصان.

"سألتك إن كنت تريدين أن نلعب سكرابل معي وأمي، لأن هذا مُضجر كلياً".

"أنتِ تفوزين، صح؟".

"آه! كل الجولات الثلاثة. هل أنتِ هنا ولو قليلاً؟".

"آسفة، أنا فقط قلقة على مومو. تبدو سكرابل فكرة جيدة". بدت فكرة رائعة في الواقع. إيما وأمها أبطاً لاعتبي سكرابل في الكون، وستتوتران إن اقترح عليهما أي شخص اللعب مع مؤقت. هذا سيعطي أبراً مجالاً كبيراً لتتابع تقليل حضورها هنا. باري مريض لكنه ليس ميتاً، وإذا اكتشف أن أبراً تتفقد خدعة تكلم بطني من النوع التخاطري، يمكن أن تكون النتائج سيئة جداً. وقد يكتشف مكانها الفعلي.

لم يعد الوقت طويلاً. سيجتمعون قريباً جداً. يا إلهي، أرجو أن يسير كل شيء على ما يرام.

بينما أفرغت إيما الطاولة في غرفة الاستجمام في الطابق السفلي وأعدت السيدة دين اللوحة، استأذنت أبراً لدخول الحمام. تحتاج إلى استخدام المراض فعلاً، لكنها قامت بانعطافة سريعة إلى غرفة الجلوس أولاً واختلست النظر خارج النافذة القوس. كانت شاحنة بيلي مركونة عند الجانب المقابل للشارع. رأى الستائر تهتز فرفع لها إبهامه علامة الرضى والقبول. أعادت له أبراً الإيماءة. ثم الجزء الصغير منها الذي كان هنا ذهب إلى الحمام بينما جلس بقيتها في عربة هيلين ريفنغتون.

سنأكل طعام نزهتنا، نللم نفائتنا، نشاهد الغروب، ثم نعود.

(نأكل طعام نزهتنا، نللم نفائتنا، نشاهد الغروب، ثم)

شيء بغيبض وغير متوقع اقتحم أفكارها، وصلب كفاية ليدفع رأسها إلى الخلف. رجل وامرأتان. للرجل نسر على ظهره، وللمرأتين وشممان في أسفل ظهريهما. بإمكان أبراً رؤية الوشوم لأنهم كانوا عراة يمارسون الجنس بجانب حوض سباحة بينما تُعزف موسيقى ديسكو قديمة غبية. كانت المرأتان تُصدران الكثير من الأنين الكاذب. ما هذا الشيء اللعين الذي وقعت عليه؟

صدمة ما كان يفعله أولئك الأشخاص دمّر توازنها المُرَهَف، وللحظة كان كل أبراً في مكان واحد، كلها هنا. نظرت مرة أخرى بحذر، ورأت أن صورة الأشخاص قرب حوض السباحة ضبابية. ليسوا حقيقيين. أشخاص أشباح تقريباً. ولماذا؟ لأن باري شخصٌ شبحٌ تقريباً وليس لديه أي اهتمام في مشاهدة أشخاص يمارسون الجنس قرب -

أولئك الأشخاص ليسوا قرب حوض سباحة، إنهم على التلفزيون.

هل يعرف باري الصدع أنها تشاهده يشاهد برنامجاً تلفزيونياً إباحياً؟ هو والآخرين؟ لم تكن أبراً متأكدةً، لكنها لم تعتقد ذلك. لكنهم أخذوا ذلك الاحتمال في الحسبان. آه، نعم. لو كانت هناك، كانوا يحاولون صدمها لكي ترحل، أو لكي تكشف نفسها، أو الأمرين معاً.

"أبراً؟"، نادتها إيما. "نحن جاهزتان للعب!".

إننا نلعب من قبل، واللعبة أكبر بكثير من سكرابيل.

عليها استعادة توازنها، وبسرعة. لا يجب أن تهتمّ بالتلفزيون الإباحي ذي موسيقى الديسكو الرديئة. كانت في القطار الصغير. كانت تقود القطار الصغير. هذه هديتها الخاصة. كانت تستمتع بوقتها.

سنأكل، سنللم نفاياتنا، سنشاهد الغروب، ثم سنعود. أنا خائفة من المرأة ذات القبعة لكنني لستُ خائفة جداً، لأنني لستُ في المنزل، سأذهب إلى كلاود غاب مع أبي.

"أبراً! هل انتهيت؟".

"قادمة!", ردّت بصوتٍ عالٍ. "فقط أريد أن أغسل يدي!".

أنا مع أبي. أنا مع أبي، وهذا كل شيء.

همست أبراً وهي تنظر إلى نفسها في المرأة، "واصلي هذه الفكرة".

3

كان جيمي الأرقام خلف المقود عندما دخلوا استراحة بريتون وودز، القرية جداً من أنيستون، وهي البلدة التي تعيش فيها الفتاة المزعجة. إلا أنها لم تكن هناك. وفقاً لباري، كانت في بلدة تدعى فرايجر، تقع أبعد قليلاً إلى الجنوب الشرقي. في نزهة مع أبيها. تحاول نأي نفسها. لكن هذا لن ينفعها كثيراً.

أدخلت الأفعى أول قرص فيديو في قارئ الأقراص الرقمية، وعنوانه مغامرة كيني بجانب حوض السباحة. "إذا كانت الفتاة تشاهد هذا، فستحصل على بعض التثقيف"، قالت وضغطت زر التشغيل.

كانت يجلس بجانب باري ويُشربه المزيد من العصير... عندما يستطيع ذلك طبعاً. بدأ باري يدور فعلاً. لم يكن لديه اهتمام كبير بالعصير وبكل الأحداث الجارية بجانب حوض السباحة. كان ينظر إلى الشاشة فقط لأن هذا ما أمره أن يفعل. كلما عاد إلى هيئته الصلبة، يتأوه بصوتٍ صاحبٍ أكثر.

"كُرو"، قال. "رافقتني في هذا".

ركض إليه كُرو في لحظة، دافعاً وولنت جانباً بكوعه.

"اقترب"، همس باري، و- بعد لحظة غير سهلة - فعلَ كُرو ما طلبه منه.

فتح باري فمه، لكن الدورة التالية بدأت قبل أن يتمكن من نطق أي كلمة. أصبحت بشرته حليبيّة، ثم شبه شفافة. بإمكان كُرو رؤية أسنانه مُطبقة على بعضها، المحجرين اللذين يحويان عينيه المليئتين بالألم، و- أسوأ من كل شيء آخر - فتحات دماغه الظليلة. انتظر وهو يُمسك يداً لم تعد يداً بل مجرد كومة عظام. في مكان ما، عند مسافة بعيدة، استمرت موسيقى الديسكو الحادّة دون انقطاع. فكّر كُرو في سرّه، لا شكّ أنهم كانوا منتشين من المخدرات. لا يمكنك عزف هكذا موسيقى إلا إذا كنت منتشياً.

ببطء، ببطء، عاد باري الصّدع يتكثّف من جديد. راح يصرخ وهو يعود هذه المرة. برّز العرق على حاجبه. وكذلك البقع الحمراء، التي أصبحت ساطعة جداً الآن بحيث بدت أشبه بخرزات دم.

رطبّ شفثيه وقال، "اسمعني".

استمع كُرو.

4

بدّل دان قُصاري جهده ليفرّغ ذهنه لكي تتمكن أبرا من تعبئته. كان قد قاد الريف إلى كلاود غاب كثيراً في الماضي لدرجة أنه يمكنه فعل ذلك بشكل تلقائي تقريباً، وكان جون يجلس في العربية المذبذب قرب الأسلحة (مسدّسين آليين وبنديقية بيلي لصيد الغزلان). بعيد عن العين بعيد عن القلب. أو تقريباً. لا يمكنك أن تخسر نفسك بالكامل حتى بينما تكون نائماً، لكن حضور أبرا كبير كفاية ليكون مخيفاً قليلاً. شعر دان أنها إذا بقيت داخل رأسه لمدة طويلة كفاية وهي تبتّ بطاقتها الحالية، سيدجد نفسه قريباً يتسوّق صنادل أنيقة وأكسسوارات مطابقة لها. ناهيك عن الحلم بفتيان فرقة "في هذه الأنحاء".

ساعده أنها أصرّت - في الدقيقة الأخيرة - أن يأخذ هويي، أرنبها المحشو القديم. "سيعطيني شيئاً للتركيز عليه"، قالت، وكلهم غير مُدركين أن سيداً ليس بشرياً تماماً اسمه الدنيوي باري سميث كان ليتفهم ذلك تماماً. فقد تعلمّ الخدعة من الجدّ فليك، واستخدمها مرات عديدة.

ساعده أيضاً أن دايف ستون بقي يروي دفقاً ثابتاً من قصص العائلة، العديد منها لم تسمع به أبرا أبداً من قبل. ومع ذلك، لم يكن دان مُقتنعاً أن أي شيء من هذا كان لينفع لو لم يكن الشخص المسؤول عن إيجادها مريضاً.

"ألا يستطيع الآخرون القيام بعملية تحديد المكان هذه؟"، سألتها.

"السيدة ذات القبعة تستطيع، حتى من النصف الآخر للبلاد، لكنها تُبقي نفسها خارج هذه المسألة". تلك الابتسامة المُقلّقة علت شفّتي أبراً مرة أخرى وكشفت أطراف أسنانها. جعلتها تبدو أكبر سناً من عمرها الحقيقي. "روز خائفة مني".

لم يكن حضور أبراً في ذهن دان متواصلاً. بل كان يشعر بها تختفي بين الحين والآخر عندما تركّز في ذلك الاتجاه الآخر، تصل إلى - بعناية كبيرة - ذلك الذي كان أحقق كفاية ليرتدي قفاز بيسبول برادلي تريفور في يده. قالت إنهم توقّفوا في بلدة تدعى ستاربريدج (كان دان متأكداً تماماً أنها عنّت ستاربريدج) وخرجوا عن الطريق الرئيسي هناك، وراحوا يقودون على الطرقات الثانوية نحو علامة التتبع الساطعة لوعيتها. توقّفوا لاحقاً في مقهى بجانب الطريق ليتناولوا الغداء، غير مستعجلين، يدعون الجزء الأخير من الرحلة يدوم. كانوا يعرفون إلى أين هي ذاهبة الآن، وكانوا مستعدين تماماً تركها تصل إلى هناك، لأن كلاود غاب معزولة. وجدوا أنها تسهّل عليهم عملهم، وهذا أمر ممتاز، لكنه أمر مُرهّف، أشبه بجراحة ليزر تخاطرية.

مرّت لحظة مُقلّقة عندما ملأت صورة إباحية ذهن دان - نوع من جنس جماعي قرب حوض سباحة - لكنها اختفت فوراً تقريباً. افترض أنه حصل على لمحة خاطفة لعقلها الباطن، حيث - إذا كنت تصدّق الدكتور فرويد - تكمن كافة أصناف الصور البدائية. هذا كان افتراضاً سيندم عليه، رغم أنه لن يلوم نفسه أبداً؛ فقد علم نفسه ألا يتطّقل على خصوصيات الأشخاص الحميمية.

أمسك دان عصا قيادة الريف بيدٍ. وكانت اليد الأخرى على الأرنب المحشو الأجرى الموضوع على حُضنه. غابات عميقة، بدأت تلتهب الآن بألوان جدّية، تنساب على الجانبين. على المقعد الأيمن - الذي يسمّى مقعد قاطع التذاكر - كان دايف يهذي، فيُخبر ابنته قصصاً عن عائلتها ويُخرج لها سراً مُخجلاً عنها من وقت لآخر.

"عندما اتصلت أمك صباح البارحة، أخبرتني عن عثورها على صندوق في قبو منزل مومو. مكتوب عليه أليساندرا. أنت تعرفين من هذه، أليس كذلك؟".

"جدّتي ساندي"، قال دان. يا للهول، حتى صوته بدا أرفع. أصغر سناً.

"أنت محقّة. الآن إليك شيئاً قد لا تعرفينه، وإذا كنت لا تعرفينه، فأنت لم تسمعيه مني. صح؟".

"لا يا بابا". شعّر دان بشفتيه تتحنيان إلى أعلى بينما ابتسمت أبراً، على بُعد بضعة كيلومترات، فوق تشكيلتها الحالية من أحرف سكرابل: ج و ح و ض لا.

"جدّتك ساندي تخرّجت من جامعة ولاية نيويورك في ألبني وكانت تدرّس في إعدادية، اتفقنا؟ فيرمونت، ماساتشوستس، أو نيو هامبشاير، نسيث في أي واحدة. استقالت في منتصف

أسابيعها الثمانية. لكنها بقيت في الأرجاء لبرهة، ربما في وظيفة بدوام جزئي، نادلة أو شيء من هذا القبيل، وذهبت بالتأكيد إلى كثير من الحفلات الترفيهية والموسيقية. كانت..."

5

(فتاة نديمة)

هذا جعل أبرا تفكر بالمهوسين بالجنس الثلاثة قرب الحوض، يتبادلون القبل وأشياء أخرى على أنغام موسيقى الديسكو. مقرف. لدى بعض الأشخاص أفكار غريبة جداً عن تفسير المرح والمتعة.

"أبرا؟"، كانت السيدة دين. "إنه دورك يا عزيزتي".

إذا كانت ستستمر في هذا لوقت طويل، سئصاب بانهيار عصبي. كان الأمر ليكون أسهل بكثير لوحدها في المنزل. حتى إنها جعلت الفكرة تعوم إلى أبيها، لكنه رفضها. حتى مع حراسة السيد فريمان لها.

وضعت مربعات أحرف كلمة "حوض" على اللوحة.

"شكراً، أبا-دوفوس، كنتُ ذاهبة إلى هناك"، قالت إيما. أدارت اللوحة وبدأت تدرسها بعينين صغيرتين برّاقتين مركّزتين ستبقيان على هذا المنوال لخمس دقائق أخرى، على الأقل. وربما حتى عشر دقائق. ثم ستكتب كلمة خرقاء كلياً.

عادت أبرا إلى الريف. ما يقوله أبوها كان مثيراً للاهتمام نوعاً ما، رغم أنها تعرف المزيد عنه أكثر مما يظن.

(أبي؟ هل)

6

"أبي؟ هل تسمعيني؟".

"بالتأكيد"، قال دان. احتجبت فقط إلى أخذ استراحة قصيرة لألعب كلمة. "هذا مثير للاهتمام".

"على أي حال، كانت مومو تعيش في مانهاتن في ذلك الوقت، وعندما أتت أليساندرا لزيارتها في يونيو ذاك، كانت حاملاً".

"حاملاً بما؟".

"هذا صحيح يا أبا-دُو".

"إِذَا ماما وُلِدَت خارج إطار الزواج؟".

تفاجؤ كليّ، وربما مُبالغ فيه قليلاً. دان، في موضعه الغريب كمشاركٍ في الحديث ومنتصتٍ عليه في آن، أدرك الآن شيئاً وجده مؤثراً وهزلياً قليلاً: كانت أبراً تعرف تماماً أن أمها طفلة غير شرعية. فقد أخبرتها لوسي ذلك قبل سنة. ما كانت أبراً تفعله الآن، بأسلوب غريب لكن حقيقي، هو حماية براءة أبيها.

"هذا صحيح يا عزيزتي. لكنه ليس جريمة. الأشخاص أحياناً... لا أعرف... يرتكبون. وتنمو فروع غريبة على شجرة العائلة، ولا يوجد سبب لكي لا تعلمي هذا".

"الجدة ساندي ماتت بعد شهرين من ولادة ماما، صح؟ في حادث سيارة".

"هذا صحيح. كانت مومو تجالس لوسي لفترات بعد الظهر، وانتهى بها الأمر أن ربّتها بنفسها. لهذا السبب هما قريبتين من بعضهما إلى هذا الحد، وتقدّم مومو في السنّ ومرضها أثراً بقوة على أمك".

"مَن كان الرجل الذي جعلّ الجدة ساندي حاملاً؟ هل قالت؟".

"هذا سؤال مثير للاهتمام"، قال دايف. "إذا كانت أليساندرا قد باحت بالسر ذات يوم، فإن مومو احتفظت به لنفسها". أشار بإصبعه إلى الممر الذي يخترق الغابة. "انظري يا عزيزتي، نكاد نصل!"

كانا يجتازان لافتةً تقول "منطقة نزاهات كلاود غاب، 3 كلم".

7

قامت جماعة كُرو بتوقف قصير في أنيستون لتعبئة الوينباغو بالوقود، لكن في الشارع الرئيسي السفلي، على بُعد كيلومترين على الأقل من ريتشلاند كورت. بينما غادروا البلدة - الأفعى الآن خلف المقود وهناك فيلم ملحمي يدعى المسكن الجامعي للطالبات في قارئ الأقراص الرقمية - نادى باري جيمي الأرقام ليأتي إلى سريره.

"عليكم زيادة السرعة قليلاً"، قال باري. "كادا يصلان. إنه مكان يدعى كلاود غاب. هل أخبرتكم بذلك؟".

"أجل، أخبرتنا". كاد جيمي يرتّب يد باري، لكنه عدلّ عن ذلك.

"سيفرشان بساط نزاهتهما بلمح البصر. عليكم القبض عليهما وقتها، بينما هما جالسان يأكلان".

"سنفعل ذلك"، وعده جيمي. "وفي الوقت المناسب لنستخرج ما يكفي من بخار لمساعدتك. لا تستطيع روز أن تعترض على ذلك".

"لن تعترض أبداً"، وافقه باري الرأي، "لكن فات الأوان بالنسبة لي. لكن ربما ليس بالنسبة لكم".

"ماذا؟".

"انظر إلى ذراعيك".

نظرَ جيمي، ورأى بُقْعاً أُولَى تُزْهِرُ على البشرة البيضاء الناعمة تحت مرقّيه. الموت الأحمر. جحظت عيناه من رؤيتها.

"يا للهول، ها قد حان الوقت"، قال باري بصوتٍ يئنّ، وفجأة راحت ملابسه تنهار على جسم لم يعد موجوداً. رآه جيمي يبلع ريقه... ثم اختفت حنجرته.

"ابتعد"، قال نَت. "دعني أمرّ".

"حقاً؟ ماذا ستفعل؟ لقد قُضي عليه".

صعد جيمي إلى الأمام وارتدى على مقعد الراكب، الذي كان كُرو قد أخلاه. "اسلك الدرب A-14 حول فرايجر"، قال. "هذا أسرع من المرور في وسط المدينة. سنصل إلى طريق نهر ساكو -".

أشارت الأفعى إلى نظام التموضع العالمي. "لقد برمجت كل هذا. هل تظنني عمياء أو غبية فحسب؟".

بالكاد سمعها جيمي. كل ما يعرفه هو أنه لا يمكنه أن يموت. كان يافعاً جداً لكي يموت، خاصة مع كل تطوّرات الكمبيوتر المذهلة التي تنتظره عند الناصية. وفكرة أن يدور، والألم المبرح كلما عاد...

لا. لا. لا. على الإطلاق. مستحيل.

دخل ضوء بعد الظهر مائلاً عبر النوافذ الأمامية الكبيرة للوينباغو. ضوء شمس الخريف الجميل. الخريف هو فصل السنة المفضّل لدى جيمي، وينوي أن يبقى حياً ويسافر مع العقدة الحقيقية عندما يحلّ الخريف مرة أخرى. ومرة أخرى. ومرة أخرى. لحسن الحظ أنه كان مع المجموعة الصحيحة لإنجاز ذلك. كُرو دادي شخص شجاع، واسع الحيلة، وماكر. وقد شهدت العقدة الحقيقية مواقف صعبة من قبل. سيجعلهم ينجون من هذا الموقف أيضاً.

"انتبهي إلى اللافتة التي تشير إلى منطقة نزوات كلاود غاب. لا تغفلي عنها. يقول باري إنها كادا يصلان".

"جيمي، إنك تسبب لي صداعاً"، قالت الأفعى. "اذهب واجلس. سنصل إلى هناك بعد ساعة، ربما أقل".

"زيتي السرعة"، قال جيمي الأرقام.

كشّرت آندي لدغة الأفعى وفعلت ذلك.

كانوا ينعطفون إلى طريق نهر ساكو عندما دارَ باري الصّدع، تاركاً ملابسه فقط. كانوا لا يزالون يشعرون بالحر من الحمى التي حمّصته.

8

(باري مات)

لم يكن هناك رعب في هذه الفكرة عندما وصلت إلى دان. ولا حتى ذرّة شفقة. فقط رضى. قد تبدو أبراً ستون فتاة أميركية عادية، أجمل من بعضهن وأكثر إشراقاً من معظمهن، لكن عندما تغوص تحت السطح - وليس إلى مسافة عميقة أيضاً - ستجد امرأة فايكنغ يافعة ذات روح شرسة ومتعطّشة للدم. شعر دان أنه من المؤسف أنه ليس لديها إخوة وأخوات. كانت ستحميهم بحياتها.

بدّل دان الريف إلى أدنى ترسٍ بينما خرج القطار من الغابة العميقة ونزل طريقاً منخفضاً مسوّراً. تحتهم، برّق ساكو بلون الذهب الساطع في الشمس الغاربة. كانت الغابة، المنحدرة نزولاً بشكل حادّ إلى الماء على الجانبين، عبارة عن نار برتقالية وحمراء وصفراء وأرجوانية مُضرّمة في الهواء الطلق. وفوقهم، بدت السُحب المنتفخة قريبة بما فيه الكفاية لكي يلمسوها.

توقف عند اللافتة التي تقول "محطة كلاود غاب" في سلسلة فرامل هوائية، ثم أوقف المحرّك الديزل. بقي للحظة لا يعرف ماذا يقول، لكن أبراً قالت له، باستخدام فمه. "شكراً لسماحك لي أن أقود يا بابا. دعنا الآن نستولي على غنيمتنا". في غرفة استجمام عائلة دين، شكّلت أبراً هذه الكلمة للتو. "أقصد نزهتنا".

"لا يمكنني أن أصدّق أنك جائعة بعد كل الذي أكلته في القطار"، قال دايف مازحاً.

"لكنني جائعة. ألسنت مسروراً أنني لا أعاني من فقدان الشهية؟".

"نعم"، قال دايف. "في الواقع، بلى".

رأى دان جون دالتون من طرف عينه يجتاز منطقة النزوات برأس مُخفض وقدمين صامتين على نثار الصنوبر السميك. كان يحمل مسدساً في يده وبندقية بيلى فريمان في الأخرى.

الأشجار تحيط مرأب السيارات؛ بعد التفاتة واحدة إلى الوراء، اختفى جون فيه. خلال الصيف، سيكون المرأب الصغير مزدحماً وكل طاولات النزهة ممتلئة. لكن بعد ظهر يوم الأسبوع هذا في أواخر سبتمبر، كانت كلاود غاب فارغة بالكامل ما عدا منهم.

نظرَ دايف إلى دان. أوما دان برأسه. ثم تبع والد أبراً جون إلى الغابة.

"المكان جميل جداً هنا يا بابا"، قال دان. كانت راكبته غير المرئية تتكلم الآن إلى هويبي، لأن هويبي هو الوحيد المتبقي. وضع دان الأرنب الكثير الكتل والأصلع والأعور على إحدى طاولات النزهة، ثم عاد إلى عربة الركاب الأولى ليحضر سلة النزهة المصنوعة من أماليد مجدولة. "لا بأس"، قال للمكان الفارغ، "يمكنني إحضارها يا بابا".

9

في غرفة استجمام عائلة دين، دفعت أبراً كرسيها إلى الخلف ونهضت. "عليّ أن أذهب إلى الحمام مرة أخرى. أشعر بالغثيان في معدتي. وبعد ذلك، أعتقد أنه من الأفضل لي أن أعود إلى المنزل".

قلبت إيما عينيها، لكن السيدة دين كانت متعاطفة. "أه يا عزيزتي، لقد أتتكَ تعرفين-ماذا؟".

"نعم، وهي سيئة جداً".

"هل معك الأشياء التي تحتاجين إليها؟".

"في حقيبة ظهري. سأكون بخير. اعدراني".

"هذا صحيح"، قالت إيما، "انسحبي بينما تفوزين".

"إيم ما!، صاحت أمها.

"لا بأس يا سيدة دين. لقد هرمتني بكلمة حسان". صعدت أبراً الدرجات وهي تضغط يدها على معدتها بطريقة أملت أنها لم تبدُ مزيفةً جداً. ألقت نظرة سريعة على الخارج مرة أخرى، رأت شاحنة السيد فريمان، لكنها لم تتكبدّ عناء تأدية حركة الإبهام هذه المرة. بعدما أصبحت في الحمام، أفلتت الباب وجلست على غطاء المرحاض المغلق. شعرت بارتياح كبير من زوال الحاجة إلى التنقل بين عدة شخصيات مختلفة. لقد مات باري؛ إيما وأمها في الطابق السفلي؛ ولا يوجد الآن سوى أبراً في هذا الحمام وأبراً في كلاود غاب. أغمضت عينيها.

(دان)

(أنا هنا)

(لم تعد مضطراً أن تدعي أنك أنا)

شعرت بارتياحه وابتسمت. لقد بذل العمّ دان جهداً، لكنه لم يكن مؤهلاً أن يكون فتاةً جميلةً.

قرع متردّد خفيف على الباب. "حبيبتي؟". إيما. "هل أنت بخير؟ أسفة إن كنت لئيمةً".

"أنا بخير، لكنني سأعود إلى المنزل وأتناول حبة موترين وأستلقي".

"اعتقدت أنك ستبنتين هنا".

"سأكون بخير".

"ألم يغادر أبوك؟".

"سأقفل الأبواب إلى أن يعود".

"حسناً... تريدني أن أسير معك؟".

"لا بأس".

أرادت أن تكون لوحدها لكي تتمكن من الابتهاج عندما يقضي دان وأبوها والدكتور جون على تلك الأشياء. سيبتهجون هم أيضاً. الآن وقد مات باري، أصبح الآخرون عمياناً. لا شيء يمكن أن يسوء.

10

لم يكن هناك نسيم لخشخشة الأوراق الهشة، ومع إيقاف تشغيل الريف، أصبحت منطقة النزاهات في كلاود غاب هادئة جداً. كانت هناك فقط المحادثة المكتومة للنهر تحتهم، زعيق غراب، وصوت محرك يقترب. إنهم هم. الذين أرسلتهم المرأة ذات القبعة. روز. فتح دان أحد طرفي سلة النزهة، مدّ يده إلى داخلها، وأمسك المسدّس غلوك. 22 الذي زوّده به بيلى - من مصدر لم يعرفه دان أو يهّمه معرفته. ما يهّمه هو أنه يمكنه إطلاق خمس عشرة طلقة دون الحاجة إلى إعادة حشوه، وإذا لم تكن خمس عشرة طلقة كافيةً، فبانظاره عالم من الأذى. عاد له شبح ذكرى أبيه، جاك تورانس بيتسم ابتسامته الصفراء الفاتنة ويقول، إذا لم ينفع هذا، لا أعرف ماذا أقول لك. نظر دان إلى لعبة أبرام المحشوة القديمة.

"جاهز يا هوبي؟ أمل لذا. أمل أن يكون كلانا جاهزاً".

11

كان بيلى فريمان مترهلاً خلف مقود شاحنته، لكنه استوى جالساً على عجل عندما خرّجت أبرام من منزل عائلة دين. وقفت صديقتها - إيما - عند المدخل. تودّعت الفتاتان، صافعتان راحتي

يديهما ببعضهما فوق رأسيهما أولاً ثم تحت خصرهما. شرعت أبراً تعود إلى منزلها، الواقع في الجانب المقابل للشارع نزولاً مسافة أربعة أبواب. هذا ليس في الخطة، وعندما أَلقت نظرة سريعة عليه، رفع يديه في إيماءة تقول ماذا يجري.

ابتسمت وأدّت له حركة إبهام سريعة أخرى. تعتقد أن كل شيء على ما يرام، فهم هذا بوضوح تام، لكن رؤيتها في الخارج ولوحدها أقلق بيّلي، حتى ولو كان المنحرفون على بُعد ثلاثين كيلومتراً جنوبي هنا. كانت شخصاً شديد البأس، وربما تعرف ما الذي فعله، لكنها أيضاً في الثالثة عشرة من عمرها فقط.

بينما راح يراقبها تصعد الممر الخاص إلى منزلها، الحقيبة على ظهرها وتفتّش عن مفتاحها في جيبها، مالَ بيّلي وضغط زر صندوق قفازه. كان مسدّسه غلوك 22 داخله. لقد استأجروا المسدّسات من رجل كان عضواً متقاعداً من مجموعة "حرّاس الطريق"، فرع نيو هامبشاير. قاد بيّلي درّاجته معهم في شبابه أحياناً لكنه لم ينضم إليهم أبداً. كان مسروراً بالإجمال، لكنه فهم عنصر الجاذبية. الصداقة الحميمة. افتراض أن هذا ما شعر به دان وجون تجاه الشراب.

دخلت أبراً منزلها وأغلقت الباب. لم يُخرج بيّلي مسدّسه الغلوك أو هاتفه الخليوي من صندوق القفاز - ليس بعد - لكنه لم يُغلق الصندوق أيضاً. لم يعرف إذا كان هذا بسبب ما سمّاه دان البريق، لكن انتابه شعور سيئ بشأن هذا. كان على أبراً أن تبقى مع صديقتها.

كان عليها أن تلتزم بالخطة.

12

يقودون عربات تخييم ومركبات وينباغو، قالت أبراً، ومركبة وينباغو هي التي ركنت في مرأب السيارات حيث ينتهي طريق خدمة كلاود غاب. جلس دان يراقب واضعاً يده في سلة النزهة. الآن وقد حان الوقت، شعر بهدوء كافٍ. أدار السلة بحيث واجه أحد طرفيها سيارة العيش الواصلة حديثاً ونقف زر أمان الغلوك بإبهامه. فُتح باب الوينباغو ونزل منها القادمون لاخطاف أبراً، الواحد تلو الآخر.

كانت قد قالت أيضاً إن لديهم أسماءً مضحكةً - أسماء قراصنة - لكنهم بدوا أشخاصاً عاديين لدان. الرجال من الصنف الذي شارف على أن يصبح مسنّاً الذي تراه دائماً يُخرج ريحاً في عربات التخييم وسيارات العيش؛ والمرأة يافعة ووسيمة بطريقة ذكّرت بالمشجّعات اللواتي يحافظن على رشاقتهن حتى بعد عشر سنوات من تخرّجهن من الثانوية، وربما حتى بعد إنجابهن ولدأ أو ولدين. كان يمكنها أن تكون ابنة أحد الرجال. شعر بلحظة ارتياب. فهذا المكان، في النهاية، بقعة للسوّاح، وقد بدأ موسم مصوّري أوراق الشجر في نيو إنغلاند. أمل ألا يُطلق جون ودايفد النار؛ سيكون أمراً رهيباً إن اكتشفوا أنهم مجرد أبرياء -

ثم رأى الأفعى المجلجلة بأنيابها الكبيرة على الذراع اليسرى للمرأة، والمحقنة في يدها اليمنى. الرجل الذي بجانبها يحمل محقنة أخرى. والرجل في الطليعة يحمل ما بدا مسدساً في حزامه. توقفوا عند البتولا التي تزين مدخل منطقة النزاهات. الرجل الذي في الطليعة أزال أي وهم ربما كان لدى دان بسحبه مسدسه. لا يشبه مسدساً عادياً. كان رفيعاً جداً ليكون مسدساً عادياً.

"أين الفتاة؟"

بواسطة اليد غير الموضوعه في سلة النزاهة، أشار دان إلى هويي الأرنب المحشو. "هذا أقرب ما ستصلون إليه".

كان الرجل ذو المسدس المضحك قصيراً، مع سُرْبَة شعر فوق وجهه محاسب دمث، ومعدة مُغذّاة جيداً فوق حزام. كان يرتدي سروالاً من قماش التشينو وقميصاً تائياً يقول السماوات لا تخضع من عمر الرجل الساعات التي يمضيها في صيد السمك.

"لديّ سؤال لك يا عزيزي"، قالت المرأة.

رفع دان حاجبي عينيه. "تفضلي".

"ألسنتُ مُتعباً؟ ألا تريد أن تنام؟"

بلى. فجأة أصبح جفناه ثقيلين مثل أثقال نافذة بإطارين منزلقين. بدأت اليد التي تحمل المسدس تسترخي. سينهار بعد ثانيتين ويبدأ الشخير مُلقياً رأسه على سطح طاولة النزاهة المحفورة عليها الأحرف الأولى. لكن أبراً صرّخت في تلك اللحظة بالذات.

(أين كُرو؟ لا أرى كُرو!)

13

ارتعش دان مثلما يفعل الرجل عندما يجفل بقوة وهو على حافة النوم. تشنّجت اليد في سلة النزاهة، انطلقت رصاصة من الغلوك، وتطايرت سحابة من قش السلة. أصابت الرصاصة الهواء لكن رگاب الوينباغو جفلوا، وزال النعاس من رأس دان مثل الوهم الذي كان عليه. تراجعت المرأة ذات وشم الأفعى والرجل ذو عُرّة الشعر الأبيض التي تشبه الفُشار إلى الخلف، لكن الرجل الذي يحمل المسدس الغريب اندفع إلى الأمام وهو يصيح "أمسكوه! أمسكوه!".

"أمسكوا هذا، أيها الخاطفون اللعينون!"، صرخ دايف ستون وهو يخرج من الغابة وبدأ يرشّ الرصاصات. أصاب معظمها الهواء، لكن إحداها أصابت نَت في عنقه فسقط طبيب العقدة الحقيقية على نثار الصنوبر، ووقعت الحقنة من أصابعه.

14

زعامة العفدة الحقيقية مسألة لها مسؤولياتها، لكن لها ميزاتها أيضاً. إحداها هي إيرثكروزر روز الهائلة، المستوردة من استراليا بكلفة باهظة ثم المحولة إلى عربة بمقود على اليسار. وميزة أخرى هي حصولها على غرفة الاستحمام في مخيم بلوبل لها وحدها كلما أرادت ذلك. بعد أشهر على الطريق، لم يكن هناك شيء يضاهي دُشاً ساخناً طويلاً في غرفة مبلّطة كبيرة يمكنك بسط ذراعيك فيها بالكامل أو حتى الرقص فيها، إذا غمرتك الرغبة بذلك. غرفة لا ينفد فيها الماء الساخن بعد أربع دقائق.

تحبّ روز أن تطفئ الأضواء وتأخذ الدُش في الظلمة. وجدت أن هذه هي أفضل طريقة لها للتفكير، ولهذا السبب فقط توجّهت إلى الدُش فوراً بعد تلقيها المكالمات الهاتفية الخلوية المقلقة عند الواحدة بعد الظهر، في توقيت المنطقة الجبلية. لا تزال مقتنعة أن كل شيء على ما يرام، لكن بدأت بضعة شكوك تتبرعم فيها، مثل هندباء على مرّجة كانت جرداء سابقاً. إذا كانت الفتاة حتى أذكى مما اعتقدوا... أو إذا استعانت ببعض المساعدة...

لا. غير معقول. كانت صاحبة بخار بالتأكيد - ملكة أصحاب البخار - لكنها لا تزال ولداً فقط. ولداً دنوبيّاً. على كل حال، كل ما يمكن أن تفعله روز في الوقت الحاضر هو انتظار التطوّرات.

بعد خمس عشرة دقيقة منعشة، خرّجت، جفّفت نفسها، لفت جسمها بمنشفة حمّام زغبية، وتوجّهت عائدةً إلى سيارة عيشها وهي تحمل ملابسها. كان إيدي القصير ومو الضخمة ينظفان منطقة الشواء في الهواء الطلق بعد غداء فاخر آخر. ليس عبيهما أن لا أحد شعر برغبة كبيرة في تناول الطعام، بعد ظهور تلك البقع الحمراء اللعينة على اثنين إضافيين منهم. لوّحا لها بيديهما. كانت روز ترفع يدها بالمقابل عندما انفجرت حزمة ديناميت في رأسها. تطوّحت يميناً ويساراً، موقعةً بنطلونها وقميصها من يدها. سقطت منشفة حمّامها.

بالكاد لاحظت روز. شيء ما حصل لفريق الإغارة. مكروه. راحت تفتش عن هاتفها الخلوي في جيب سروالها الجينز المتجعد حالماً بدأ ذهنها يصفى. لم يصدق أن تمتت أبدأً في حياتها بهذه القوة (وبهذه المرارة) لو كان كُرو دادي قادراً على التخاطر البعيد المسافة، لكن يبدو - مع بعض الاستثناءات القليلة، هي مثلاً - أن هذه الميزة تقتصر فقط على الدنوبيين ذوي البخار مثل الفتاة في نيو هامبشاير.

كان إيدي ومو يركضان نحوها. وخلفهما أتى پول الطويل، ساراي الصامتة، تشارلي التأشيرة، وسام القيثارة. ضغطت روز زر الطلب السريع على هاتفها. على بُعد ألفي كيلومتر، ردّ هاتف كُرو بعد نصف رنة فقط.

"مرحباً، لقد اتصلت بهنري روثمان. لا يمكنني أن أردّ عليك الآن، لكن إذا تركت رقمك ورسالة موجزة -"

البريد الصوتي اللعين. هذا يعني أن هاتفه إما مُطفأ أو خارج الخدمة. أمّلت روز أن يكون الخيار الثاني. عارية وعلى رُكبتَيها في التربة، وكعباها يحفران في الجهتين الخلفيتين لفخذَيها،

ضربت روز وسط جبهتها بيدها التي لا تحمل هاتفها الخلوي.

كُرو، أين أنت؟ ماذا تفعل؟ ماذا يجري؟

15

أطلق الرجل الذي يرتدي سروال قماش التشينو والقميص التائي النار على دان من مسدّسه الغريب. سُمعت نفثة هواء مضغوط صاخبة، وأصاب سهمٌ قصيرٌ مريئٌ ظهر هويي فجأة. رفع دان مسدّسه من بقايا سلة النزهة وأطلق النار مرة أخرى. أصابت الرصاصة الرجل الذي يرتدي سروال قماش التشينو في صدره وأسقطته أرضاً إلى الورا، وهو ينخر، وتطايرت قطرات نحيلة من الدم من الجهة الخلفية لقميصه.

كانت آندي شتاينر آخر شخص بقي واقفاً. استدارت، رأت دايف ستون مجمّداً هناك مذهولاً، فهجمت عليه مُمسكةً إبرتها في قبضتها مثل خنجر. راح ذيل حصانها يلوح مثل رقاص. كانت تصرخ. بدا كل شيء لدان وكأنه تباطأ وازداد وضوحاً. تسنّى له الوقت ليرى أن الغطاء البلاستيكي الحامي لا يزال موضوعاً على رأس الإبرة وتساءل، أي نوع من المهرّجين هؤلاء الناس؟ الجواب، بالطبع، هو أنهم ليسوا مهرّجين أبداً. إنهم صيادون غير معتادين بالكامل على أن تقاومهم فريستهم. لكن بالطبع الأولاد هم أهدافهم الاعتيادية، وأولاد غير مرتابين تحديداً.

اكتفى دايف بالتحديق في الوحش الذي يعوي القادم نحوه. ربما لم تعد معه رصاصات؛ المرجح أن اندفاعاً واحدة هي حدوده القصوى. رفع دان مسدّسه لكنه لم يُطلق النار. فالاحتمال كبير جداً ألا يصيب السيدة الموشومة ويصيب والد أبرا بدلاً منها.

عندها ركض جون إلى خارج الغابة وارتطم بظهر دايف فدفعه إلى الأمام نحو المرأة المهاجمة. سُحبت صرخاتها (حنق؟ رعب؟) منها في هبة هواء عنيفة. سقط كلاهما أرضاً. طارت الإبرة. بينما راحت امرأة الوشم تبحث عنها على يديها ورُكبتيها، وجّه جون مقبض بندقيته ببلي للغزلان نحو صدغها. كانت ضربة معرّزة بالأدريالين وبكل قوته الممكنة. سُمع صوت انسحاق عند انكسار حنكها. انفتلت ملامحها إلى اليسار، وجحظت عينٌ من محجرها في توهج جافل. انبطحت أرضاً وتشقّلت على ظهرها. تقاطر الدم من زوايا فمها. انقبضت يداها وانفتحتا، انقبضتا وانفتحتا.

رمى جون البندقية واستدار إلى دان مكروباً. "لم أقصد أن أضربها بهذه القوة! يا إلهي، كنتُ خائفاً جداً فحسب!"

"انظر إلى الرجل ذي الشعر الأجد"، قال دان. نهض على رجلين بدتا طويلتين جداً وغير موجودتين. "انظر إليه يا جون".

نظرَ جون. كان وولنت مستلقياً في بركة دم، وإحدى يديه تقبض على عنقه الممزَّق. كان يدور بسرعة. هبطت ملابسه، ثم انتفخت. اختفى الدم الذي كان ينساب بين أصابعه، ثم عاود الظهور من جديد. الأصابع نفسها كانت تفعل الشيء نفسه. لقد أصبح الرجل صورة أشعة سينية مجنونة.

تراجَع جون إلى الورا مُلصقاً يديه بفمه وأنفه. لا يزال دان يشعر بذلك البطء والوضوح المثالي. كان هناك وقت ليرى دم امرأة الوشم وكتلة من شعرها الأشقر يظهر ويختفي أيضاً على سناد مضخة ريمغتون. ذكَّره هذا بطريقة تلويح ذيل حصانها ذهاباً وإياباً عندما

(دان أين كُرو أين كُرو؟؟؟)

ركضت نحو والد أبرأ. لقد أخبرتهم أن باري كان يدور. الآن فهم دان ماذا عَنت.

"الرجل ذو قميص صيد السمك يفعل ذلك أيضاً"، قال دايف ستون. بدا صوته متزعزِعاً قليلاً فقط، وخمَّن دان أنه عَرَف من أين أتت بعض أعصاب إبنته الفولاذية. لكن لم يكن لديه وقت ليفكر بذلك الآن. كانت أبرأ تُخبره أنهم لم يقضوا على كل الطاقم.

ركض بسرعة إلى الوينباغو. لا يزال الباب مفتوحاً. صعد الدرجات بسرعة، رمى نفسه على الأرضية المكسوة بالسجاد، وتمكَّن من أن يضرب رأسه بقوة كافية بالعمود الذي تحت طاولة الطعام لكي تتراقص بقع ساطعة في مجال بصره. هذا لا يحصل أبداً بهذه الطريقة في الأفلام، فكَر في سرِّه، وتشقَّب متوقِعاً أن يتلقى رصاصة أو يُداس عليه أو يُحَقَّن من قِبَل الشخص الذي بقي في الخلف ليحمي المؤخرة. الشخص الذي سمَّته أبرأ كُرو. بدا له أنهم ليسوا أغبياء كلياً في النهاية.

كانت الوينباغو فارغة.

بدت فارغة.

نهض دان إلى قدميه وأسرع إلى المطبخ الصغير. مرَّ بجانب سرير قابل للطي، مُجَعَّد من الاستخدام المتكرر. لاحظ جزءاً من ذهنه أن سيارة العيش تعبق برائحة غضب السماوات رغم أن مكيف الهواء لا يزال يعمل. كانت هناك خزانة، لكن بابها مفتوح ولم ير شيئاً داخلها سوى ملابس. انحنى بحثاً عن أقدام. لا أقدام. ذهب إلى الجهة الخلفية للوينباغو ووقَّف بجانب باب الحمام.

فَكَر المزيد من هُراء الأفلام، وفتحته وهو يربض أثناء فعله ذلك. كان حمام الوينباغو فارغاً، ولم يتفاجأ. فلو حاول أي شخص الاختباء هناك، لكان قد مات الآن. الرائحة لوحدها كانت ستقتله.

(ربما مات أحدهم هنا ربما كُرو ذاك)

عادت أبرأ فوراً، مذعورة بالكامل، وراحت تبتُّ بقوة لدرجة أنها شتت أفكاره.

(لا باري هو الذي مات أين كُرو جد كُرو)

خرج دان من سيارة العيش. زال الرجلان اللذان كانا يلاحقان أبراهام؛ لم يبق سوى ملابسهما. المرأة - التي حاولت تنويمه - لا تزال هناك، لكنها لن تدوم طويلاً. لقد زحفت إلى طاولة النزهة الموضوعية عليها السلّة المتأنفة وهي تجلس الآن على أحد المقاعد، تحقّق في دان وجون ودايف بوجهها المعقوف حديثاً. سال الدم من أنفها وفمها، مما أعطاهما لحية صغيرة حمراء. كانت الجهة الأمامية لبلوزتها مبلّلة بالكامل. عندما اقترب دان منها، ذابت بشرتها عن وجهها وهبطت ملابسها على هيكلها العظمي. لم يعد كتفاها يدعمان أربطة حمّالة صدرها فهبطت منكورة. من بين كل أعضائها الطرية، فقط عيناها بقيتا، وراحتا تراقبان دان. ثم أعادت بشرتها نسج نفسها وانتفخت ملابسها حول جسمها. عضت أربطة حمّالة صدرها الهابطة القسم العلوي من ذراعيها، وكَمَّ الرباط على اليسار الأفعى المجلجلة بحيث لم تعد قادرة أن تلدغ. نمت يدٌ على عظام الأصابع التي تُمسك الفكّ المحطّم.

"لقد قضيتَ علينا"، قالت آندي لدغة الأفعى. كان صوتها غير واضح. "قضت علينا مجموعة أشخاص دنيويين. لا أصدّق".

أشار دان إلى دايف. "هذا الشخص الدنيوي هو والد الفتاة التي أتيتم لخطفها. فقط في حال كنتِ تتساءلين".

رسمت الأفعى ابتسامة مؤلمة. كانت أسنانها ملطّخة بالدم. "تعتقد أنني أهتمّ ولو قليلاً؟ بالنسبة لي هو مجرد عضو تناسلي متأرجح آخر. لا أحد منكم يهتمّ أين يضعه. رجال لعينون. عليكم أن تفوزوا، أليس كذلك؟ دائماً عليكم أن تف -"

"أين الآخر؟ أين كُرو؟"

سعلت آندي. تدفّق الدم من زوايا فمها. كانت ضائعة ذات يوم، ثم عُثر عليها. في صالة سينما مظلمة عثرت عليها زعيمة ذات شعر داكن أشبه بسحابة رعدية. هي تموت الآن، ولم تكن لتغيّر أي شيء. كانت السنوات بين الرئيس الممثل السابق والرئيس الأسود جيدة؛ تلك الليلة الساحرة مع روز كانت أفضل حتى. ابتسمت بشكل ساطع للوسيم الطويل. الابتسام يؤلمها، لكنها ابتسمت، على أي حال.

"أه، كُرو. إنه في رينو. يضاجع فتيات الاستعراض الدنيويات".

بدأت تختفي مرة أخرى. سمع دان جون دالتون يهمس، "يا إلهي، انظر إلى هذا. نزييف الدماغ. يمكنني رؤيته حقاً".

انتظر دان ليرى إن كانت امرأة الوشم ستعود. عادت في نهاية المطاف، مع تأوه طويل بين أسنانها المُطبّقة بإحكام والدموية. بدا له أن الدوران مؤلم حتى أكثر من الضربة التي سببته، لكن دان شعر أنه يستطيع مداواة ذلك. أبعَد يد امرأة الوشم عن فكّها المحطّم وغرس أصابعه. أمكنه

الشعور بجمجمتها تتحرك من مكانها عندما فعل ذلك؛ كان ذلك أشبه بدفع مزهرية مكسورة بشكل سيئ متماسكة بفضل بضعة أشرطة لاصقة. أصدرت امرأة الوشم أكثر من تأوه هذه المرة. راحت تعوي وضربته بيدها بضعف، لكن دان لم يكثرث.

"أين كُرو؟"

"أنيستون!"، صرخت الأفعى. "نزل في أنيستون! رجاء لا تؤذني أكثر يا بابا! رجاء لا، سأفعل أي شيء تريده!"

تذكر دان ما قالته أبرا عما فعله أولئك الوحوش ببراد تريفور في أيوا، كيف عذبوه وكثيرين غيره، وشعر برغبة قوية ليمزق النصف السفلي لوجه هذه السافلة القاتلة. ليضرب جمجمتها المحطمة النازفة بعظمة فكها إلى أن تختفي الجمجمة والعظمة معاً.

ثم - وبشكل سخي، نظراً للظروف - تذكر الولد في قميص برايقز التائي يمدّ يديه نحو بقايا الكوكابين المكوّمة على غلاف المجلة اللامع. حنوى، قال. هذه المرأة لا تشبه ذلك الولد بشيء، بأي شيء، لكن إخبار نفسه هذا لم ينفعه. فقد زال غضبه فجأة، وتركه يشعر بالغثيان والضعف والفراغ.

لا تؤذني أكثر يا بابا.

نهض، مسح يده بقميصه، وسار ألياً نحو الريف.

(أبرا هل تسمعيني)

(نعم)

لم تكن مذعورة جداً الآن، وهذا جيد.

(عليك جعل والدك صديقك تتصل بالشرطة وتُخبرهم أنك في خطر كُرو في أنيستون)

إقحام الشرطة في مسألة غير طبيعية، بالحد الأدنى، هو آخر شيء يريده دان، لكنه لم ير أي خيار آخر في هذه اللحظة.

(لست)

قبل أن تتمكن من إنهاء جملتها، حُجبت فكرتها بزعيق عنيف لغضبٍ أنثوي.

(أيتها الحقيرة الصغيرة)

فجأة كانت المرأة ذات القبعة في ذهن دان مرة أخرى، هذه المرة ليس جزءاً من حلم بل خلف عيني يقطته، صورتها تحرقه: مخلوقة ذات جمال فظيع كانت عارية الآن، وشعرها الرطب

على كتفها في لفائف مثل ميدوسا. ثم تتأبف فمها وزال الجمال. لم يبق هناك سوى ثقب داكن ذو سن نائى واحد بلا لون. نابٌ تقريباً.

(ماذا فعلت)

ترنح دان ووضع يده على عربة ركاب الريف الأولى ليمنع نفسه من السقوط. كان العالم داخل رأسه يدور. اختفت المرأة ذات القبعة وتجمهر حوله فجأة حشدٌ وجوه قلقة. كانوا يسألون إن كان بخير.

تذكر أبراً تحاول أن تشرح له كيف شعرت أن العالم يدور عندما اكتشفت صورة بُراد تريفور في متسوق أنيستون؛ كيف وجدت أبراً نفسها فجأة تنظر عبر عيني المرأة ذات القبعة وكيف كانت المرأة ذات القبعة تنظر عبر عينيها. الآن فهم. كان هذا يحصل مرة أخرى، وهذه المرة كان مستعداً للنزهة.

كانت روز على الأرض. يمكنه رؤية رقعة عريضة من سماء المساء فوقها. لا شك أن الأشخاص المحتشدين حولها كانوا قبيلة قتلة الأولاد. هذا ما كانت أبراً تراه.

السؤال هو، ماذا كانت روز ترى؟

16

دارت الأفعى ثم عادت. هذا يحرق. نظرت إلى الرجل الراكع أمامها.

"هل هناك شيء يمكنني أن أفعله لك؟"، سأل جون. "أنا طبيب".

رغم الألم، ضحكت الأفعى. هذا الطبيب، الذي ينتمي إلى الرجال الذين قتلوا طبيب العقدة الحقيقية، يعرض عليها المساعدة الآن. ماذا سيقول أبقراط عن هذا؟ "ضع رصاصة في أيها الخسيس. هذا هو الشيء الوحيد الذي يخطر ببالي".

الوغد الذي أطلق النار على وولنت انضم إلى الذي قال إنه طبيب. "أنت تستحقين هذا"، قال دايف. "هل تعتقدين أنني كنتُ سأدعكم تأخذون إبنتي؟ تعذبونها وتقتلونها مثلما فعلتم بذلك الفتى الصغير المسكين في أيوا؟".

يعرفون ذلك؟ كيف يُعقل؟ لكن هذا لا يهم الآن، على الأقل ليس لأندي. "قومك يذبحون أبقاراً وخرافاً. هل ما نفعله يختلف بشيء؟".

"برأيي المتواضع، قتل البشر يختلف كثيراً"، قال جون. "اعتبريني ساذجاً وعاطفياً".

كان فم الأفعى مليئاً بالدم وبعض الأشياء النتنة الكثيرة الكتل. أسنان على الأرجح. هذا لا يهّم أيضاً. في النهاية، هذا قد يكون رحوماً أكثر مما تعرّض له باري. وسيكون أسرع بالطبع. لكن هناك شيء واحد يجب تقويمه. فقط لكي يعرفوا. "نحن البشر. أما صنفكم فهو... مجرد أشخاص دنيويون".

ابتسم دايف، لكن عينيّه كانتا حادثتين. "ومع ذلك أنتِ التي تجلس على الأرض والأوساخ في شعرك والدم يملأ كل قميصك. أمل أن يكون الجحيم حاراً كفاية لك".

شعرت الأفعى باقتراب الدورة التالية. قد تكون الأخيرة مع بعض الحظ، لكنها تمسّكت الآن بشكلها الجسدي. "أنت لا تفهم كيف كان الوضع معي. سابقاً. أو كيف كان معنا. نحن قلّة فقط، ونحن مريضون. لدينا -"

"أعرف ماذا لديكم"، قال دايف. "الحصبة اللعينة. أمل أن تعفّن عقدتكم الحقيقة البائسة بأكملها من الداخل إلى الخارج".

قالت الأفعى، "لم نختر أن نكون ما نحن عليه مثلكم تماماً. لو كنتم مكاننا، لكنتم فعلتم الشيء نفسه".

هزّ جون رأسه ببطء من جهة إلى أخرى. "أبدأ. أبدأ".

بدأت الأفعى تدور. لكنها تمكّنت من نطق أربع كلمات إضافية. "رجال لعينون". لهاث أخير بينما حدّقت فيهم بوجهها المختفي. "دنيويون لعينون".

ثم اختفت.

17

سار دان إلى جون ودايف ببطء وحذر، واضعاً يده على عدد من طاوولات النزهة ليحافظ على توازنه. كان قد رَفَع أرنب أبرام المحشو دون حتى أن يُدرك ذلك. كان ذهنه يصفى، لكن هذا سيف ذو حدّين.

"يجب أن نعود إلى أنيستون، وبسرعة. لا يمكنني التواصل مع بيلي. كنتُ قادراً من قبل، لكنه اختفى الآن".

"أبرا؟"، سأل دايف. "ماذا بشأن أبرام؟".

لم يرغب دان أن ينظر إليه - كان وجه دايف أبيض من الخوف - لكنه أجبر نفسه على فعل ذلك. "اختفت أيضاً. وكذلك المرأة ذات القبعة. لقد انسحبتا من المزيج".

"ماذا يعني هذا؟"، قال دايف وهو يُمسك قميص دان بكِلْتِي يديه. "ماذا يعني هذا؟".

"لا أعرف".

هذه هي الحقيقة، لكنه كان خائفاً.

الفصل 14

كُرو

1

رافقتني يا دادي، قال باري الصّدع. اقترب.

هذا كان مباشرة بعد تشغيل الأفعى أول الأقراص الرقمية الإباحية. رافقَ كُرو باري، وحتى أمسك له يده بينما تقدّم الرجل المُحتضِر بصعوبة في دورته التالية. وعندما عاد...

اسمعي. كانت تراقبنا. فقط عندما بدأ الفيلم الإباحي...

الشرح لشخص لا يملك موهبة التعقّب هو شيء صعب، خاصة عندما يكون الشخص الذي يتكلّم مريضاً على نحو قاتل، لكن كُرو استوعب جوهر المسألة. اللاهون المتضاجعون قرب الحوض صدموا الفتاة، تماماً مثلما أمّلت روز، لكنهم أفادوهم أكثر من جعلها تتوقف عن التجسّس عليهم. فقد بدا للحظة أو لحظتين أن شعور باري بمكانها تضاعف. كانت لا تزال على متن القطار الصغير مع أبيها، ذاهبان إلى حيث يريدان إقامة نزهتهما، لكن صدمتها أنتجت صورة شبحية بدت غير منطقية. كانت فيها داخل حمّام، تبوّل.

"ربما كنت ترى ذكرى"، قال كُرو. "هل هذا ممكن؟".

"أجل"، قال باري. "يتذكّر الدنيويون كل أصناف الهُراء المجنون. هذا لا شيء ربما. لكن لدقيقة كان كما لو أنها توأم، هل فهمتني؟".

لم يفهمه كُرو، تماماً، لكنه أوّماً برأسه.

"فقط إذا لم يكن الأمر كذلك، ربما تمارس علينا خدعةً ما. أعطني الخريطة".

يملك جيمي الأرقام خريطة كل نيو هامبشاير في كمبيوتره المحمول. عرضها كُرو أمام

باري.

"إليك مكانها"، قال باري وهو يضغط على الشاشة. "في طريقها إلى كلاود غلان هذا مع أبيها".

"غاب"، قال كُرو. "كلاود غاب".

"أياً يكن إسمه اللعين". نقل باري إصبعه شمالاً شرقاً. "ومن هنا جاءت الومضة الشبحية".

أخذ كُرو الكمبيوتر المحمول ونظر عبر نقطة العرق الملوثة التي خلفها باري على الشاشة. "أنيستون؟ هذا هو مسقط رأسها يا باري. الأرجح أنها تركت أثراً نفسياً من نفسها فيها كلها. مثل قشور بشرة مينة".

"بالتأكيد. ذكريات. أحلام يقظة. كل أصناف الهراء المجنون. ما قلته".

"وقد زال الآن".

"أجل، لكن..."، أمسك باري معصم كُرو. "إذا كانت قوية مثلما تقول روز، فمن الممكن أنها تخدعنا حقاً. ترمي صوتها، مثل".

"هل صادفت يوماً صاحب بخار يمكنه فعل ذلك؟".

"لا، لكن هناك أول مرة لكل شيء. أنا متيقن تقريباً أنها مع أبيها، لكن أنت من يجب أن يقرّر إن كان التيقن تقريباً كافٍ لـ..."

عندها بدأ باري يدور مرة أخرى، وتوقّف كل التواصل المفيد. ترك كُرو مع قرار صعب. هذه مهمته، وهو واثق أنه يمكنه إنجازها، لكنها خطة روز و- الأهم - وسواس روز. إذا أخفق، سيكون الثمن الذي سيدفعه غالياً.

نظر كُرو إلى ساعته. الثالثة بعد الظهر هنا في نيو هامبشاير، والواحدة في سايدوندر. في مخيم بلوبل، سيكون الغداء قد انتهى للتو، وستكون روز متوفرة. هذا حسم له قراره. أجرى المكالمات. توقعها تقريباً أن تضحك وتصفه بامرأة عجوز، لكنها لم تفعل ذلك.

"تعرف أنه لم يعد بإمكاننا الوثوق بباري كلياً"، قالت، "لكنني أثق بك. ماذا يقول لك حدسك؟".

حدسه لا يقول له أي شيء؛ لهذا السبب أجرى المكالمات. أخبرها ذلك، وانتظر.

"أترك لك القرار النهائي"، قالت. "فقط لا تُخفق".

شكراً لشيء يا حبيبتي روزي. فكّر في هذا... ثم أمل ألا تكون قد التقطته.

جأس والهاتف الخلوي المغلق لا يزال في يده، يتميل من جهة إلى أخرى مع حركة سيارة العيش، يستنشق رائحة مرض باري، ويتساءل بعد كم من الوقت ستبدأ أولى البقع بالظهور على ذراعيه ورجليه وصدرة. تحرك إلى الأمام أخيراً ووضع يده على كتف جيمي.

"عندما تصل إلى أنيستون، توقف".

"لماذا؟".

"لأنني سأنزل".

2

راقبهم كرو دادي ينطلقون من محطة الوقود في شارع أنيستون الرئيسي السفلي، مقاوماً رغبةً كبيرةً بإرسال فكرة قصيرة المدى (هذا هو أقصى موهبته في ذلك) إلى الأفعى قبل أن يصبحوا خارج نطاق بثه: عودي وخذي معكم، هذا خطأ.

لكن ماذا لو لم يكن خطأ؟

عندما اختفوا عن أنظاره، نظرَ بإيجاز وحنين إلى الخط الصغير الحزين من السيارات المستعملة المعروضة للبيع في مركز غسيل السيارات المجاور لمحطة الوقود. مهما يحصل في أنيستون، سيحتاج إلى وسيلة نقل للخروج من البلدة. معه نفود أكثر مما يكفي لشراء شيء سيوصله إلى نقطة لقائهم المتفق عليها بالقرب من ألبي على I-87؛ المشكلة هي الوقت. ستستغرق صفقة شراء السيارة نصف ساعة على الأقل، وهذا قد يكون وقتاً طويلاً جداً. إلى أن يتأكد أن هذا إنذار كاذب، عليه أن يرتجل ويتكل على قدرته على الإقناع. لم تخذه أبداً من قبل.

أخذ كرو الوقت الكافي ليدخل محطة الوقود ويشتري قبعة ريد سوكس. عندما تكون في دولة ريد سوكس بوسطن، ارتد مثل مشجعي ريد سوكس بوسطن. تناقش مع نفسه إضافة نظارات شمسية وقرر ضد ذلك. فبفضل التلفزيون، رجلٌ رشيقٌ في منتصف عمره يرتدي نظارات شمسية سيبدو لبعض السكان دائماً كأنه قاتل مأجور. القبعة كافية.

سار في الشارع الرئيسي إلى المكتبة التي عقَدَ فيها دان وأبرا ذات يوم مجلساً حربياً. لم يحتج إلى الذهاب أبعد من الردهة لكي يجد ما كان يبحث عنه. هناك، تحت اللافتة "ألق نظرة على بلدتنا"، خريطة لأنيستون معلّم فيها بعناية كل شارع وممر. جدّد معلوماته حول عنوان شارع الفتاة.

"مباراة رائعة ليلة أمس، أليس كذلك؟"، سأله رجلٌ. كان يحمل عدداً من الكتب.

للحظة لم تكن لدى كرو أي فكرة عما يتكلم، ثم تذكر قبعته الجديدة. "بالتأكيد"، قال موافقاً وهو لا يزال ينظر إلى الخريطة.

أعطى مشجّع السوكس وقتاً لكي يبتعد قبل أن يغادر الردهة. القبة جيدة، لكن لم تكن لديه رغبة بمناقشة البيسبول. برأيه كانت المباراة غبية.

3

ريتشلاند كورت شارع قصير لطيف في نيو إنغلاند يعجّ بمنازل ذات طابقين ومنازل ذات طابق واحد ينتهي عند دائرة لتلتف السيارات حول نفسها. أخذ كُرو صحيفة مجانية تدعى متسوق أنيستون أثناء خروجه من المكتبة ووقف الآن عند ناصية متكناً على شجرة سنديان مفيدة متظاهراً أنه يدرسها. السنديانة أخفته عن الشارع، وربما هذا شيء جيد، لأن هناك شاحنة حمراء يجلس فيها رجل مركونة في منتصف الشارع تقريباً. الشاحنة قديمة، فيها بعض الأدوات اليدوية وما بدا أنه مسلّفة، لذا يمكن أن يكون الرجل عامل صيانة - هذا كان من صنف الشوارع التي يستطيع الناس تحمّل ثمن العيش فيها - لكن إذا كان الأمر كذلك، لماذا كان يجلس هناك لا يفعل شيئاً؟

مجالسة الأطفال، ربما؟

سُرّ كُرو فجأة من أخذه كلام باري على محمل الجد بما يكفي لينزل من السفينة. السؤال هو ماذا يفعل الآن؟ يمكنه الاتصال بروز، لكن محادثتهما الأخيرة لم تقض إلى شيء لم يكن باستطاعته الحصول عليه من الكرة 8 العجيبة.

كان لا يزال واقفاً نصف مخفي خلف السنديانة القديمة يفكر في خطوته التالية عندما تدخل الحظ مفضلاً العقدة الحقيقية على الأشخاص الدنيويين. فقد فُتح بابٌ جزئياً في آخر الشارع، وظهرت فتاتان منه. كان نظر كُرو حاداً مثل نظر الغراب الذي يحمل اسمه، وقد تعرّف عليهما فوراً بأنهما اثنتين من الفتيات الثلاثة في صور كمبيوتر بيلي. الفتاة ذات التنورة البنية هي إيما دين. والفتاة ذات البنطلون الأسود هي أبراستون.

ألقي نظرة سريعة على الشاحنة. كان السائق العجوز مترهلاً خلف المقود، أما الآن فاستوى جالساً. نشيط ومتحمّس. في حالة تأهب. إذا كانت تمارس خدعة عليهم. لا يزال كُرو لا يعرف بالتأكيد أي فتاة منهما هي صاحبة البخار، لكنه متأكد من شيء واحد: الرجال في الوينباغو ذاهبون في مسعى لا جدوى منه.

أخرج كُرو هاتفه الخلوي لكنه اكتفى بإمسাকে بيده للحظة، وراح يراقب الفتاة ذات البنطلون الأسود تسير في الشارع. راقبتها الفتاة ذات التنورة لثانية، ثم دخلت منزلها. اجتازت الفتاة ذات البنطلون - أبراستون - ريتشلاند كورت، وبينما فعلت ذلك، رفع الرجل في الشاحنة يديه في إيماة تقول ماذا يجري. أجابته برفعها إبهامها: لا تقلق، كل شيء على ما يرام. شَعَرَ كُرو بموجة انتصار عارم تغمره. لقد أُجيب على سؤاله. أبراستون هي صاحبة البخار. لا شك في ذلك. كانت تخضع للحراسة، والحارس عجوزٌ غريب الأطوار داخل شاحنة جيدة تماماً. شَعَرَ كُرو بثقة أنها ستتمكن من إيصاله مع راكبة يافعة إلى ألبنّي.

ضغط زر الأفعى في لائحة الطلب السريع، ولم يتفاجأ أو ينزعج عندما تلقى رسالة بأن المكالمة فشلت. كانت كلاود غاب بقعة جميلة محلية، ولا سمح الله أن تكون هناك أي أبراج هاتف خلوي تزعج صور السيّاح. لكن لا بأس. فإذا لم يكن قادراً على تدبير أمر عجوزٍ وفتاةٍ يافعةٍ، فمن الأجدر به أن يسلم شارته. تأمل هاتفه للحظة، ثم أطفأه. خلال الدقائق العشرين القادمة تقريباً، لا يوجد أحدٌ يريد أن يتكلم معه، بما في ذلك روز.

هذه مهمته، مسؤوليته.

معه أربع محاقن ممتلئة، اثنتان في الجيب الأيسر لسترته، واثنتان في الجيب الأيمن. رسم أفضل ابتسامة لهنري روثمان على وجهه - الابتسامة التي يرسمها عندما يحجز مخيماً أو الفنادق الرخيصة المحيطة به للعقدة الحقيقية - خرج كُرو من خلف الشجرة وتنزّه إلى آخر الشارع. لا يزال يحمل نسخته المطوية من متسوق أنيستون في يده اليسرى. كانت يده اليمنى في جيب سترته تحرك الغطاء البلاستيكي لتحريره عن إحدى الإبر.

4

"عذراً يا سيد، أظن أنني تهتت قليلاً. أتساءل إن كنت تستطيع إعطائي بعض الاتجاهات".

كان بيلى فريمان متوتراً، عصبياً، معبأً بشيء لم يكن يُنذر بسوء تماماً... ومع ذلك فقد استحوذ عليه ذلك الصوت المبتهج الموحى بالثقة. لثانيتين فقط، لكن هذا كان كافياً. عندما استدار نحو صندوق قفازه المفتوح، شعر بلسعة خفيفة على عنقه.

لسعنتي حشرة، فكَر في سرّه، ثم خرّ جانباً، وانقلبت عيناه إلى بياضهما.

فتح كُرو الباب ودفعَ السائق إلى نهاية المقعد الطويل. ارتطم رأس العجوز بزجاج النافذة. رفع كُرو رجلين مرتخيتين فوق جهاز التعشيق، مُغلِقاً صندوق القفاز لإفساح مجال أكبر لهما قليلاً، ثم انزلق خلف المقود وخبط الباب. أخذ نفساً عميقاً ونظر حوله، مستعداً لأي شيء، لكن لم يكن هناك شيء للاستعداد له. كان ريتشلاند كورت يودّع فترة بعد الظهر، وهذا جميل.

رأى المفتاح في فتحة الإشعال. شغل كُرو المحرك وصدح الراديو في الزئير الصاخب لصوت توبي كيث: كيف حالك يا أميركا. بينما مدّ يده ليُطفئه، بهر ضوء أبيض فظيغ بصره للحظة. يملك كُرو قدرة تخاطرية ضعيفة جداً، لكنه مرتبط بقوة بقبيلته؛ بطريقة ما، كانوا كلهم أعضاء في كائن عضوي واحد، وأحدهم مات للتو. لم تكن كلاود غاب مجرد تضليل، بل كميناً لعيناً.

قبل أن يتمكن من تقرير خطوته التالية، أتى الضوء الأبيض مرة أخرى، وبعد لحظات قليلة، مرة أخرى.

كلهم؟

يا للهول، ثلاثتهم؟ هذا ليس ممكناً... صح؟

أخذ نفساً عميقاً، ثم واحداً آخر. أجبر نفسه على مواجهة حقيقة أن هذا ممكن. وإذا كان الأمر كذلك، عرّف على من يقع اللوم.

فتاة البخار اللعينة تلك.

نظرَ إلى منزل أبرأ. يعمّه الهدوء. الحمد لله على هذا المعروف الصغير. كان قد توقع أن يقود الشاحنة في الشارع وإلى ممرها الخاص، لكنه شعر فجأة أن هذه الفكرة سيئة، في الوقت الحاضر على الأقل. خرج، عاد ومال إلى الداخل، وأمسك العجوز الفاقد الوعي بقميصه وحزامه. أعاد كُرو سحبه إلى خلف المقود، وتوقف قليلاً ليربّته. لا مسدّس. للأسف الشديد. لم يكن ليمنع العثور على واحدٍ، لبعض الوقت على الأقل.

ربطَ حزام أمان العجوز لكي لا يميل إلى الأمام ويُطلق البوق. ثم سار في الشارع إلى منزل الفتاة، على مهل. لو رأى وجهها عند إحدى النوافذ - أو خلف ستارة واحدة مرتعشة - لكان شرع في الركض، لكن لا شيء تحرك.

لا يزال ممكناً أن ينجح في إنجاز هذه المهمة، لكن هذا الاعتبار أصبح ثانوياً بسبب تلك الومضات البيضاء الفظيعة. أكثر شيء أراده هو القبض على السافلة البائسة التي سببت لهم كل تلك المتاعب وخضتها إلى أن تخشخش.

5

سارت أبرأ أثناء نومها إلى آخر الرواق الأمامي. هناك غرفة معيشة في قبو منزل عائلة ستون، لكن المطبخ هو مكان راحتهم، فتوجّهت إلى هناك دون تفكير. وقفت مباعدةً يديها على الطاولة التي أكلت عليها آلاف وجبات الطعام مع والديها، تحقّق في النافذة فوق مغسلة المطبخ بعينين فارغتين عريضتين. لم تكن هنا أبداً. كانت في كلاود غاب تشاهد الأشرار يخرجون من الوينباغو: الأفعى ونّت وجيمي الأرقام. عرّفت أسماءهم من باري. لكن هناك خطب ما. أحدهم مفقود.

(أين كُرو يا دان لا أرى كُرو!)

لا جواب، لأن دان وأباها والدكتور جون مشغولون. لقد قضوا على الأشرار، الواحد تلو الآخر: وولنت أولاً - كان ذلك من صنع أبيها، وهذا أمر طيب له - ثم جيمي الأرقام، ثم الأفعى. شعرت بكل إصابة مميتة كأنها صوت مكتوم عميقاً في ذهنها. تلك اللطمات، كأنها مطرقة ثقيلة تُطرق بشكل متكرر على لوح من السنديان، كانت فظيعة في نهائيتها، لكنها ليست بغیضة كلياً. لأن...

لأنهم يستحقون ذلك، يقتلون الأولاد، ولا شيء آخر كان سيوقفهم. فقط -

(دان أين كُرو؟ أين كُرو؟؟؟)

سَمِعَهَا دَانَ الْآنَ. الْحَمْدُ لِلَّهِ. رَأَتْ الْوَيْبَاغُو. اعْتَقَدَ دَانَ أَنَّ كُرو فِي الدَّخْلِ، وَرَبْمَا كَانَ مُحَقَّقًا. وَمَعَ ذَلِكَ -

أَسْرَعَتْ عَائِدَةً فِي الرُّوَّاقِ وَحَدَّقَتْ خَارِجَ إِحْدَى النُّوَافِذِ بِجَانِبِ الْبَابِ الْأَمَامِيِّ. الرَّصِيفُ مَهْجُورٌ، لَكِنْ شَاحِنَةُ السَّيِّدِ فَرِيْمَانَ مَرْكُونَةٌ حَيْثُ يَجِبُ. لَا يُمْكِنُهَا رُؤْيَا وَجْهَهُ بِسَبَبِ طَرِيقَةِ انْعِكَاسِ ضَوْءِ الشَّمْسِ عَلَى الزُّجَاجِ الْأَمَامِيِّ، لَكِنْ يُمْكِنُهَا رُؤْيَا خَلْفَ الْمِقْوَدِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَزَالُ عَلَى مَا يَرَامُ.

عَلَى الْأَرْجَحِ عَلَى مَا يَرَامُ.

(أَبْرَا هَلْ تَسْمَعِينِي)

دَانَ. مِنَ الرَّائِعِ جَدًّا سَمَاعُهُ. تَمَنَّتْ لَوْ كَانَ مَعَهَا، لَكِنْ وَجُودُهُ دَاخِلَ رَأْسِهَا كَانَ جَيِّدًا بِشَكْلِ مِمَّا تَلَّ تَقْرِيْبًا.

(نَعَمْ)

أَلْقَتْ نَظْرَةً مُطْمَئِنَّةً أُخْرَى عَلَى الرَّصِيفِ الْفَارِغِ وَشَاحِنَةِ السَّيِّدِ فَرِيْمَانَ، وَتَحَقَّقَتْ مِنْ أَنَّهَا أَقْفَلَتْ الْبَابَ بَعْدَ دُخُولِهَا الْمَنْزِلَ، وَبَدَأَتْ تَتَرَجَّعُ إِلَى الْمَطْبَخِ.

(عَلَيْكَ جَعَلُ وَالِدَةِ صَدِيقَتِكَ تَتَّصِلُ بِالشَّرْطَةِ وَتُخْبِرُهُمْ أَنَّكَ فِي خَطَرٍ كُرو فِي أَنْيِسْتُونَ)

تَوَقَّفَتْ فِي مَنْتَصَفِ الرُّوَّاقِ. ارْتَفَعَتْ يَدُ الطَّمَأْنِينَةِ وَبَدَأَتْ تَفْرِكُ فَمَهَا. لَمْ يَعْرِفْ دَانَ أَنَّهَا غَادَرَتْ مَنْزِلَ عَائِلَتِهِ دِينَ. كَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ؟ فَقَدْ كَانَ مَشْغُولًا جَدًّا.

(لَسْتُ)

قَبْلَ أَنْ تَتِمَّكَ مِنْ إِنْهَاءِ جَمَلَتِهَا، انْفَجَرَ الصَّوْتُ الذَّهْنِيُّ لِرُوزِ الْقَبْعَةِ فِي رَأْسِهَا، مَاسِحًا كُلَّ أَفْكَارِهَا.

(أَيْتَهَا الْحَقِيرَةُ الصَّغِيرَةُ مَاذَا فَعَلْتَ)

بَدَأَ الرُّوَّاقُ الْمَأْلُوفُ بَيْنَ الْبَابِ الْأَمَامِيِّ وَالْمَطْبَخِ يَتَرْتَجِحُ. آخِرُ مَرَّةٍ حَصَلَ فِيهَا هَذَا الشَّيْءُ الدَّوَّارُ، كَانَتْ مَتَحَضِّرَةً لَهُ. عَلَى عَكْسِ هَذِهِ الْمَرَّةِ. حَاوَلَتْ أَبْرَا إِيقَافَهُ وَلَمْ تَسْتَطِعْ. اخْتَفَى مَنْزِلُهَا. اخْتَفَتْ أَنْيِسْتُونَ. كَانَتْ مَمْدَّةً عَلَى الْأَرْضِ وَتَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ. أَدْرَكَتْ أَبْرَا أَنَّ خَسَارَةَ أَوْلَئِكَ الثَّلَاثَةِ فِي كَلَاوُدِ غَآبٍ أَفْقَدَ رُوزَ صَوَابِهَا فَعَلِيًّا، وَمَرَّتْ عَلَيْهَا لِحْظَةٌ سُرُورٍ شَرِسٍ. كَافَحَتْ بَحْثًا عَنْ شَيْءٍ لَتُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهَا بِهِ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَتَّسِعٌ مِنَ الْوَقْتِ.

كان جسم روز مستلقياً في منتصف الطريق بين الحمامات وكوخ الأوفرلوك، لكن ذهنها كان في نيو هامبشاير، يحتشد في ذهن الفتاة. لم يكن هناك حلم يقظة عن فarsة على حصان ورمح هذه المرة، آه لا. هذه المرة كان هناك فقط عصفورة صغيرة متفاجئة وروزي العريضة، وروزي تريد الانتقام. سنقتل الفتاة كخيار أخير فقط، فهي قيمة جداً لكي تتسرّع وتقتلها، لكن بإمكان روز أن تُدقيقها بعضاً مما ينتظرها. بعضاً مما عاناه أصدقاء روز من قبل. هناك الكثير من الأماكن الناعمة غير المحصنة في عقول الأشخاص الدنوبيين، وتعرفها كلها جيداً -

(ابتعدي أيتها السافلة اتركيني وشأني وإلا قتلتك!)

كان ذلك أشبه بانفجار قنبلة صوتية خلف عينيها. ارتعشت روز وصرخت. مو الضخمة، التي كانت تمدّ يدها لتلمسها، ارتدت متفاجئة. لم تلاحظها روز، وحتى لم ترها. بقيت تستخف بقوة الفتاة. حاولت الحفاظ على موطئ قدمها في ذهن الفتاة، لكن الحقيبة الصغيرة كانت تدفعها إلى الخارج في الواقع. هذا غير معقول ومغيب ومُرعب، لكنه حقيقي. والأسوأ هو أنه يمكنها الشعور بيديها الجسديتين ترتفعان نحو وجهها. لو لم تُمسكها لها مو وإيدي القصير، لكانت الفتاة الصغيرة جعلت روز تفقأ عينيها بنفسها.

في الوقت الحاضر، على الأقل، عليها أن تستسلم وترحل. لكن قبل أن تفعل ذلك، رأت شيئاً من خلال عيني الفتاة أراحها كثيراً. إنه كُرو دادي، ويحمل إبرة في يده.

7

استخدمت أبراً كل القوة النفسية التي استطاعت حشدّها، أكثر مما استخدمت في اليوم الذي ذهبت فيه تبحث عن بُراد تريפור، أكثر مما استخدمت في حياتها من قبل، وبالكاد كان ذلك كافياً. فقط عندما بدأت تعتقد أنها لن تكون قادرة على إخراج المرأة ذات القبعة من رأسها، بدأ العالم يدور مرة أخرى. هي التي كانت تجعله يدور، لكن ذلك كان صعباً - مثل دفع عجلة حجرية ضخمة. انزلقت السماء والوجوه التي تحدّق فيها. مرّت لحظة ظلمة كانت فيها

(بين)

في مكان غير محدّد، ثم عاد رواقها الأمامي إلى الظهور. لكنها لم تعد لوحدها. هناك رجل يقف عند باب المطبخ.

لا، ليس رجلاً. هذا كُرو.

"مرحباً يا أبراً"، قال مبتسماً، وانقضّ عليها. لأنها لا تزال تترنّح ذهنياً من لقائها مع روز، لم تقم أبراً بأي محاولة لتدفعه بعيداً بذهنها. بل استدارت فقط وركضت.

8

في لحظات توثرهما الأقصى، دان تورانس وكُرو دادي متشابهان كثيراً، رغم أن كليهما لن يعرفا ذلك أبداً. نفس الوضوح حلَّ على بصر كُرو، نفس الشعور بأن كل هذا يحصل بحركة بطيئة جميلة. رأى السوار المطاطي الزهري على معصم أبرا الأيسر وتسنى له الوقت ليقول لنفسه حملة مكافحة سرطان الثدي. رأى حقيبة ظهر الفتاة تميل إلى اليسار بينما مالت هي إلى اليمين وعرف أنها مليئة بالكتب. تسنى له الوقت حتى لإبداء إعجابه بشعرها المتطاير خلفها في حزمة ساطعة.

قبض عليها عند الباب بينما كانت تحاول إدارة قفل الإبهام. عندما وضع ذراعه اليسرى حول حنجرتها ودفعها إلى الخلف، شعر بجهودها الأولى - المرتبكة، الضعيفة - لتدفعه بعيداً بذهنها. ليس الحقنة بأكملها، فقد تقطعها، لا يمكن أن يكون وزنها أكثر من خمسين كيلوغراماً كحد أقصى.

حقنها كُرو جنوبي الترقوة مباشرة بينما كانت تقتل وتصارع. لم يحتج إلى القلق بشأن فقدانه السيطرة وإعطائها الجرعة كلها، لأن ذراعها اليسرى ارتفعت وضربت يده اليمنى فوقعت الحقنة على الأرض وتدرجت. لكن الحظ يفضّل العقدة الحقيقية على الأشخاص الدنيويين، لطالما كان الأمر هكذا في السابق وهو هكذا الآن. لقد أعطاهما ما يكفي من الجرعة. شعر بقبضتها الصغيرة على ذهنه تتراخي أولاً، ثم تسقط. سقطت يداها أيضاً. حدثت فيه بعينين مصدومتين.

رَبَّتْ كُرو على كتفها. "سندهب في نزهة يا أبرا. ستلتقين أشخاصاً جدداً مشوقين".

الذي لا يُصدّق هو أنها تمكّنت من أن تبسّم. ابتسامةً مخيفةً لفتاة بهذا العمر اليفع سيظن المرء أنها صبي إذا تم إخفاء شعرها تحت قبعة. "أولئك الوحوش الذين تسميهم أصدقاءك ماتوا كلهم. إنهم..."

كانت الكلمة الأخيرة مجرد صوت خافت بينما انقلبت عيناها إلى أعلى وهوت رُكبتها. شعر كُرو برغبة قوية لتركها تقع أرضاً - هذا سيفيدها كثيراً - لكنه ضغط على نفسه والتقطها تحت ذراعها. كانت ملكية قيّمة، في النهاية.

مُلكية للعقدة الحقيقية.

9

كان قد دخل عبر الباب الخلفي، محطماً القفل النابضي العديم الفائدة تقريباً بنقطة واحدة نزولاً من بطاقة أميركان اكسبرس البلاستيكية الخاصة بهنري روثمان، لكن لم تكن لديه نية أن يغادر بهذه الطريقة. لم يكن هناك شيء سوى سور مرتفع عند أسفل الفناء الخارجي المنحدر، ونهرٌ وراءه. كما أن وسيلة نقله كانت في الاتجاه الآخر. حمل أبرا عبر المطبخ وإلى المرأب الفارغ. الوالدان في وظيفتهما، ربما... إلا إذا كانا في كلاود غاب، يشمتان فوق جثث أندي وبيلي ونّت. لم

يعد يكثر الآن لما حصل في ذلك الطرف من الأحداث؛ أياً يكن من يساعد الفتاة يمكنهم أن ينتظروا. سيحين وقتهم.

أخفى الجسم المرتخي تحت طاولة تحتوي على أدوات أبيها القليلة. ثم ضغط الزر الذي يفتح باب المرآب وخرج، بعد تأكده من رسم تلك الابتسامة القديمة لهنري روثمان على وجهه. سر الصمود في عالم الدنيويين هو أن تبدو كما لو أنك تنتمي إليه، كما لو أنك لطالما كنت من الأختيار، ولا أحد أفضل من كُرو في هكذا أمور. سار برشاقة إلى الشاحنة وأبعد العجوز مرة أخرى، هذه المرة إلى وسط المقعد الطويل. عندما انعطف كُرو إلى الممر الخاص لمنزل عائلة ستون، استلقى رأس بيلى على كتفه.

"تتودد لي قليلاً أيها العجوز؟"، سأل كُرو وضحك وهو يقود الشاحنة الحمراء إلى المرآب. لقد مات أصدقائه والحالة خطيرة جداً، لكن هناك تعويض كبير واحد: شعر أنه حيّ كلياً وأدرك لأول مرة منذ سنوات عديدة أن العالم يتفجر ألواناً ويهدر مثل خط كهربائي. لقد قبضَ عليها. رغم كل قوتها الغريبة وخدعها البغيضة، قبضَ عليها. سيعيدها الآن إلى روز. هدية حبّ.

"الجائزة الكبرى"، قال، وخبط لوحة القيادة خبطة قوية متهلّلةً.

نزع حقيبة ظهر أبراء، وتركها تحت طاولة العمل، ورفعها إلى الشاحنة ووضعها على مقعد الراكب. ربط حزام أمان راكبيه النائمين. خطرَ بباله بالطبع أن يكسر عنق العجوز ويترك جثته في المرآب، لكنه قد يكون مفيداً. إذا لم يقتله المخدر، طبعاً. تحقّق كُرو من وجود نبض على عنق العجوز وشعر به، بطيباً لكن قوياً. لم يكن هناك شكّ بشأن الفتاة؛ فقد كانت متكئة على نافذة الراكب ويمكنه رؤية أنفاسها تُحدث ضباباً على الزجاج. ممتاز.

أخذ كُرو ثانيةً ليضع جردة بالأشياء التي معه. لا مسدّس - أعضاء العقدة الحقيقية لا يسافرون أبداً حاملين أسلحة نارية - لكن لا تزال معه حقنتان كاملتان من المادة المنومة. لا يعرف كم سيدوم مفعول الحقنتين، لكن الأولوية للفتاة. خطرت فكرة ببال كُرو أنه قد يتبيّن أن فترة فائدة العجوز محدودة جداً. آه، لا مشكلة. الأشخاص الدنيويون يأتون ويرحلون دائماً.

أخرج هاتفه الخليوي وضغط روز هذه المرة في لائحة الطلب السريع. أجابت عندما قرّر عدم الانتظار أكثر وترك رسالة لها. كان صوتها بطيباً، وكلماتها متداخلة ببعضها. كما لو أنه يكلم شخصاً ثملاً.

"روز؟ ما بالك؟".

"الفتاة عبثت بي أكثر مما توقّعت، لكنني بخير. لم أعد أسمعها. أخبرني أنك قبضت عليها".

"بالضبط، وهي تأخذ قيلولة لطيفة، لكن لديها أصدقاء. لا أريد أن ألتقي بهم. سأتوجّه غرباً فوراً، وليس لديّ وقت لأضيّعه على الخرائط. أحتاج إلى طرقات ثانوية تأخذني عبر فيرمونت وإلى نيويورك".

"سأكفّ سليم المتملّق بهذا".

"عليك إرسال شخص شرقاً ليلاقيني فوراً يا روزي، ومعه كل الكمية التي يمكنك الحصول عليها من تلك المادة لإبقاء الأنسة الصغيرة هادئة، لأنه لم يبق معي الكثير. ابحثي في مؤنّت. يجب أن يكون لديه شيء -"

"لا تُخبرني عملي"، ردّت بحدّة. "سينسّق سليم كل شيء. هل تعرف ما يكفي لكي تبدأ؟".

"نعم. حبيبتي روزي، منطقة النزاهات تلك كانت فحاً. الفتاة الصغيرة اللعينة ضللتنا. ماذا لو اتصل أصدقاؤها بالشرطة؟ أنا أركب شاحنة F-150 قديمةً وبجانبي اثنان من الزومبي. لا ينقصني إلا وشم كلمة خاطف على جبهتي".

لكنه كان يبتسم. تباً إن لم يكن يبتسم. ساد صمتٌ في الطرف الآخر. جلس كُرو خلف المقوود في مرأب عائلة ستون، ينتظر.

قالت روز أخيراً، "إذا رأيت أضواءً زرقاء خلفك أو حاجزاً على الطريق أمامك، اخنق الفتاة وامتنصّ قدر ما تستطيع من بخارها بينما تموت. ثم استسلم. سنهتّم بأمرك في نهاية المطاف، أنت تعرف ذلك".

جاء دور كُرو الآن ليصمت. قال أخيراً، "هل أنت متأكدة أن هذا هو التصرف الصحيح يا حبيبتي؟".

"أجل". كان صوتها قاسياً. "هي المسؤولة عن وفاة جيمي ونّت ولدغة الأفعى. أنا أندبهم كلهم، لكن حزني الأكبر على أندي، لأنني حوّلتها بنفسني ولم تدُق سوى القليل من الحياة. ثم هناك ساراي..."

انخفت صوتها مع تنهيدة. لم يقل كُرو شيئاً. ليس هناك حقاً شيئاً لقوله. تنقّلت أندي شتاينر بين كثير من النساء خلال سنواتها الأولى مع العقدة الحقيقية - هذا ليس مفاجئاً، فالبخار دائماً يجعل المبتدئين سهوانيين جداً - لكنها بقيت مع سارة كارتر طوال السنوات العشرة الأخيرة، وكانتا مخلصتين لبعضهما البعض. في بعض النواحي، بدت أندي أشبه بابنة ساراي الصامتة أكثر منها حبيبته.

"لا عزاء لساراي"، قالت روز، "وسوزي السوداء العينين ليست أفضل حالاً بكثير بشأنّت. على تلك الفتاة الصغيرة أن تدفع ثمن حرماننا من أولئك الثلاثة. بطريقة أو بأخرى، حياتها الدنيوية انتهت. أي أسئلة أخرى؟".

لم يكن لدى كُرو أي سؤال.

لم ينتبه أحد كثيراً لُكرو دادي والراكبين النائمين بجانبه أثناء مغادرتهم أنيستون على الطريق العام القديم، متوجهين غرباً. باستثناء نظرات قليلة (الأولاد الصغار والسيدات العجائز ذوات النظر الحادّ كانوا الأسوأ)، لم تكن أميركا الدنيوية شديدة الانتباه بشكل مذهل حتى بعد اثنتي عشرة سنة على بدء عصر الإرهاب المظلم. إذا رأيت شيئاً، قل شيئاً هو شعار ممتاز، لكنك تحتاج أولاً إلى رؤية شيء.

بدأ الظلام يحلّ حين اجتازوا حدود فيرمونت، والسيارات المارة في الاتجاه الآخر لم تر سوى أضواء كُرو الأمامية، التي تركها عند النور العالي عن قصد. كان سليم المتملّق قد اتصل ثلاث مرات من قبل، ليعطيه معلومات عن الدرب. معظمها طرقات فرعية، والعديد منها غير معمّم. سليم أخبر كُرو أيضاً أن دوغ الديزل وفيل القذر وأني المنزر في طريقهم إليه داخل كابريس موديل 2006 تبدو قديمة لكنها تملك أربعمئة حصان تحت الغطاء. لن تشكّل السرعة مشكلة؛ كانوا يحملون أيضاً بطاقات أمن قومي ستجعلهم يجتازون أي حواجز يصادفونها على الطريق، بفضل جيمي الأرقام الراحل.

كان التوأمان الصغيران، بي وپود، يستخدمان معدات الاتصالات المتطورة عبر الأقمار الاصطناعية للعقدة الحقيقية لمراقبة ثرثرة الشرطة في الشمال الشرقي، ولم يسمعا حتى الآن أي شيء عن اختطاف محتمل لفتاة يافعة. هذا خبر جيد، لكن ليس غير متوقع. الأصدقاء الأذكيا كفاية لنصب كمين أذكيا كفاية على الأرجح ليعرفوا ماذا يمكن أن يحصل لعصورتهم إذا أذاعوا الخبر.

رنّ هاتف آخر، هاتف مكتوم. دون أن يرفع نظره عن الطريق، انحنى كُرو على راحتيه النائمين، فتح صندوق القفاز، ووجد هاتفاً خلويّاً. لا شكّ أنه هاتف العجوز. رفعه أمام عينيه. لم يكن هناك إسم، لذا فالمتصل غير محفوظ في ذاكرة الهاتف، لكن للرقم رمز منطقة نيو هامبشاير. أحد ناصبي الكمين يريد أن يعرف إن كان ببلي والفتاة بخير. هذا هو المرجح. فكّر كُرو أن يردّ وقرّر عدم الرد. لكنه سيتحقّق لاحقاً ليرى إن ترك المتصل رسالة. المعلومات قوة.

عندما انحنى مرة أخرى ليعيد الهاتف الخلوي إلى صندوق القفاز، لمست أصابعه معدناً. خبأ الهاتف وأخرج مسدساً ألياً. مكسب لطيف، واكتشاف محظوظ. لو استفاق العجوز قبل المتوقع بقليل، لكان وصل إليه على الأرجح قبل أن يتمكن كُرو من قراءة نواياه. خبأ كُرو الغلوك تحت مقعده، ثم أغلق صندوق القفاز.

المسدّسات قوة أيضاً.

كان قد أصبح الظلام دامساً وقد توغلوا عميقاً في الجبال الخضراء على الطريق العام 108 عندما بدأت أبراً تتحرّك. كُرو، الذي لا يزال يشعر حياً ونشيطاً بقوة، لم ينزعج من ذلك. بادئ ذي

بدء، كان فضولياً بشأنها. كما أن الوقود في الشاحنة القديمة شارف على الانتهاء، وعلى أحدهم أن يملأ الخزّان.

لكن لا فائدة من المجازفة.

أخرج بيده اليمنى إحدى الحُقنتين المتبقيتين من جيبه ووضعها على فخذهِ. انتظر أن تفتح الفتاة عينيها - اللتين لا تزالان شارديتين. ثم قال، "مساء الخير يا سيدتي الصغيرة. أنا هنري روتمان. هل تفهميني؟".

"أنت...". تنحنت أبراً، رطبت شفيتها، وحاولت مرة أخرى. "لست هنري أي شيء. أنت كُرو".

"إذا أنت تفهمين. هذا جيد. أظن أنك مشوّشة الذهن الآن، وهذا الشعور سيستمر لأن هذا هو مدى إعجابي بك. لكن لا داعي لإفقادك وعيك كلياً مرة أخرى طالما أحسنت التصرف. واضح؟".

"إلى أين نذهب؟".

"هوغوورتس، لحضور بطولة العالم في الكويدتش. سأشتري لك نقانق عجيبة ومخروط غزل بنات عجيب. أجبني على سؤالي. هل ستحسنين التصرف؟".

"نعم".

"هكذا موافقة فورية مُرضية للأذن، لكن عليك أن تعذريني إن لم أثق بك بالكامل. أحتاج إلى إعطائك بعض المعلومات الحيوية قبل أن تحاولي القيام بشيء أحمق قد تندمين عليه. هل ترين الإبرة التي معي؟".

"نعم". كان رأس أبراً لا يزال مُسنداً على النافذة، لكنها أخفضت نظرها إلى الحقنة. انغلقت عيناها ثم انفتحتا مرة أخرى، ببطء شديد. "أنا عطشانة".

"لا شكّ من المخدر. ليس معي أي شيء للشرب، لقد رحلنا على عجلة من أمرنا -"

"أعتقد أن هناك عبوة عصير في حقيبتي". صوت أجش. منخفض وبطيء. لا تزال العينان تنفتحان بجهد كبير بعد كل طرفة عين.

"أخشى أنها لا تزال في مرأبكم. يمكنك إحضار شيء لتشربيه في البلدة التالية التي نصل إليها - إذا كنت ذات شعر ذهبي صغيرة جيدة. أما إذا كنت ذات شعر ذهبي صغيرة سيئة، يمكنك قضاء الليل كله تبتلعين بصاقلك. واضح؟".

"نعم..."

"إذا شعرتُ أنك تعبتين داخل رأسي - نعم، أعرف أنه يمكنك فعل ذلك - أو إذا حاولتِ لفت الانتباه عندما نتوقف، سأحقن هذا العجوز المحترم. إضافةً إلى ما أعطيته إياه من قبل، هذا سيقتله فوراً. هل هذا واضح لك أيضاً؟".

"نعم". لعقت شفتيها مرة أخرى، ثم فركتهما بيدها. "لا تؤذه".

"هذا متروك لك".

"إلى أين تأخذني؟".

"ذات الشعر الذهبي؟ عزيزتي؟".

"ماذا؟"، قالت بذهول.

"فقط اصمتي واستمتعي بالرحلة".

"هوغوورتس"، قالت. "غزل... بنات". عندما انغلقت عيناها هذه المرة، بقيتا مغمضتين. بدأت تشخر قليلاً. كان صوتاً مرحاً، لطيفاً نوعاً ما. لم يعتقد كُرو أنها تتظاهر، لكنه بقي يُمسك الحقنة بجانب رجل العجوز على سبيل الاحتياط. مثلما قال غولوم ذات مرة عن فرودو باغنز، كان بارعاً في المقابل أيها النفيس. كان بارعاً جداً في المقابل.

12

لم تفقد أبراً و عيها بالكامل؛ لا تزال تسمع صوت محرّك الشاحنة، لكنه بدا بعيداً. بدا فوقها. ذكّرها هذا بفترات بعد ظهر الصيف الحارّة التي ذهبت فيها مع والديها إلى بحيرة وينيباسوكي، وكيف كان يمكنها سماع أصوات محرّكات الزوارق البعيدة إذا وضعت رأسها تحت سطح الماء. عرّفت أنه يجري خطفها، وعرّفت أن هذا يجب أن يُقلقها، لكنها شَعرت بهدوء، بسرور من العَوم بين النوم واليقظة. لكن الجفاف في فمها وحلقها رهيبٌ. شَعرت كما لو أن لسانها سجادةً مليئةً بالغبار.

عليّ أن أفعل شيئاً. إنه يأخذني إلى المرأة ذات القبعة وعليّ أن أفعل شيئاً. وإلا فسيقتلونني مثلما قتلوا فتى البيسبول. أو شيء أسوأ حتى.

سوف تفعل شيئاً. بعد أن تحصل على شيء لتشربه. وبعد أن تنام قليلاً أكثر...

خفت صوت المحرّك إلى همهمةٍ بعيدةٍ عندما اخترق ضوءٌ جفنيها المُغلقتين. ثم توقف الصوت بالكامل وكان كُرو ينكزها في رجليها. بلطف في البدء، ثم بقوة. بقوة كافية لإيذائها.

"استيقظي يا ذات الشعر الذهبي. يمكنك أن تنامي لاحقاً".

كافحت لتفتح عينيها، وجفلت من السطوع. لقد ركنوا بجانب مضخات وقود فوقها أضواء فلورية. حمت عينيها من الوهج. لديها الآن صداع ليرافق مع عطشها. كان أشبه...

"ما المضحك يا ذات الشعر الذهبي؟".

"ماذا؟".

"أنتِ تبترمين".

"اكتشفتُ فقط ما مشكلتي. لديّ صداع ما بعد الثمالة".

فكّر كُرو بهذا وابتسم. "أظن ذلك، ولم يتسنّ لكِ حتى التبختر واضعةً مظلةً مصباح على رأسك. هل أنتِ مستيقظة كفاية لفهمي؟".

"نعم". على الأقل اعتقدت ذلك. آه، لكن الهدير في رأسها. مريع.

"خذي هذا".

كان يُمسك شيئاً أمام وجهها، وقد مدّ يده اليسرى فوق جسمه ليفعل ذلك. لا تزال يده اليمنى تُمسك الحقنة، والإبرة تستريح بجانب رجل السيد فريمان.

حوّلت عينيها. إنها بطاقة إنتمان. رفعت يداً بدت ثقيلة جداً وأخذتها. بدأت عيناها تتغلغان وصفع وجهها. انفتحت عيناها بقوة، مصدومةً. لم يضربها أحدٌ في حياتها أبداً، ليس شخصاً راشداً، على أي حال. بالطبع لم تتعرض للخطف أبداً أيضاً.

"آخ! آخ! آخ!".

"اخرجي من الشاحنة. نَقْذي التعليمات المدوّنة على المضخة - أنتِ طفلة ذكية، أنا متأكد أنه يمكنك فعل ذلك - واملأي الخزان. ثم أعيدي الفوهة إلى مكانها وعودي إلى الشاحنة. إذا فعلتِ كل ذلك مثل ذات شعر ذهبي صغيرة جيدة، سنقود إلى آلة الكولا هناك". أشار إلى الزاوية البعيدة للمتجر. "يمكنك الحصول على زجاجة مياه غازية كبيرة. أو ماء، إذا كان هذا ما تريدينه؛ أرى بعيني الصغيرة أن لديهم مياه داساني. أما إذا كنتِ ذات شعر ذهبي صغيرة سيئة، فسأقتل العجوز، ثم أدخل المتجر وأقتل الولد الجالس خلف صندوق الدفع. لا مشكلة في ذلك. كان مع صديقك مسدّس، وقد أصبح معي الآن. سأخذك معي ويمكنك مشاهدة رأس الولد يتطاير. الأمر متروك لكِ، مفهوم؟ واضح؟".

"نعم"، قالت أبراً. أصبحت مستيقظة أكثر قليلاً الآن. "هل يمكنني إحضار عبوة كولا وزجاجة ماء معاً؟".

كانت ابتسامته هذه المرة عريضة وجميلة. رغم حالتها، رغم صُداها، وحتى رغم الصفحة التي تلقَّتها، وجدَّتها أبراً فاتنة. شعرت أن الكثير من الأشخاص يجدونها فاتنة، خاصة النساء. "طَماعة قليلاً، لكن هذا ليس شيناً سيئاً دائماً. دعينا نرى إن كنتِ ستحسنين التصرف".

فكَّت حزام أمانها - احتاجت إلى ثلاث محاولات، لكنها نجحت أخيراً - وأمسكت مسكة الباب. قبل أن تخرج، قالت: "توقف عن مناداتي ذات الشعر الذهبي. تعرف إسمي، وأعرف إسمك".

حَبَطت الباب وتوجَّهت إلى جزيرة الوقود (وهي تتمايل قليلاً) قبل أن يتمكَّن من الرد. لديها شجاعة بالإضافة إلى البخار. يكاد يُعجَب بها تقريباً. لكن هذا مستبعد بناءً لما حصل للأفعى ونَّت وجيمي.

13

لم تستطع أبراً قراءة التعليمات في البداية لأن الكلمات بقيت تزدوج وتتحرَّك. حَوَّلت عينيها فتركَز بصرها. كان كُرو يراقبها. يمكنها الشعور بعينيها مثل وزنين دافئين صغيرين على الجهة الخلفية لعنقها.

(دان؟)

لا شيء، ولم تتفاجأ. كيف يمكنها أن تأمل الوصول إلى دان عندما بالكاد يمكنها اكتشاف كيفية تشغيل هذه المضخة الغبية؟ لم تشعر بهذا الضعف في البريق في حياتها كلها.

تمكَّنت في نهاية المطاف من بدء ضخِّ الوقود، رغم أنها عندما جرَّبت بطاقة إنتمانه لأول مرة، وَصَّعتها رأساً على عقب واضطرت أن تعيد بدء العملية من جديد. بدا لها أن الضخَّ سيستغرق إلى الأبد، لكن هناك كُماً مطاطياً فوق الفوهة لمنع نتانة سُحْب الدخان من الوصول إليها، وبدأ هواء الليل يصفِّي ذهنها قليلاً. هناك مليارات النجوم. تُرهبها عادة بجمالها ووفرتها، لكن النظر إليها هذه الليلة أخافها فحسب. إنها بعيدة جداً، ولا ترى أبراً ستون.

عندما امتلأ الخزان، حَوَّلت عينيها بالرسالة الجديدة التي ظهرت في نافذة المضخة واستدارت إلى كُرو. "هل تريد إيصالاً؟".

"أعتقد أنه يمكننا تدبير أمورنا دون واحدٍ، أليس كذلك؟". ابتسامته المُبهرة مرة أخرى، من النوع الذي يُسعدك إذا كنت الشخص الذي سبَّب ظهورها. هي أكيدة أن لديه الكثير من الحبيبات.

لا لديه واحدة فقط. المرأة ذات القبعة هي حبيبته. روز. لو كانت لديه واحدة أخرى، لقتلتها روز. على الأرجح بأسنانها وأظافرها.

مشت بتناقل عائدةً إلى الشاحنة وركبتها.

"هذا كان جيداً جداً"، قال كُرو. "تفوزين بالجائزة الكبرى - عبوة كولا وزجاجة ماء. لذا... ماذا تقولين لأبيك؟".

"شكراً"، قالت أبرا بسأم. "لكنك لستَ أبي".

"لكن يمكنني أن أكون. يمكنني أن أكون أباً جيداً جداً للفتيات الصغيرات الجيدات معي. الفتيات اللواتي يُحسّنُ التصرف". قاد إلى الآلة وأعطاهما ورقة خمسة دولارات. "أحضري لي عبوة فانتا إذا كان لديهم. أو كولا إذا لم يكن لديهم".

"أنتَ تشرب المياه الغازية، مثل أي شخص آخر؟".

ارتسم تعبير مشاعر مجروحة على وجهه. "إذا وخزتنا، ألا ننزف؟ إذا دغدغتنا، ألا نضحك؟".

"شكسبير، صح؟". مسحتَ فمها مرة أخرى. "روميو وجولييت".

"تاجر البندقية أيتها المغفلة"، قال كُرو... لكن مع ابتسامة. "أنا أكيد أنك لا تعرفين البقية".

هزّت رأسها. خطأ. فقد جدّد الدوي لها، الذي كان قد بدأ يزول.

"إذا سمّمتنا، ألا نموت؟". ربّت الإبرة على رجل السيد فريمان. "فكّري في هذا ملياً بينما تُحضرين مشروبنا".

14

راقبها عن كثب بينما استخدمت الآلة. تقع محطة الوقود هذه في الضواحي المشجرة لبلدة صغيرة، وهناك دائماً احتمال أن تفرّر أنها لا تكثرث للعجوز فتركض نحو الأشجار. فكّر بالمسدّس، لكنه تركه حيث هو. مطاردها أمر سهل، وفقاً لحالتها اللزجة. لكنها حتى لم تنظر في ذلك الاتجاه. بل أدخلت المال في الآلة وحصلت على المشروبات، الواحد تلو الآخر، متوقفةً فقط لتشرب كمية كبيرة من الماء. عادت وأعطته الفانتا، لكنها لم تتركب. بل أشارت إلى الجهة البعيدة للمبنى.

"أحتاج إلى أن أبول".

دُهل كُرو. هذا شيء لم يتوقعه، رغم أنه كان عليه أن يتوقّعه. فقد تم تخديرها، وجسمها يحتاج إلى تطهير نفسه من السموم. "ألا يمكنك الصبر قليلاً؟". كان يقول لنفسه إنه بعد بضعة كيلومترات على الطريق، يمكنه إيجاد ممر جانبي فيركن فيه ويدعها تذهب إلى خلف أجمّة. وطالما يبقى قادراً على رؤية أعلى رأسها، ستكون الأمور بخير.

لكنها هزّت رأسها. بالطبع ستفعل ذلك.

فكّر بالأمر ملياً. "حسناً، اسمعيني. يمكنك استخدام مرحاض السيدات إذا كان الباب مفتوحاً. وإلا سيكون عليك التبول في الخلف. من المُحال أن أدعك تدخلين وتطلبين المفتاح من موظف الصندوق".

"وإذا اضطررتُ إلى التبول في الخلف، أظنك ستراقبني. منحرف".

"سيكون هناك مكبّ أو شيء يمكنك القرفصة خلفه. سينفطر قلبي من عدم رؤية ردفيك الصغيرين النفيسين، لكنني سأحاول الصمود. اركبي الشاحنة الآن".

"لكنك قلت -"

"اركبي، وإلا سأعاود مناداتك ذات الشعر الذهبي".

ركبت، وقاد الشاحنة إلى جانب أبواب الحمّامات، دون أن يسدّ مدخلها تماماً. "الآن مدي يدك".

"لماذا؟".

"نقّذي ذلك وحسب".

مدّت يدها على مضمض. أمسكها. عندما رأت الإبرة، حاولت أن تسحبها.

"لا تقلقي، نقطة فقط. لا يمكننا السماح لك التفكير بأفكار سيئة، أليس كذلك؟ أو بثّها. هذا سيحصل بطريقة أو بأخرى، لذا لماذا تصعّبين المسألة؟".

توقّفت عن محاولة سحب يدها. من الأسهل ترك المسألة تحصل. شعرت بلسعة صغيرة على الجهة الخلفية ليدها، ثم أفلتها لها. "أذهبي الآن. بولي بسرعة. مثلما تقول الأغنية القديمة، الرمل يركض عبر الساعة الرملية عائداً إلى منزله".

"لا أعرف أي أغنية تقول هذا".

"لست متفاجئاً. فأنتِ حتى لا تميّزين بين تاجر البندقية وروميو وجولييت".

"أنت لئيم".

"لست مضطراً أن أكون هكذا"، قال.

خرّجت وبقيت واقفة بجانب الشاحنة للحظة، تأخذ أنفاساً عميقة.

"أبرأ؟".

نظرت إليه.

"لا تحاولي القفل على نفسك في الداخل. تعرفين من سيدفع ثمن ذلك، أليس كذلك؟"، قال وهو يربّت رجل بيبي فريمان.

تعرف.

عاد رأسها، الذي كان قد بدأ يصفى، ضبابياً مرة أخرى. رجل رهيب - شيء رهيب - خلف تلك الابتسامة الفاتنة. وذكي. فكّر في كل شيء. جرّبت باب الحمام ووجدته غير مقفل. على الأقل لن تضطر إلى التبويل بين الأعشاب، وهذا جيد. دخلت، أغلقت الباب، وقضت حاجتها. ثم جلّست هناك على المرحاض ورأسها الداخ مدلى إلى أسفل. تذكّرت وجودها في حمام منزل إيما، عندما صدّقت بحماقة أن كل شيء سيسير على ما يرام. كم بدا هذا في الماضي البعيد.

عليّ أن أفعل شيئاً.

لكنها مخدّرة، دائخة.

(دان)

أرسلت هذا بكل القوة التي يمكنها أن تحشدها... والتي لم تكن كثيرة. وكم سيعطيها كُرو من وقتٍ؟ شعّرت باليأس يغمرها، يقوّض ما بقي لديها من إرادة قليلة للمقاومة. كل ما أرادت فعله هو أن تزرّر بنطلونها، تتركب الشاحنة مرة أخرى، وتعود إلى النوم. لكنها حاولت مرة أخرى.

(دان! دان، رجاء!)

وانتظرت أعجوبة.

ما حصلت عليه بدلاً من ذلك كان نقرة قصيرة على بوق الشاحنة. الرسالة واضحة: انتهى الوقت.

الفصل 15

المقايضة

1

ستتذكر ما قد نسي.

في عواقب الانتصار الباهظ الثمن في كلاود غاب، بقيت الجملة تطارد دان مثل أغنية مثيرة للغضب وعديمة المعنى تعلق في الذهن وترفض أن تزول، من النوع الذي تجد نفسك تدندنه حتى بينما تتعثر إلى الحمّام في منتصف الليل. كانت هذه الجملة مثيرة للغضب جداً، لكنها ليست عديمة المعنى كلياً. وقد ربطها بطوني لسبب من الأسباب.

ستتذكر ما قد نسي.

من المُحال أن يستخدموا وينبأغو العقدة الحقيقية لكي يعودوا إلى سياراتهم المركونة في محطة تينيتاون عند مشاعات بلدة فرايجر. حتى ولو كانوا لا يخشون أن يراهم أحدٌ ينزلون منها أو أن يتركوا أدلة جنائية داخلها، كانوا سيرفضون دون الحاجة إلى التصويت على المسألة. كانت تعبق بأكثر من رائحة المرض والموت؛ كانت تعبق برائحة الشر. لكن لدى دان سببٌ آخر. لم يعرف إن كان أعضاء العقدة الحقيقية يعودون على هيئة أشخاص أشباح أم لا، لكنه لم يرغب أن يعرف.

لذا رموا الملابس المهجورة وبقية المعدات في خليج ساكو، حيث أن الأشياء التي لن تغرق ستعوم إلى المصبّ في ماين، وعادوا مثلما جاءوا، في هيلين ريفنغتون.

ارتقى دايفد ستون على مقعد قاطع التذاكر، ورأى أن دان لا يزال يحمل أرنب أبرا المحشو، فمدّ يده ليأخذه. أعطاه إياه دان طوعياً كفاية، ملاحظاً ما يحمله والد أبرا في يده الأخرى: هاتفه البلاكييري.

"ماذا ستفعل بهذا؟"

نظر دايف إلى الغاية المناسبة على جهتي السكة الحديدية الضيقة، ثم عاد ونظر إلى دان. حالما نصل إلى مكان فيه تغطية خلوية، سأتصل بمنزل عائلة دين. إذا لم يكن هناك ردّ، سأتصل

بالشرطة. وإذا كان هناك ردّ، وأخبرتني إيما أو أمها أن أبراً غادرت، سأتصل بالشرطة. بافتراض أنهما لم تتصلا بالشرطة من قبل". كانت نظرتة المحيطة باردة وخالية من أي ودّ، لكنه على الأقل يُبقي خوفه - بالأحرى، رعبه - على ابنته تحت السيطرة، واحترمه دان على ذلك. كما أن هذا سيجعله منفتحاً أكثر على النقاش المنطقي.

"أحمّلك المسؤولية عن هذا يا سيد تورانس. الخطة خطتك. خطتك المجنونة".

لا جدوى من الإشارة إلى أنهم كلهم وافقوا على الخطة المجنونة. أو أنه وجون متوتران مثله تقريباً عن صمت أبراً المتواصل. مبدئياً، الرجل محقّ.

ستتذكّر ما قد نُسي.

هل هذه ذكرى أخرى من الأوفلوك؟ اعتقد دان أنها كذلك. لكن لماذا الآن؟ لماذا هنا؟

"دايف، لقد اختطفت بكل تأكيد تقريباً". جون دالتون قال هذا. كان قد انتقل إلى العربية التي خلفهما تماماً. اخترقت آخر خيوط الشمس الأشجار وراحت تتراقص على وجهه. "إذا كان الحال هكذا وأخبرت الشرطة، ما برأيك سيحصل لأبراً؟".

شكراً لك، فكّر دان في سرّه. لو أنا الذي قال هذا، أشكّ أن يكون قد سمعه. لأنني، في النهاية، مجرد غريب كان يتأمر مع ابنته. لن يقتنع بالكامل أبداً أنني لست الشخص الذي أوقعها في هذه الورطة.

"ماذا كان يمكننا أن نفعل الآن؟"، سأل دايف، ثم انكسر هدوؤه الهشّ. بدأ يبكي، وغطى وجهه بأرنب أبراً المحشو. "ماذا سأقول لزوجتي؟ أنني كنتُ أطلق النار على أشخاص في كلاود غاب بينما البُعبُع يسرق ابنتنا؟".

"الأهم قبل المهم"، قال دان. لم يعتقد أن شعارات منظمة مدمني الشراب المجهولين مثل خذ الأمور ببساطة أو هون عليك ستنتفع مع والد أبراً الآن. "يجب أن تتصل بعائلة دين عندما تحصل على تغطية خلوية. أعتقد أنهم سيردّون عليك، وسيكونون بخير".

"لماذا تعتقد هذا؟".

"في تواصلنا الأخير مع أبراً، أخبرتها أن تطلب من والدتها صديقتها الاتصال بالشرطة".

طرفت عينا دايف. "فعلت هذا حقاً؟ أم أنك تقول هذا الآن فقط لتحمي نفسك؟".

"فعلته حقاً. بدأت أبراً تجيبي. قالت 'لست'، ثم فقدتها. أعتقد أنها كانت ستخبرني أنها لم تعد في منزل عائلة دين".

"هل هي حيّة؟". أمسك دايف مرفق دان بيدٍ باردةٍ تماماً. "هل لا تزال إبنتي على قيد الحياة؟".

"لم أسمع منها، لكنني متأكد أنها حيّة".

"بالطبع سنقول هذا"، همس دايف. "احمِ ظهرك، صح؟".

ضغطَ دان على نفسه لكي لا يردّ رداً عنيفاً. إذا بدأ التشاجر فإن أي فرصة ضئيلة لاستعادة أبرا ستزول نهائياً.

"هذا منطقي"، قال جون. رغم أنه كان لا يزال شاحباً ولم تهدأ رعشة يديه تماماً، كان يتكلم بصوته الهادئ الذي يستخدمه مع المرضى. "موتها لن يفيد الشخص الباقي منهم. الشخص الذي قبض عليها. أما بقاؤها حيّة فيجعلها رهينة. كما أنهم يريدونها ل... حسناً...".

"يريدونها لجورها"، قال دان. "البخار".

"شيء آخر"، قال جون. "ماذا ستُخبر الشرطة عن الرجال الذين قتلناهم؟ أنهم بدأوا يدورون إلى التخفي ومنه إلى أن اختفوا بالكامل؟ ثم تخأصنا من... مخلفاتهم؟".

"لا أصدّق أنني تركتُك تورّطني في هذا". كان دايف يفتل الأرنب من جهة إلى أخرى. قريباً ستمزّق اللعبة القديمة وتسكب حشوتها. لم يكن دان متأكداً أنه قادر على تحمّل رؤية ذلك.

قال جون، "اسمع يا دايف. لصالح إبنتك، عليك أن تصفّي ذهنك. لقد أصبحت في هذا منذ أن رأيت صورة ذلك الفتى في المتسوّق وحاوَلت أن تعرف عنه. وحالما أدركت من تسمّيها أبرا المرأة ذات القبعة بوجودها، أصبح لزاماً عليها تقريباً أن تأتي لتقبض عليها. لا أعرف عن البخار، وأعرف القليل جداً عما يسمّيه دان البريق، لكن أعرف أن الأشخاص مثل الذين نتعامل معهم لا يتركون أي شهود. وبخصوص مسألة فتى أيوا، هذا ما كانت عليه إبنتك".

"اتصل بعائلة دين لكن ابق المحادثة بسيطة"، قال دان.

"بسيطة؟ بسيطة؟"، بدا كأنه رجل يجرب كلمة بالسويدية.

"قل إنك تريد سؤال أبرا إن كان هناك أي شيء عليك أن تُحضره من المتجر - خبز أو حليب أو شيء من هذا القبيل. إذا قالوا إنها عادت إلى المنزل، قل فقط إن هذا ممتاز وإنك ستكلمها هناك".

"ثم ماذا؟".

لم يعرف دان. كل ما يعرفه هو أنه بحاجة إلى التفكير. بحاجة إلى التفكير بما قد نُسي.

جون يعرف. "ثم حاول التحدّث مع ببلي فريمان".

كان الغسق، وضوء الريف الأمامي يقصّ مخروطاً مرئياً في رواق السكة، قبل أن يحصل دايف على أشرطة في هاتفه. اتصل بعائلة دين، ورغم أنه كان يُمسك هوبي المشوّه الآن بقبضة حديدية وبدأت نقاط عرق كبيرة تسيل على وجهه، اعتقدّ دان أنه تصرّف بشكل جيد جداً. هل يمكنهم وضع أبي على الهاتف لدقيقة لكي تُخبره إن كانوا يحتاجون إلى أي شيء من المتجر؟ أه؟ حقاً؟ إذاً سيحاول التحدّث معها في المنزل. استمع للحظة أخرى، وقال إنه سيفعل ذلك بالتأكيد، وأنهى المكالمة. نظر إلى دان، وعيناه فجوتان ذات إطار أبيض في وجهه.

"أرادت السيدة دين معرفة حال أبر. يبدو أنها عادت إلى المنزل وهي تشتكي من تشنّجات حضيّة". دلى رأسه. "لم أكن أعرف حتى أن دوراتها الشهرية بدأت. لوسي لم تُخبرني بذلك أبداً".

"هناك أشياء لا يحتاج الأباء إلى معرفتها"، قال جون. "جرب الآن الاتصال ببلي".

"ليس معي رقمه". ضحك نصف ضحكة - ها! "نحن جماعة قضي عليها".

أعطاه دان الرقم من ذاكرته. بدأت الأشجار تصبح نخيلة أمامهم، وأصبح بالإمكان رؤية توهج أعمدة الإنارة على قطار فرايجر الرئيسي.

أدخل دايف الرقم وراح يُنصت. أنصت أكثر قليلاً، ثم أنهى المكالمة. "البريد الصوتي".

بقي ثلاثتهم صامتين بينما خرج الريف من الأشجار وتدرج آخر ثلاثة كيلومترات نحو تينيتاون. حاول دان التواصل مع أبر مجدداً، رامياً صوته الذهني بكل الطاقة التي يمكنه حشدّها، ولم يحصل على شيء. الأرجح أن الشخص الذي سمّته كُرو أفقدها وعيها بطريقة أو بأخرى. كانت امرأة الوشم تحمل إبرة. الأرجح أن كُرو كان يحمل إبرة أخرى.

ستتذكّر ما قد نسي.

نهض أصل تلك الفكرة من أعماق ذهنه، حيث يُبقي الصناديق المقلّعة التي تحتوي على كل الذكريات الفظيعة من فندق الأوفرلوك والأشباح التي غرّته.

"كان المرّجل".

على مقعد قاطع التذاكر، ألقى دايف نظرة سريعة عليه. "ماذا؟".

"لا شيء".

كان نظام التسخين في الأوفرلوك قديماً. يجب تخفيف ضغط البخار عند فواصل زمنية دورية وإلا سيبقى يتراكم إلى نقطة ينفجر عندها المرّجل ويرسل الفندق بأكمله عالياً في السماء. في هبوطه المتسارع الانحدار إلى الخبل، نسي جاك تورانس هذا الأمر، لكن ابنه اليافع حُدّر. حُدّره طوني.

هل هذا تحذير آخر، أم مجرد فكرة مجنّنة أخرى بسبب الإجهاد والشعور بالذنب؟ لأنه يشعر بالذنب. كان جون محقاً في أن أبرا ستصبح هدفاً مؤكداً للعقدة الحقيقية، لكن المشاعر غير محصّنة ضد التفكير المنطقي. الخطة خطته، الخطة التي فشلت، وهو في ورطة كبيرة.

ستتذكّر ما قد نُسي.

هل هذا صوت صديقه القديم، يحاول إخباره شيئاً عن وضعهم الحالي، أم هو مجرد صوت الغراموفون؟

2

عاد دايف وجون إلى منزل عائلة ستون معاً. تبّعهما دان في سيارته، مبتهجاً لتواجهه لوحده مع أفكاره. لكن لم يبدُ أن ذلك ساعده. كان متأكداً تقريباً من وجود شيء هناك، شيء حقيقي، لكنه فشل في معرفته. حتى إنه حاول استدعاء طوني، وهذا أمر لم يحاول القيام به منذ سنوات مرافقته، وفشل أيضاً.

لم تعد شاحنة ببلي مركونة في ريتشلاند كورت. هذا منطقي بالنسبة لدان. فقد جاء فريق إغارة العقدة الحقيقية في الوينباغو. وإذا أنزلوا كُرو في أنيستون، فسيكون على قدميه ويحتاج إلى مركبة.

المرأب مفتوح. خرج دايف من سيارة جون قبل أن تتوقف كلياً وركض إلى الداخل وهو ينادي أبرا. ثم رَفَع شيئاً عن الأرض أنارته الأضواء الأمامية لسوبربان جون مثل ممثّل على خشبة المسرح، وأطلق صوتاً يتراوح بين التآوه والصراخ. عندما أوقف دان سيارته بجانب السوبربان، رأى ذلك الشيء: حقيبة ظهر أبرا.

عندها عادت الرغبة بتناول شرابٍ إلى دان، حتى أقوى من الليلة التي اتصل فيها بجون من مرأب سيارات مقصف رعاة البقر، أقوى من كل السنوات منذ أن أخذ فيشة بيضاء في اجتماعه الأول. الرغبة بمجرد القيادة عكسياً في الممر الخاص للمنزل، تجاهل صرخاتهم، والعودة إلى فرايجر. هناك مقصف يدعى الموظ الضخم مرّ بجانبه مرات عديدة والتخمينات التأملية لثمل متعافى تراوده دائماً - كيف الأجواء في الداخل؟ ما هي أصناف شراب الشعير؟ ما هو نوع الموسيقى في علبة الموسيقى؟ ما هي أصناف الشراب الاسكتلندي المعروضة على الرف؟ هل هناك أي سيدات جميلات؟ كيف سيكون مذاق أول كوب شراب؟ هل سيكون مثل مذاق المنزل؟ مثل العودة إلى المنزل أخيراً؟ يمكنه الإجابة على بعض تلك الأسئلة على الأقل قبل أن يتصل دايف ستون بالشرطة وتأخذ الشرطة إلى الاستجواب في مسألة اختفاء فتاة صغيرة.

سيأتي وقتٌ، أخبره كايسي في تلك الأيام الأولى ذات مفاصل الأصابع البيضاء، تنهار فيه دفاعاتك الذهنية والشيء الوحيد الذي سيبقى بينك وبين الشراب هو قوتك العليا.

لم تكن لدى دان أي مشكلة مع القوة العليا، لأنه يعرف بعض المعلومات الداخلية. تبقى القوة العليا فرضيةً غير مبرهنة، لكنه يعرف أن هناك حقاً مستوى آخر من الوجود. لأنه، مثل أبرا، رأى الأشخاص الأشباح. لذا فالفرضية ممكنة جداً. ونظراً لنظراته الخاطفة إلى العالم الموجود أبعد من هذا العالم، فكّر دان أنه حتى من المرجح... رغم أن المرء يتساءل أي نوع من القوة العليا لا تتدخل بينما يحصل هذا النوع من الهراء؟

كما لو أنك أول شخص يطرح هذا السؤال، فكّر في سرّه.

لقد أخبره كايسي كينغسلي أن يركع على رُكبتَيْه مرتين في اليوم، ليطلب المساعدة في الصباح ويشكر في الليل. إنها الخطوات الثلاثة الأولى: أنا لا أستطيع، السماوات تستطيع، أعتقد أنني سأدعها تعمل. لا تفكّر في المسألة كثيراً.

للقادمين الجدد المُمانعين بالأخذ بهذه النصيحة، اعتاد كايسي أن يروي لهم قصة عن مخرج الأفلام جون ووترز. في أحد أوائل أفلامه، طيور الفلامينغو الزهرية، تأكل النجمة ديفلين بعض غائط الكلب عن مَرَجَة في الضواحي. بعد سنوات عديدة، بقي ووترز يُسأل عن تلك اللحظة الباهرة في التاريخ السينمائي. ردّاً بحدّة أخيراً على أحد المراسلين الصحفيين، "كانت مجرد قطعة صغيرة من براز الكلب، وقد جعلتها نجمة".

لذا اركع على رُكبتَيْك واطلب المساعدة حتى ولو كان ذلك لا يعجبك، يُنهي كايسي كلامه دائماً في النهاية، المسألة مجرد قطعة صغيرة من براز كلب.

لا يستطيع دان أن يركع على رُكبتَيْه خلف مقود سيارته، لكنه اعتمد وضعيته الافتراضية التلقائية لطلباته الصباحية والمسائية - العينان مُغمضتان وراحة يده تضغط على شفتيه، كما لو أنه يصدّ حتى قطرة واحدة من السم المغربي الذي ترك ندوباً على عشرين سنة من حياته.

يا إلهي، ساعدني على عدم -

وصل إلى هذا الحد عندما لمع الضوء.

كان ما قاله دايف في طريقهم إلى كلاود غاب. ابتسامة أبرا الغاضبة (تساءل دان إن رأى كُرو تلك الابتسامة بعد، وماذا استخلص منها إن كان قد رآها). والأهم هو ملمس بشرته، ضغط شفتيه على أسنانه.

"يا إلهي"، همس. خرج من السيارة وخارت رجلاه. ركع على رُكبتَيْه في النهاية، لكنه نهض وركض إلى المرأب، حيث كان الرجلان يقفان ينظران إلى حقيبة أبرا المهجورة.

أمسك كتف دايف ستون. "اتصل بزوجتك. أخبرها أنك آتٍ لرؤيتها".

"ستريد معرفة السبب"، قال دايف. كان واضحاً من فمه المرتجف وعينه المخفّضتين كم أراد عدم إجراء تلك المحادثة. "إنها تقيم في شقة شتاً. سأخبرها... يا إلهي، لا أعرف ماذا سأخبرها".

بقي دان يشدّ قبضته لزيادة الضغط إلى أن ارتفعت العينان المخفّضتان ونظرتا إلى عينيه. "كلنا ذاهبون إلى بوسطن، لكن توجد أمور أخرى علينا الاهتمام بها جون وأنا هناك".

"أي أمور أخرى؟ لا أفهم".

دان فهم. ليس كل شيء، لكن الكثير.

3

استقلّوا سوبربان جون. ركّب دايف على المقعد الأمامي. واستلقى دان على ظهره مُسنداً رأسه على مسند الذراع وقدميه على الأرضية.

"بقيت لوسي تحاول جعلي أخبرها السبب"، قال دايف. "قالت إنني أخيفها. وبالطبع اعتقدت أن الموضوع يتعلّق بأبرا، لأن لديها القليل مما تملكه أبرا. لطالما عرفتُ ذلك. أخبرتها أن أبي ستبيت ليلتها في منزل إيما. هل تعرف كم مرة كذبتُ على زوجتي في سنوات زواجنا؟ يمكنني أن أعدّها على يد واحدة، وثلاث منها حول المبلغ الذي خسرتُه في ألعاب الحظ التي يقيمها مدير قسمي كل ليلة خميس. لا شيء من هذا القبيل. وبعد ثلاث ساعات فقط، سأضطر إلى التراجع عنه كله".

بالطبع عرّف دان وجون ماذا قال لها عن أبرا، وكم انزعجت لوسي من إصرار زوجها المتواصل بأن المسألة مهمة ومعقدة جداً لمناقشتها على الهاتف. كان كلاهما في المطبخ عندما أجرى المكالمة. لكنه شَعَرَ بحاجة إلى أن يتكلّم. أن يشارك، وفق تعبير منظمة مدمني الشراب المجهولين. اهتمّ جون بكل الأجوبة التي يجب تقديمها، فراح يقول مممم و صح و فهمتُ.

في مرحلة ما، سكت دايف ونظر إلى المقعد الخلفي. "يا إلهي، هل أنت نائم؟".

"لا"، قال دان دون أن يفتح عينيه. "أحاول التواصل مع إبنتك".

هذا أنهى مونولوج دايف. لم يعد هناك الآن سوى مهمة عجلات السوبربان المتّجهة جنوباً على الطريق 16 عبر سلسلة بلدات صغيرة. كانت حركة المرور خفيفة وأبقى جون عدّاد السرعة ثابتاً عند تسعين كيلومتراً بالساعة بعدما اتّسع الممران إلى أربعة.

لم يبذل دان أي جهد ليتصل بأبرا؛ لم يكن متأكداً أن هذا سينجح. بدلاً من ذلك حاول أن يفتح ذهنه بالكامل. أن يحوّل نفسه إلى هوائي إصغاء. لم يجرب هكذا شيء من قبل أبداً، وكانت النتيجة غريبة. فقد شَعَرَ كأنه يضع أقوى سماعات رأس في العالم. وبدا أنه يسمع صوت اندفاع

منخفض ثابت، واعتقد أنه مهمة الأفكار البشرية. جهّز نفسه لسمع صوتها في مكان ما في تلك الموجات الهادئة، دون أن يتوقع حصول ذلك حقاً، لكن ماذا يمكنه أن يفعل خلاف ذلك؟

لم يلتقطها أخيراً إلا بُعيد اجتيازهم أول كشك لدفع رسوم عبور طريق سبولدينغ الرئيسي، الذي يبعد الآن تسعين كيلومتراً فقط عن بوسطن.

(دان)

صوت منخفض. بالكاد موجود. اعتقد في البدء أنه من نتاج خياله - نتاج أمانيه - لكنه استدار في ذلك الاتجاه على أي حال، لمحاولة حصر تركيزه على شعاع نور كشاف واحد. وأتى مرة أخرى، صاخباً أكثر قليلاً هذه المرة. كان حقيقياً. كان صوتها.

(دان، رجاءً!)

لقد تم تخديرها، لا شك، ولم يحاول أبداً أي شيء يشبه الخطوة التالية التي يجب القيام بها... لكن على أبرا القيام بها. عليها أن تزيه الطريق، سواء كانت مخدرة أم لا.

(أبرا ابذلي جهداً عليك مساعدتي)

(المساعدة بماذا المساعدة كيف)

(مقايضة)

(؟؟؟)

(مساعدتي على أن أدير العالم)

4

كان دايف على مقعد الراكب يبحث عن فكة في حاملة الكوب لكشك رسوم العبور التالي، عندما تكلم دان من خلفه. إلا أنه لم يكن دان ابداً.

"فقط أعطني دقيقة أخرى، عليّ أن أغير فوطتي الصحية!"

انحرفت السوبربان عندما استوى جون جالساً وارتعش المقود. "تياً".

فكّ دايف حزام أمانه وركع على ركبتيه، بعد أن استدار لينظر إلى الرجل الجالس على المقعد الخلفي. كانت عينا دان نصف مُغمضتين، لكنهما انفتحتا عندما نطق دايف إسم أبرا.

"لا يا بابا، ليس الآن، عليّ أن أساعد... عليّ أن أحاول...". انفتل جسم دان. ارتفعت يده مسحت فمه في إيماءة رآها دايف ألف مرة، ثم سقطت. "أخبره أنني قلتُ له ألا يناديني هكذا. أخبره

مالَ رأس دان جانبياً إلى أن أصبح مُسنداً على كتفه. تأوّه. ارتعشت يداه بلا هدف محدّد.

"ماذا يجري؟"، صرّخ جون. "ماذا أفعل؟".

"لا أعرف"، قال دايف. مدّ يده بين المقاعد، أمسك إحدى اليدين المرتعشتين، وأحكّم الشدّ

عليها.

"قُدْ"، قال دان. "فقط قُدْ".

ثم بدأ الجسم الذي على المقعد الخلفي يثب ويفتل. بدأت أبراً تصرخ بصوت دان.

5

وجَد القناة بينهما عبر اتباعه تيار أفكارها البطيء. رأى العجلة الحجرية لأن أبراً كانت تتخيلها، لكنها كانت ضعيفة جداً ومشوشةً لكي تديرها. كانت تستخدم كل القوة الذهنية التي يمكنها حشدّها لمجرد إبقاء طرفها من الرابط مفتوحاً. لكي يتمكن من دخول ذهنها وتتمكن من دخول ذهنه. لكن أغلبه لا يزال في السوبربان، وأضواء السيارات المتجهة في الاتجاه الآخر تنير السقف المبطن. ضوء... ظلمة... ضوء... ظلمة.

العجلة ثقيلة جداً.

سُمع طرقٌ مفاجئٌ من مكان ما، وصوتٌ. "اخرجي يا أبراً. انتهى الوقت. علينا أن نواصل طريقنا".

هذا أخافها، ووجدت بعض القوة الإضافية. بدأت العجلة تتحرك، تسحبه أعمق إلى الحبل السري الذي يربطهما. إنه أغرب إحساس شَعَر به دان في حياته، مُبهجاً حتى في رعب الحالة.

في مكان ما، بعيد، سمع أبراً تقول، "فقط أعطني دقيقة أخرى، عليّ أن أغيّر فوطتي الصحية!".

بدأ سقف سوبربان جون ينزلق بعيداً. يدور. كانت هناك ظلمة، الإحساس بالتواجد في نفق، وتسنّى له الوقت ليفكر في سرّه، إذا تهتّ هنا، لن أتمكن من العودة أبداً. سينتهي بي المطاف متخشباً ميؤوساً منه في مستشفى للأمراض العقلية في مكان ما.

لكن عندها بدأ العالم ينزلق عائداً إلى مكانه، إلا أنه لم يكن نفس المكان. لقد اختفت السوبربان. كان في حمّام كريبه الرائحة أرضيته مبلّطة ببلاط أزرق رتّ وهناك لافتة بجانب المغسلة تقول عذراً ماء بارد فقط. كان يجلس على المراض.

قبل حتى أن يستطيع التفكير بالنهوض، فُتح الباب بقوة كبيرة كانت كافية لكسر بعض البلاط القديم، ودخل رجلٌ. بدا في حوالي الخامسة والثلاثين، شعره أسود حالك وممشط بعيداً عن جبهته، وجهه زاويّ لكن وسيماً بطريقة نحيلة غير مصقولة. كان يُمسك مسدساً في يده.

"تريدين تغيير فوطتك الصحية، بالتأكيد"، قال. "من أين لك واحدة يا ذات الشعر الذهبي، في جيب بنطلونك؟ لا شكّ أنها في جيبك، لأن حقيبة ظهرك بعيدة جداً من هنا".

(أخبره أنني قلتُ له ألا يناديني هكذا)

قال دان، "أخبرتُك ألا تتناديني هكذا".

صمتَ كُرو قليلاً وهو ينظر إلى الفتاة الجالسة على مقعد المرحاض، تتمايل قليلاً من جهة إلى أخرى. تتمايل بسبب المخدّر. بالتأكيد. لكن ماذا بشأن صوتها؟ هل هذا بسبب المخدّر؟

"ماذا حصل لصوتك؟ يبدو مختلفاً عما كانت عليه".

حاول دان أن يهزّ كتفَي الفتاة ونجح فقط في هزّ أحدهما. أمسك كُرو ذراع أبرأ ورفع دان إلى قدمي أبرأ. هذا مؤلم، وصرخ.

في مكان ما - على بُعد كيلومترات من هنا - صرخ صوتٌ خافتٌ، ماذا يجري؟ ماذا أفعل؟

"قُدْ"، قال لجون بينما كان كُرو يُخرجه من الباب. "فقط قُدْ".

"آه، سأقود طبعاً"، قال كُرو، وأدخل أبرأ بالقوة إلى الشاحنة بجانب بيلى فريمان المشخّر. ثم أمسك حزمة من شعرها، لَفّها في قبضته، وشدّ. صرّخ دان بصوت أبرأ، وهو يعرف أنه ليس صوتها تماماً. تقريباً، لكن ليس تماماً. سمع كُرو الفرق، لكنه لم يعرف ماذا كان. المرأة ذات القبعة ستعرف؛ المرأة ذات القبعة هي التي علّمت أبرأ خدعة تبادل العقول هذه عن غير قصد.

"لكن قبل أن نواصل طريقنا، سنتفاهم على شيء. لا كذب بعد الآن. المرة القادمة التي تكذبين فيها على أبيك، سيصبح هذا العجوز المشخّر بجانبني عبارة عن كتلة لحم ميت. ولن أستخدم المخدّر. سأركن جانباً في مكان ناءٍ وأضع رصاصة في بطنه. بهذه الطريقة سيستغرق موته بعض الوقت. وسيتسنّى لك سماعه يصرخ. مفهوم؟"

"نعم"، همّس دان.

"أمل ذلك أيتها الفتاة الصغيرة، لأنني لا أكرّر نفسي".

خبطَ كُرو الباب وسار بسرعة إلى جهة السائق. أغمض دان عيني أبرأ. كان يفكّر بالملاعق في حفلة ذكرى الولادة. أيضاً بفتح الجوارير وإغلاقها. كانت أبرأ ضعيفة جداً جسدياً لتتصارع مع الرجل الذي يجلس خلف المقود الآن ويشغّل المحرّك، لكن جزء منها كان قوياً. إذا

استطاع إيجاد ذلك الجزء... الجزء الذي حرّك الملاعق وفتح الجوارير وعزف الموسيقى في الهواء... الجزء الذي كتب على سبّورته على بُعد كيلومترات... إذا أمكنه إيجاده ثم التحكم به...

مثلما تخيّلت أبرا رمح مُحاربةٍ أنثى وحصانها، تخيّل دان الآن صف بدالات على جدار غرفة تحكم. بعضها يحرك يديها، بعضها يحرك رجليها، وبعضها يهزّ كتفيها. لكن بعضها الآخر أهمّ. يجب أن يكون قادراً على تفعيلها؛ لديه بعض نفس الدارات على الأقل.

بدأت الشاحنة تسير، إلى الخلف أولاً، ثم انعطفت. بعد لحظة كانا قد عادا إلى الطريق.

"أحسنّت"، قال كُرو بتجهم. "نامي. ماذا ظننت أنك ستفعلين هناك؟ تقفزين إلى داخل المرحاض وتشطفين نفسك بعيداً إلى..."

تلاشت كلماته، لأن ها هي البدالات التي يبحث عنها دان. البدالات الخاصة، البدالات ذات المقابض الحمراء. لم يعرف إن كانت هناك حقاً، وإن كانت مرتبطة بقدرات أبرا فعلاً، أو أن هذه مجرد لعبة سوليتير ذهنية يلعبها. عرّف فقط أن عليه أن يحاول.

أشرفي، فكّر في سرّه، وفعلها كلها.

6

كانت شاحنة بيلي فريمان قد ابتعدت حوالي اثني عشر كيلومتراً غرب محطة الوقود وتسير في ظلمة فيرمونت الريفية على الطريق 108 عندما بدأ كُرو يشعر بالألم. كان كما لو أن حزاماً فضياً صغيراً يدور في عينه اليسرى. كان بارداً، ضاعطاً. رفع يده ليفركها، لكن قبل أن يتمكن من فعل ذلك، انزلق يميناً مجدداً جسر أنفه مثل حقنة بروفوكاين. ثم راح يدور في عينه الأخرى أيضاً. بدا الأمر كما لو أنه يضع منظاراً معدنياً على عينيه.

أو أصفاداً على عينيه.

بدأت أذنه اليسرى ترنّ الآن، وشعر بخدرٍ في خده الأيسر فجأة. أدار رأسه ورأى الفتاة الصغيرة تنظر إليه. كانت عيناها عريضتين ولا ترمشان. لم تبدوا مخدّرتين أبداً. كما أنهما لم تبدوا عينيها أبداً. بدتا أكبر سناً. أكثر حكمة. وباردتين مثل وجهه الآن.

(أوقف الشاحنة)

كان كُرو قد أعاد تركيب غطاء الحقنة ووضعها من يده، لكنه لا يزال يحمل المسدّس الذي كان قد أخرجته من تحت المقعد عندما قرّر أنها تأخّرت في المرحاض. رفعه بقصد أن يهدّد العجوز ويجعلها تتوقف عما تفعله، لكنه شعر فجأة كما لو أن يده غرقت في مياه مجمّدة. ازداد وزن المسدّس: كيلوغرامان، أربعة كيلوغرامات، ما بدا أنه عشر كيلوغرامات. عشر كيلوغرامات على الأقل. وبينما كان يكافح ليرفعه، ارتفعت قدمه اليمنى عن دواصة وقود الشاحنة وأدارت يده اليسرى

المِقْوَد بحيث انحرفت الشاحنة عن الطريق وتدرجت على حافة الطريق الناعمة - تباطأت بهدوء - ومالت عجلات الجهة اليمنى نحو الخندق.

"ماذا تفعلين بي؟"

"ما تستحقه يا بابا".

اصطدمت الشاحنة بشجرة بتولا ساقطة، وقسمتها إلى قسمين، وتوقفت. كان حزاما أمان الفتاة والعجوز مربوطين، لكن كُرو نسي أن يربط حزام أمانه فارتطم بالمِقْوَد مُطلقاً البوق. عندما أخفض نظره، رأى مسدّس العجوز يستدير في قبضته. ببطء شديد نحوه. لا يجب أن يكون حصول هذا ممكناً. يُفترَض أن يمنعه المخذّر. تياً، المخذّر منعه فعلاً. لكن شيئاً تغيّر في ذلك الحمّام. أياً يكن خلف تلك العينين اللعينتين الآن كان واعياً تماماً.

وقوياً بشكل رهيب.

روز! روز، أحتاج إليك!

"لا أعتقد أنه يمكنها سماعك"، قال الصوت الذي لم يكن أبراً. "ربما لديك بعض المواهب، أيها السافل، لكنني لا أعتقد أن لديك الكثير في مجال التخاطر. أعتقد أنك عندما تريد التكلّم مع حبيبتيك، تستخدم الهاتف".

بذل كُرو كل قوته وبدأ يعيد تصويب المسدّس نحو الفتاة. بدا وزنه الآن عشرين كيلوغراماً. بَرَزت أوتار عنقه مثل أسلاك، وامتلات جبهته بقطرات العرق. دخلت إحداها عينه، لسعته، فطرفت عينه لإبعادها.

"سأطلق... النار... على صديقك"، قال.

"لا"، قال الشخص الذي داخل أبراً. "لن أدعك".

لكن كُرو استطاع أن يرى أنها تجهّد الآن، وهذا أعطاه الأمل. بذل كل ما لديه ليصوّب الفوهة نحو خصر ريب فأن وينكل، وكان ينجح في ذلك عندما بدأ المسدّس يبرم مرة أخرى. يمكنه الآن سماع الحقيرة الصغيرة تلهث. تياً، هو أيضاً يلهث. بدوا مثل عدائيّ ماراثون اقتربا من نهاية السباق جنباً إلى جنب.

مرّت سيارة بجانبهم، دون أن تُبْطئ. لم يلاحظها كلاهما. كانا ينظران إلى بعضهما البعض.

أنزل كُرو يده اليسرى لتتضم إلى يده اليمنى على المسدّس. بدأ يديره الآن بسهولة أكبر قليلاً. كان يهزمها، رائع. لكن عينيه! يا للهول!

"بيلي!"، صرخت أبراً. "بيلي، بعض المساعدة هنا!".

نخر بيلي. انفتحت عيناه. "ماذ -"

تشبّت تركيز كُرو للحظة. ضعفت القوة التي كان يبذلها، وبدأ المسدّس يعود نحوه فوراً. كانت يده باردتين، باردتين. تلك الحلقات المعدنية تضغط على عينيه، تهدّد بتحويلهما إلى هلام.

انطلق المسدّس لأول مرة عندما كان بينهما، مُحدثاً فجوةً في لوحة القيادة فوق الراديو مباشرة. استيقظ بيلي جافلاً، وراحت ذراعه تلوّحان على الجهتين مثل رجل انتزع نفسه من كابوس. ضربت إحداهما صدغ أبراً، والأخرى صدر كُرو. امتلأت الشاحنة بضباب أزرق ورائحة بارود محترق.

"ماذا كان ذلك؟ تباً، ماذا كان ذ -"

تكلم كُرو بغضب شديد، "لا، أيتها السافلة! لا!".

أعاد برم المسدّس نحو أبراً، وبينما فعل ذلك، شعّر بسيطرتها تضعف. إنها الضربة على رأسها. استطاع كُرو رؤية رعب في عينيها، وكان مسروراً بشراسة.

عليّ أن أقتلها. لا يمكنني إعطاءها فرصة أخرى. لكن ليس طلقة في الرأس. في الأمعاء. ثم سأمتصّ البخ -

خبط بيلي كتفه بجانب كُرو. ارتعش المسدّس إلى أعلى وانطلق مرة أخرى، مُحدثاً هذه المرة فجوة في السقف فوق رأس أبراً مباشرة. قبل أن يتمكن كُرو من إخفاضة مرة أخرى، وضعت يدها ضخمتان نفسيهما فوق يديه. تسنّى له الوقت ليُدرك أن خصمه كان يستخدم فقط جزءاً من القوة الخاضعة لسيطرته. فالذعر فتح احتياطاً هائلاً، ربما حتى احتياطاً لا يمكن معرفة حدوده. عندما استدار المسدّس نحوه هذه المرة، انكسر معصما كُرو مثل غصن شجر رفيع. للحظة رأى عيناً سوداء تحديق فيه، وتسنّى له وقت كافٍ لنصف فكرة:

(روز أحبّ)

كان هناك وميض أبيض هائل، ثم ظلمة. بعد أربع ثوانٍ، لم يبقَ شيء من كُرو دادي غير ملابسه.

كان ستيف الساذج وباباه الحمراء وديك الملتوي وغ الطماعة يلعبون لعبة كاناستا عابرة في الحنطور الذي تنتشركه الطماعة مع فيل القدر عندما بدأ الزعيق. أربعتهم متوترون من قبل - كل أعضاء العقدة الحقيقية متوترون - فرموا أوراقهم فوراً وركضوا صوب الباب.

بدأ الجميع يخرجون من عربات تخييمهم وسيارات عيشهم ليروا ما الأمر، لكنهم توقفوا عندما رأوا روز القبعة واقفة في الوهج الأصفر والأبيض الرائع لأضواء الأمن المحيطة بكوخ الأوفرلوك. كانت عيناها متوحشتين، وتشدّ شعرها مثل عرّافة عجوز تتخيّل مشهداً عنيفاً.

"تلك الحقيرة الصغيرة اللعينة قتلت كُرو!"، زعقت. "سأقتلها! سأقتلها وأكل قلبها!".

سقطت أخيراً إلى رُكبتَيْها، وراحت تشهق في يديها.

جمد أعضاء العقدة الحقيقية في أرضهم مذهولين. لم يعرف أحد ماذا يقول أو يفعل. أخيراً ذهبت إليها ساراي الصامتة. دفعتها روز بعيداً عنها بعنف. حطّت ساراي على ظهرها، نهضت، وعادت إلى روز دون تردد. رفعت روز نظرها إليها هذه المرة ورأت الرغبة في أن تكون معزيتها، امرأة فقدت أيضاً شخصاً عزيزاً على قلبها هذه الليلة التي لا تُصدّق. عانقت ساراي بقوة لدرجة أن أعضاء العقدة الحقيقية الذين يراقبون ما يحصل سمعوا أصوات طقطقة عظام. لكن ساراي لم تكافح، وبعد لحظات، ساعدت المرأتان بعضهما البعض لتنهضا. راحت روز تنقل نظرها من ساراي الصامتة إلى مو الضخمة، ثم إلى ماري الثقيلة وتشارلي التأشيرة. بدت كما لو أنها لم تر أي واحد منهم أبداً من قبل.

"بالله عليك يا روزي"، قالت مو. "لقد تعرّضت لصدمة. عليك الاستلقاء -"

"لا!".

ابتعدت عن ساراي الصامتة وصفّعت خديها بيديها الاثنتين في صفة مزدوجة عنيفة أوقعت لها قبعتها. انحنت لترفعها، وعندما نظرت حولها مرة أخرى إلى أعضاء العقدة الحقيقية المتحلّقين، عاد بعض سلامة العقل إلى عينيها. تذكرت دوغ الديزل والطاقم الذي أرسلته للقاء كُرو والفتاة.

"عليّ التحدث مع ديز. أن أطلب منه وفيل وآني العودة. نحتاج إلى أن نكون معاً. نحتاج إلى أخذ بخارٍ. الكثير منه. بعدما نمتلي، سنذهب للقبض على تلك السافلة".

اكتفوا بالنظر إليها، وإمارات الفلق وعدم اليقين بادية على وجوههم. منظر تلك العيون الخائفة والأفواه الفاعرة الغبية أشعرتها بالحنق.

"هل تشكّون بي؟". كانت ساراي الصامتة قد تسألّت عائدة إلى جنبها. دفعتها روز بعيداً عنها بقوة لدرجة أن ساراي كادت تسقط مرة أخرى. "فليتقدّم كل واحد منكم يشكّ بي".

"لا أحد يشكّ بك يا روز"، قال ستيف الساذج، "لكن ربما يجب أن ندعها وشأنها". تكلم بحذر دون أن يستطيع النظر إلى عيني روز. "إذا فقدنا كُرو حقاً، فهذا يعني موت خمسة. لم نفقد أبداً خمسة أعضاء في يوم واحد. حتى إننا لم نفقد أبداً عضد -"

تقدّمت روز إلى الأمام وتراجَع ستيف إلى الوراء فوراً، رافعاً كتفيه إلى أعلى حول أذنيه مثل ولد يتوقع صفعاً. "تريد الهروب من صاحبة بخار صغيرة؟ بعد كل تلك السنوات، تريد أن تولّي الأدبار وتقرّ من شخص دنيوي؟".

لم يُجبها أحدٌ، بالأخص ستيف، لكن روز رأت الحقيقة في عيونهم. يريدون. يريدون حقاً. لقد شهدوا الكثير من السنوات الجيدة. سنوات مُسمنة. سنوات صيد سهل. لكنهم صادفوا الآن شخصاً لا يملك بخاراً استثنائياً فحسب بل يعرفهم على حقيقتهم ويعرف ماذا فعلوا. بدلاً من الانتقام لكرو دادى - الذي ساعدهم، إلى جانب روز، في الأوقات الجيدة والسيئة - أرادوا وضع أذغالهم بين أرجلهم والنباح. أرادت قتلهم كلهم في تلك اللحظة. شعروا بذلك وتراجعوا أكثر، لإعطائها مجالاً.

الكل ما عدا ساراي الصامتة، التي كانت تحقّق في روز كما لو أنها منومة مغنطيسياً، وفمها متدلٍ من مفصلة. أمسكتها روز بكتفها الهزيلين.

"لا يا روزي!"، زعقت مو. "لا تؤذيها!".

"ماذا عنك يا ساراي؟ تلك الفتاة الصغيرة مسؤولة عن قتل المرأة التي تحببنا. هل تريدين الهروب؟".

"لا"، قالت ساراي. التقت عيناها بعيني روز. حتى الآن ومع نظر الجميع إليها، لم تبدُ ساراي أكثر من مجرد ظل.

"هل تريدين الانتقام؟".

"نأم"، قالت ساراي. ثم: "الثأل".

لديها صوت منخفض (لا صوت تقريباً) ومشكلة في النطق، لكن كلهم سمعوها، وكلهم عرّفوا ماذا كانت تقول.

جالت روز بنظرها على الآخرين. "الذي لا يريد منكم ما تريده ساراي، الذي يريد فقط الانطباح على بطنه والفرفرة..."

استدارت إلى مو الضخمة وأمسكت ذراع المرأة المترهلة. زعقت مو من الخوف والمفاجأة وحاولت الابتعاد. ثبتتها روز في مكانها ورفعت لها ذراعها لكي يستطيع الآخرون رؤيتها. كانت مليئة ببقع حمراء. "هل يمكنكم الفرفرة من هذا؟".

راحوا يتمتمون وخطوا خطوة أخرى أو خطوتين أخريين إلى الخلف.

قالت روز، "هذا فينا".

"معظمنا بخير!"، صرّخت تيري بيكفورد العذبة. "أنا بخير! لا توجد أي علامة عليّ!". رفعت ذراعيها الناعمتين ليراها الآخرون.

أدارت روز عينيها المليئتين بالدموع الحارقة نحو تيري. "الآن. لكن لكم من الوقت؟". لم تردّ تيري العذبة بأي كلمة، لكنها أدارت وجهها.

وضعت روز ذراعها حول ساراي الصامته وأخذت تحدّق في الآخرين. "قال نَت إن تلك الفتاة قد تكون فرصتنا الوحيدة لنتخلّص من المرض قبل أن يصيبنا كلنا. هل يعرف أي شخص هنا شيئاً نجعله؟ إذا كان يعرف، فليتكلم الآن".

لم يتكلم أحد.

"سننتظر عودة ديز وآني وفيل القدر، ثم سنأخذ بخاراً. كمية بخار أكبر من أي وقت مضى. سنفرّغ العلب".

علّت نظرات التفاجؤ وجوه الجميع وسادت تمتمات انزعاج. هل يعتقدون أنها مجنونة؟ لا بأس. لم تكن الحصبة هي الشيء الوحيد الذي يأكل العقدة الحقيقية؛ كان الرعب، وهذا أسوأ بكثير.

"عندما أصبح كلنا معاً، سندور. سنزداد قوة. لودسام هانتي، نحن المُختارون - هل نسيتم هذا؟ ساباثا هانتي، نحن العقدة الحقيقية، ونصمد. قولوا هذا معي". جرفتهم عيناها. "قولوا هذا".

قالوه، متشابكين الأيدي لتشكيل حلقة. نحن العقدة الحقيقية، ونصمد. حلّ تصميمٌ بسيطٌ في عيونهم. ثقةٌ بسيطةٌ. فقط ستة منهم لديهم بُقع، في النهاية؛ لا يزال هناك وقت.

اقتربت روز وساراي الصامته من الدائرة. أفلّنت تيري وباباه يدي بعضهما البعض لإفساح المجال لهما، لكن روز رافقت ساراي إلى الوسط. تحت أضواء الأمن، شعّ جسما المرأتين عدة ظلال، مثل أسلاك العجلة. "عندما نكون أقوياء - عندما نتحدّ مرة أخرى - سنذهب لإيجادها والقبض عليها. أخبركم هذا بصفتي قائدتكم. وحتى لو لم يداو بخارها المرض الذي يأكلنا، ستكون نهاية العفن -"

عندها تكلمت الفتاة داخل رأسها. لا تستطيع روز رؤية ابتسامة أبرا ستون الغاضبة، لكن يمكنها الشعور بها.

(لا تتكبدي عناء القدوم من أجلي يا روز)

8

على المقعد الخلفي لسوبربان جون دالتون، نطقَ دان تورانس أربع كلمات واضحة بصوت

أبرا.

"أنا قادمة من أجلك".

9

"بيلي؟ بيلي!".

نظرَ بيلي فريمان إلى الفتاة التي لم يكن صوتها صوت فتاة بالضبط. تضاعفت، انحدت، وتضاعفت مرة أخرى. مرَّ يداً فوق وجهه. شعرَ بثقل في جفنيه وبدت أفكاره بطريقة أو بأخرى ملتصقة ببعضها. لم يتمكن من فهم ما يجري. لم يعد الوقت نهراً، ولم يعودا بالتأكيد في شارع أبراللعين. "من يُطلق النار؟ ومن تبرز في فمي؟ تباً".

"بيلي، عليك أن تستيقظ. عليك..."

عليك أن تقود هو ما قصدَ دان قوله، لكن بيلي فريمان لن يقود إلى أي مكان. ليس لبعض الوقت. كانت عيناه تنجران إلى الإغلاق مرة أخرى، والجفنان غير متزامنين. دفعَ دان أحد مرفقي أبرال بخصر العجوز ولفت انتباهه من جديد. في الوقت الحاضر، على الأقل.

فاضت أضواءً أماميةً في الشاحنة مع اقتراب سيارة أخرى. حبسَ دان أنفاس أبرال، لكن تلك السيارة أيضاً تابعت طريقها دون إبطاء. ربما امرأة بمفردها، ربما بائع مستعجل ليصل إلى منزله. سامري سيئ، أياً يكن، وهذا جيد لهم، لكنهم قد لا يكونون محظوظين في المرة الثالثة. فسكان الريف يميلون إلى أن يكونوا ودودين. ناهيك عن فضوليين.

"ابق مستيقظاً"، قال.

"من أنت؟"، حاولَ بيلي التركيز على الولد، لكن ذلك كان مستحيلاً. "لأن صوتك بالتأكيد لا يشبه صوت أبرال".

"الأمر معقد. في الوقت الحاضر، فقط ركِّز على البقاء مستيقظاً".

خرجَ دان وسار حول الشاحنة إلى جهة السائق، متعيراً عدة مرات. فقد كانت رجلاها اللعينتان، اللتان بدتا طويلتين جداً في يوم لقائهما، قصيرتين جداً. أمل فقط ألا يتسنَّى له الوقت الكافي ليعتاد عليهما.

كانت ملابس كُرو ملقاة على المقعد. وحذاءه القماشي على الحصيرة الأرضية الفذرة والجوربان يتدليان منه. بقايا الدم والدماع التي لطخت قميصه وسترته دارت إلى خارج الوجود، لكنها تركزت بقعاً رطبةً. جمَّعَ دان كل شيء، وبعد التفكير للحظات، أضاف المسدس. لم يرغب أن يتخلى عنه، لكن إذا أوقفهم شرطي...

أخذ الحزمة إلى أمام الشاحنة ودفنها تحت كومة أوراق قديمة. ثم أمسك قطعة من البتولا الساقطة التي صدمتها الشاحنة وسحبها إلى فوق موقع القبر. الأمر شاقٌ بذراعي أبرأ، لكنه تمكّن من إنجازه.

وَجَدَ أنه لا يستطيع ركوب الشاحنة ببساطة؛ عليه أن يرفع نفسه مستعيناً بالمِقْوَد. وبعدما أصبح خلف المِقْوَد أخيراً، وجد أن قدميه بالكاد تصلان إلى الدوّاسات. تَبَأً.

شَخَرَ بيلى شخراً صاخبةً، ودفعَ دان مرفقاً آخر. فتح بيلى عينيه ونظر حوله. "أين نحن؟ هل خدّرتني ذلك الرجل؟" ثم: "أعتقد أن عليّ أن أعود إلى النوم".

في مرحلة ما خلال عراك الحياة أو الموت الأخير على المسدّس، سقطت عبوة فاننا كُرو غير المفتوحة على الأرضية. انحنى دان، أمسكها، ثم توقف مؤقتاً واضعاً يد أبرأ على الغطاء، وتذكّر ماذا يجري لعبوة المياه الغازية عندما تتعرّض لصدمة قوية. من مكان ما، كلّمته أبرأ

(يا للهول)

وكانت تبتسم، لكنها لم تكن الابتسامة الغاضبة. شَعَرَ دان أن هذا جيد.

10

لا يمكنك تركي أنام، قال الصوت الخارج من فم دان، لذا سلكَ جون مخرَج فوكس رانّ وركنَ في المرأب أبعد شيء ممكن عن متجر كول. تعاون هناك مع دايف على حمل جسم دان، كل واحد منهما من جهة. كان أشبه بثملٍ في نهاية ليلة صاخبة - بين الحين والآخر يرتخي رأسه على صدره قبل أن يرتفع مرة أخرى. تناوب الرجلان على السؤال عما حصل، وماذا يحصل الآن، وأين يحصل، لكن أبرأ اكتفت بهزّ رأس دان. "أطلق كُرو النار على يدي قبل أن يدعني أدخل الحمّام. كل الباقي مشوّش. اصمتنا الآن، عليّ أن أركّز".

في الدائرة العريضة الثالثة لسوبربان جون، ابتسم فم دان، وخرجت منه قهقهة تشبه أبرأ كثيراً. نظرَ دايف إلى جون مستفهماً من فوق جسم حملتهم المتناقلة الحركة. رفع جون كتفيه مستغرباً وهزّ رأسه.

"يا للهول"، قالت أبرأ. "مياه غازية".

11

أمالَ دان عبوة المياه الغازية ونزع الغطاء. ارتطم رذاذ برتقالي عالي الضغط بوجه بيلى، الذي سعل وغمغم، واستيقظ في الوقت الحاضر.

"يا إلهي! لماذا فعلتِ هذا يا فتاة؟"

"هذا نجح، أليس كذلك؟". سلّمه دان عبوة المياه الغازية التي لا تزال تفور. "ضع الباقي داخلك. أسفة، لكن لا يمكنك العودة إلى النوم، مهما كنت تتوق إلى ذلك".

بينما أمالَ بيّلي العبوة وقرقر المياه الغازية، مالَ دان ووجد مقبض تعديل المقعد. شدّه بيديّ وجذب المقود باليد الأخرى. اندفع المقعد إلى الأمام مما جعل بيّلي يسكب فانتا على ذقنه (ويتلقظ بجملة لا ينطقها الراشدون عادة على مسمع الفتيات الصغيرات من نيو هامبشاير)، لكن أصبح بإمكان قدمي أبراب بلوغ الدوّاسات الآن. بالكاد. عشقَ دان ترس الشاحنة إلى الاتجاه الخلفي وقادها ببطء، وهو ينعطف نحو الطريق. عندما أصبحت الرصيف، تنفّس الصعداء. فالوقوع في خندق بجانب طريق عام قليل الاستخدام في فيرمونت لن يفيد قضيتهم كثيراً.

"هل تعرفين ماذا تفعلين؟"، سأل بيّلي.

"نعم. أنا أفعل هذا منذ سنوات... رغم أنه مرّت فترة انقطاع صغيرة عندما انتزعت مني ولاية فلوريدا رخصتي. كنتُ في ولاية أخرى وقتها، لكن هناك شيئاً صغيراً يسمّى المعاملة بالمثل. خراب الثملين المسافرين في كل أنحاء دولتنا العظيمة هذه".

"أنت دان".

"بالضبط"، قال وهو يحدّق فوق أعلى المقود. تمنّى لو أن معه كتاباً ليجلس عليه، لكن بما أن الحال ليست هكذا، عليه فقط بذلُ قصارى جهده. عشقَ الترس إلى صيغة القيادة وانطلق.

"كيف أصبحت داخلها؟".

"لا تسأل".

كان كرو قد قال شيئاً (أو فكّر فيه فقط، لم يعرف دان أيهما حصل بالضبط) عن طرقات المخيم، وبعد حوالي ستة كيلومترات على الطريق 108، وصلا إلى ممر فيه لافتة خشبية ريفية ممسرة على شجرة صنوبر: ميدان بوب ودوت السعيد. إذا لم يكن هذا طريق مخيم، فإن أي طريق لن يكون طريق مخيم. انعطف دان، وفرحت ذراعاً أبراب من المقود المرن، وأضاء الأضواء الأمامية العالية. بعد أربعمئة متر، وجد أن الممر مُغلق بسلسلة معدنية ثقيلة معلّقة عليها لافتة أخرى، أقل ريفيّة: ممنوع الدخول. كانت السلسلة جيدة. فهي تعني أن بوب ودوت لم يقرّرا قضاء عطلة نهاية أسبوع فرار في ميدانها السعيد، وأربعمئة متر من الطريق العام مسافة كافية لضمان بعض الخصوصية لهما. هناك مكسب آخر أيضاً: بربخ يتدفّق منه ماء.

أطفأ الأضواء والمحرك، ثم استدار إلى بيّلي. "أترى ذلك البربخ؟ اذهب ونظّف المياه الغازية عن وجهك. طرطشه جيداً. يجب أن تكون مستيقظاً قدر الإمكان".

"أنا مستيقظ"، قال بيّلي.

"ليس بالقدر الكافي. حاول إبقاء قميصك جافاً. وعندما تنتهي، مشط شعرك. سيكون عليك أن تلتقي العامة".

"أين نحن؟".

"فيرمونت".

"أين الرجل الذي خطفني؟".

"مات".

"اللعنة عليه!"، صاح بيلى. ثم بعد لحظات من التفكير: "ماذا بشأن الجثة؟ أين هي؟".

سؤال ممتاز، لكنه ليس سؤالاً أراد دان الإجابة عليه. ما أراده هو أن ينتهي هذا. العملية مرهقة ومربكة بألف طريقة. "رحلت. هذا حقاً كل ما تحتاج إلى معرفته".

"لكن -"

"ليس الآن. اغسل وجهك، ثم سر ذهاباً وإياباً على هذا الطريق بضع مرات. لوّح ذراعيك، وخذ أنفاساً عميقة، وصفّ ذهنك قدر ما تستطيع".

"الذي صداع لعين".

لم يتفاجأ دان. "عندما تعود، ستجد أن الفتاة عادت على الأرجح فتاةً مرة أخرى، مما يعني أن عليك أن تقود. إذا شعرت أنك غير ثمل كفاية لتكون مُقنعاً، اذهب إلى البلدة التالية التي تتضمن فندقاً رخيصاً واحجز غرفتين. أنت تسافر مع حفيدتك، مفهوم؟".

"أجل"، قال بيلى. "حفيدتي. أبي فريمان".

"بعدما تصبح داخل غرفتك، اتصل بي على هاتفي الخلوي".

"لأنك ستكون أينما... أينما تتواجد بقيتك".

"صح".

"هذا هو الحد الأقصى للخبل يا صديقي".

"نعم"، قال دان. "أنت محقّ. مهمتنا الآن هي إلغاء الخبل منه".

"حسناً. ما هي البلدة التالية؟".

"لا فكرة. لا أريدك أن تتعرض لحادث يا بيبي. إذا لم تكن تستطيع تصفية ذهنك بما يكفي لتقود ثلاثين أو أربعين كيلومتراً ثم تحجز غرفتين في فندق رخيص دون أن يتصل الرجل وراء المنضدة بالشرطة، عليك أنت وأبرا تمضية الليل في هذه الشاحنة. لن يكون ذلك مريحاً، لكن يجب أن يكون آمناً".

فتح بيبي باب مقعد الراكب. "أعطني عشر دقائق. سأتمكن من النجاح في فحص الثمالة. لقد فعلت ذلك من قبل". غمز الفتاة الجالسة خلف المقود. "أنا أعلم لدى كايسي كينغسلي. الموت للثملة، هل تتذكر؟".

راقبه دان يذهب إلى البربخ ويركع هناك، ثم أغلق عيني أبرا. في مرأب سيارات خارج مركز فوكس ران التجاري، أغلقت أبرا عيني دان.

(أبرا)

(أنا هنا)

(هل أنت مستيقظة)

(نعم نوعاً ما)

(نحتاج إلى إدارة العجلة مرة أخرى هل يمكنك مساعدتي)

هذه المرة، كان يمكنها.

12

"أفلتاني"، قال دان. هذا صوته من جديد. "أنا بخير. أعتقد".

أفلته جون ودايف، وهما متحفزان لإمساكه من جديد إذا ترنح، لكنه لم يفعل ذلك. ما فعله هو لمس نفسه: الشعر، الوجه، الصدر، الرجلين. ثم أوماً برأسه. "أجل"، قال. "أنا هنا". نظر حوله. "أين نحن؟".

"مركز فوكس ران التجاري"، قال جون. "حوالي مئة كيلومتر من بوسطن".

"حسناً، هيا نعود إلى الطريق".

"أبرا"، قال دايف. "ماذا بشأن أبرا؟".

"أبرا بخير. عادت إلى حيث تنتمي".

"تنتمي إلى المنزل"، قال دايف بنبرة كلها امتعاض. "إلى غرفتها. تدرش مع صديقاتها أو تستمع إلى فرقة في هذه الأنحاء الغبية على جهازها الأيبود".

إنها في المنزل، فكّر دان. إذا كان جسم الشخص منزله، فهي هناك.

"إنها مع بيلي. سيعتني بها بيلي".

"ماذا بشأن الرجل الذي خطفها؟ كرو ذاك؟".

توقف دان قرب الباب الخلفي لسوبربان جون. "لم تعد مضطراً أن تقلق بشأنه. من يجب أن تقلق بشأنه الآن هو روز".

13

يقع فندق كراون في الواقع بعد حدود الولاية، في كراونفيل، نيويورك. إنه مكان رديء ذو لافتة مترججة تقول "توجد غرف شارة" و"عدة محطات تلفزون!". هناك فقط أربع سيارات مركونة في المواقف الثلاثين تقريباً. الرجل الجالس خلف المنضدة عبارة عن جبل تنازلي من الدهون، مع شعر مربوط على شكل ذيل حصان يصل إلى منتصف ظهره. مرّر بطاقة إئتمان بيلي وأعطاه مفتاحي غرفتين دون أن يرفع نظره عن شاشة التلفزيون، حيث تنخرط امرأتان جالستان على أريكة مخملية حمراء في تقبيل حماسي.

"هل تتصلان ببعضهما؟"، سأل بيلي. ثم أضاف وهو ينظر إلى المرأتين: "أقصد الغرفتين".

"أجل، أجل، كل الغرف تتصل ببعضها، فقط افتح الأبواب".

"شكراً".

قاد على طول الوحدات إلى الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين، وركن الشاحنة. كانت أبراً متكورة على المقعد مستغرقة في النوم وهي تُسند رأسها على إحدى ذراعيها. فتح بيلي بابي غرفتيهما، أضاء الأضواء، وفتح البابين الوسيطين بين الغرفتين. وجد أثاثهما رثاً لكن ليس يائساً جداً. كل ما يريده الآن هو دخولهما لكي ينام. من المفضل لعشر ساعات تقريباً. نادراً ما يشعر أنه عجوز، لكنه شعر أنه عجوز جداً هذه الليلة.

استيقظت أبراً قليلاً بينما وضعها على سريرها. "أين نحن؟".

"كراونفيل، نيويورك. نحن بأمان. سأكون في الغرفة المجاورة".

"أريد أبي. وأريد دان".

"قريباً". على أمل أن يكون محقاً في ذلك.

انغلقت عيناها، ثم انفتحتا ببطء مرة أخرى. "كَلَّمْتُ تلك المرأة. تلك السافلة".

"حقاً؟". لم تكن لدى بيبي أي فكرة عن قصدها.

"تعرف ماذا فعلنا. شَعَرْت به. وهذا يؤلمها". لمَعَ ضوءٌ حادٌ للحظة في عيني أبرأ. ظنُّ بيبي أن هذا يشبه رؤية ضوء الشمس في نهاية يوم بارد مظلم في فبراير. "أنا مسرورة".

"نامي يا عزيزتي".

بقي ضوء الشتاء البارد ذاك يلمع على الوجه الشاحب والمتعب. "تعرف أنني قادمة من أجلها".

فكَّر بيبي بإبعاد شعرها عن عينيها، لكن ماذا لو عصتته؟ الأرجح أن هذا ساذج، لكن... الضوء في عينيها. أمه بدت هكذا أحياناً، مباشرة قبل أن تفقد صوابها وتضرب أحد الأولاد. "ستشعرين بتحسّن في الصباح. أفضل لو كان بإمكاننا العودة هذه الليلة - أنا متأكد أن هذا هو شعور أبيك أيضاً - لكنني لستُ في حالة تسمح لي بالقيادة. أنا محظوظ أنني وصلتُ إلى هذه اللحظة دون الخروج عن الطريق".

"أتمنى لو يمكنني أن أتكلّم مع ماما وبابا".

والدة بيبي ووالده - اللذين لم يترسّحا أبداً لجائزة "أفضل والدين في السنة"، حتى في أفضل أحوالهما - ماتا منذ زمن طويل ويتمنى فقط لو ينام. نظر بحنين عبر الباب المفتوح إلى السرير في الغرفة الأخرى. قريباً، لكن ليس بعد. أخرج هاتفه الخلوي وفتح غلافه. رنّ مرتين، ثم كان يكلم دان. بعد لحظات، سلّم الهاتف إلى أبرأ. "أبوك. خذي راحتك".

استولت أبرأ على الهاتف. "بابا؟ بابا؟". بدأت عيناها تغرورقان بالدموع. "نعم، أنا... توقف يا بابا، أنا بخير. فقط نعسانة جداً بحيث أنني بالكاد أستطيع -". اتّسعت عيناها عندما أتتها فكرة. "هل أنت بخير؟".

استمّعت له. انغلقت عينا بيبي وفتحهما بالقوة. الفتاة تبكي بقوة الآن، وشعر بنوع من السرور. الدموع أطفأت ذلك الضوء في عينيها.

أعادت له الهاتف. "إنه دان. يريد أن يتكلّم معك مرة أخرى".

أخذ الهاتف واستمّع. ثم قال، "أبرأ، يريد دان أن يعرف إن كنتِ تعتقدين أن هناك أي أشرار آخرين. أشرار قريبون بما فيه الكفاية للإمساك بكِ هذه الليلة".

"لا. أعتقد أن كُرو كان سيلتقي بعض الآخرين، لكنهم لا يزالون بعيدين جداً. ولا يمكنهم اكتشاف مكاننا" - صممت لنتشاءب تناوباً عميقاً - "من دونه لكي يُخبرهم. أخير دان أننا بأمان. وأخيره إيصال هذا إلى أبي".

نقل بيلى هذه الرسالة. عندما أنهى المكالمة، وجد أبرا متكورّة على السرير، رُكبتاها مرفوعتان إلى صدرها، وتشخر بلطف. غطاها بيلى ببطانية من الخزانة، ثم ذهب إلى الباب وأقفل السلسلة المعدنية. فكَر قليلاً، ثم أسند كرسي المكتب تحت المسكة زيادةً في الاحتياط. درهم وقاية خير من قنطار علاج، كان أبوه يحب أن يقول.

14

فتحت روز الحُجيرة تحت الأرضية وأخرجت إحدى العلب. بينما لا تزال على رُكبتَيها بين المقعدين الأماميين للإيرنكروزر، فتحتها ووضعت فيها فوق الغطاء المهسهس. تدلّى حنكها وصولاً إلى صدرها، وأصبح أسفل رأسها فجوةً داكنةً ينتأ فيها سنٌ واحدٌ. عيناها، المائلتان إلى أعلى عادةً، نزفتا نزولاً وازدادت الظلمة فيهما. أصبح وجهها قناع موت مكتئباً تبرز الجمجمة تحته بوضوح. أخذت البخار.

عندما انتهت، أعادت العلبة إلى مكانها وجلست خلف مقود سيارة عيشها، تنظر إلى الأمام مباشرة. لا تتكبدى عناء القدوم من أجلي يا روز - أنا قادمة من أجلك. هذا ما قالته لها. ماتجرات أن تقوله لها، روز أوهارا، روز القبعة. لم تكن قوية وقتها فحسب؛ قوية وانتقامية. غاضبة.

"هيا يا عزيزتي"، قالت. "وابقي غاضبة. كلما كنت غاضبة أكثر، كلما أصبحت متهورّة أكثر. تعالي لزيارة عمّتك روز".

سَمع صوت انكسار. أخفضت نظرها ورأت أنها كسرت النصف السفلي لمقود الإيرنكروزر. البخار يوولد قوةً. كانت يداها تنزفان. رمت روز القوس البلاستيكي الخشن جانباً، رفعت راحتي يديها إلى وجهها، وبدأت تلغقهما.

الفصل 16

الذي كان منسياً

1

لحظة إغلاق دان هاتفه قال دايف، "هيا نأخذ لوسي ونذهب ونُحضرها".
هزّ دان رأسه. "تقول إنهما بخير، وأنا أصدّقها".

"لكن تم تخديرها"، قال جون. "قد لا تكون حكمتها بأفضل أحوالها الآن".

"كان ذهنها صافياً كفاية لمساعدتي على الاهتمام بذلك الذي تسمّيه كُرو"، قال دان، "وأنا أتق بها في هذا. دعهما ينامان ليتخلّص جسمهما من المخدّر الذي حقنهما به الوغد. لدينا أمور أخرى لنفعلها. أمور مهمة. عليك أن تثق بي قليلاً في هذا. ستجتمع بابنتك قريباً كفاية يا دايفد. لكن اسمعني جيداً في الوقت الحاضر. سننزلك في منزل الجدة حماتك. وستُحضر زوجتك إلى المستشفى".

"لا أعرف إن كانت ستصدّقني عندما أخبرها بما حصل اليوم. لا أعرف كم يمكنني أن أكون مُقنعاً عندما بالكاد أصدّق الأمر بنفسِي".

"أخبرها أن على القصة أن تنتظر إلى أن نجتمع كلنا. وهذا يتضمن مومو".

"أشكّ أن يدعوك تدخل لرؤيتها". ألقى دايف نظرة سريعة على ساعته. "ساعات الزيارة انتهت منذ مدة طويلة، وهي مريضة جداً".

"لا يتقيّد موظفو الطابق بمواعيد الزيارات كثيراً عندما يكون المرضى قد اقتربوا من النهاية"، قال دان.

نظر دايف إلى جون، الذي هزّ كتفيه. "الرجل يعمل في مأوى للعجزة. أظن أنه يمكنك أن تثق به في ذلك".

"قد لا تكون واعية حتى"، قال دايف.

"دعنا نفلق عن شيء واحد تلو الآخر".

"ما دخل شئنا بهذا، على أي حال؟ هي لا تعرف أي شيء عنه!".

قال دان، "أنا متأكد أنها تعرف أكثر مما تظن".

2

أنزلوا دايف أمام الشقة في شارع مارلبورو وراقبوه من حافة الرصيف يصعد الدرجات ويرن أحد الأجراس.

"يبدو مثل ولد صغير يعرف أنه ذاهب إلى كوخ الحطب ليُجد على مؤخرته"، قال جون.
"هذا سيضع زواجه تحت ضغط هائل، مهما آلت إليه الأمور".

"عندما تحصل كارثة طبيعية، لا يمكن لوم أحد".

"حاول أن تجعل لوسي ستون ترى ذلك. ستقول لنفسها، 'تركت إبنتك لوحدها واختطفها رجل مجنون'. ستبقى دائماً تقول لنفسها هذا عند مستوى من المستويات".

"أبرا قد تغير لها رأيها بشأن ذلك. أما اليوم فقد فعلنا ما يمكننا فعله، وأداؤنا ليس سيئاً جداً حتى الآن".

"لكن المسألة لم تنته بعد".

"الطريق أمامنا طويل".

كان دايف يرن الجرس مرة أخرى ويختلس النظر إلى الردهة الصغيرة عندما فُتح المصعد وخرجت منه لوسي ستون مسرعة. بدأ وجهها متوتراً وشاحباً. بدأ دايف يتكلم حالما فتحت الباب. وهي أيضاً. سحبته لوسي إلى الدخل - شدته إلى الداخل - بذراعيها الاثنتين.

"يا إلهي"، قال جون بلطف. "هذا يذكرني بالليالي الكثيرة التي عدتُ فيها ثملاً جداً عند الثالثة فجراً".

"إما يُقنعها أو لا يُقنعها"، قال دان. "لدينا أمور أخرى".

3

وصل دان تورانس وجون دالتون إلى مستشفى ماساتشوستس العام بُعيد العاشرة والنصف. الزحمة خفيفة في طابق العناية المركزة. هناك بالون هليوم يفرغ منه الغاز مطبوع عليه "بالشفاء العاجل" بأحرف متعددة الألوان ينجرف ببطء عند سقف الرواق، مُلقياً ظل قنديل بحر. اقترب دان من محطة الممرضات، عرّف عن نفسه كموظف في مأوى العجزة الذي يُفترض أن تُنقل إليه الأنسة

راينولدز، وأظهرَ هويته التابعة لمنزل ريفنغتون هيلين، وعرّف جون دالتون عن نفسه كطبيب العائلة (وهذه مبالغة لكنها ليست كذبة فعلية).

"نحتاج إلى تقييم حالتها قبل نقلها"، قال دان، "وقد طلب فردان من العائلة أن يكونا متواجدين. حفيدة الأنسة راينولدز وزوج حفيدتها. نأسف للوقت المتأخر، لكن الأمر لم يكن بيدنا. سيصلان بعد قليل".

"لقد تعرّفتُ على عائلة ستون"، قالت كبيرة الممرضات. "أشخاص طيبون. لوسي بالأخص يقظة جداً لجدّتها. كونشيتا مميزة. كنتُ أقرأ قصائدها، وهي مذهشة. لكن إذا كنتما تتوقعان أي تجاوب منها يا سادة فسيخيب أملكما. لقد دخلت في غيبوبة".

سنرى بشأن ذلك، فكّر دان في سرّه.

"و..."، نظرت الممرضة إلى جون بارتيايب. "حسناً... ليس من حقي أن أقول..."

"أكملي"، قال جون. "لم ألتق أبداً كبيرة ممرضات لا تعرف بواطن الأمور".

ابتسمت له، ثم أعادت انتباهها إلى دان. "سمعتُ أشياء مذهشة عن مأوى ريفنغتون للعجزة، لكنني أشكّ كثيراً أن تذهب كونشيتا إلى هناك. حتى ولو صمدت حتى الاثنين، لستُ أكيدة أن هناك أي فائدة من نقلها. قد يكون أطف لها تركها تُنهي رحلتها هنا. أسفة إذا كنتُ تخطيتُ حدودي".

"على العكس"، قال دان، "وسنأخذ رأيك بعين الاعتبار. جون، هلاً ذهبت إلى الردهة ورافقتُ أفراد عائلة ستون إلى هنا عندما يصلون؟ يمكنني أن أبدأ من دونك".

"هل أنت متأكد -"

"نعم"، قال دان دون أن يحيد بنظره عنه. "أنا متأكد".

"إنها في الغرفة تسعة"، قالت كبيرة الممرضات. "إنها الغرفة لشخص واحد في نهاية الرواق. إذا احتجت لي، رنّ جرس المناداة لديها".

4

كان إسم كونشيتا على باب الغرفة 9، لكن فتحة العلاجات الطبية فارغة وشاشة مراقبة الأعضاء الحيوية لا تُظهر أي شيء يدعو للتناول. دخلَ دان إلى عيبير يعرفه جيداً: معطرّ الجو، معقم، ومرض مميت. لهذا الأخير رائحة قوية غنّت في رأسه مثل كمان يعزف نغمة واحدة فقط. الجدران مغطاة بصور فوتوغرافية، العديد منها يُظهر أبرا في أعمار مختلفة، وتُظهر إحداها

مجموعة أولاد فاغري الفم يشاهدون لاعب خفّة يُخرج أرنباً أبيض من قبعة. كان دان أكيداً أنها التفتت في حفلة ذكرى الولادة الشهيرة، يوم الملاعب.

مُحاطاً بتلك الصور، كان هناك هيكل عظمي لامرأة نائمة فاتحة فمها ومسبحة من اللؤلؤ تلتف أصابعها. شعرها المتبقي خفيف لدرجة أنه يكاد يختفي في الوسادة. بشرتها، التي كانت بلون الزيتون ذات يوم، صفراء الآن. بالكاد يمكن رؤية ارتفاع وانخفاض صدرها النحيل. كانت نظرة واحدة كافية ليُدرك دان أن كبيرة الممرضات تعرف بواطن الأمور بالفعل. لو كان آزي هنا، لكور نفسه بجانب المرأة في هذه الغرفة منتظراً وصول طبيب النوم لكي يستطيع أن يستأنف دوريته الليلية في الأروقة الفارغة ما عدا من الأشياء التي تستطيع فقط القطط رؤيتها.

جلس دان على حافة السرير، ولاحظ أن السائل الوريدي الوحيد الذي يدخل جسمها هو محلول ملحي. هناك دواء واحد فقط يمكنه أن يساعدها الآن، وصيدلية المستشفى لا تخزّنه. انحرفت فُنيّتها قليلاً فقوّمها لها. ثم أمسك يدها ونظر إلى الوجه النائم.

(كونشيتا)

حصل توقف بسيط في تنفّسها.

(عودي يا كونشيتا)

تحركت العينان تحت الجفنين المرضوضين الرفيعين. ربما سمعته؛ ربما تحلم آخر أحلامها. بايطاليا ربما. بانحنائها فوق بئر الأسرة ورفع دلو ماء بارد. بانحنائها في شمس الصيف الحارة.

(أبرا تحتاج منك أن تعودي وأنا مثلها)

هذا كل ما يمكنه فعله، ولم يكن متأكداً أنه سيكون كافياً إلى أن فتحت عينيها، ببطء. بدنا تحدّقان في الفراغ أولاً، لكنهما اكتسبتا إدراكاً. لقد رأى دان هذا من قبل. أعجوبة استعادة الوعي. هذه ليست المرة الأولى التي يتساءل فيها من أين يأتي ذلك، وإلى أين يذهب عندما يرحل. الموت أعجوبة لا تقلّ عن أعجوبة الولادة.

أصبحت اليد التي يُمسكها مشدودة أكثر. بقيت العينان على دان، وابتسمت كونشيتا. ابتسامة خجولة، لكن موجودة.

"أوه ميو كارو! ساي تُو؟ ساي تُو؟ كوم إي بوسيليه؟ ساي مورتو؟ سونو مورتا أنشيوي؟... سيامو فانتازمي؟"

دان لا يُتقن الإيطالية، وليس مضطراً أن يُتقنها. فقد سمع ما كانت تقوله بوضوح مثالي في رأسه.

آه يا عزيزي، هل هذا أنت؟ كيف يُعقل أن تكون أنت؟ هل أنت ميت؟ هل أنا ميتة؟

ثم، بعد صمت وجيز:

هل نحن أشباح؟

انحنى دان نحوها إلى أن لامس خدّه خدّها.

همس في أذنها.

في الوقت المناسب، همست له بدورها.

5

كانت محادثتهما قصيرة لكن منوّرة. أغلب كلمات كونشيتا كانت بالإيطالية. رفعت يدها أخيراً - تطلّب منها ذلك جهداً كبيراً، لكنها تمكّنت من فعل ذلك - وداعبت خدّه الخشن. ابتسمت.

"هل أنت جاهزة؟"، سأل.

"سي. جاهزة".

"لا يوجد شيء للخوف منه".

"سي، أعرف. يسرّني أنك أتيت. أخبرني إسمك مرة أخرى، سينيور".

"دانيال تورانس".

"سي. أنت هبة للناس يا دانيال تورانس".

أمل دان أن يكون هذا صحيحاً. "هل ستعطيني؟".

"سي، بالطبع. ماذا تحتاج لأبراً".

"وسأعطيك يا شتّا. سنشرب من البئر سوية".

أغمضت عينيها.

(أعرف)

"ستنامين، وعندما تستيقظين -"

(كل شيء سيكون أفضل)

كانت الطاقة أقوى حتى مما كانت عليه ليلة رحيل تشارلي هايز؛ يمكنه أن يشعر بذلك بينهما وهو يشبك يديها بيديه بلطف وشعر بالحبّات الناعمة للمسبحة على راحتي يديه. في مكان ما، هناك أضواء تُطفأ، الواحد تلو الآخر. كل شيء على ما يرام. في ايطاليا فتاة صغيرة في فستان بنيّ وصندل تسحب ماءً من الحنجرة الباردة ليئر. تشبه أبراء، تلك الفتاة الصغيرة. الكلبة تنبح. إيل كانيه. جيناتا. إيل كانيه سي روتولافا سوليربا. تنبح وتتدرج على العشب. جيناتا مضحكة!

كانت كونشيتا في السادسة عشرة ومغرومة، أو في الثلاثين وتكتب قصيدةً عند طاولة مطبخ في شقة حارة في كوينز بينما يصرخ الأولاد في الشارع تحت؛ كانت في الستين وتقف في المطر ترفع نظرها إلى مئة ألف خط هابط من أنقى أصناف الفضة. كانت أمها وابنة حفيدتها وحن الوقت للتغيير الكبير، لرحلتها الكبيرة. كانت جيناتا تتدرج على العشب والأضواء

(أسرع رجاءً)

تنطفئ الواحد تلو الآخر. هناك باب يُفتح

(أسرع رجاءً حان الوقت)

وخلفه يمكنهما أن يشمّا رائحة كل العطر الغامض لليل. فوقهما كل النجوم التي كانت ذات يوم.

قَبَل جبهتها الباردة. "كل شيء على ما يرام يا عزيزتي. أنتِ فقط بحاجة إلى النوم. النوم سيُشعرك بتحسن".

ثم انتظرَ نَفْسها الأخير.

أتى.

6

كان لا يزال يجلس هناك، ممسكاً يديها بيديه، عندما فُتح الباب بقوة ودخلت لوسي ستون بسرعة، يتبعها زوجها وطبيب الأطفال الخاص بابنتها، لكن على مهل؛ بدوا كما لو أنهما يخشيان أن يحرقهما الخوف والحنق والغضب المرتبك الذي يحيط بها في هالة ملتهبة قوية لدرجة أنها تكاد تكون مرئية.

أمسكت دان بكتفه، وغرزت أظافرها مثل مخالب في قميصه. "ابتعد عنها. أنت لا تعرفها. لا دخل لك بجِدتي مثلما لا دخل لك بابنتي -"

"أخفِضي صوتك"، قال دان دون أن يستدير. "أنتِ في حضور الموت".

الغضب الذي كان قد جعل كل جسمها متصلباً نفذ دفعةً واحدةً، مُرخياً مفاصلها. انهارت على السرير بجانب دان ونظرت إلى الوجه الشاحب والناعم الذي كان وجه جدتها الآن. ثم نظرت إلى الرجل الملتحي المنهك الذي كان يجلس مُمسكاً اليدين الميتين، اللتين كانت المسبحة لا تزال متشابكة بهما. بدأت دموع غير ملحوظة تتدرج على خدي لوسي في قطرات صافية كبيرة.

"لم أستطع فهم نصف ما حاولا إخباري به. فقط أن أبرا اختُطفت، لكنها بخير الآن - على ما يُظنّ - وهي الآن في فندق مع رجلٍ يدعى بيلي وكلاهما نائمٌ".

"كل هذا صحيح"، قال دان.

"إعفني إذاً من تصريحاتك المناقفة، لو سمحت. سأندبُ مومو بعد أن أرى أبرا. عندما أحضنها بذراعيّ. في الوقت الحاضر، أريد أن أعرف... أريد..."، انخفت صوتها وهي تنقل نظرها من دان إلى جدتها الميتة وإلى دان مرة أخرى. وقّف زوجها خلفها. كان جون قد أغلق باب الغرفة 9 وابتكأ عليه. "إسمك تورانس؟ دانيال تورانس؟".

"نعم".

مرة أخرى تلك النظرة البطيئة من جدتها الجامدة إلى الرجل الذي كان موجوداً عندما ماتت. "مَنْ أنت يا سيد تورانس؟".

أقلت دان يدي شتاً وأمسك يدي لوسي. "سيرري معي. مسافة قصيرة. في هذه الغرفة فقط".

نهضت دون أن تحتجّ، وهي لا تزال تنتظر إلى وجهه. قادها إلى باب الحمام، الذي كان مفتوحاً. أشعل الضوء وأشار إلى المرأة فوق المغسلة، حيث ظهرا مؤطّرين كما لو أنهما في صورة فوتوغرافية. عند رؤيتهما بهذه الطريقة، يمكن أن يكون هناك شكّ طفيف فقط. لا شكّ على الإطلاق، في الواقع.

قال، "أبي كان أباك يا لوسي. أنا أخوك غير الشقيق".

7

بعد إبلاغ كبيرة الممرضات عن حصول حالة وفاة في الطابق، ذهبوا إلى المصلّى الصغير في المستشفى. لوسي تعرف الوصول إلى هناك؛ رغم أنها ليست ملتزمة بالكامل، إلا أنها أمضت ساعات عديدة هناك، تفكّر وتتذكّر. المكان مريح لفعل تلك الأشياء، وهي ضرورية عندما يقترب شخصٌ عزيزٌ من النهاية. المصلّى فارغ كلياً في هذه الساعة.

"الأهم قبل المهم"، قال دان. "عليّ أن أسألك إن صدّقنتي. يمكننا إجراء اختبار الحمض النووي عندما يتسنّى لنا الوقت، لكن... هل نحتاج إلى إجرائه؟".

هزّت لوسي رأسها بذهول، دون أن ترفع نظرها عن وجهه أبداً. بدا أنها تحاول حفظه في ذاكرتها. "يا إلهي. بالكاد أستطيع أن أتنفّس".

"شعرتُ أنك تبدو مألوفاً عندما رأيتُك لأول مرة"، قال دايف لدان. "الآن أعرف السبب. أظن أنني كنتُ سأكتشف ذلك عاجلاً لو لم يكن... أنت تعرف..."

"أمامك مباشرة"، قال جون. "دان، هل أبرا تعرف؟".

"بالتأكيد". ابتسم دان متذكّراً نظرية النسبية الخاصة بأبرا.

"عرفته من ذهنك؟"، سألت لوسي. "مستخدمةً قدرتها التخاطبية؟".

"لا، لأنني لم أكن أعرف. حتى شخص موهوب مثل أبرا لا يستطيع قراءة شيء غير موجود. لكن عميقاً، كلانا عرّف. تباً، حتى إننا قلنا ذلك بصوت عالٍ. إذا سألت أي شخص ماذا نفعل معاً، كنا سنقول إنني عمّها. واتّضح أنني خالها. كان عليّ أن أدرك ذلك قبل الآن".

"هذه صُدفة غريبة حقاً"، قال دايف وهزّ رأسه.

"لا. إنها أبعد شيء في العالم عن الصُدفة. لوسي، أتفهّم ارتباكك وغضبك. سأخبرك كل شيء أعرفه، لكن هذا سيستغرق بعض الوقت. بفضل جون وزوجك وأبرا - أبرا بالتحديد - لدينا بعض الوقت".

"في طريقنا"، قالت لوسي. "يمكنك أن تُخبرني في طريقنا إلى أبرا".

"حسناً"، قال دان، "في طريقنا. لكن ثلاث ساعات نوم أولاً".

بدأت تهزّ رأسها قبل أن يُنهي جملته. "لا، الآن. عليّ رؤيتها في أسرع وقت ممكن. ألا تفهم؟ إنها إبنتي، وقد اختُطفت، وعليّ رؤيتها!".

"لقد اختُطفت، لكنها بأمان الآن"، قال دان.

"أنت تقول ذلك، بالطبع سنقوله، لكنك لا تعرف".

"أبرا هي التي تقوله"، ردّ. "وهي تعرف حقاً. اسمعي يا سيّدة ستون - لوسي - إنها نائمة الآن، وتحتاج إلى النوم". وأنا أيضاً. أمامي رحلة طويلة، وأعتقد أنها ستكون رحلة شاقّة. شاقّة جداً.

كانت لوسي تنظر إليه عن كثب. "هل أنت بخير؟".

"فقط مُتعب".

"كلنا مُتعبون"، قال جون. "كان يوماً... عصيباً". ضحك ضحكة قصيرة، ثم ضغط يديه على فمه مثل ولد قال كلمة نابية.

"لا أستطيع حتى الاتصال بها وسماع صوتها"، قالت لوسي. تكلمت ببطء، كما لو أنها تحاول توضيح مبدأ صعب. "لأنهما نائمان بسبب المخدر الذي حقنهما به ذلك الرجل... الذي تقول إنها تسميه كُرو".

"قريباً"، قال دايف. "سترينها قريباً". وضع يده فوق يديها. للحظة بدت لوسي كأنها ستنفذ يده عنها. لكنها شبكتها بدلاً من ذلك.

"يمكنني أن أبدأ في طريقنا إلى منزل جدتك"، قال دان. نهض. تطلّب منه ذلك جهداً. "هيا بنا".

8

تسنى له الوقت ليُخبرها كيف أن رجلاً تائهاً استقلّ حافلةً متّجهةً شمالاً من ماساتشوستس، وكيف أنه - بُعيد اجتيازه حدود ولاية نيو هامبشاير - رمى ما سيُتبيّن أنها آخر زجاجة شراب له في سلة نفايات مطبوع عليها "إذا لم تعد بحاجة إليه، اتركه هنا". أخبرهم كيف أن صديق طفولته طوني كلّمه لأول مرة منذ سنوات عندما دخلت الحافلة فرايجر. هذا هو المكان، قال طوني.

من هناك عاد بالذاكرة إلى وقت كان فيه داني وليس دان (والدكتور أحياناً)، وكان صديقه غير المرئي طوني ضرورةً قصوى. كان اليريق فقط أحد الأعباء التي ساعده طوني على تحمّلها، وليس العبء الرئيسي. العبء الرئيسي كان أباه مدمن الشراب، رجلٌ مضطربٌ وخطيرٌ في نهاية المطاف أحبّه داني وأمه كثيراً - ربما بسبب عيوبه بالذات.

"كان مزاجه فظيماً، ولا داعي لأن تملكي قدرة على التخاطر لكي تعرفي أنه يقضي على أفضل ما فيه. بادئ ذي بدء، يكون ثملاً عادة عندما يحصل ذلك. أعرف أنه كان ثملاً للغاية ليلة قبضه عليّ في مكتبه أعبث بأوراقه. كسر لي ذراعي".

"كم كان سنك؟"، سأل دايف. كان يجلس على المقعد الخلفي مع زوجته.

"أربعة، أظن. وربما حتى أصغر من ذلك. عندما يكون مستعداً للحرب، لديه عادة فُرك فمه". وضّحها لهم داني. "هل تعرفين أي شخص آخر يفعل هذه الحركة عندما يكون منزعاً؟".

"أبراً"، قالت لوسي. "ظننتُ أنها أخذتها مني". رفعت يدها اليمنى نحو فمها، ثم أمسكتها بيدها اليسرى وأعادتها إلى حُضنها. دان رأى أبراً تفعل نفس الحركة تماماً على المقعد خارج مكتبة أنيستون العامة، عندما التقيا شخصياً لأول مرة. "ظننتُ أنها أخذت مزاجها مني أيضاً. يمكنني أن أكون... نزقة جداً أحياناً".

"تذكّرتُ أبي عندما رأيتهُ تفعل حركة فَرْك الفم لأول مرة"، قال دان، "لكن كانت هناك أمور أخرى تشغل بالي. لذا نسيْتُ". ذكّرهُ هذا بواطسون، وكيل الأوفرلوك، الذي كان أول مَنْ أطلَع أباه على مرَجَل الفندق غير الجدير بالثقة. عليكِ الحذر، قال واطسون. لأنها تتسلَّل. لكن جاك تورانس نسي في النهاية. وهذا هو سبب بقاء دان على قيد الحياة.

"هل تقول لي إنك اكتشفت صلة القرابة هذه من عادةٍ صغيرة؟ هذه قفزة استنتاجية كبيرة، خاصة عندما يكون الشبه بينك وبينني وليس بينك وبين أبرا - هي تشبه أباهَا أكثر مما تشبهني". صممت لوسي قليلاً وراحت تفكّر. "لكنك بالطبع تتشارك معها بميزة عائلية أخرى - يقول دايف إنك تسمّيها البريق. هكذا عرَفت، أليس كذلك؟".

هزَّ دان رأسه. "حصلتُ على صديق خلال سنة وفاة أبي. يدعى دكّ هالوران، وكان طبّاح فندق الأوفرلوك. هو أيضاً يملك البريق، وقد أخبرني أن الكثير من الأشخاص يملكون القليل منه. كان محقّقاً. فقد التقيتُ الكثير من الأشخاص الذين يبرقون بدرجة أكبر أو أقل. يبلي فريمان أحدهم. لهذا السبب هو مع أبرا الآن".

وجّه جون السوبربان إلى المرأب الصغير خلف شقة كونشيتا، لكن لم ينزل أحد منها في الوقت الحاضر. رغم قلقها على ابنتها، كانت لوسي مفتونة بهذا الدرس التاريخي. لم يحتج دان إلى النظر إليها ليعرف ذلك.

"لو لم يكن البريق، فماذا كان؟".

"عندما كنا ذاهبين إلى كلاود غاب على متن الريف، ذكرَ دايف أنكِ عثرتِ على صندوق في مبنى كونشيتا".

"نعم. صندوق أمي. لم تكن لديّ أي فكرة أن مومو احتفظت ببعض أغراضها".

"دايف أخبرني وجون أنها كانت فتاة تحب الحفلات كثيراً". كان دايف يُخبر أبرا في الواقع، من خلال الارتباط التخاطري، لكن هذا شيءٌ شَعَرَ دان أنه قد يكون من الأفضل ألا تعرفه أخته غير الشقيقة المُكتشفة حديثاً، في الوقت الحاضر على الأقل.

رمقت لوسي دايف بنظرة عاتية مخصّصة للأزواج الذين يكشفون أسراراً، لكنها لم تقل شيئاً.

"قال أيضاً إنه عندما تركت أليساندرا الدراسة في جامعة ولاية نيويورك في ألْبني، كانت تدرّس في إعدادية في ماساتشوستس أو فيرمونت. أبي درّس الإنكليزية - إلى أن فقدَ وظيفته لإيذائه طالباً - في فيرمونت. في مدرسة تدعى إعدادية ستوفنغتون. ووفقاً لأمي، كان يحبّ الحفلات كثيراً في تلك الأيام. بعدما عرَفتُ أن أبرا وبيلي بأمان، حللتُ بعض الأمور في رأسي. بدت كلها منطقية، لكنني شَعَرْتُ أنه إذا كان هناك شخص يعرف بشكلٍ مؤكّد، فهو والدة أليساندرا أندرسون".

"وهل كانت تعرف؟"، سألت لوسي. كانت تميل إلى الأمام الآن، مُسندةً يديها على وحدة التحكم بين المقعدين الأماميين.

"ليس كل شيء، ولم يتسنَّ لنا وقتٌ طويلٌ معاً، لكنها عرّفت ما يكفي. لم تتذكّر إسم المدرسة التي درّست فيها أمك، لكنها كانت في فيرمونت. وكانت على علاقة قصيرة مع الأستاذ المُشرف عليها. الذي كان، حسب قولها، كاتباً نشر بعض مؤلفاته". صمتَ دان قليلاً. "أبي نشر بعض مؤلفاته. بضع قصص فقط، لكن بعضها نُشر في مجلات جيدة جداً، مثل شهرية الأطلسي. كونشيتا لم تسألها أبداً عن إسم الرجل، وأليساندرا لم تتطوّع أبداً بإخبارها، لكن إذا كان سجل كليتها في ذلك الصندوق، أنا متأكد أنك ستجدين أن المُشرف عليها يدعى جون إدوارد تورانس". تئأب ونظرَ إلى ساعته. "هذا كل ما يمكنني قوله الآن. دعونا نصعد إلى الطابق العلوي. ثلاث ساعات نوم لكل واحد منا، ثم نتوجّه إلى الجزء الشمالي من ولاية نيويورك. ستكون الطرقات خالية، ويجب أن نتمكن من تعويض الكثير من الوقت".

"هل تُقسِم أنها بأمان؟"، سألت لوسي.

أوماً دان برأسه.

"حسناً، سأنتظر. لكن ثلاث ساعات فقط. أما بالنسبة للنوم...". ضحكت. لم تكن هناك أي فكاهاة في ضحكتها.

9

عندما دخلوا شقة كونشيتا، توجّهت لوسي مباشرة إلى المايكروويف في المطبخ، ضبطت المؤقّت، وأظهرته لدان. أوماً برأسه، ثم تئأب مرة أخرى. "الثالثة والنصف فجراً، نرحل من هنا".

تفحصته بعناية. "لعلمك، أودّ الذهاب من دونك. في هذه اللحظة بالذات".

ابتسم قليلاً. "أظن أنه من الأفضل أن تسمعي بقية القصة أولاً".

أوماً برأسها بتجهم.

"هذا وحقيقة أن إبنتي تحتاج إلى أن تنام لتُخرج من جسمها المادة التي في جسمها هما الأمران الوحيدان اللذان يُبقيانني هنا. اذهب الآن واستلقِ قبل أن تسقط أرضاً".

دخل دان وجون غرفة الضيوف. ورق الجدران والأثاث أظهرها بشكل لا لبس فيه أن هذه الغرفة كانت مخصّصة في الأغلب لفتاة صغيرة مميزة واحدة، لكن لا شك أن شتاً استضافت ضيوفاً آخرين من وقت لآخر، لأنه كان هناك سريران.

أثناء استلقائهما في الظلمة، قال جون: "ليست صُدفة أن الفندق الذي مكثت فيه في صغرك يقع في كولورادو أيضاً، أليس كذلك؟".

"لا".

"هذه العقدة الحقيقية موجودة في نفس البلدة؟".

"نعم".

"وكان الفندق مسكوناً بالأشباح؟".

الأشخاص الأشباح، فكّر دان. "نعم".

عندها قال جون شيئاً فاجأ دان وأعادته مؤقتاً من شفير النوم. كان دايف محقاً - أسهل الأشياء التي يغفل عنها المرء هي الأشياء التي تتواجد أمامه. "هذا منطقي، أظن... بعدما تقبل فكرة إمكانية وجود أشخاص خارقين بيننا ويتغذون علينا. المكان الشرير يستجلب مخلوقات شريرة. سيشعرون أنهم في موطنهم. هل تفترض أن تلك العقدة تملك أماكن أخرى مثل ذلك المكان، في أجزاء أخرى من البلاد؟ لا أعرف... بُعْداً باردةً أخرى؟".

"أنا متأكد من ذلك". وضع دان ذراعه فوق عينيه. جسمه يؤلمه ورأسه يخفق بقوة. "جونى، يسرني أن أشارك في حفلة الفتيان-بييتون-في-منزلك، لكنني بحاجة إلى بعض النوم".

"حسناً، لكن..."، نهض جون على مرفق واحد. "مع بقاء العوامل الأخرى على حالها، كنت ستذهب من المستشفى مباشرة، مثلما أرادت لوسي. لأنك تهتمّ بشأن أبرا مثلها تماماً تقريباً. تعتقد أنها بأمان، لكن يمكنك أن تكون مخطئاً".

"لستُ مخطئاً". أمل أن تكون هذه هي الحقيقة. عليه أن يأمل ذلك، لأن الحقيقة البسيطة هي أنه لا يستطيع أن يذهب، ليس الآن. لو كانت الرحلة إلى نيويورك فقط، ربما. لكنها ليست كذلك، وعليه أن ينام. جسمه كله يصرخ مطالباً بذلك.

"ما بالك يا دان؟ لأنك تبدو فظيلاً".

"لا شيء. مُتعب فقط".

ثم رحل، إلى الظلمة أولاً ثم إلى كابوس مرتبك من الركض في أروقة لا تنتهي بينما شكّل يلاحظه، ملوّحاً بمطرقة من جهة إلى أخرى، ممزّقاً ورق الجدران وناقثاً نفخات من غبار الجصّ. اخرج أيها الحقيير الصغير! صاح الشكل. اخرج أيها الجرو العديم القيمة، وتناول دواعك!

ثم كانت أبرا معه. كانا يجلسان على المقعد أمام مكتبة أنيستون العامة، في شمس أواخر الصيف. كانت تُمسك يده. كل شيء على ما يرام أيها العمّ دان. كل شيء على ما يرام. قبل أن

يموت، طرد أبوك ذلك الشكل. لست مضطراً أن -

فُتح باب المكتبة بقوة وخرجت امرأة إلى ضوء الشمس. سُحب كبيرة من شعر داكن تتطاير حول رأسها، ومع ذلك بقيت قبعتها العالية السوداء مائلة برشاقة عليه. بقيت عليه كشيء من خارج هذا العالم.

"آه، انظروا"، قالت. "إنه دان تورانس، الرجل الذي سرَق مال المرأة أثناء نومها ثم ترك ولدها لكي ينهشه الموت".

ابتسمت لأبرا كاشفةً عن سن واحد. بدا سناً طويلاً وحاداً كحربة.

"ماذا سيفعل بك أيتها العزيزة الصغيرة؟ ماذا سيفعل بك؟"

10

أيقظته لوسي بحزم عند الثالثة والنصف، لكنها هزّت رأسها عندما تحرك دان ليوقظ جون. "دعه ينام قليلاً بعد. وزوجي يشخر على الأريكة". ابتسمت في الواقع. "هذا يذكرني بحديقة جنسيماني وجملة العتاب 'إذاً لم تستطيعوا السهر معي حتى لساعة واحدة؟' أو شيء من هذا القبيل. لكن أظن أنه ليس لدي أي سبب لأعاتب دايفد - لقد رآه هو أيضاً. هيا، لقد أعددتُ بعض البيض المخفوق. تبدو كما لو أنك لا تمنع من تناول بعضه. أنت نحيل مثل عود". سكتت قليلاً وأضافت: "يا أخي".

لم يكن دان جائعاً جداً، لكنه تبعها إلى المطبخ. "رأى ماذا أيضاً؟".

"كنتُ أبحث بين أوراق مومو - أي شيء لأشغل نفسي وأمرّر الوقت - وسمعتُ قرقرة من المطبخ".

أمسكت يده وقادته إلى المنضدة بين الموقد والبراد. كان هناك صف مرتبانات عطار قديمة الطراز، والمرطبان الذي يحتوي على سكر مقلوباً. هناك رسالة مكتوبة على السكر المسكوب.

أنا بخير

سأعود إلى النوم

أحبكما

رغم حقيقة شعوره، تذكر دان سبورته ولم يستطع إلا أن يبتسم. هذه هي أبرأ النموذجية.

"لا شك أنها استيقظت بما يكفي لتفعل هذا"، قالت لوسي.

"لا أظن"، قال دان.

نظرت إليه من الموقد، حيث كانت تضع البيض المخفوق في صحن.

"أنتِ أيقظتها. لقد سمعت قلقك".

"هل تصدِّق هذا حقاً؟".

"نعم".

"اجلس". سكتت قليلاً. "اجلس يا دان. أظن أنه من الأفضل لي أن أعتاد على مناداتك هكذا. اجلس وكُل".

لم يكن دان جائعاً، لكنه بحاجة إلى الوقود. ففعل ما قالت له.

11

جلست مقابله ترشف كوب عصير من آخر دَورق سَتحضره كونشيتا راينولدز من المتجر. "رجل كبير في السنّ لديه مشاكل مع الشراب، امرأة أصغر سنّاً مفتونة به. هذه هي الصورة التي تتراءى لي".

"إنها الصورة التي تتراءى لي أيضاً". كان دان يأكل البيض بثبات وبطريقة منهجية، دون أن يتدوّقه.

"قهوة يا سيد... دان؟".

"رجاءً".

تجاوزت السكر المسكوب. "إنه متزوج، لكن وظيفته تأخذه إلى حفلات كثيرة تقيمها هيئة التعليم حيث هناك الكثير من الفتيات الصغيرات جداً. ناهيك عن كمية معقولة من الشهوة الجنسية التي تُزهر عندما يتأخر الوقت وتصبح الموسيقى صاحبة".

"يبدو صحيحاً تقريباً"، قال دان. "ربما أُمي كانت معتادة على مرافقته إلى تلك الحفلات، لكن بعدها أصبح هناك طفل يجب الاهتمام به في المنزل ولا مال لجليسات الأطفال". مرّرت له كوب قهوة. رشفها سوداء قبل أن تسأله كيف يشربها. "شكراً. على أي حال، حصل شيء بينهما. على الأرجح في أحد الفنادق الرخيصة المحلية. بالتأكيد ليس على المقعد الخلفي لسيارته - كانت لدينا فولكسفاغن بينل. حتى بهلوانيان مستشاران لن يستطيعا تدبير أمرهما هناك".

"مضاجعة بلا وعي"، قال جون وهو يدخل الغرفة. كان شعره واقفاً على الجهة الخلفية لرأسه. "هذا ما يسمّيه القدماء. هل هناك المزيد من هذا البيض؟".

"الكثير"، قالت لوسي. "أبرا تركت رسالة على المنضدة".

"حقاً؟". ذهب جون لينظر إليها. "هل هذه منها؟".

"نعم. أعرف خطها في أي مكان".

"يا للهول، بإمكان هذا أن يُفلس شركات الاتصالات".

لم تبتمس. "اجلس وكل يا جون. لديك عشر دقائق، ثم سأوقظ الجميلة النائمة هناك على الأريكة". جلست. "أكمل يا دان".

"لا أعرف إن ظننت أن أبي سيترك أُمي من أجلها أم لا، وأشكّ أن تجدي الجواب على هذا السؤال في صندوقها. إلا إذا كانت قد تركت دفتر يوميات. كل ما أعرفه - بناءً على ما قاله دايف وما أخبرتني إياه كونشيتا لاحقاً - هو أنها بقيت في الأرجاء لبعض الوقت. ربما أملاً بحصول تطوّر ما، ربما كرمي للحفلات فقط، وربما للأمريين معاً. لكن حين عرفت أنها حامل، لا شكّ أنها استسلمت. لأنه حسب معلوماتي، كنا قد أصبحنا في كولورادو وقتها".

"هل تظن أن أمك اكتشفت ذلك ذات يوم؟".

"لا أدري، لكن لا شكّ أنها تساءلت عن مدى إخلاصه لها، خاصة في الليالي التي عاد فيها متأخراً ومنتشياً. أنا متأكد أنها عرفت أن الثملين لا يحدّون سلوكهم السيئ عند مجرد الرهان على الأحصنة القزماة أو حشر أوراق الدولارات الخمسة بين أثناء النادلات".

وضعت يدها على ذراعه. "هل أنت بخير؟ تبدو مُنهكاً".

"أنا بخير. لكنك لست الوحيدة التي تحاول فهم كل هذا".

"ماتت في حادث سيارة"، قالت لوسي. كانت قد استدارت عن دان وتتنظر بثبات إلى اللوح على البرّاد. في وسطه صورة فوتوغرافية لكونشيتا وأبرا، التي بدت في حوالي الرابعة من عمرها، تسيران يداً بيد في حقل زهور أقحوان. "الرجل الذي كان معها كان أكبر منها سنّاً بكثير. وثملاً. ويقود بسرعة كبيرة. لم ترغب مومو أن تُخبرني، لكن عندما أصبحت في الثامنة عشرة، ازداد فضولي ورحتُ أنذمر عليها لكي تعطيني بعض التفاصيل على الأقل. عندما سألتها إن كانت أُمي ثملة أيضاً، قالت شتاً إنها لا تعرف. قالت إن الشرطة لا تملك سبباً لتفحص الركاب الذين يُقتلون في حادث مميت، فقط السائق". تنهّدت. "لا يهمّ. سنترك قصص العائلة ليوم آخر. أخبرني ماذا حصل لابنتي".

أخبرها. في مرحلة ما، استدار ورأى دايف ستون واقفاً عند المدخل يُدخّل قميصه في بنطلونه ويراقبه.

بدأ دان يُخبر كيف تواصلت معه أبراء، أولاً باستخدام طوني كوسيطٍ نوعاً ما. ثم كيف جرى الاتصال بين أبراء والعقدة الحقيقية: رؤيتها كابوساً لما حصل لذلك الذي تسمّيه "فتى البيسبول".

"أتذكّر ذلك الكابوس"، قالت لوسي. "أيقظني صراخها. حصل ذلك من قبل، لكنها كانت أول مرة منذ سنتين أو ثلاث سنوات".

عبس دايف. "لا أتذكّر ذلك أبداً".

"كنت في بوسطن تحضر مؤتمراً". استدارت إلى دان. "دعني أرى إن فهمتُ هذا. أولئك الأشخاص ليسوا أشخاصاً، هم... ماذا؟ نوعٌ من مصاصي الدماء؟".

"بطريقة ما، أظن ذلك. لا ينامون في توابيت خلال النهار أو يتحوّلون إلى وطايط في ضوء القمر، وأشكّ أن يزعجهم الثوم، لكنهم طفيليات، وبالطبع ليسوا بشراً".

"البشر لا يختفون عندما يموتون"، قال جون بشكل قاطع.

"رأيت ذلك يحصل حقاً؟".

"أجل. ثلاثتنا رأيناه".

"على كل حال"، قال دان، "العقدة الحقيقية غير مهمة بالأولاد العاديين، فقط بالذين يملكون بريقاً".

"الأولاد مثل أبراء"، قالت لوسي.

"نعم. يعدّبونهم قبل قتلهم - لتنقية البخار، تقول أبراء. أتخيّلهم دائماً مثل صانعي شراب غير قانوني يُعدّون إنتاجهم في السر".

"يريدون أن... يستنشقوها"، قالت لوسي وهي لا تزال تحاول استيعاب الفكرة. "لأن لديها بريقاً".

"ليس بريقاً فحسب، بل بريقاً رائعاً. أنا مشعلٌ كهربائيّ. هي منارةٌ. وهي تعرف وجودهم. تعرف ماهيتهم".

"هناك المزيد"، قال جون. "ما فعلناه لأولئك الرجال في كلاود غاب... بالنسبة لروز تلك، أبراء هي المذبذبة، مهما يكن الشخص الذي نفذ عملية القتل فعلياً".

"ماذا كانت تتوقع غير ذلك؟"، سألت لوسي بسخط. "ألا يفهمون الدفاع عن النفس؟ الصمود؟".

"ما تفهمه روز"، قال دان، "هو أن هناك فتاةً صغيرةً تحدّتها".

"تحدّثها -؟"

"أبرا كلّمتها تخاطرياً. وقد أخبرت روز أنها قادمة من أجلها".

"أخبرتها ماذا؟".

"يا لطبعها"، قال دايف بهدوء. "قلتُ لها مئة مرة إنه سيوقعها في ورطة".

"لن تقترب أبداً من تلك المرأة، أو من أصدقائها قاتلي الأولاد"، قالت لوسي.

فكّر دان: نعم... ولا. أمسك يد لوسي. بدأت تسحبها منه، ثم توقفت عن ذلك.

"ما عليك فهمه بسيط جداً حقاً"، قال. "لن يتوقفوا أبداً".

"لكن -"

"لا تقولي لي كلمة لكن يا لوسي. في ظروف أخرى، لربما قرّرت روز التوقف عن ملاحظتها - إنها عجوز محنّكة - لكن هناك عاملٌ آخر".

"ما هو؟".

"إنهم مرضى"، قال جون. "تقول أبرا إنهم مصابون بالحصبة. ربما حتى التقطوا العدوى من الفتى تريفور. لا أعرف إن كنتِ ستعتبرين ذلك عقاباً من السماوات أو مجرد سخريّة".

"الحصبة؟".

"أعرف أن هذا لا يبدو بالشيء المهم، لكن صدّقيني، هذا شيء مهم. هل تعرفين كيف كانت الحصبة قادرة في الأيام الخوالي على إصابة مجموعة كاملة من الأولاد؟ إذا كان هذا ما يحصل لتلك العقدة الحقيقية، فبإمكان ذلك القضاء عليهم جميعاً".

"جيد!"، صاحت لوسي. كانت الابتسامة الغاضبة على وجهها ابتسامةً يعرفها دان جيداً.

"ليس إذا اعتبروا أن بخار أبرا الفائق سيداويهم"، قال دايف. "هذا ما عليك فهمه يا حبيبتي. هذه ليست مجرد مناوشة. إنها معركة ضد الموت بالنسبة لتلك السافلة". كافح ثم نطقَ الباقي. لأنه يجب أن يُقال. "إذا سنحت الفرصة لروز، ستأكلُ إبتتنا حيّة".

"كولورادو"، قال دان. "في مكان يدعى مخيم بلوبل في بلدة سايدوندر". حقيقة أن موقع ذلك المخيم هو بالضبط المكان الذي كاد يفقد حياته فيه ذات يوم بين يدي أبيه هي شيء لم يرغب أن يقوله لهم لأنه سيؤدي إلى مزيد من الأسئلة ومزيد من دهشة الصدفة. والشيء الوحيد الذي كان دان متأكداً منه هو عدم وجود أي صدف.

"لا شك أن سايدوندر تلك تحتوي على مخفر للشرطة"، قالت لوسي. "سنتصل بهم ونضعهم في الصورة".

"باخبارهم ماذا؟". كانت نيرة جون هادئة، غير جدلية.

"حسناً... أن..."

"إذا تمكنا من جعل رجال الشرطة يذهبون إلى المخيم"، قال دان، "فلن يجدوا سوى مجموعة أشخاص في منتصف أعمارهم. جماعة من محبي سيارات العيش غير المؤذيين، من النوع الذي يريد دائماً أن يُريك صور أحفادهم. ستكون كل أوراقهم قانونية تماماً، من تراخيص الكلاب إلى صُكوك الأرض. لن يجد رجال الشرطة أي أسلحة حتى ولو تمكّنوا من الاستحصال على إذن تفتيش - ولن يتمكّنوا من الاستحصال عليه لأنه لا يوجد سبب محتمل له - لأن العقدة الحقيقية لا تحتاج إلى أسلحة. أسلحتهم هي هنا". ربت دان على جبهته. "ستكونين السيدة المجنونة من نيو هامبشاير، وستكون أبرا إينتك المجنونة التي هربت من المنزل، وستكون أصدقاءك المجانين".

ضغطت لوسي راحتي يديها على صدغيها. "لا أستطيع أن أصدق أن هذا يحصل".

"إذا أُجريت بحثاً في السجلات، أعتقد أنك ستجدين أن العقدة الحقيقية - مهما يكن الاسم القانوني لتلك الجمعية - كانت جريمة جداً مع بلدة كولورادو تلك بالذات. المرء لا يتبرّز حيث يعيش. لأنه عندما يحلّ وقت الضيق، سيجد الكثير من الأصدقاء حوله".

"أولئك الأوغاد موجودون منذ زمن طويل"، قال جون. "أليس كذلك؟ لأن الشيء الرئيسي الذي يأخذونه من البخار هو طول العمر".

"أنا متأكد تماماً أن هذا صحيح"، قال دان. "وبما أنهم مواطنون صالحون، أنا متأكد أنهم كانوا مشغولين في جني المال طوال الوقت. ما يكفي لتشحيم عجلات أكبر بكثير من تلك التي تدور في سايدوندر. عجلات ولاية. عجلات فدرالية".

"وروز تلك... لن تتوقف أبداً".

"لا". تذكر دان الرؤيا الاستبصارية التي تراءت له عنها. القبعة المائلة. الفم المتناثب. السن الوحيد. "عقدت العزم على الإمساك بإينتك".

"امرأة تبقى حيّة عبر قتل الأولاد ليس لها قلب"، قال دايف.

"آه، لديها قلب"، قال دان. "لكنه أسود".

نهضت لوسي. "كفى كلاماً. أريد أن أذهب إليها الآن. ليستخدم كلكم الحمام، لأننا حالما نرحل، لن نتوقف إلى أن نصل إلى ذلك الفندق".

قال دان، "هل تملك كونشينا كمبيوتراً؟ أحتاج إلى إلقاء نظرة سريعة على شيء قبل أن ننطلق".

تنهّدت لوسي. "إنه في مكتبها، وأعتقد أنه يمكنك التكهّن بكلمة المرور. لكن إذا أخذت أكثر من خمس دقائق، سنذهب من دونك".

14

بقيت روز مستيقظة على سريرها، متصلّبة كالعصا، وترتعث من البخار والحنق.

عندما اشتغل محرّك عند الثانية والرّبع، سمّعه. ستيف الساذج وباباه الروسية. وعندما اشتغل محرّك آخر عند الرابعة إلا ثلثاً، سمّعه أيضاً. إنهما التوأمان الصغيران، بي وپود، هذه المرة. تيري بيكفورد العذب معهما، ولا شك أنه ينظر بعصبية عبر النافذة الخلفية بحثاً عن روز. طلبت مو الضخمة أن ترافقهم - توسّلت أن ترافقهم - لكنهم رفضوا لأن مو كانت قد التقطت عدوى المرض.

كان بإمكان روز منعهم، لكن لماذا تتكبّد العناء؟ دعمهم يكتشفون كيف هي الحياة في أميركا من دون عقدة حقيقية لتحميمهم في المخيّمات أو على الطرقات. خاصة عندما أطلب من سليم المتملّق أن يلغي بطاقات إئتمانهم ويفرّغ حساباتهم المصرفية الغنية، فكرت في سرّها.

سليم ليس جيمي الأرقام، لكن لا يزال بإمكانه تنفيذ ذلك، وبضغط زر واحد. وسيكون معهم ليفعله. سليم سيبقي. وكذلك كل الجيدين... أو تقريباً كل الجيدين. لم يعد فيل القذر وأني المنزر ودوغ الديزل في طريق عودتهم. فقد صوّتوا وقرّروا الذهاب جنوباً بدلاً من ذلك. أخبرهم الديزل أن روز لم تعد موثوقة، كما أنه حان الوقت منذ مدة طويلة لفكّ العقدة.

حظاً سعيداً في ذلك يا عزيزي، فكرت في سرّها وهي تشدّ قبضتيها وترخيها.

تقسيم العقدة الحقيقية فكرة فظيعة، لكن تخفيض حجم القطيع فكرة جيدة. لذا دعوا الضعفاء يهربون والمرضى يموتون. عندما تموت الفتاة السافلة أيضاً ويتنشّقون بخارها (لم تعد لدى روز أي أوهام عن إبقائها سجيناً)، سيصبح الأعضاء الباقون الخمسة والعشرون تقريباً أقوى من أي وقت مضى. لقد حزنّت على موت كرو، وتعرف أن لا أحد يمكنه أن يأخذ مكانه، لكن تشارلي التأشيرة سيبدل قُصارى جهده. وكذلك سام القيثارة... دكّ الملتوي... فاني البدينة وپول الطويل... غ الطماعة، ليست أسطع لمبة، لكنها وفيّة ولا تجادل.

كما أنه مع رحيل الآخرين فإن البخار الذي لا يزال مخزناً في علبها سيدوم فترة أطول ويجعلها أقوى. سيحتاجون إلى أن يكونوا أقوىاء.

تعالى إليّ أيتها السافلة الصغيرة، فكّرت روز في سرّها. لنرى حجم قوتك عندما تكون هناك دزينا أشخاص ضدك. لنرى كيف سيكون شعورك عندما تكونين بمفردك ضد العقدة الحقيقية. سنأكل بخارك ونلعق دمك. لكن أولاً، سنشرب صرخاتك.

راحت روز تحقّق في الظلمة، تسمع الأصوات المتضائلة للهاربين، للخائنين.

سمعت قرعاً هادئاً خجولاً على الباب. بقيت روز ممدّدة بصمت للحظة أو لحظتين وهي تفكّر، ثم لوّحت رجليها عن السرير.
"تفضّل".

كانت عارية لكنها لم تحاول أن تغطي نفسها عندما دخلت ساراي الصامتة، عديمة الشكل داخل أحد قمصان نومها القطنية، وشعر جبهتها الذي بلون الفأرة يغطي حاجبيها ويكاد يُخفي عينيها. كالعادة، بالكاد بدت ساراي موجودة حتى عندما تكون هناك.

"أنا حزينة يا لوز".

"أعرف. وأنا حزينة أيضاً".

لم تكن حزينة - كانت حانقة - لكن بدا من الجيد قول ذلك.

"أفتقد أندى".

أندى، نعم - إسمها الدنيوي أندريا شتاينر، والذي اغتصب أبوها الإنسانية منها منذ زمن طويل قبل أن تعثر عليها العقدة الحقيقية. تذكّرت روز مراقبتها لها ذلك اليوم في صالة السينما، وكيف اجتازت، لاحقاً، عملية التحويل بجرأة وإرادة قوية. كانت أندى لدغة الأفعى لتبقى معهم. كانت الأفعى لتسير في النار لو قالت لها روز إن العقدة الحقيقية تحتاج منها أن تفعل ذلك.

مدّت ذراعيها. هرّولت ساراي وأسندت رأسها على صدر روز.

"من دونها أليد أن أموت".

"لا يا عزيزتي، لا أظن ذلك". سحبّت روز الشيء الصغير إلى السرير وعانقتها بقوة. لم تكن سوى كومة عظام تتماسكها طبقة رقيقة من اللحم. "أخبريني ماذا تريدان حقاً".

تحت شعر الجبهة الأشعث، لمعت عينا متوحشتان. "الانتكام".

قَبَلت روز أحد الخدَّين، ثم الخدَّ الآخر، ثم الشفتين الجافتين الرفيعتين. ابتعدت قليلاً إلى الخلف وقالت، "نعم. وستحظين بانتقامك. افتحي فمك يا ساراي".

فعلت ساراي ذلك بكل طاعة. التصقت شفتاهما ببعضهما مرة أخرى. روز القبعة، التي لا تزال مليئةً بالبخار، تنفّست في حجرة ساراي الصامتة.

15

كانت جدران مكتب كونشيتا مورقةً بمذكرات، بأجزاء قصائد، وبمراسلات لن تتم الإجابة عليها أبداً. أدخلَ دان كلمة المرور المؤلفة من أربعة أحرف، شغَّل فايرفوكس، وبحث عن مخيِّم بلوبل في غوغل. للمخيِّم موقع ويب ليس غنياً جداً بالمعلومات، ربما لأن مالكيه لا يكثرثون كثيراً بشأن جذب الزوّار؛ المكان هو واجهتك الأساسية. لكن هناك صور فوتوغرافية للعقار، وقد درّسها دان بالافتتان الذي يخصّسه الناس لألبومات العائلة القديمة المكتشفة مؤخراً.

لقد اختفت كل آثار الأوفرلوك، لكنه تعرّف على قطعة الأرض. ذات يوم، وقبل أولى العواصف الثلجية التي سجنتهم في الداخل، وقّف مع أمه وأبيه على شرفة الفندق الأمامية العريضة (التي بدت أعرض حتى مع تخزين أراجيح المرّجة والأثاث المصنوع من أماليد مجدولة في المستودع)، ينظرون إلى المنحدر الناعم الطويل للمرّجة الأمامية. في الأسفل، حيث كانت الغزلان والظباء تأتي لتتنافس في أغلب الأحيان، يوجد الآن مبنى ريفي طويل يدعى كوخ الأوفرلوك. هنا، يقول تعليق الصورة، يستطيع الزوّار أن يتعشّوا، يلعبوا البينغو، ويرقصوا على أنغام موسيقى حيّة ليالي الجمعة والسبت. وفي أيام الأحد تُقام مراسم في دار العبادة، يُشرف عليها فريق من رجال ونساء سايدوندر.

إلى أن يبدأ الثلج بالتساقط، كان أبي يجزّ تلك المرّجة ويشدّب فنياً الأجمات التي كانت هناك. قال إنه شدّب فنياً الكثير من السيدات في شبابه. لم أكن أفهم النكتة، لكنها كانت تُضحك أُمي عادةً.

"يا لها من نكتة"، قال بصوتٍ منخفضٍ.

رأى صفوفاً من نقاط الوصل المتألّنة التي تمدّ سيارات العيش بالغاز والكهرباء. كما رأى أبنية دُش للرجال والنساء كبيرة كفاية لخدمة ركاب الشاحنات الضخمة مثل أميركا الصغيرة أو بيدرو جنوبي الحدود. يوجد ملعب للأولاد والصغار (تساءل دان إن رأى الأطفال الصغار الذين لعبوا هناك أشياء مُقلّقة أو شعّروا بها، مثلما حصل ذات يوم مع داني تورانس في ملعب الأوفرلوك). كما يوجد ملعب بيسبول للصغار، منطقة للعبة دفع الأقراص، ملعباً لكرة مضرب، وحتى ملعب بوتشية.

لكن لا ملعب رُكّ - ليس هذا. ليس بعد الآن.

في منتصف المنحدر - حيث تجمعت حيوانات السياج النباتي للأوفرلوك فيما مضى - هناك صف أطباق أقمار اصطناعية بيضاء نظيفة. وعلى قمة التلة، حيث وقف الفندق نفسه، هناك منصة خشبية ذات سلالم طويلة تقود إليه. هذا الموقع، الذي تملكه وتديره الآن ولاية كولورادو، سُمي "سطح العالم". يحق لزوار مخيم بلوبل استخدامه، أو التنزه إلى ما وراءه، مجاناً. ممرات المشاة موصى بها لخبراء المشي في الطبيعة فقط، يقول تعليق الصورة، لكن سطح العالم للجميع. المناظر أخاذة!

كان دان متأكداً أنها أخاذة. بالطبع كانت أخاذة من غرفة الطعام وقاعة الرقص في الأوفرلوك... على الأقل إلى أن حجب الثلج المتراكم بثبات النوافذ. إلى الغرب، توجد أعلى قمم جبال الروكي، التي تخرق السماء كالرماح. وإلى الشرق، يمكن أن يصل نظرك حتى بولدر. تباراً، يمكن أن يصل نظرك حتى دنفر وأرقادا في الأيام النادرة التي لا يكون فيها منسوب التلوث شديداً.

أخذت الولاية قطعة الأرض تلك بالذات، ولم يتفاجأ دان. فمن سيريد أن يبني هناك؟ الأرض عفنة، وشك أن يحتاج المرء إلى أن يكون تخاطرياً لكي يشعر بذلك. لكن العقدة الحقيقية اقتربت بأقصى ما يمكنها، وشعر دان أن ضيوفها المتجولين - الضيوف العاديين - نادراً ما يعودون لزيارة ثانية، أو ينصحون أصدقاءهم بالذهاب إلى مخيم بلوبل. المكان الشرير يستجلب مخلوقات شريرة، قال جون. إذا كان الأمر كذلك، فالعكس صحيح أيضاً: المكان الشرير يميل إلى صدّ المخلوقات الجيدة.

"دان؟"، نادى دايف. "الحافلة تغادر".

"أحتاج إلى دقيقة أخرى!".

أغمض عينيه وأسند راحة يده على جبهته.

(أبراً)

أيقظها صوته حالاً.

الفصل 17

الفتاة السافلة

1

كان الجو مظلماً خارج فندق كراون، ولا تزال هناك ساعة أو أكثر قبل انبلاج الفجر، عندما فُتح باب الوحدة 24 وخرجت فتاة. لقد حلَّ ضباب كثيف، والعالم بالكاد موجود هناك. الفتاة ترتدي بنطلوناً أسود وقميصاً أبيض. وقد ربطت شعرها على شكل أذيال، وبدا وجهها يافعاً جداً. تنفّست بعمق، تاركة البرودة والرطوبة في الهواء تصنعان العجائب لصداعها لكن لا تصنعان الشيء الكثير لقلبها الحزين. لقد ماتت مومو.

ومع ذلك، إذا كان العمّ دان محقاً، فهي لم تمت حقاً؛ بل انتقلت إلى مكان آخر. ربما أصبحت شخصاً شبحاً؛ ربما لا. على كل حال، هذا ليس شيئاً يمكنها إضاعة الوقت على التفكير فيه. لاحقاً، ربما، ستأمل بهذه المسائل.

لقد سألتها دان إن كان بيلى نائماً. نعم، أجابته، لا يزال مستغرقاً في نومه. يمكنها عبر الباب المفتوح رؤية قدمي السيد فريمان ورجليه تحت البطانيات وسماع شخير الهادي. بدا مثل محرّك زورق يتكاسل.

وقد سأل دان إن حاولت روز أو أحد الآخرين لمس ذهنها. لا. كانت لتعرف ذلك. فقد نصبت أفخاخها. ستخمن روز ذلك. فهي ليست غبية.

وقد سأل إن كان هناك هاتف في غرفتها. نعم، هناك هاتف. أخبرها العمّ دان ماذا يريد أن تفعل. أمر بسيط جداً. الجزء المخيف هو ماذا عليها أن تقول للمرأة الغريبة في كولورادو. ومع ذلك أرادت فعل ذلك. جزء منها أراد فعل ذلك منذ أن سمعت صرخات احتضار فتى البيسبول.

(هل تفهمين الكلمة التي عليك تكرار قولها؟)

نعم، بالطبع.

(لأن عليك حثّها هل تعرفين)

(نعم أعرف معنى هذا)

إفقادها عقلها. إثارة غيظها.

وَقَفْتُ أبرا تتنفس في الضباب. الطريق الذي سلكاه لم يعد سوى شطبة، الأشجار على الجهة الأخرى اختفت بالكامل. كما اختفى مكتب الفندق. تتمنى أحياناً لو تكون هكذا، بيضاء بالكامل من الداخل. لكن فقط أحياناً. في أعماقها، لم تندم أبداً عما هي عليه.

عندما شَعَرْتُ أنها جاهزة - جاهزة بقدر ما يمكنها أن تكون - عادت أبرا إلى غرفتها وأغلقت الباب من جهتها لكي لا تزعج السيد فريمان إن اضطرت إلى التكلّم بصوتٍ صاخبٍ. فحصت التعليمات على الهاتف، ضغطت الرقم 9 لتحصل على خط خارجي، ثم اتصلت برقم مساعدة الدليل وطلبت رقم كوخ الأوفرلوك في مخيم بلوبل، في سايدوندر، كولورادو. يمكنني أن أعطيك الرقم الرئيسي، قال دان، لكنك لن تحسلي إلا على آلة الردّ على المكالمات الهاتفية.

في المكان حيث يأكل الضيوف الطعام ويلعبون الألعاب، رنّ الهاتف لوقت طويل. قال دان إن ذلك سيحصل على الأرجح، وأن عليها أن تنتظر. فالوقت هناك، في النهاية، أبكر بساعتين.

أخيراً قال صوتٌ نكِدٌ، "ألو؟ إذا كنت تريد المكتب، فقد اتصلت بالرقم الخ -"

"لا أريد المكتب"، قالت أبرا. أملت ألا يكون الخفقان السريع لقلبها مسموعاً في صوتها. "أريد روز. روز القبعة".

صمت مؤقت. ثم: "من معي؟".

"أبرا ستون. أنت تعرف إسمي، أليس كذلك؟ أنا الفتاة التي تبحثون عنها. أخبرها أنني سأعاود الاتصال بعد خمس دقائق. إذا كانت هناك، سنكلّم. وإلا أخبرها أنه يمكنها أن تطرق رأسها بالجدار. لن أتصل مرة أخرى".

أغلقت أبرا الخط، ثم أخفضت رأسها، وغطت وجهها الملتهب براحتي يديها، وراحت تأخذ أنفاساً عميقةً طويلةً.

2

كانت روز تشرب القهوة خلف مقود الإيرثروزر، وتضع قدميها على الحخيرة السرية المخزّنة علب البخار داخلها، عندما سمعت القرع على بابها. قرع في هذا الوقت المبكر لا يمكن أن يعني إلا المزيد من المتاعب.

"نعم"، قالت. "ادخل".

إنه بول الطويل، يرتدي رداءً فوق بيجامة طفولية عليها سيارات تتسابق. "الهاتف العمومي في الكوخ بدأ يرنّ. تجاهلته في البدء قائلاً لنفسه إن الرقم خطأ، كما أنني كنتُ أعدّ القهوة في المطبخ. لكنه بقي يرنّ، لذا أجبتُ. كانت تلك الفتاة. أرادت أن تتكلّم معك. قالت إنها ستعاود الاتصال بعد خمس دقائق".

استوت ساراي الصامته جالسةً على السرير، وعيناها تومضان بين شعر جبهتها، وأمست الأغطية حول كتفها مثل شال.

"أذهبي"، أخبرتها روز.

أطاعت ساراي دون أي كلمة. راحت روز تراقبها عبر الزجاج الأمامي العريض للإيرتورز تمشي بتناقل حافية القدمين عائدةً إلى الحنطور الذي كانت تتشاركه مع الأفعى.

تلك الفتاة.

بدلاً من أن تهرب وتختبئ، كانت الفتاة السافلة تُجري مكالمات هاتفية. يا لها من أعصاب فولاذية. فكرتها؟ من الصعب قليلاً تصديق ذلك، أليس كذلك؟

"ماذا كنتَ تفعل في المطبخ في هذا الوقت المبكر؟".

"لم أستطع أن أنام".

استدارت نحوه. مجرد عجوز طويل ذو شعر خفيف ونظارات ثنائية البؤرة على طرف أنفه. بإمكان أي شخص دنيوي المرور به في الشارع كل يوم طوال سنة دون رؤيته، لكنه لم يكن دون بعض القدرات. لا يملك بول موهبة الأفعى في التنويم، أو موهبة الجدّ فليك الراحل في التعقّب، لكنه مُقنّع محترمٌ. إذا صدفت واقترح على شخص دنيوي أن يصفع وجه زوجته - أو وجه شخص غريب - فإن ذلك الوجه سيُصفّع، وبسرعة. لكل عضو في العقدة الحقيقية مهارة صغيرة؛ السر هو في كيفية انسجامهم مع بعضهم البعض.

"دعني أرى ذراعيك يا بولي".

تنهّد ورفع كُمّي رداءه والبيجامة وصولاً حتى مرفقيه المتجعّدين. كانت هناك بُقع حمراء.

"متى بدأت بالظهور؟".

"رأيتُ أول بُقعتين بعد ظهر البارحة".

"حمى؟".

"أجل. خفيفة".

حدّقت في عينيه الصادقتين الجديرتين بالثقة وشعرت برغبة في معانفته. لقد فرّ البعض، لكن پول الطويل لا يزال هنا. كذلك معظم الآخرين. عددهم كافٍ بالتأكيد لتدبير أمر الفتاة السافلة إن كانت حقاً حمقاء كفاية لتأتي إلى هنا. وقد تكون. هل هناك أي فتاة في الثالثة عشرة من عمرها ليست حمقاء؟

"ستكون بخير"، قالت.

تنهّد مرة أخرى. "أمل ذلك. وإلا فقد عشنا حياةً جيدةً لعينةً معاً".

"توقف عن هذا الصنف من الكلام. الجميع الذين بقوا سيكونون بخير. هذا وعد مني، وأنا أفي بوعودي. الآن دعنا نرى ماذا تريد صديقتنا الصغيرة من نيو هامبشاير أن تقول".

3

بعد أقل من دقيقة من جلوس روز على كرسي بجانب أسطوانة الأرقام البلاستيكية الكبيرة (وبجانبها كوب قهوتها التي بدأت تبرد)، صدح الهاتف العمومي للكوخ بقرقعة من القرن العشرين أجفلتها. تركته يرنّ مرتين قبل أن ترفع السماعة وتتكلّم بألطف أصواتها. "مرحباً يا عزيزتي. لعلمك، كان يمكنك التحدّث مع ذهني. كنت لتوقّري على نفسك رسوم المكالمات البعيدة المسافة".

هذا شيء ستكون الفتاة السافلة غير حكيمة أبداً لو حاولت القيام به. لم تكن أبراً ستون الوحيدة التي يمكنها نصب أفخاخ.

"أنا قادمة من أجلك"، قالت الفتاة بصوت يافع جداً، نقي جداً! تخيلت روز كل البخار المفيد الذي سيرافق تلك النضارة وشعرت بالطمع يزداد فيها مثل عطش غير مُخمد.

"قلتِ هذا من قبل. هل أنت متأكدة أنك تريدين فعل ذلك حقاً يا عزيزتي؟".

"هل ستكونين هناك إن فعلتُ ذلك؟ أم فقط جردانك المدربة؟".

شعرت روز برعشة غضب. هذا غير مفيد، لكنها بالطبع لم تكن أبداً شخصاً صباحياً.

"لماذا لن أكون يا عزيزتي؟". أبقت صوتها هادئاً ومتسامحاً قليلاً - صوت أم (أو هكذا تخيلت؛ فهي لم تكن أمّاً أبداً من قبل) تكلمت طفلاً صغيراً معرّضاً لنوبات غضب.

"لأنك جبانة".

"أشعر بالفضول لأعرف على أي أساس بنيت هذا الافتراض"، قالت روز. كانت نبرتها نفس النبرة المتسامحة، المستمتعة قليلاً - لكن يدها بدأت تضغط على الهاتف، وضغطت السماعة أكثر على أذنها. "لم تلتقي بي شخصياً أبداً".

"بالتأكيد التقيتُ بك. داخل رأسي، وجعلتُك تفرّين حاشرةً ذيلك بين رجلَيْك. وأنتِ تقتلين أولاداً. فقط الجبناء يقتلون أولاداً".

لستِ بحاجة إلى أن تبرّري نفسك لطفلة، أخبرتِ نفسها. خاصة طفلة دنيوية. لكنها سمعتِ نفسها تقول، "أنتِ لا تعرفين شيئاً عنا. ما نحن، أو ماذا علينا أن نفعل لكي نبقى أحياء".

"أنتم مجرد قبيلة جبناء"، قالت الفتاة السافلة. "تظنّون أنكم موهوبون جداً وأقوياء جداً، لكن الشيء الوحيد الذي تبرعون به حقاً هو الأكل وعيش حياة طويلة. أنتم كالضباع. تقتلون الضعيف ثم تهربون. جبناء".

بدا الازدراء في صوتها كالحمض في أذن روز. "هذا ليس صحيحاً!".

"وأنتِ كبيرة الجبناء. لن تأتي من أجلي شخصياً، أليس كذلك؟ لا، ليس أنتِ. بل أرسلتِ أولئك الآخرين بدلاً من ذلك".

"هل سنجري محادثة منطقية، أم -"

"أين المنطق في قتل أولاد لكي تتمكنوا من سرقة ما في أذهانهم؟ أين المنطق في ذلك، يا بائعة الهوى العجوز الجبّانة؟ لقد أرسلتِ أصدقاك لكي يقوموا بالمهمة نيابة عنك، لقد اختبأتِ خلفهم، وأظن أن ذلك كان ذكاءً منك، لأنهم ماتوا كلهم الآن".

"أيتها الحقيرة الصغيرة الغبية، أنتِ لا تعرفين شيئاً!". وثّبت روز إلى قدميها. اصطدم فحذاها بالطاولة وانسكبت قهوتها. اختلس پول الطويل النظر عبر باب المطبخ، ألقى نظرة واحدة على وجهها، وتراجع. "من الجبان؟ من الجبان الحقيقي؟ يمكنك قول هكذا أشياء عبر الهاتف، لكنك لن تتمكني من قولها وأنتِ تنظرين إلى وجهي!".

"كم شخص سيكون معك عندما آتي؟"، قالت أبراً بسخرية. "كم، أيتها السافلة الصفراء؟".

لم تقل روز شيئاً. تعرف أن عليها أن تسيطر على نفسها، لكن أن تكلمها فتاة دنيوية باللغة القدرة لفناء المدرسة... وكانت تعرف الكثير. الكثير جداً.

"هل ستتجرّأين حتى على مواجهتي لوحدك؟"، سألت الفتاة السافلة.

"جرّبيني"، صاحت روز.

ساد صمت مؤقت على الطرف الآخر، وعندما عاودت الفتاة السافلة الكلام، بدت عميقة التفكير. "واحد على واحد؟ لا، لن تتجرّأي. جبّانة مثلك لن تتجرّأ أبداً. حتى ضد طفلة. أنتِ غشّاشة وكذّابة. تبدين جميلة أحياناً، لكنني رأيتُ وجهك الحقيقي. لستِ سوى بائعة هوى عجوز خسيصة".

"أنتِ... أنتِ..."، لكنها لم تتمكن من قول المزيد. كان غضبها عارماً لدرجة أنها شعرت كما لو أنه يخنقها. بعضه كان صدمةً من إيجاد نفسها - روز القبعة - توبّخ من طفلة وسيلة مواصلاتها هي درّاجة هوائية وهمّها الرئيسي قبل الأسابيع القليلة الماضية كان على الأرجح متى سيصبح لديها ثديان أكبر من لسعة البعوضة.

"لكنني ربما سأعطيكِ فرصة"، قالت الفتاة السافلة. كانت ثقّتها وطيشها المرح لا يُصدّقان. "بالطبع، إذا قبلتِ الفرصة، سأمسح الأرض بك. لن أضيع وقتي على الآخرين، فهم يُحتضرون من قبل". ضحكت فعلاً. "يختنقون بفتى البيسبول، وحسناً فعل".

"إذا أتيتِ، سأقتلك"، قالت روز. وجدت يدها حنجرتها، أطبقت عليها، وبدأت تضغط بشكل إيقاعي. ستظهر رضوض لاحقاً. "إذا هربتِ، سأجذك. وعندما أجذك، ستصرخين لساعات قبل أن تموتي".

"لن أهرب"، قالت الفتاة. "وسنرى من سيصرخ".

"كم شخص سيكون معك لكي يدعمك؟ يا عزيزتي؟".

"سأكون لوحدي".

"لا أصدّك".

"اقراي أفكارِي"، قالت الفتاة. "أم تخافين من فعل ذلك أيضاً؟".

لم تقل روز شيئاً.

"طبعاً أنتِ خائفة. فأنتِ تتذكّرين ما حصل آخر مرة حاولتِ فيها ذلك. لقد أدقّتك بعضاً من دوائك، ولم يعجبك، أليس كذلك؟ ضبعة. قاتلة أولاد. جبانة".

"توقفي... عن مناداتي... هكذا".

"هناك نقطة على أعلى التلة قريباً من مكانك. منصة مراقبة. تسمّى سطح العالم. عثرتُ عليها على الانترنت. كوني هناك عند الخامسة بعد ظهر الاثنين. كوني هناك لوحداً. لكن إذا لم تبقى بقية زمرة ضباعك في قاعة الاجتماعات تلك بينما نعمل ما نفعله مع بعضنا البعض، سأعرف. وسأرحل".

"سأجذك"، كرّرت روز.

"حقاً؟"، قالت بسخرية.

أغمضت روز عينيها ورأت الفتاة. رأته تتلوى على الأرض، فمها محشو بدبابير لاسعة وهناك قضبان ساخنة ناتئة من عينيها. لا أحد يكلمني بهذه الطريقة. قط.

"سأفترض أنك وجدتني. لكن حين تفعيل ذلك، كم عضو من عقدتك الحقيقية الننتة سيكون قد بقي ليدعمك؟ دزينة؟ عشرة؟ ربما فقط ثلاثة أو أربعة؟".

هذه الفكرة خطرت ببال روز من قبل. لكن أن تتوصل فتاة لم ترها وجهاً لوجه أبداً إلى نفس الاستنتاج كان، بعدة طرق، شيئاً مغيظاً جداً.

"كان كُرو يعرف شكسبير"، قالت الفتاة السافلة. "لقد اقتبس لي بعض أقواله قبل أن أقتله بفترة قصيرة. أعرف شكسبير قليلاً، أيضاً، لأننا درسناه في المدرسة. قرأنا مسرحية واحدة فقط، روميو وجولييت، لكن الأنسة فرانكلين أعطتنا لائحة كاملة بالأقوال المشهورة من مسرحياته الأخرى. أقوال مثل 'نكون أو لا نكون' و'كان يونانياً بالنسبة لي'. هل كنت تعرفين أن هذه الأقوال لشكسبير؟ أنا لم أكن أعرف. ألا تجدين هذا مثيراً للاهتمام؟".

لم تقل روز شيئاً.

"أنت لا تفكرين بشكسبير أبداً"، قالت الفتاة السافلة. "أنت تفكرين بكم ترغيبين أن تقتليني. لست بحاجة إلى أن أقرأ أفكارك لكي أعرف ذلك".

"لو كنت مكانك، لهربت"، قالت روز بتبصّر. "بأسرع وأبعد ما تستطيع رجلاك الطفوليتان حَمَلَك. هذا لن ينفَعك أبداً، لكنك ستعيشين لفترة أطول قليلاً".

لم تكن الفتاة السافلة لتحديد عن موضوعها. "هناك قول آخر. لا أستطيع أن أتذكره بدقة، لكنه شيء مثل 'فجر بلغمه المفرق'. قالت الأنسة فرانكلين إن اللغم المفرق هو قنبلة موضوعة على عصا. أظن أن هذا مماثل نوعاً ما لما يجري لقبيلة جبنائك. لقد تنشقتم النوع الخطأ من البخار، وعلقتم على لغم مفرق، والآن القنبلة تنفجر". سكتت قليلاً. "هل لا تزالين معي يا روز؟ أم هربت؟".

"تعالني إليّ يا عزيزتي"، قالت روز. استعادت هدوءها. "إذا كنت تريدين اللقاء بي على منصة المراقبة، فستجديني هناك. سنتأمل المنظر معاً، موافقة؟ ونرى من الأقوى".

أغلقت الخط قبل أن تتمكن الفتاة السافلة من قول أي شيء آخر. لقد فقدت أعصابها رغم أنها أفسمت ألا تفقدها، لكنها هي التي قالت الكلمة الأخيرة على الأقل.

أو ربما لا، لأن الكلمة التي بقيت الفتاة السافلة تستخدمها تكرر مراراً وتكراراً في رأسها، مثل أسطوانة غراموفون عالقة عند أخدود مشوه.

جبانة. جبانة. جبانة.

أعدت أبرا سماعة الهاتف إلى مكانها بعناية. نظرت إليها؛ حتى إنها مسدت سطحها البلاستيكي، الذي كان ساخناً من يدها ورطباً من عرقها. ثم قبل أن تُدرك أنه سيحصل، انفجرت في بكاء صاخب عصف بها كلها، فشنَّج لها معدتها وززعج جسمها. أسرعت إلى الحمام، وهي لا تزال تبكي، ركعت أمام المراض، وتقيأت.

عندما خرجت، كان السيد فريمان واقفاً عند الباب المشترك بين غرفتيهما وأطراف قميصه متدلّية وشعره الرمادي منفوش. "هل من سوء؟ هل أنت مريضة من المخدّر الذي حقنك به؟".

"لم يكن هذا".

ذهب إلى النافذة وراح يحقّق في الضباب الكثيف. "هل هم السبب؟ هل هم قادمون من أجلنا؟".

غير قادرة مؤقتاً على الكلام، لم تستطع إلا هزّ رأسها بشدة بحيث تطايرت صفائرها. هي التي كانت قادمة من أجلهم، وهذا ما أزعجها.

وليس فقط على نفسها.

جلست روز ساكنة، وراحت تأخذ أنفاساً طويلةً مهدّئة للأعصاب. عندما استعادت سيطرتها على نفسها، نادى بول الطويل. بعد لحظة أو لحظتين، أطلّ رأسه بحذر من الباب المتأرجح الذي يؤدي إلى المطبخ. النظرة على وجهه أحضرت شبح ابتسامة إلى شفثيه. "عليك الأمان. يمكنك أن تدخل. لن أعضّك".

دخل ورأى القهوة المسكوبة. "سأنظّف هذا".

"اتركه. مَنْ هو أفضل متعقّب بقي لدينا؟".

"أنت يا روز". لا تردّد.

لم تكن لدى روز أي نية بالاقتراب من الفتاة السافلة ذهنياً، ليس حتى للمسمة واحدة. "غيري أنا".

"حسناً... مع رحيل الجدّ فليك... وباري..."، قال وهو يفكّر. "تملك سؤ لمسة تعقّب، وكذلك غ الطماعة. لكنني أظن أن تشارلي التأشيرة يملك أكثر منها قليلاً".

"هل هو مريض؟".

"لم يكن مريضاً البارحة".

"أرسله لي. سأمسح القهوة بينما أنتظر. لأن - هذا مهم يا بولي - الشخص الذي يُحدث الفوضى هو الذي يجب أن ينظفها".

بعدما خرج، بقيت روز تجلس مكانها لبرهة، شابكةً أصابعها تحت ذقنها. لقد عاد التفكير الصافي، ومعه القدرة على التخطيط. يبدو أنهم لن يأخذوا بخاراً اليوم. بإمكان هذا أن ينتظر إلى صباح الاثنين.

دخلت المطبخ أخيراً بحثاً عن رزمة مناشف ورقية. ونظّفت فوضاها.

6

"دان!"، هذه المرة كان جون. "علينا الذهاب!"

"مفهوم"، قال. "أريد فقط طرطشة بعض الماء البارد على وجهي".

ذهَب إلى آخر الرواق وهو يستمع إلى أبرا، ويومئ برأسه قليلاً كما لو أنها كانت هناك.

(يريد السيد فريمان معرفة لماذا كنتُ أبكي لماذا تقيأتُ ماذا عليّ أن أقول له)

(في الوقت الحاضر فقط أننا عندما نصل إلى هناك أريد أن أستعير شاحنته)

(لأننا سنذهب غرباً)

(... حسناً...)

المسألة معقّدة، لكنها فهمت. لم يكن الفهم بالكلمات، ولم تكن هناك حاجة إلى أن يكون هكذا.

بجانِب مغسلة الحَمّام هناك رف عليه عدة فراشي أسنان ملفوفة. أصغرها - غير ملفوفة - مطبوع على مقبضها أبرا بأحرف ملوّنة. وعلى أحد الجدران لوحة صغيرة تقول "الحياة من دون حبّ مثل شجرة من دون فاكهة". بقي ينظر إليها لعدة ثوانٍ، وتساءل إن كان هناك أي قول مشابه في برنامج منظمة مدمني الشراب المجهولين. القول الوحيد الذي استطاع تذكّره هو إذا لم تكن تستطيع أن تحبّ أي شخص اليوم، حاول على الأقلّ عدم إيذاء أي شخص. لا مجال للمقارنة حقاً.

فتح حنفية الماء البارد ورشّ وجهه عدة مرات، بقوة. ثم أمسك منشفةً ورفع رأسه. لا لوسي معه في الصورة هذه المرة؛ فقط دان تورانس، ابن جاك وويندي، الذي لطالما ظنّ أنه ولد وحيد.

كان وجهه مغطى بذياب.

الجزء الرابع

سطح العالم

الفصل 18

الذهاب غرباً

1

أكثر شيء تذكّره دان عن ذلك السبت لم يكن النزهة من بوسطن إلى فندق كراون، لأن الأشخاص الأربعة في سيارة جون دالتون الرباعية الدفع لم يتكلّموا إلا قليلاً جداً. لم يكن الصمت غير مريح أو عدائياً لكن منهكاً - صمت الأشخاص الذين لديهم أشياء كثيرة للتفكير فيها لكن أشياء قليلة جداً لقولها. أكثر شيء تذكّره هو ما حصل عندما وصلوا إلى وجهتهم.

عرّف دان أنها بانتظارهم، لأنه كان على تواصل معها معظم فترات الرحلة، يتكلّم بطريقة أصبحت مريحة لهما - نصف كلمات ونصف صور. عندما ركنوا السيارة، كانت تجلس على مخفّف الصدمات الخلفي لشاحنة ببلي القديمة. رأتهم فقفزت إلى قدميها وهي تلوّح. في تلك اللحظة تهشّم الغطاء السحابي، الذي كان خفيفاً، وسلّط شعاع من الشمس ضوءه عليها. كما لو أن السماوات تربّت على كتفها.

أطلقت لوسي صيحة لم تكن صرخة بالضبط. فكّت حزام أمانها وفتحت بابها قبل أن يتمكن جون من إيقاف سيارته كلياً. بعد خمس ثوانٍ كانت تحيط إبنتها بذراعيها وتقبّل أعلى رأسها - بأفضل ما يمكنها، ووجه أبراً مسحوق بين ثدييها. سلّطت الشمس الآن نورها عليهما.

لمّ شمل الأم والطفلة، فكّر دان في سرّه. الابتسامة التي رسمتها هذه الفكرة على وجهه بدت غريبة. لم يبتسم منذ زمن طويل.

2

أرادت لوسي ودايفد إعادة أبراً إلى نيو هامبشاير. لم تكن لدى دان أي مشكلة في ذلك، لكن بما أنهم اجتمعوا الآن، عليهم كلهم أن يتناقشوا. لقد عاد الرجل البدين ذو ذيل الحصان إلى نوبة عمله، ويشاهد اليوم مباراة في الفنون القتالية المختلطة بدلاً من فيلم إباحي. كان سعيداً أن يعيد تأجيرهم الغرفة 24؛ لا يهتمّ إن باتوا الليلة أم لا. دخل ببلي إلى مطعم كراونفيل ليُحضّر بعض

البيتزا. ثم جلسوا جميعاً، دان وأبرا يتناوبان على الكلام لإطلاع الآخرين على كل شيء حصل وكل شيء سيحصل. طبعاً إذا سارت الأمور مثلما يأملان.

"لا"، قالت لوسي فوراً. "هذا خطير جداً. لكليكما".

قدّم جون ابتسامَةً كئيبةً. "أخطر شيء هو تجاهل تلك... الأشياء. تقول روز إنه إذا لم تأت أبرا من أجلها، فهي ستأتي من أجل أبرا".

"كما لو أنها تركّز كل جهودها عليها"، قال بيلي، واختار شرحة بالبيبيروني والفطر. "يحصل كثيراً مع المجانين. كل ما عليك فعله لكي تعرف ذلك هو مشاهدة الدكتور فيل".

رمقت لوسي إبتها بنظرة عاتية. "لقد حنّيتها. ما فعلته خطير، لكن عندما تسنح لها الفرصة لكي تهدأ..."

انخفت صوتها رغم أن أحداً لم يقاطعها. ربما، فكّر دان في سرّه، سمعت كم بدت غير مُقنعة بعدما خرج الكلام من فمها.

"لن يتوقفوا يا ماما"، قالت أبرا. "هي لن تتوقف".

"ستكون أبرا بأمانٍ كافٍ"، قال دان. "هناك عجلة. لا أعرف كيف أشرحها بشكل أفضل من هذا. إذا ساءت الأمور، ستستخدم أبرا العجلة لكي تبتعد. لكي تنسحب. لقد وعدتني بذلك".

"هذا صحيح"، قالت أبرا. "لقد وعدته".

رمقها دان بنظرة حادة. "وستفين بوعدك، أليس كذلك؟".

"نعم"، قالت أبرا. تكلمت بحزمٍ كافٍ، رغم أن التردد كان واضحاً في صوتها. "سأفي به".

"هناك أيضاً كل أولئك الأولاد للتفكير فيهم"، قال جون. "لن نعرف أبداً عدد الذين قضت عليهم تلك العقدة الحقيقية على مر السنوات. ربما المئات".

شعّر دان أنهم إذا كانوا قد عاشوا كل تلك المدة الطويلة التي تظنّها أبرا، فإن الرقم سيكون بالآلاف على الأرجح. قال، "أو عدد الذين سوف يقضون عليهم، حتى ولو تركوا أبرا وشأنها".

"هذا بافترض أن الحصبة لن تقتلهم كلهم"، قال دايف بتفاؤل. استدار إلى جون. "لقد قلت إن هذا قد يحصل حقاً".

"يريدونني لأنهم يظنّون أنه يمكنني أن أدوي لهم الحصبة"، قالت أبرا. "غباء".

"انتبهي لألفاظك يا أنسة"، قالت لوسي، لكنها تكلمت بذهن شارد. أخذت آخر شرحة بيتزا، نظرت إليها، ثم أعادتها إلى العلبه. "لا يهمني الأولاد الآخرين. تهمني أبرا. أعرف كم يبدو كلامي هذا رهيباً، لكنها الحقيقة".

"لن تشعري هكذا لو رأيت كل تلك الصور الصغيرة في المتسوق"، قالت أبرا. "لا أستطيع إخراجهم من رأسي. أحلم بهم أحياناً".

"إذا كانت تلك المرأة المجنونة تملك نصف دماغ، لعرفت أن أبرا لن تأتي لوحدها"، قال دايف. "ماذا ستفعل، تسافر إلى دنفر ثم تستأجر سيارة؟ فتاة في الثالثة عشرة من عمرها؟". ثم بنظرة نصف فكاوية نحو إبنته: "غباء".

قال دان، "روز تعرف مسبقاً مما حصل في كلاود غاب أن لأبرا أصدقاء. ما لا تعرفه هو أن واحداً منهم على الأقل لديه البريق". نظرَ إلى أبرا للتأكيد. أومأت برأسها. "اسمعي يا لوسي. ودايف. كلاكما، أظن أن أبرا وأنا يمكننا وضع حدّ لهذا" - راح يبحث عن الكلمة الصحيحة ولم يعثر إلا على كلمة ملائمة - "طاعون. أهدنا بمفرده... هز رأسه".

"بالإضافة إلى ذلك"، قالت أبرا، "أنت وأبي لا تستطيعان إيقافني حقاً. يمكنكما سجنني في غرفتي، لكن لا يمكنكما سجن ذهني".

أعطتها لوسي نظرة الموت، تلك النظرة التي توقرها الأمهات للبنات اليافعات الثائرات. لطلالما نجحت تلك النظرة مع أبرا، حتى عندما تكون في إحدى نوبات غضبها الشديد، لكنها لم تنجح هذه المرة. فبقيت تنظر إلى أمها بهدوء. وبحزن جعل قلب لوسي يشعر بالبرود.

أمسك دايف يد لوسي. "أظن أن هذا شيء يجب القيام به".

ساد صمت في الغرفة. وأبرا هي التي كسرتة. "إذا لم يكن أحد سيأكل هذه الشرحة الأخيرة، فسأكلها أنا. إنني أتصور جوعاً".

3

استعرضوا الخطة عدة مرات أخرى، وارتفعت أصواتٌ عند نقطتين، لكن في الأساس، كل شيء قيل. ما عدا شيء واحد، حسبما تبين. عندما غادروا الغرفة، رفض بيلي أن يركب سوبربان جون.

"أنا ذاهب"، أخبر دان.

"بيلي، أقدر الفكرة لكنها ليست جيدة".

"شاحنتي، قواعدي. بالإضافة إلى ذلك، هل ستصل حقاً إلى ريف كولورادو العالي بعد ظهر الاثنين من تلقاء نفسك؟ لا تضحكني. أنت تشبه برازاً على عصا".

قال دان، "عدة أشخاص أخبروني هذا مؤخراً، لكن لا أحد منهم عبّر عنه بهذه الكياسة".

لم يبتسم بيلى. "يمكنني مساعدتك. أنا عجوز، لكنني لست ميتاً".

"خذه"، قالت أبراً. "إنه محقّ".

نظر إليها دان عن كثب.

(هل تعرفين شيئاً يا أبراً)

كان الرد سريعاً.

(كلا بل أشعر بشيء)

هذا كان كافياً لدان. فتح ذراعيه وعانقته أبراً بقوة، ضاغطةً خدّها على صدره. كان بإمكان دان مواصلة احتضانها بهذه الطريقة لوقت طويل، لكنه أفلتها وتراجع إلى الوراء.

(دعنى أعرف عندما تقترب يا عمّ دان سأتى)

(مجرد لمسات صغيرة تذكّري)

أرسلت له صورةً بدلاً من فكرةٍ في كلماتٍ: كاشف دخان يصفرّ مثلما يفعل عندما تحتاج البطارية إلى تغيير. تتذكّر هذا جيداً.

أثناء توجّهها إلى السيارة، قالت أبراً لأبيها، "نحتاج إلى التوقف في طريق العودة لنشتري بطاقة بالشفاء العاجل. جولي كروس كسرت معصمها البارحة في تمرين كرة القدم".

عبّس بها. "كيف تعرفين ذلك؟".

"أعرف"، قالت.

شدّ إحدى ضفائرها بلطف. "يمكنك فعل ذلك طوال الوقت حقاً، أليس كذلك؟ لا أفهم لماذا لم تخبرينا فحسب يا أبا-دو".

كان بإمكان دان، الذي كبر مع البريق، أن يُجيب على السؤال.

الأهل بحاجة أحياناً إلى حماية.

4

وافترقوا. ذهبت سيارة جون الرباعية الدفع شرقاً وذهبت شاحنة بيلى غرباً، مع جلوس بيلى خلف المقود. قال دان، "هل تشعر بخير لكي تقود يا بيلى؟".

"بعد كل النوم الذي حصلتُ عليه ليلة أمس؟ عزيزي، يمكنني أن أقود إلى كاليفورنيا".

"هل تعرف إلى أين نحن ذاهبان؟".

"اشتريثُ خريطةً في البلدة بينما كنتُ أنتظر البيتزا".

"إذا كنتُ قد عقدتُ العزم وقتها. وكنتُ تعرف بماذا كنتُ أخطُ مع أبراً".

"حسناً... نوعاً ما".

"عندما تحتاج مني أن أقود، فقط اصرخ"، قال دان، وغفا فوراً مُسنداً رأسه على نافذة الراكب. انزلق إلى بئر صور بغیضة. الأولى صورة حيوانات السياج النباتي في الأوفرلوك، تلك التي تتحرك عندما لا تنظر إليها. ثم تلتها صورة السيدة ماسي من الغرفة 217، التي ترتدي الآن قبعة عالية سوداء رسمية مائلة. استمرّ في نزول البئر، وعاود رؤية المعركة في كلاود غاب. ما عدا أنه عندما اقتحم الوينباغو هذه المرة، وجد أبراً جالسةً على الأرض وعنقها مذبوح وروز تقف فوقها حاملةً موسى حلاقةٍ دامٍ. روز رأت دان وانخفض النصف السفلي لوجهها في ابتسامة بغیضة لمع فيها سنٌ طويلٌ واحدٌ. أخبرتها أن النهاية ستكون هكذا لكنها لم تصدقني، قالت. الأولاد نادراً ما يصدقون.

تحت ذلك لم يكن هناك سوى الظلمة.

عندما استيقظ كان لشققي يمرّ خطٌ أبيض مكسورٌ في وسطه. كانا على طريقٍ عامٍ بين الولايات.

"لكم من الوقت نمثُ؟".

ألقى ببلي نظرة سريعة على ساعته. "فترة طويلة. تشعر بتحسّن؟".

"نعم". كان يشعر بتحسّن ولا يشعر بتحسّن. ذهنه صافٍ، لكن معدته تؤلمه جداً. بناءً على ما رآه في المرأة ذلك الصباح، لم يتفاجأ. "أين نحن؟".

"حوالي مئتين وخمسين كيلومتراً شرق سينسيناتي. بقيتُ نائماً خلال توقفين للترؤد بالوقود. وكنتُ تشخر".

استوى دان جالساً. "نحن في أوهايو؟ يا إلهي! كم الساعة الآن؟".

ألقى ببلي نظرة سريعة على ساعته. "السادسة والرُبع. لم تكن القيادة شاقة؛ حركة المرور خفيفة ولا مطر".

"حسناً، دعنا نجد فندقاً رخيصاً. أنت تحتاج إلى النوم وأنا أحتاج إلى أن أبول مثل حسان سباق".

"أست متفاجئاً".

دخل بيلى المخرَج التالي الذي يُظهر لافتاتٍ لوقودٍ وطعامٍ وفنادقٍ رخيصةٍ. ركن الشاحنة أمام مطعم وجبات سريعة وأحضر كيس شطائر برغر بينما استخدَم دان الحَمَام. عندما عادا إلى الشاحنة، أخذ دان لقمة واحدة من شطيرته، أعادها إلى الكيس، ورشفت بحذر مخفوق حليب بالقهوة. هذا ما بدا أن معدته مستعدة أن تستقبل.

بدا بيلى مصدوماً. "عليك أن تأكل يا رجل! ما بك؟".

"أظن أن بيتزا على الفطور فكرة سيئة". ولأن بيلى كان لا يزال ينظر إليه: "مخفوق الحليب ممتاز. كل ما أحتاج إليه. انظر إلى الطريق يا بيلى. لا يمكننا مساعدة أبرا إذا وجدنا نفسينا في غرفة الطوارئ".

بعد خمس دقائق، ركنَ بيلى الشاحنة تحت ظلَّة نُزُلٍ فوق بابهِ لافتة وامضة تقول عُرف شاغرة. أطفأ المحرِّك لكنه لم يخرج. "بما أنني أخاطر بحياتي معك، يا زعيم، أريد أن أعرف ما الذي يؤلمك".

كاد دان يشير إلى أن المخاطرة كانت فكرة بيلى وليست فكرته، لكن من غير العدل قول ذلك. فشرح له. استمع بيلى بصمت مذهول.

"يا إلهي"، قال عندما أنهى دان كلامه.

"هل ستحجز غرفتين لنا، أم سأفعل ذلك بنفسى؟"، قال دان.

بقي بيلى يجلس مكانه. "هل أبرا تعرف؟".

هزَّ دان رأسه.

"لكن يمكنها أن تعرف".

"يمكنها لكنها لن تفعل ذلك. تعرف أن اختلاس النظر مُعيب، خاصة مع شخص يهَمُّك أمره. لن تفعل ذلك تماماً مثلما لن تتجسَّس على والديها عندما يتضاجعان".

"أنت تعرف ذلك منذ أن كنت ولداً؟".

"نعم. أحياناً ترى القليل - لا يمكنك منع نفسك - لكنك تشيح بنظرك عندها".

"هل ستكون بخير يا داني؟".

"البعض الوقت". تذكر الذباب البطيء على شفثيه وخذيه وجبهته. "الوقت كافٍ".
"وبعد ذلك؟".

"سأقلق بشأن ذلك وقتها. كل يوم بيومه. دعنا نحجز غرفتين. نحتاج إلى انطلاقة مبكرة".
"هل وصلك أي خبر من أبرا؟".

ابتسم دان. "إنها بخير".

على الأقل حتى الآن.

5

لكنها لم تكن بخير، ليس حقاً.

جلست وراء مكتبها ممسكةً نسخة نصف مقروءة من المتدخّل، ومحاولةً عدم النظر إلى نافذة غرفة نومها، مخافة أن ترى شخصاً محدداً هناك. كانت تعرف أن خطباً ما أصاب دان، وتعرف أنه لا يريد أن تعرف ما هو، لكنها شعرت برغبة قوية لتتنظر على أي حال، رغم كل السنوات التي علّمت نفسها خلالها أن تتحاشى خصوصيات الراشدين. شيئان منعاها. الأول هو معرفة أنها، سواء أعجبها ذلك أم لم يعجبها، لا تستطيع مساعدته الآن. الآخر (وهذا كان أقوى) هو معرفة أنه قد يشعر بها في ذهنه. وعندها سيخيب أمله منها.

لقد أقفلَ عليه على الأرجح، على أي حال، فكّرت في سرّها. يمكنه أن يفعل ذلك. إنه قوي جداً.

لكن ليس بقوتها... أو، إذا أرادت التعبير عنه من حيث البريق، لقاتل إن بريقه ليس بقوة بريقها. يمكنها أن تفتح صناديقه الذهنية المقلّعة وتتنظر إلى الأشياء التي داخلها، لكنها شعرت أن فعل ذلك قد يكون خطيراً لكليهما. لا يوجد سبب ملموس لذلك، كان مجرد شعور - مثل الشعور الذي انتابها بأنها فكرة جيدة أن يذهب السيد فريمان مع دان - لكنها تثق به. بالإضافة إلى ذلك، ربما كان شيئاً يمكنه أن يساعدهم. يمكنها أن تأمل ذلك. الأمل الحقيقي سريع، ويطير على أجنحة السنونو - هذا اقتباس آخر من شكسبير.

لا تنظري إلى تلك النافذة أيضاً. إياك.

لا. على الإطلاق. أبداً. لذا نظرت، وها هي روز تبسم لها من تحت قبعته المائلة بشكل أنيق. كل الشعر المنفوش والبشرة الخزفية الشاحبة والعينان المجنونتان الداكنتان والشفثان الحمران يحجب ذلك السن الناتئ. ذلك الناب.

ستموتين وأنتِ تصرخين أيتها الفتاة السافلة.

أغمضت أبراً عينيها وفكّرت ملياً

(ليست هناك ليست هناك ليست هناك)

وأعدت فتحهما. لقد اختفى الوجه المبتسم عند النافذة. لكن ليس حقاً. في مكان ما عالٍ في الجبال - عند سطح العالم - كانت روز تفكّر فيها. وتنتظر.

6

يقدم الفندق الرخيص مأدبة فطور. لأن رفيق سفره كان يراقبه، أصرّ دان على أكل بعض الحبوب واللبن الزبادي. بدا ببلي مرتاحاً. بينما سجّل خروجهما من الفندق، تنزّه دان إلى حمام الرجال في الردهة. بعدما دخل، أقفل الباب، سقط على رُكبتيه، وتقيأ كل شيء أكله. الحبوب غير المهضومة واللبن الزبادي العائم على رغوة حمراء.

"بخير؟"، سأل ببلي عندما عاود دان الانضمام إليه في الردهة.

"بخير"، قال دان. "هيا بنا".

7

وفقاً لخريطة ببلي، المسافة من سينسيناتي إلى دنفر حوالي ألفي كيلومتر. وتقع سايدوندر على بُعد حوالي مئة وعشرين كيلومتراً غرباً من هناك، على طرقات مليئة بتعرجات وتحدها وديان عميقة. حاول دان القيادة لبرهة بعد ظهر ذلك الأحد، لكنه تعب بسرعة وأعاد المقود إلى ببلي مرة أخرى. نام، وعندما استيقظ، كانت الشمس تغيب. كانا في أيوا - منزل براد تريפור الراحل.

(أبرا؟)

كان يخشى أن تجعل المسافة التواصل الذهني صعباً أو حتى مستحيلاً، لكنها ردّت عليه فوراً، وبنفس القوة كما من قبل؛ لو كانت محطة إذاعية، لكانت قوة بثّها 100,000 واط. كانت في غرفتها، تُنجز واجباً مدرسياً على كمبيوترها. سرّاً وحزناً معاً من إدراك أن هوبي، أرنبيها المحشو، معها على حُصنها. الجهد مما كانوا يفعلونه جعلها تتكفئ إلى أبراً أصغر سناً، على الأقل من الناحية العاطفية.

مع انفتاح الخط بينهما على مصراعيه، التقطت هذا.

(لا تقلق بشأنني أنا بخير)

(جيد لأن هناك مكالمة عليكِ إجراءها)

(نعم حسناً هل أنت بخير)

(بخير)

كانت تعرف أكثر من ذلك لكنها لم تسأل، وهذا ما أراده.

(هل حصلت على)

رسمت صورة.

(ليس بعد إنه الأحد والمتاجر مغلقة)

صورة أخرى، صورة جعلته يبتسم. وولمارت... ما عدا أن اللافتة الكبيرة عليها تقول "سوبرماركت أبر".

(لن يبيعونا ما نحتاج إليه سنجد متجراً يبيع ذلك)

(حسناً أظن)

(تعرفين ماذا ستقولين لها؟)

(نعم)

(ستحاول جرك إلى محادثة طويلة ستحاول أن تتطفّل لا تدعيها)

(لن أدعها)

(أخبريني بعدما تنتهين لكي لا أفلق)

بالطبع سيقلق كثيراً.

(حسناً أحبك أيها الخال دان)

(أحبيك أيضاً)

أصدر صوت قبلة. رسمت له قبلة: شفتان كرتونيتان حمراوان كبيرتان. يكاد يشعر بهما على خده. ثم اخنقت.

كان بيلى يحدّق فيه. "كنت تكلمها للتو، أليس كذلك؟".

"بالفعل. عيناك على الطريق يا بيلى".

"أجل، أجل. تتكلم مثل زوجتي السابقة".

شغل بيبي ضوءه الوامض، انتقل إلى ممر السير المعاكس، وتجاوز منزلاً متنقلاً فليثوود
پايس أرو ضخماً ويسير بنتأقل. راح دان يحقق فيه متسائلاً من بداخله وإذا كانوا ينظرون إليه عبر
النوافذ الملونة.

"أريد اجتياز حوالي منتي كيلومتر أخرى قبل أن نتوقف لنبيت ليلتنا"، قال بيبي. "حسب
تقديراتي للغد، يجب أن يعطينا هذا ساعة لكي تُنهي مأموريتك وسنظل قادرين على بلوغ الريف
العالي في الوقت الذي اتفقت عليه مع أبرا للمواجهة الحاسمة. لكن سيكون علينا الانطلاق قبل
الفجر".

"ممتاز. هل تفهم كيف سيجري هذا؟".

"فهمتُ كيف يُفترض به أن يجري". ألقى بيبي نظرة سريعة عليه. "من الأفضل أن تأمل
أنهم لن يستخدموا مناظيرهم إذا كانوا يملكونها. هل تعتقد أننا قد نعود أحياء؟ أخبرني الحقيقة. إذا
كان الجواب لا، فسأتعشى أكبر شريحة لحم رأيتها في حياتك عندما نتوقف لنبيت الليل. وبإمكان
ماستر كاردي أن تطارد أنسابي لكي يسدّوا آخر فاتورة، وهل تعلم؟ ليس لدي أي أنسباء. إلا إذا
احتسبت طليقتي، التي حتى لو كنتُ أحترق فإنها لن تبول عليّ لكي تُطفئني".

"سنعود"، قال دان، لكن صوته بدا باهتاً. كان يشعر بضعف كبير لكي يزيّن كلامه.

"حقاً؟ حسناً، ربما سأتعشى شريحة اللحم تلك، على أي حال. ماذا عنك؟".

"أظن أنني قادر على تناول قليل من الحساء. طالما أنه حساءٌ شفافٌ". ففكرة أكل أي شيء
سميك بحيث يمنع قراءة الصحيفة من خلاله - حساء الطماطم، كريما الفطر - جعلت معدته ترتعد
خوفاً.

"حسناً. لماذا لا تُغمض عينيك مرة أخرى؟".

عرّف دان أنه لا يمكنه أن ينام نوماً عميقاً، مهما شعر بالتعب والمرض - ليس بينما تتعامل
أبرا مع الرعب القديم الذي يتخذ شكل امرأة - لكنه تمكّن من أن يكبو قليلاً. كانت كبوة خفيفة لكن
غنية كفاية ليرى فيها مزيداً من الأحلام، أولها عن الأوفلوك (تمحور هذا الحلم حول المصعد الذي
يشغل من تلقاء نفسه في منتصف الليل)، ثم حلماً عن ابنة أخته. أبرا هذه المرة حُفقت بحبل
كهربائي. راحت تحقّق في دان بعينين منتفختين اتهاميتين. كان من السهل جداً قراءة ما فيهما. قلتُ
إنك ستساعدني. قلتُ إنك ستقذني. أين كنت؟

8

بقيت أبرا توجّل الشيء الذي عليها أن تفعله إلى أن أدركت أن أمها ستبدأ قريباً بإزعاجها
لتأوي إلى سريرها. لن تذهب إلى المدرسة في الصباح، لكنه لا يزال يوماً حافلاً. وربما ليلاً طويلاً

جداً.

تأجيل الأمور يجعلها أسوأ فحسب يا عزيزتي.

هذا هو مبدأ مومو في الحياة. نظرت أبراً إلى نافذتها، وتمنّت لو يمكنها رؤية جدّة والدتها هناك بدلاً من روز. هذا سيكون جيداً.

"مومو، أنا خائفة جداً"، قالت. لكن بعد نفّسين طويلين ومهدّئين للأعصاب، رفعت هاتفها الأيفون وطلبت رقم كوخ الأوفرلوك في مخيم بلويل. ردّ عليها رجلٌ، وعندما قالت أبراً إنها تريد أن تتكلّم مع روز، سألتها من هي.

"أنت تعرف من أنا"، قالت. ثم أضافت بما أملت أن يكون فضولاً مثيراً للغضب: "هل أصبحت مريضاً أم بعد يا سيد؟".

لم يردّ الرجل على الطرف الآخر (كان سليم المتملّق)، لكنها سمعته يهمس لأحدهم. بعد لحظة أصبحت روز على الخط، برباطة جأشها.

"مرحبا يا عزيزتي. أين أنت؟".

"في طريقي"، قالت أبراً.

"حقاً؟ هذا لطيف يا عزيزتي. لذا لا أفترض أنني سأجد أن هذه المكالمات أتت من رمز منطقة نيو هامبشاير إذا تحققت من ذلك؟".

"بالطبع لا"، قالت أبراً. "أنا أستخدم هاتفني الخليوي. عليك دخول القرن الحادي والعشرين أيتها السافلة".

"ماذا تريدين؟". كان الصوت على الطرف الآخر مقتضباً الآن.

"أن أتأكد أنك تعرفين القواعد"، قالت أبراً. "سأكون هناك عند الخامسة غداً. سأكون في شاحنة حمراء قديمة".

"من يقودها؟".

"عمّي بيلي"، قالت أبراً.

"هل كان أحد الذين شاركوا في الكمين؟".

"إنه الشخص الذي كان معي وكُرو. توقفي عن طرح الأسئلة. فقط اصمتي وأنصتي".

"أنتِ فظة جداً"، قالت روز بحزن.

"سيركن في نهاية المرأب، قرب اللافتة التي تقول الأولاد يأكلون مجاناً عندما تفوز فريق كولورادو المحترفة".

"أرى أنك زرتِ موقعنا الويب. هذا جميل. أو ربما عمك هو الذي زاره؟ إنه شجاع جداً ليتصرّف كسائقك. هل هو أخ أبيك الحقيقي؟ العائلات الدنيوية هوايتي. أنا أصنع أشجار عائلة".

ستحاول أن تتطفّل، هكذا أخبرها دان، وكم كان محقّقاً.

"أي جزء من 'اصمتي وأنصتي' لم تفهمي؟ هل تريدين هذا أن يحصل أم لا؟".

لا رد، بل مجرد صمت. صمت مرّوع.

"سنكون قادرين على رؤية كل شيء من مرأب السيارات: المخيم، الكوخ، وسطح العالم فوق التلة. من الأفضل لك أن نراك عمّي وأنا واقفةً هناك، ومن الأفضل لك ألا نرى أشخاصاً من عقديك الحقيقية في أي مكان. سيبقون في قاعة الاجتماعات تلك بينما نعمل ما نفعله مع بعضنا البعض. في الغرفة الكبيرة، مفهوم؟ لن يعرف عمّي ببلي إن لم يكونوا حيث يُفترض بهم أن يكونوا، لكنني سأعرف. إذا التقطتُ أي واحد منهم في أي مكان آخر، سنرحل".

"هل سيبقى عمك في شاحنته؟".

"لا. أنا التي ستبقى في الشاحنة، إلى أن نتأكد. ثم سيعود أدراجه فيها وسأتي إليك. لا أريده في أي مكان قريب منك".

"حسناً يا عزيزتي. ستجري الأمور مثلما قلت".

لا، لن تجري مثلما قلت. أنتِ تكذابين.

لكن أبرا تكذب أيضاً، وهذا جعلهما متساويتين نوعاً ما.

"الديّ سؤال مهم حقاً يا عزيزتي"، قالت روز بسرور.

كادت أبرا تسألها ما هو، لكنها تذكرت نصيحة عمّها الحقيقي. أو بالأحرى خالها. سؤال واحد سيؤدي إلى سؤال آخر... وآخر... وآخر.

"اختنقي به"، قالت وأغلقت الخط. بدأت يداها ترتعشان. ثم رجلاها وذراعاها وكتفاها.

"أبرا؟". إنها ماما. تنادي من أسفل السلم. إنها تشعر بهذا. قليلاً فقط، لكنها تشعر به حقاً. هل هذا شيء لدى الأمهات أم من نتاج البريق؟ "حبيبتي، هل أنت بخير؟".

"بخير يا ماما! أستعد للنوم!".

"عشر دقائق، ثم سنصعد لبعض القبل. كوني في بيجامتك".

"حسناً".

لو يعرفان مع مَنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ للتو، فَكَّرَتْ أبرا في سرِّها. لكنهما لم يعرفا. ظنًّا فقط أنهما يعرفان ماذا يجري. كانت هنا في غرفة نومها، كل الأبواب والنوافذ في المنزل مُقفلة، ويعتقدان أن هذا يحميها. حتى أبوها، الذي رأى أفعال العقدة الحقيقية شخصياً.

لكن دان عَرَفَ. أغمضت عينيها وتواصلت معه.

9

كان دان وبيلي تحت ظلَّة فندق رخيص آخر. ولا شيء حتى الآن من أبرا. هذا سيئ.

"بالله عليك يا زعيم"، قال بيلي. "دعنا نُدخلك و-"

ها هي فجأة. الحمد لله.

"صه"، قال دان وراح يُنصت. بعد دقيقتين استدار إلى بيلي، الذي ظنَّ أن الابتسامة على وجهه جَعَلَتْه أخيراً يبدو دان تورانس من جديد.

"كانت هي؟"

"نعم".

"كيف جرت الأمور؟"

"تقول أبرا إنها جرت بشكل جيد. نحن في السليم".

"لا أسئلة عني؟"

"فقط عن جهة العائلة التي تقف عندها. اسمع يا بيلي، مسألة العمَّ خاطئة قليلاً. فأنت عجوز جداً لكي تكون أخ دايفد. عندما نتوقف غداً لنُنجز مأموريتنا، عليك شراء نظارات شمسية. كبيرة الحجم. وعليك إبقاء قبعتك مكبوسة نزولاً حتى أذنيك، لكي لا يظهر شعرك".

"ربما عليَّ شراء بعض الصبغة لشعري أيضاً".

"لا تكن وقحاً أيها العجوز الأبله".

هذا جَعَلَ بيلي يبتسم. "هيا نحجز غرفتين ونتناول بعض الطعام. تبدو أفضل. كما لو أنه يمكنك أن تأكل فعلاً".

"حساء"، قال دان. "لا فائدة من المجازفة كثيراً".

"حساء. صح".

أكله كله. ببطء. و- مذكراً نفسه أن هذا سينتهي بطريقة أو بأخرى بعد أقل من أربع وعشرين ساعة - تمكّن من إبقائه في الداخل. تعشياً في غرفة بيبي وعندما انتهى أخيراً، تمطّط دان على السجادة. هذا خفّف الألم في أمعائه قليلاً.

"ما هذا؟"، سأل بيبي. "نوع من اليوغي اللعين؟".

"تماماً. تعلّمته من مشاهدة يوغي الدب في الرسوم المتحركة. استعرضها لي مرة أخرى".

"فهمتها يا زعيم، لا تقلق. بدأت تتكلّم مثل كايسي كينغسلي".

"فكرة مخيفة. استعرضها الآن مرة أخرى".

"تبدأ أبراً البث فُرب دنفر. إذا كان لديهم شخص يستطيع أن يستمع، سيعرفون أنها قادمة. وأنها في الأرجاء. نصل إلى سايدوندر باكراً - مثلاً عند الرابعة وليس الخامسة - ونتجاوز الطريق إلى المخيم. لن يروا الشاحنة. إلا إذا أوقفوا حارساً على الطريق العام".

"لا أظن أنهم سيفعلون ذلك". تذكر دان قولاً مأثوراً آخر لمنظمة مدمني الشراب المجهولين: نحن عاجزون أمام الأشخاص والأماكن والأشياء. مثل معظم شذرات مدمني الشراب، كان حقيقياً سبعين بالمئة وكلاماً فارغاً كله حماسة واندفاع ثلاثين بالمئة. "على كل حال، لا يمكننا أن نتحكم بكل شيء. أكمل".

"هناك منطقة نزاهات تبعد حوالي كيلومترين على الطريق. لقد ذهبنا إلى هناك بضع مرات مع أمك، قبل أن تحبسكم الثلوج في الشتاء". صمت بيبي قليلاً. "فقط هي وأنت؟ لم يرافقكما أبوك أبداً؟".

"كان يؤلف. يعمل على مسرحية. أكمل".

أكمل بيبي. استمع له دان جيداً، ثم أوماً برأسه. "حسناً. لقد فهمت الخطة".

"ألم أقل ذلك؟ هل يمكنني الآن أن أطرح سؤالاً؟".

"بالتأكيد".

"بعد ظهر الغد، هل ستبقى قادراً على السير كيلومترين؟".

"سأتمكن من ذلك".

من الأفضل لي أن أتمكن من فعل ذلك.

10

بفضل بداية مُبكرة - 4 فجراً، قبل خيوط الضوء الأولى بوقت طويل - بدأ دان تورانس وبيلي فريمان رؤية سحابة على كامل الأفق بُعيد 9 صباحاً. بعد ساعة، وكانت وقتها السحابة الزرقاء الرمادية قد تحلّلت إلى سلسلة جبال، توقفاً في بلدة مارتنفيل، كولورادو. هناك، في الشارع الرئيسي القصير (والمهجور في الأغلب)، لم ير دان ما كان يأمل رؤيته، بل شيئاً أفضل حتى: متجر ثياب للأولاد يدعى حاجيات الأولاد. وعلى مقربة منه صيدلية مطوّقة بمكتب رهون مليء بالغبار ومتجر أشرطة فيديو علّق لافتةً على نافذته تقول قيد الإغلاق يجب بيع كل المخزون بأسعار مخفّضة. أرسل بيلي إلى "صيدلية مارتنفيل ونثريات" ليشتري نظّارات شمسية ودخل "حاجيات الأولاد".

للمكان جو حزين يُفقدك الأمل. كان الزبون الوحيد. هذه كانت فكرة أحدهم الجيدة التي ساءت، على الأرجح بفضل المراكز التجارية في سترلينغ أو فورت مورغان. لماذا تشتري محلياً عندما يمكنك أن تقود مسافة قصيرة وتحصل على سراويل وفساتين أرخص تحضيراً للعودة إلى المدرسة؟ وما الفرق إن كانت مصنوعة في المكسيك أو كوستاريكا؟ خرجت امرأة تبدو مُتعبّة ذات تسريحة شعر تبدو مُتعبّة من وراء المنضدة وأعطت دان ابتسامة تبدو مُتعبّة. سألت إن كان يمكنها مساعدته. قال دان إنه يمكنها. عندما أخبرها ماذا يريد، جحظت عيناها.

"أعرف أن هذا غير اعتيادي"، قال دان، "لكن تحمّليني قليلاً. سأدفع نقداً".

حصل على ما أراده. الكلمة نقداً تصنع العجائب في المتاجر الصغيرة الفاقدة للأمل.

11

عندما اقتربا من دنفر، تواصل دان مع أبراً. أغمض عينيه وتخيل العجلة التي يعرف كلاهما عنها الآن. في بلدة أنيستون، فعلت أبراً الشيء نفسه: العملية أسهل هذه المرة. عندما أعاد فتح عينيه، كان ينظر إلى منحدر المرّجة الخلفية لمنزل عائلة ستون المطلّة على نهر ساكو، والتي تلمع في شمس بعد الظهر. وفتحت أبراً عينيهما على جبال الروكي.

"رائع يا عمّي بيلي، إنها جميلة، أليس كذلك؟".

ألقي بيلي نظرة سريعة على الرجل الجالس بجانبه. رأى أن دان شبّه رجليه بطريقة غير مألوفة منه أبداً، وكان يلوّح إحدى قدميه. لقد عاد اللون إلى خديه، وهناك وضوح نقي في عينيه افتقدتهما خلال رحلتها غرباً.

"بالتأكيد أنها جميلة يا عزيزتي"، قال.

ابتسم دان وأغمض عينيه. عندما أعاد فتحهما، بدأت الصحة التي أضفتها أبرا على وجهه تخبو. مثل وردة دون ماء، فكَرَّ ببلي في سرّه.

"أي شيء؟".

"رنة"، قال دان. ابتسم مرة أخرى، لكنها كانت ابتسامة مُنهكة. "مثل كاشف دخان يحتاج إلى تغيير البطارية".

"هل تعتقد أنهم سمعوها؟".

"أنا متأكد من ذلك"، قال دان.

12

كانت روز تسير بخطى موزونة ذهاباً وإياباً قرب الإيرثكروزر عندما أتى تشارلي التأشيرة يركض. لقد أخذ أعضاء العقدة الحقيقية بخاراً ذلك الصباح، كل اللعب المخزنة ما عدا واحدة، وبالإضافة إلى ما أخذته روز في اليومين الماضيين، كانت متوترة جداً حتى لتفكر بالجلوس.

"ما الأمر؟"، سألت. "أخبرني خيراً جيداً".

"اكتشفتها، ما رأيك بهذا الخير؟". متوتر هو أيضاً، أمسك تشارلي روز بذراعيها وأدارها دورة كاملة، مما جعل شعرها يتطاير. "اكتشفتها! لثوانٍ قليلة فقط، لكنها كانت هي!".

"هل رأيت العم؟".

"لا، كانت تنظر خارج نافذتها إلى الجبال. قالت إنها جميلة -".

"إنها جميلة فعلاً"، قالت روز. بدأت ابتسامةً ترسم على شفيتها. "ألا توافق يا تشارلي؟".

"- وقال إنها جميلة بالتأكيد. إنهما قادمان يا روزي! قادمان حقاً!".

"هل عرفت أنك كنت هناك؟".

أفلتها عابساً. "لا يمكنني أن أجزم... كان بإمكان الجدّ فليك أن يجزم بذلك على الأرجح...".

"فقط أخبرني رأيك أنت".

"على الأرجح لا".

"هذا يكفيني. اذهب إلى مكان هادئ. مكان يمكنك أن تركز فيه دون أن تضطرب. اجلس وأنصت. إذا - عندما - التقطتها مرة أخرى، أبلغني. لا أريد أن أفقد مكانها إن كان بمقدوري ذلك. إذا

كنت بحاجة إلى مزيد من البخار، اطلب. لدي القليل بعد".

"لا، لا، أنا بخير. سأنصت. سأنصت جيداً!". ضحك تشارلي التأشيرة ضحكة جامحة وأسرع بالابتعاد. لم تعتقد روز أن لديه أي فكرة إلى أين هو ذاهب، ولم يهتمها ذلك. طالما أنه بقي يُنصت.

13

وصل دان وبيلي إلى سفح التكوين الصخري فلاتيرونز عند الظهر. بينما راقب جبال الروكي عن قرب أكثر، تذكّر دان كل سنوات التجوّل التي تجنّبها خلالها. هذا بدوره ذكّره بقصيدة عن كيف يمكنك أن تواصل الهرب لسنوات، لكنك تجد في النهاية دائماً أنك تواجه نفسك في غرفة فندق، مع لمبة عارية متدلّية من السقف ومسدّس على الطاولة.

لأنه كان لديهما بعض الوقت، خرجا عن الطريق السريع وقادا نحو بُولدر. كان بيلي جائعاً. على عكس دان... لكنه كان فضولياً. ركنَ بيلي الشاحنة في مرأب متجر شطائر، لكن عندما سأل دان ماذا يريد أن يُحضّر له، اكتفى دان بهزّ رأسه.

"متأكد؟ هناك أمور كثيرة بانتظارك".

"سأكل عندما ينتهي كل هذا".

"حسناً..."

دخّل بيلي المتجر ليُحضّر شطيرة دجاج. تواصلَ دان مع أبرا. دارت العجلة.

رنة.

عندما ظهر بيلي، أوما دان برأسه لشطيرته الطويلة. "أجل هذه لدقيقتين. طالما أننا في بُولدر، هناك شيء أريد أن أتحقّق منه".

بعد خمس دقائق، كانا في شارع أراباهو. بعد مربعين سكنيين من المقصف والمقهى البائس الصغير، طلبَ من بيلي أن يركن جانباً. "هيا وكُل شطيرتك. لن أغيب طويلاً".

خرج دان من الشاحنة ووقف على الرصيف المكسور، وراح ينظر إلى مبنى رثّ من ثلاثة طوابق معلّقة على نافذته لافتة تقول "شقق ذات غرفة واحدة ملائمة للطلاب". المرّجة جرداء تقريباً، وقد نمت أعشابٌ ضارةٌ بين تشققات الرصيف. كان لديه شكّ أن يجد هذا المكان لا يزال هنا، وتوقّع أن يكون أراباهو قد أصبح الآن شارع شقق يسكنها كسالى أغنياء يشربون قهوة بالحليب من ستاربكس، يتفحصون صفحاتهم على فايسبوك ست مرات في اليوم، ويغزّدون مثل أوغاد مجانيين. لكن ها هو، ويبدو مثلما كان سابقاً بالضبط.

انضم إليه ببلي حاملاً الشطيرة في يده. "لا تزال أمامنا مئة وعشرون كيلومتراً يا دانو. يجدر بنا أن نتحرك".

"صح"، قال دان ثم راح ينظر إلى المبنى ذي الطلاء الأخضر المتقشر. لقد عاش فتى صغير هنا ذات يوم؛ وجلس ذات يوم على هذا الجزء بالذات من الرصيف حيث يقف ببلي فريمان الآن يمضغ شطيرته الطويلة. فتى صغير ينتظر عودة أبيه من مقابلة توظيفه في فندق الأوفرلوك. كانت معه طائرة شراعية بلزا محطّم جناحها، لكنه لم يمانع ذلك. عندما يعود أبوه إلى المنزل، سيُصلحها له بشريط لاصق وغراء. عندها قد يتمكّنان من تطييرها معاً. كان أبوه رجلاً مخيفاً، وكم كان ذلك الفتى الصغير يحبه.

قال دان، "عشتُ هنا مع أمي وأبي قبل أن ننتقل إلى الأوفرلوك. ليس مكاناً ذا شأن، أليس كذلك؟".

هزّ ببلي كتفيه. "رأيتُ أسوأ".

في سنوات تجواله، دان أيضاً رأى أماكن أسوأ. شقة دينيه في ويلمنغتون، مثلاً.

أشار إلى اليسار. "كانت هناك مجموعة مقاصف. أحدها يدعى الأسطوانة المحطّمة. يبدو أن التجديد الحصري أغفلَ هذه الجهة من البلدة، لذا ربما لا يزال هناك. عندما كنتُ وأبي نمراً قريبه، كان يتوقف دائماً وينظر إلى النافذة، وكنتُ أشعر بمدى توقه للدخول. كان توقه كبيراً لدرجة أنه جعلني أتوق إلى الدخول أنا أيضاً. لقد شربتُ خلال سنوات كثيرة لكي أُحمِد ذلك التوق، لكنه لا يزول أبداً حقاً. عرّف أبي ذلك، حتى وقتها".

"لكنني أظن أنك أحببته".

"أجل"، قال وهو لا يزال ينظر إلى ذلك المبنى السكني المتناقل. ليس ذا شأن كبير، لكن دان لم يستطع إلا أن يتساءل كم كانت حياتهم اختلفت لو بقوا هناك. لو لم يُوقعهم الأوفرلوك في شركه. "كان صالحاً وطالِحاً وقد أحببتُ هاتين الصفتين لديه. ليكن الله في عوني، أظن أنني لا أزال أحبّه".

"أنت ومعظم الأولاد"، قال ببلي. "تحبّ والدك وتتمنى الخير لعائلتك. ماذا كان يمكنك أن تفعل غير ذلك؟ هيا يا دان. إذا كنا سنفعل ذلك، علينا أن نذهب".

بعد نصف ساعة، أصبحت بُولدر خلفهما وكانا يصعدان نحو جبال الروكي.

الفصل 19

الأشخاص الأشباح

1

رغم أن الغروب بدأ يقترب - في نيو هامبشاير، على الأقل - إلا أن أبراً بقيت على المنحدر الخلفي تنظر إلى النهر. وهويي يجلس على مقربة منها، على غطاء حاوية السماد العضوي. خرج دايفد ولوسي وجلسا على جهتيها. وبقي جون دالتون يراقبها من المطبخ، حاملاً كوباً بارداً من القهوة. حقيبته السوداء على المنضدة، لكن لم يكن فيها شيء يمكنه أن يستخدمه هذا المساء.

"يجب أن تدخل وتتناولي بعض العشاء"، قالت لوسي وهي تعرف أن أبراً لن تفعل ذلك - لا تستطيع على الأرجح - إلى أن ينتهي هذا. لكن المرء يشبث بالمعروف. لأن كل شيء يبدو طبيعياً، ولأن الخطر يبعد أكثر من ألفي كيلومتر، كان هذا أسهل عليها مما هو على إبنتها. رغم أن بشرة أبراً كانت صافية سابقاً - خالية من الشوائب مثلما بدت عندما كانت رضية - إلا أن هناك الآن تجمعات حبّ شباب حول أنفها ومجموعة بثور بشعة على ذقنها. مجرد هرمونات تعمل بكل قوتها، تبشّر ببداية المراهقة الحقيقية: هكذا أرادت لوسي أن تصدّق، لأن هذا هو الأمر الطبيعي. لكن الإجهاد يسبب حبّ الشباب أيضاً. ثم هناك شحوب بشرة إبنتها والدوائر الداكنة تحت عينيها. بدت مريضة تقريباً مثلما بدا دان عندما رآته لوسي لآخر مرة وهو يركب ببطء مؤلم شاحنة السيد فريمان.

"لا يمكنني أن أكل الآن يا ماما. لا وقت. قد لا أتمكن من إبقاء الطعام في الداخل، على أي حال".

"كم من الوقت قبل أن يحصل هذا يا أبي؟"، سأل دايفد.

لم تنظر إلى أي منهما. بل بقيت تحدّق بثبات بالنهر، لكن لوسي عرفت أنها لم تكن حقاً تنتظر إليه أيضاً. كانت بعيدة، في مكان لا يستطيع أحد منهما مساعدتها. "ليس طويلاً. يجب أن يعطيني كل واحد منكما قبلة ثم تدخل المنزل".

"لكن -"، بدأت لوسي تقول، ثم رأت دايفد يهزّ لها رأسه. مرة واحدة فقط، لكن بحزم كبير. تنهّدت، أمسكت إحدى يدي أبراً (كم كانت باردة)، وطبعت قبلةً على خدّها الأيسر. طبع دايفد قبلةً على خدّها الأيمن.

لوسي: "تذكّري ما قاله دان. إذا ساءت الأمور -"

"يجب أن تدخل الآن. عندما يبدأ الأمر، سأخذ هوبي وأضعه على حُصني. عندما تريان ذلك، لا يمكنكما أن تقاطعاني. لأي سبب كان. يمكنكما أن تتسبباً بموت الخال دان، وربما ببلي أيضاً. قد أسقط، كما لو أنني فقدت الوعي، لكن لن يكون فقداناً للوعي، لذا لا تحرّكاني ولا تدع الدكتور جون يحركني أيضاً. فقط دعوني وشأني إلى أن ينتهي الأمر. أعتقد أن دان يعرف مكاناً يمكننا أن نكون فيه معاً".

قال دايفد، "لا أفهم كيف يمكن أن ينجح هذا. فتلك المرأة، روز، ستري أنه لا توجد فتاة صغيرة -"

"عليكما الدخول الآن"، قالت أبراً.

فعلاً ما قالتها. نظرت لوسي بتضرّع إلى جون، الذي اكتفى برفع كتفيه وهزّ رأسه. وقّف ثلاثتهم عند نافذة المطبخ، واضعين أذرعهم حول بعضهم البعض، وراحوا ينظرون إلى الفتاة الصغيرة الجالسة على المنحدر شابكةً ذراعيها حول رُكبتيّها. لم يكن هناك خطر لكي يمكن رؤيته؛ كان كل شيء هادئاً. لكن عندما رأت لوسي أبراً - ابنتها الصغيرة - تمدّ يدها إلى هوبي وتضع الأرنب المحشو على حُصنها، تأوهت. ضغط جون على كتفها. وشدّ دايفد ذراعه حول خصرها، وأمسكت يده بضيق مدعور.

رجاءً لتبقى ابنتي بخير. إذا كان لزاماً أن يحصل شيء... مكروه... فليحدث للأخ غير الشقيق الذي لم أعرفه أبداً. وليس لها.

"سيكون كل شيء على ما يرام"، قال دايفد.

أومات برأسها. "بالطبع. بالطبع".

راقبوا الفتاة على المنحدر. وفهمت لوسي أنها إذا نادى أبراً، فلن تردّ عليها. لقد رحلت

أبراً.

وصل ببلي ودان إلى الطريق الجانبي لقاعدة عمليات العقدة الحقيقية في كولورادو عند الرابعة إلا ثلثاً، توقيت الجبل، وهذا أعطاهما وقتاً مريحاً قبل الموعد المتفق عليه. كان هناك قوس

خشبي فوق الطريق المرصوف منحوت عليه "أهلاً بك في مخيم بلوبل! امكث لبعض الوقت أيها الصديق!". أما اللافتة بجانب الطريق فكانت أقل ترحيباً بكثير: "مُغلق إلى أجل غير مسمى".

قاد ببلي متجاوزاً إياها دون إبطاء، لكن عينيه كانتا مشغولتين. "لا أرى أحداً. حتى على المروج، رغم أنه كان بإمكانهم تخبئة شخصٍ في كوخ الترحيب اللعين ذلك: يا للهول يا داني، تبدو مريعاً جداً".

"الحسن حظي أن منافسة ملك جمال العام ليست قريبة"، قال دان. "كيلومتران صعوداً، وربما أقل قليلاً. تقول اللافتة مناظر طبيعية خلابة ومنطقة نزاهات".

"ماذا لو كانوا قد وضعوا شخصاً هناك؟".

"لم يفعلوا ذلك".

"كيف يمكنك أن تكون أكيداً؟".

"لأن لا أبراً ولا عمّها ببلي يستطيعان معرفة ذلك، بما أنهما لم يأتيا إلى هنا أبداً. والعقدة الحقيقية لا تعرف بوجودي".

"من الأفضل أن تأمل أنهم لا يعرفون بوجودك".

"تقول أبراً إن الجميع موجودون حيث يُفترض بهم أن يتواجدوا. كانت تتحقّق من ذلك. الآن إلزم الصمت قليلاً. عليّ أن أفكّر".

كان هالوران من أراد أن يفكّر فيه. لسنوات عديدة بعد شتائهم المسكون بالأشباح في الأوفرلوك، تكلم داني تورانس ودكّ هالوران كثيراً. أحياناً وجهاً لوجه، وفي أغلب الأحيان ذهنياً. داني أحبّ أمه، لكن هناك أشياء لم - لا تستطيع أن - تفهمها. الصناديق المُقفلة، مثلاً. الصناديق التي تضع فيها الأشياء الخطيرة التي يجذبها البريق أحياناً. هذا لا يعني أن الصندوق المُقفّل ينجح دائماً. ففي عدة مناسبات، حاول أن يصنع صندوقاً للشراب، لكن ذلك الجهد أُصيب بفشل ذريع (ربما لأنه أراد أن يفشل). لكن السيدة ماسي... وهوراس درونت...

كان هناك صندوق مُقفّل ثالث في التخزين الآن، لكنه ليس بجودة الصناديق التي كان يصنعها في صغره. لأنه لم يعد بنفس القوة؟ لأن ما يحويه مختلف عن العائدين اللذين كانا غير حكيمين كفاية لكي يسعيا وراءه؟ كلاهما؟ لا يعرف. يعرف فقط أنه يرشح. عندما يفتحه، قد يقتله ما بداخله. لكن -

"ماذا تقصد؟"، سأل ببلي.

"ماذا؟"، نظر دان حوله. كانت يده تضغط على معدته. شَعْر بآلم كبير الآن.

"قلت للتو، 'لا يوجد أي خيار'. ماذا قصدت؟"

"لا تهتم". لقد وصلا إلى منطقة النزهات، وكان بيلى يدخلها. رأى أمامهما فسحة فيها مقاعد نزهة وحُفر للشواء. بدت لدان كأنها كلاود غاب من دون النهر. "فقط... إذا ساءت الأمور، اركب شاحنتك وارحل بسرعة فائقة".

"تعتقد أن هذا سيفيد؟".

لم يردّ دان. كانت أمعأوه تحترق، تحترق.

3

فُيّل الرابعة بعد ظهر ذلك الاثنين في أواخر سبتمبر، صعدت روز إلى سطح العالم مع ساراي الصامتة مشياً على الأقدام.

كانت روز ترتدي سروال جينز يلتصق بالجسم يُبرز جمال ساقها الطويلتين. رغم أن الجو قارس، لم ترتدي ساراي الصامتة سوى فستان منزلي أزرق باهت بقي يرفرف حول ربلتين بدينين مكسوتين بجاربيّ دعم. توقفت روز لتتنظر إلى لوحة مثبتة بعمود من الغرانيت عند أسفل الدرجات الأربعين تقريباً التي تؤدي إلى منصة المراقبة. قالت اللوحة إن هذا موقع فندق الأوفرلوك التاريخي، الذي احترق كلياً منذ حوالي خمس وثلاثين سنة.

"المشاعر قوية جداً هنا يا ساراي".

أومأت ساراي برأسها.

"تعرفين أن هناك ينابيع ساخنة تُخرج بخاراً من باطن الأرض، أليس كذلك؟".

"نأم".

"هذا المكان مشابه لذلك". انحنى روز لتشمّ العشب والزهور البرية. تحت عبيرها كانت هناك رائحة الحديد لدمٍ قديم. "مشاعر قوية - بغض، خوف، إحجاف، شهوة. صدى جريمة قتل. ليست طعاماً - قديمة جداً - لكنها منعشة. باقة متعّنة".

لم تقل ساراي شيئاً، لكن روز راقبتها عن كثب.

"وهذا الشيء". لوّحت روز يدها نحو الدرجات الخشبية الشاهقة التي تؤدي إلى المنصة. "تشبه المشنقة، ألا تظنين؟ كل ما تحتاج إليه هو باب أفقي".

لا شيء من ساراي. لا شيء بصوتٍ عالٍ، على الأقل. فكرتها

(لا حبل)

كانت واضحة كفاية.

"هذا صحيح يا حبيبتي، لكن أهدنا سيُشْتَق هنا. إما أنا أو الحظيرة الصغيرة التي حشرت أنفها بأعمالنا. هل ترين هذه؟". أشارت روز إلى حظيرة خضراء صغيرة تبعد حوالي ستة أمتار.

أومأت ساراي برأسها.

ترتدي روز حقيبة ذات سحاب على حزامها. فتحتها، فنشيت فيها، وأخرجت مفتاحاً سلّمته إلى المرأة الأخرى. سارت ساراي إلى الحظيرة، والعشب يصفر على جاربيها السميكين بلون اللحم. المفتاح لاعم قفلاً على الباب. عندما فتحت الباب، أضاءت أشعة شمس أواخر بعد الظهر فسحة ليست أكبر بكثير من مرحاض. كانت هناك جزّازة عشب ودلو بلاستيكي فيه منجل ومدمة، ومسحاة ومِعول متكئين على الجدار الخلفي. لم يكن هناك شيء آخر، ولا شيء للاختباء خلفه.

"ادخلي"، قالت روز. "دعينا نرى ماذا يمكنك أن تفعلي". وبكل ذلك البخار الذي داخلك، يجب أن تكوني قادرة على إدهاشي.

مثل بقية أعضاء العقدة الحقيقية، لساراي الصامته موهبتها الصغيرة.

دخلت الحظيرة الصغيرة، شمّت، وقالت: "مليئة بالغبار".

"لا تهتمّي بالغبار. دعينا نراك تفعلين شيئاً. أو بالأحرى، دعينا لا نراك".

لأن هذه كانت موهبة ساراي. لم تكن قادرة على التخفي (لا أحد منهم يقدر على ذلك)، لكن يمكنها أن تنشئ نوعاً من العتمة يتماشى جيداً مع وجهها وجسمها غير الباهرين. استدارت إلى روز، ثم أخفضت نظرها إلى ظلها. تحرّكت - ليس كثيراً، فقط نصف خطوة - واندمج ظلها بظل مقبض جزّازة العشب. ثم جمدت تماماً، وأصبحت الحظيرة فارغة.

أغمضت روز عينيها بإحكام، ثم فتحتهما إلى أقصى حدّ، وها هي ساراي، واقفةً بجانب الجزّازة طاويةً يديها باحتشام عند خصرها مثل فتاة خجولة تأمل أن يطلب منها أحد الفتيان أن ترقص معه في حفلة. أشاحت روز بنظرها إلى الجبال، وعندما التفتت إلى الوراء مرة أخرى كانت الحظيرة فارغة - مجرد غرفة تخزين صغيرة جداً ليس فيها أي مكان للاختباء. في ضوء الشمس القوي لم يكن هناك حتى ظل. ما عدا ظل مقبض الجزّازة. فقط...

"شدّي مرفقك إلى الداخل"، قالت روز. "إنني أراه. قليلاً فقط".

نفذت ساراي الصامته أمرها واختفت للحظة حقاً، على الأقل إلى أن ركّزت روز. عندما فعلت ذلك، كانت ساراي هناك من جديد. لكن بالطبع لأنها كانت تعرف أن ساراي هناك. عندما يحين الوقت - ولن يطول كثيراً - لن تعرف الفتاة السافلة.

"جيد يا ساراي!"، قالت بحرارة (أو بالحرارة التي تقدر عليها). "ربما لن أحتاج إليك. وإذا احتجبتُ إليك، ستستخدمين المنجل. وفكري بأندي عندما تفعلين ذلك. اتفقنا؟".

عند ذكر إسم أندي، استدارت شفتا ساراي نزولاً في تكشيرة تعاسة. حدقت بالمنجل في الدلو البلاستيكي وأومات برأسها.

تقدّمت روز وأخذت القفل. "سأقل عليك الآن. ستقرأ الفتاة السافلة الموجودين في الكوخ، لكنها لن تقرأك. أنا متأكدة من ذلك. لأنك الهادئة، أليس كذلك؟".

أومات ساراي برأسها مرة أخرى. كانت الهادئة، دائماً.

(ماذا بشأن)

ابتسمت روز. "القفل؟ لا تقلقي بشأنه. اقلقي فقط بشأن البقاء جامدة. جامدة وصامتة. هل تفهميني؟".

"نأم".

"وهل تفهمين بشأن المنجل؟". لم تكن روز لتثق بإعطاء ساراي مسدساً حتى ولو كانت العقدة الحقيقية تملك واحداً.

"المنزل. نأم".

"إذا تغلّبتُ عليها - وبما أنني مليئة بالبخار الآن، لا يجب أن يكون ذلك مشكلةً - ابقِي مكانك إلى أن أخرجك. لكن إذا سمعتني أصرخ... دعينا نرى... إذا سمعتني أصرخ لا تجعليني أعاقبك، فهذا يعني أنني بحاجة إلى مساعدة. سأؤكد أن تكون مديرةً ظهرها لك. تعرفين ماذا يحصل عندها، أليس كذلك؟".

(سأصعد الدرجات و)

لكن روز كانت تهزّ رأسها. "لا يا ساراي. لن تحتاجين إلى فعل ذلك. لن تتمكن أبداً من الاقتراب من المنصة فوق".

ستكره أن تخسر البخار حتى أكثر من كرهها فقدان الفرصة لقتل الفتاة السافلة بنفسها... بعد جعلها تعاني، ولمدة طويلة. لكن لا يجب عليها أن تضرب بالحيطّة عرض الحائط. فالفتاة قوية جداً.

"ماذا ستترقبين سماعه يا ساراي؟".

"لا تجعليني أعاقبك".

"وبماذا ستفكرين؟".

لمعت العينان، نصف المخفيتين بشعر الجبهة الأشعث. "الانتكام".

"هذا صحيح. الانتقام لأندي، التي قتلها أصدقاء تلك الفتاة السافلة. لكن فقط إذا احتجت إليك، لأنني أريد فعل هذا بنفسني". انقبضت يدا روز، وانغرزت أطرافها في أشكال هلالية دموية عميقة كانت قد تشكَّلت في راحتي يديها من قبل. "لكن إذا احتجت إليك، ستأتين. لا تترددي أو تتوقفي لأي سبب. لا تتوقفي إلى أن تُقحمي شفرة ذلك المنجل في عنقها وترين طرفها يخرج من حنجرتها اللعينة".

لمعت عينا ساراي. "نأم".

"جيد". قبَّلتها روز، ثم أغلقت الباب وأقفلت القفل. وضعت المفتاح في حقيبتها ذات السحاب واتكأت على الباب. "اسمعيني يا حبيبتني. إذا سار كل شيء على ما يرام، ستحصلين على البخار الأول. أعدك بذلك. وسيكون أفضل بخار أخذته في حياتك كلها".

عادت روز إلى منصة المراقبة، أخذت عدة أنفاس طويلة ومهدئة للأعصاب، ثم بدأت تصعد الدرجات.

4

وَقَفَ دان مُسنداً يديه على إحدى طاولات النزهة، مُخفضاً رأسه ومُغمضاً عينيه.

"إنجاز الأمر بهذه الطريقة ضرب من الجنون"، قال بيلي. "يجب أن أبقى معك".

"لا يمكنك. لديك ما يُشغلك أهم من ذلك".

"ماذا لو فقدت وعيك في منتصف العملية؟ حتى ولو لم تفقد وعيك، كيف ستقضي عليهم كلهم؟ بناءً على مظهرك الآن، لا يمكنك أن تصمد جولتين مع طفل في الخامسة من عمره".

"أعتقد أنني سأشعر بتحسّن كبير قريباً جداً. أقوى أيضاً. هيا يا بيلي. هل تتذكّر أين عليك أن تركز؟".

"في نهاية المرأب، قرب اللافتة التي تقول الأولاد يأكلون مجاناً عندما تفوز فريق كولورادو".

"صحيح". رفع دان رأسه ولاحظ النظارات الشمسية الضخمة التي يرتديها بيلي الآن. "شدّ قبعتك نزولاً. وصولاً حتى أذنيك. ابدُ يافعاً".

"عندي خدعة ستجعلني أبدو حتى أصغر سناً. هذا إذا كنت لا أزال قادراً على تنفيذها".

بالكاد سمع دان ذلك. "أحتاج إلى شيء آخر".

وقف بظهر مستقيم وفتح ذراعيه. عانقه بيلى، وقد أراد أن يفعل ذلك بقوة - بشراسة - ولم يجرؤ.

"اختارت أبراً جيداً. لم أكن لأصل إلى هنا أبداً من دونك. اهتم الآن بما عليك فعله".

"وأنت أيضاً"، قال بيلى. "إنني أتكلم عليك أن تقود رحلة يوم الشكر إلى كلاود غاب".

"يسرنى هذا"، قال دان. "أفضل قطار لعبة حظي بها أي فتى".

راقبه بيلى يسير ببطء، وهو يضع يديه على معدته، إلى معلم في الجانب البعيد للفسحة. كان هناك سهمان خشبيان، أحدهما يشير غرباً نحو منصة مراقبة پاوني، والآخر يشير شرقاً نحو المنحدر ويقول "إلى مخيم بلوبل".

بدأ دان يسير في ذلك الاتجاه. بقي بيلى قادراً على رؤيته لبعض الوقت عبر الأوراق الصفراء المتوهجة لأشجار الحور، يسير ببطء وألم، مخفضاً رأسه ليراقب مواطئ قدميه. ثم اختفى.

انتبه لنفسك، قال بيلى في سره. عاد إلى شاحنته، وأخذ منها فتاة صغيرة ذات عيين زجاجيتين زرقاوين ولفائف شقراء مشدودة. لم تكن ثقيلة الوزن، فداخلها مجوف على الأرجح. "كيف حالك يا أبراً؟ أمل ألا تكوني قد فُذفت يميناً ويساراً كثيراً خلال الرحلة".

كانت ترتدي قميصاً تائياً لفريق كولورادو روكيز وشورتاً أزرق. كانت قدمها عاريتين، ولما لا؟ فهذه الفتاة الصغيرة - دمية لعرض الأزياء في الواقع اشتراها دان من متجر ثياب للأولاد آيل للزوال في مارتفيل - لم تسر خطوة واحدة أبداً. لكن لديها رُكبتين قابلتين للانحناء، وتمكّن بيلى من إجلاسها على مقعد الراكب في شاحنته دون متاعب. شدّ لها حزام أمانها، وبدأ يُغلق الباب، ثم جرّب العنق. انحنى أيضاً، لكن قليلاً فقط. ابتعد ليتفحص تأثيرها. ليس سيئاً. بدت كما لو أنها تنظر إلى شيء في حُضنها. أو ربما تصلي طلباً للقوة في المعركة القادمة. النتيجة الإجمالية ليست سيئة أبداً.

إلا إذا كان لديهم منظار، بالطبع.

ركب الشاحنة وانتظر لكي يعطي دان بعض الوقت. أيضاً على أمل ألا يكون أحدٌ قد رآه على المسار الذي يؤدي إلى مخيم بلوبل.

عند الخامسة إلا ربعاً، شغل بيلى الشاحنة وتوجّه إلى حيث أتى.

حافظَ دان على وتيرة سير هادئة رغم الحرارة المتزايدة في قسمه الوسطي. شَعَرَ كما لو أنه يوجد جردً يحترق هناك، جردً بقي يمضغه حتى أثناء احتراقه. لو كان المسار يسير صعوداً وليس نزولاً، لما استطاع إكماله أبداً.

عند الخامسة إلا عشر دقائق، وصل إلي منعطف وتوقف. على مسافة قصيرة أمامه، أفسحت أشجار الحَور المجال لمَرَجَة خضراء مشدبة تنحدر نزولاً إلى ملعبِي كرة مضرب. يمكنه أن يرى وراء الملعبين مرأب سيارات العيش ومبنى خشبياً طويلاً: كوخ الأوفرلوك. وخلف ذلك ترتفع الأرض مرة أخرى. حيث وَقَفَ الأوفرلوك ذات يوم، ترتفع منصة طويلة مثل رافعة قنطرية متحرّكة في السماء الساطعة. سطح العالم. أثناء نظره إليها، نفس الفكرة التي خطرت ببال روز القبعة

(مشنقة)

خطرت ببال دان. واقفاً عند الدرايزين، بمواجهة الجنوب نحو مرأب السيارات للزوّار الصباحيين، كان ظلّ شكلي. شكل امرأة. كانت القبعة العالية السوداء الرسمية مائلة على رأسها.

(أبرا هل تسمعيني)

(أسمعك يا دان)

هدوء، بالصوت. الهدوء هو الطريقة التي أرادها.

(هل يسمعونك)

أشعره هذا بدغدغة غامضة: ابتسامتها. الابتسامة الغاضبة.

(إذا كانوا لا يسمعونك فهم صمّ)

هذا كافٍ جداً.

(عليك أن تأتي إليّ الآن لكن تذكّري إذا قلتُ لك 'ذهبي' تذهبين)

لم تردّ عليه، وقبل أن يتمكن من إخبارها مرة أخرى، كانت هناك.

6

راح دايف ولوسي ستون وجون دالتون يراقبون بعجز أبراً تنزلق جانبياً إلى أن أصبحت مستلقية ورأسها على المنحدر ورجلاها متباعدتان على الدرجات التي تحتها. سقط هويي من يدٍ مسترخية. لم تبدُ أنها نائمة، ولا حتى تكبو. بدت في ذلك التمدد البشع لفقدان وعي عميقٍ أو حتى الموت. اندفعت لوسي إلى الأمام. منعها دايف وجون.

قاومتها. "دعاني أذهب! عليّ مساعدتها!".

"لا يمكنك ذلك"، قال جون. "فقط دان يمكنه أن يساعدها الآن. عليهما أن يساعدا بعضهما البعض".

حدّقت فيه بعينين حانقتين. "هل تتنفس حتى؟ هل يمكنك أن تعرف ذلك؟".

"إنها تتنفس"، قال دايف، لكنه بدا غير مُقنع حتى لنفسه.

7

عندما انضمت إليه أبراء، خفّ الألم لأول مرة منذ بوسطن. هذا لم يعزّ دان كثيراً، لأن أبراء الآن تعاني أيضاً. يمكنه رؤية ذلك على وجهها، لكن يمكنه أيضاً رؤية الدهشة في عينيها عندما جالت بنظرها في الغرفة التي وجدت نفسها فيها. كان هناك سرير مكوّن من طابقين، جدران من خشب الصنوبر، وسجادة مطرّزة بمريمية غربية وصبّار. السجادة والسرير السفلي مغطيان بألعاب رخيصة. وعلى مكتب صغير في الزاوية مجموعة كتب ولعبة أحجية ذات قطع كبيرة. وفي الزاوية البعيدة للغرفة، مشعاع يقفّ ويهسهس.

سارت أبراء إلى المكتب وأمسكت أحد الكتب. على الغلاف صورة ولد صغير على درّاجة ثلاثية العجلات يطارده كلب صغير. عنوان الكتاب هو متعة القراءة مع دكّ وجاين.

انضم إليها دان، راسماً ابتسامة مرتبكة على وجهه. "الفتاة الصغيرة على الغلاف هي سالي. دكّ وجاين هما أخوها وأختها. وإسم الكلب هو جيب. كانوا أعزّ أصدقائي لبعض الوقت. أصدقائي الوحيدين، أظن. ما عدا طوني، بالطبع".

وضعت الكتاب من يدها واستدارت إليه. "ما هذا المكان يا دان؟".

"ذكرى. كان يوجد فندق هنا فيما مضى، وهذه كانت غرفتي. أما الآن فهو مكان يمكننا أن نكون فيه معاً. أنت تعرفين العجلة التي تدور عندما تدخلين شخصاً آخر؟".

"مممم..."

"هذا هو الوسط. المحور".

"أتمنى لو يمكننا البقاء هنا. يُشعرك المكان... بالأمان. ما عدا هذه". أشارت أبراء إلى الأبواب الفرنسية بألواحها الزجاجية الطويلة. "لا تُشعرك بنفس الراحة". نظرت إليه بنظرة اتهامية تقريباً. "لم تكن هنا، أليس كذلك؟ عندما كنت ولداً".

"لا. لم تكن هناك أي نوافذ في غرفتي، والبواب الوحيد كان ذاك الذي يؤدي إلى بقية شقة الوكيل. لقد غيرته. كنتُ مضطراً إلى فعل ذلك. هل تعرفين السبب؟".

راحت تدرسه بنظرات فاحصة. "لأن ذلك كان وقتها وهذا الآن. لأن الماضي مضى، رغم أنه يعرّف الحاضر".

ابتسم. "لم أكن لأعبر عن ذلك بشكل أفضل".

"لم تضطر إلى قوله. لقد فكّرت فيه".

شدّها نحو تلك الأبواب الفرنسية التي لم تتواجد أبداً. استطاعا عبر الزجاج رؤية المرّجة، ملعبَي كرة المضرب، كوخ الأوفرلوك، وسطح العالم.

"إنني أراها"، همست أبرا. "هي هناك، ولا تنتظر في هذا الاتجاه، أليس كذلك؟".

"من الأفضل لها ذلك"، قال دان. "كم الألم كبير يا عزيزتي؟".

"كبير"، قالت. "لكن لا يهمني. لأن -"

لم تكن بحاجة إلى إنهاء جملتها. فقد عرّف، وابتسمت. هذه الوحدة هي ما يملكانه، ورغم الألم الذي يرافقها - ألم بكل الأصناف - كان جيداً جيداً جداً.

"دان؟".

"نعم يا عزيزتي".

"يوجد أشخاص أشباح هناك. لا يمكنني رؤيتهم، لكنني أشعر بهم. وأنت؟".

"نعم". بقي يشعر بهم منذ سنوات. لأن الماضي يعرّف الحاضر. وضع ذراعه حول كتفَيها، وتسألّت ذراعها حول خصره.

"ماذا نفعل الآن؟".

"ننتظر بيّلي. أمل ألا يتأخر. ثم سيحصل كل هذا بسرعة كبيرة".

"خالي دان؟".

"ماذا يا أبرا".

"ماذا يوجد داخلك؟ ذلك ليس شبحاً. يبدو -". شَعَر بها ترتعش. "يبدو وحشاً".

لم يقل شيئاً.

قوّمت ظهرها وابتعدت عنه. "انظر! هناك!".

كانت شاحنة فورد قديمة تدخل مرأب سيارات الزائرين.

8

وَقَفْتُ رُوزَ واضعةً يديها على الدرايزين العالي حتى الخصر لمنصة المراقبة، وراحت تحدّق في الشاحنة الداخلة إلى مرأب السيارات. لقد شحذ البخار بصرها، لكنها بقيت تتمنى لو أنها أحضرت معها منظاراً. بالتأكيد هناك منظار في غرفة التجهيزات، للضيوف الذين يريدون الذهاب في رحلة لمراقبة الطيور، لذا لماذا لم تفعل ذلك؟

لأنه كانت هناك أمور أخرى كثيرة تُشغل بالك. المرض... الجرذان التي تقفز من السفينة... فقدان كُرو بسبب الفتاة السافلة...

نعم لكل هذه الأمور - نعم، نعم، نعم - لكن كان عليها أن تتذكّر. تساءلت للحظة ماذا نسيت أيضاً، لكنها دفعت الفكرة جانباً. لا تزال هي المسؤولة عن هذا، محمّلةً بالبخار وبأفضل مستويات أدائها. كل شيء يسير وفق الخطة بالضبط. قريباً ستصل الفتاة الصغيرة إلى هنا، لأنها مليئة بالنقطة المراهقة الحمقاء وبالفرح بقدراتها.

لكن لديّ الأفضلية يا عزيزتي، بكافة الطرق. إذا لم أستطع تدبير أمرك لوحدي، فسأستمدّ من بقية أعضاء العقدة الحقيقية. كلهم مجتمعون في الغرفة الرئيسية، لأنك ظننت أنها فكرة جيدة. لكن هناك شيء لم تأخذه بعين الاعتبار. عندما نكون معاً نكون مرتبطين، نحن عقدة حقيقية، وهذا يجعلنا بطارية عملاقة. طاقةً يمكنني أن أستمدّ منها إذا احتجتُ إلى ذلك.

إذا فشل كل شيء آخر، هناك ساراي الصامتة. سيكون المنجل في يدها الآن. قد لا تكون عبقرية، لكنها عديمة الرحمة، قاتلة، و- حالما تفهم مهمتها - مُطيعه بالكمال. كما أن لديها أسبابها الخاصة لرؤية الفتاة السافلة ميتة على الأرض عند سفح منصة المراقبة.

(تشارلي)

أجابها تشارلي التأشيرة فوراً، ورغم أنه مرسلٌ ضعيفٌ عادة، إلا أنه ردّ عليها الآن - معزّزاً ببقية المتواجدين في الغرفة الرئيسية للكوخ - بوضوح تام وبدا مجنوناً تقريباً من الإثارة.

(إنني ألتقطها بثبات وقوة هذا يحصل معنا كلنا لا شك أنها قريبة جداً يجب أن تشعرني بها)

روز تشعر بها، رغم أنها لا تزال تبذل جهداً لتُبقي ذهنها مسدوداً لكي لا تتمكّن الفتاة السافلة من دخوله وإحداث فوضى فيه.

(لا تهتمّ بذلك فقط أخير الآخرين أن يكونوا جاهزين إذا احتجتُ إلى مساعدة)

ردّت عليها عدة أصوات، تقفز فوق بعضها البعض. كانوا جاهزين. حتى المرضى منهم جاهزون للمساعدة بكل ما يمكنهم. تحبهم بسبب ذلك.

راحت روز تحدّق بالفتاة الشقراء الجالسة في الشاحنة. كانت تنظر إلى أسفل. تقرأ شيئاً؟
تشجّع نفسها؟ تصلّي ربما؟ لا يهمّ.

تعالى إليّ أيتها الفتاة السافلة. تعالى إلى العمّة روز.

لكن الذي خرّج لم يكن الفتاة، بل العمّ. تماماً مثلما قالت السافلة إنه سيفعل. يتحقّق. سار
حول مقدمة الشاحنة، ببطء، وهو ينظر في كل اتجاه. انحنى إلى نافذة الراكب، قال شيئاً للفتاة، ثم
ابتعد عن الشاحنة قليلاً. نظر نحو الكوخ، ثم استدار إلى المنصة المنتصبة نحو السماء... ولوّح.
التافه الوقح لوّح لها في الواقع.

لم تلوّح له روز بدورها. كانت عابسة. عمّ. لماذا أرسل والداها عمّاً بدلاً من إحضار ابنتهما
السافلة بأنفسهما؟ وبهذا الخصوص، لماذا سمحا لها أن تأتي من الأساس؟

لقد أفنعتهما أنها الطريقة الوحيدة. أخبرتهما أنها إذا لم تأتي من أجلي، فسأتي أنا من أجلها.
هذا هو السبب، وهو منطقي.

منطقي فعلاً، لكنها شعّرت رغم ذلك بقلق متزايد. لقد سمحت للفتاة السافلة بتحديد القواعد
الأساسية. سمحت لها بأن تتلاعب بها. لكنها وافقت على ذلك لأن هذه أرضها ولأنها اتّخذت تدابير
وقائية، لكن في الأغلب لأنها كانت غاضبة. غاضبة جداً.

راحت تحدّق بقوة بالرجل الواقف في مرأب السيارات. كان يتجوّل مرة أخرى، ينظر إلى
هنا وهناك، يتأكد أنها لوحدها. تصرّف معقول تماماً، فهذا ما كانت ستفعله بنفسها، لكن حدسها بقي
يُخبرها أن ما يفعله حقاً هو شراء الوقت، رغم أنها لم تفهم سبب رغبته تلك.

راحت روز تحدّق بقوة أكثر، مركّزة الآن على مشية الرجل. قرّرت أنه لم يكن يافعاً بالقدر
الذي ظنّته في البدء. فهو يسير، في الواقع، مثل رجل غير يافع أبداً. كما لو أن لديه أكثر من التهاب
مفاصل بسيط. ولماذا الفتاة الصغيرة جامدة إلى هذا الحدّ؟

شعّرت روز بأولى بوادر إنذار حقيقي.

هناك خطبٌ ما.

9

"إنها تنظر إلى السيد فريمان"، قالت أبرا. "علينا أن نتحرّك".

فتح الأبواب الفرنسية، لكنه تردّد. شيءٌ في صوتها. "ما المشكلة يا أبرا؟".

"لا أعرف. ربما لا شيء، لكن هذا لا يعجبني. إنها تنظر إليه بقوة حقاً. علينا أن نتحرّك

الآن".

"أحتاج إلى فعل شيء أولاً. حاولي أن تكوني جاهزة، ولا تخافي".

أغمض دان عينيه وذهب إلى غرفة التخزين في الجهة الخلفية لذهنه. ستكون الصناديق المثقلة الحقيقية مغطاة بالغبار بعد كل تلك السنوات، لكن الصندوقين اللذين وضعهما هنا في صغره كانا نظيفين تماماً. ولما لا؟ فهما مصنوعان من خيال صرف. كانت للصندوق الثالث - الجديد - هالة باهتة حوله، وفكّر في سرّه: لا عجب أنني مريض.

لا تهتمّ. على ذلك الصندوق أن يبقى في الوقت الحاضر. فتحّ الصندوق الأقدم بين الصندوقين الآخرين، وهو جاهز لأي شيء، ووجد... لم يجد شيئاً. أو تقريباً. في الصندوق المثقل الذي احتوى على السيدة ماسي لاثنتين وثلاثين سنة، وجدّ كومة رماد داكن. لكن في الصندوق الآخر...

أدرك كم كان أحمق عندما أخبرها ألا تخاف.

زَعَقَتْ أبراً.

10

على المنحدر الخلفي للمنزل في أنيستون، بدأت أبراً ترتعش. تشنّجت رجلاها؛ خشّشت قدمها قرعاً على الدرجات؛ ودفعت إحدى يديها - تتخبّط مثل سمكة سُحِبَتْ إلى ضفة النهر وتُرِكَت هناك لتموت - هويي المظلوم والموسخ بحيث طار في الهواء.

"ما خطبها؟"، صرّخت لوسي.

أسرعت نحو الباب. بقي دايفد جامداً - مشلولاً من رؤيته إبنته في تلك الحالة - لكن جون وضع ذراعه اليمنى حول خصر لوسي وذراعه اليسرى حول كتفها. قاومه. "دعني أذهب! عليّ أن أذهب إليها!".

"لا!، صرخ جون. "لا يا لوسي، لا يمكنك فعل ذلك!".

كانت لتحرّر نفسها منه، لكن دايفد كان يُمسكها أيضاً.

همّدت، ونظرت إلى جون أولاً. "إذا ماتت هناك، فسأبذل كل جهدي لكي تدخل السجن بسبب ذلك". ثم انتقلت عيناها - العدائيتان - إلى زوجها. "أنت، لن أسامحك أبداً".

"إنها تهدأ"، قال جون.

على المنحدر، هدأت ارتعاشات أبراً، ثم توقفت. لكن خديها كانا رطبين، وسالت دموع من تحت جفنيها المغلقتين. في ضوء اليوم المُحتضّر، علقت برموشها مثل جواهر.

في غرفة نوم داني تورانس من أيام الطفولة - غرفة مصنوعة الآن من الذاكرة فقط - تشبّنت أبراً بدان دافنةً وجهها في صدره. عندما تكلمت، خرج صوتها مكتوماً. "الوحش - هل رحل؟".

"نعم"، قال دان.

"هل تُقسِم على إسم أمك؟".

"نعم".

رفعت رأسها، ونظرت إليه أولاً لتطمئن نفسها أنه يقول الحقيقة، ثم تجرأت على تفحص الغرفة. "تلك الابتسامة". ارتجفت.

"نعم"، قال دان. "أظن... أنه مسرور بالتواجد في منزله. أبراً، هل ستكونين بخير؟ لأن علينا أن نفعل هذا الآن. انتهى الوقت".

"أنا بخير. لكن ماذا... لو... عاد؟".

تذكّر دان الصندوق المُقفَل. كان مفتوحاً، لكن يمكن إغلاقه مرة أخرى بسهولة. خاصة بوجود أبراً لتساعده. "لا أظن أنه... يريد أي علاقة بنا يا عزيزتي. هيا. فقط تذكّري: إذا قلت لك أن تعودى إلى نيو هامبشاير، عليك أن تذهبي".

مرة أخرى لم تردّ عليه، ولم يكن هناك وقت لمناقشة ذلك. لقد انتهى الوقت. اجتاز الأبواب الفرنسية. قادتته إلى نهاية المسار. سارت أبراً بجانبه، لكنها فقدت الصلابة التي كانت لديها في غرفة الذاكرة وبدأت صورتها تظهر وتختفي مرة أخرى.

في هذا المكان هي تقريباً شخص شبح بنفسها، فكّر دان في سرّه. جعله هذا ينتبه إلى مقدار الخطر الذي وضعت نفسها فيه. لم يعجبه الفكير بمدى ضعف سيطرتها على جسمها الآن.

تحركاً بسرعة - لكن دون أن يركضا؛ لأن ذلك سيلفت انتباه روز، ولديهما سبعون متراً على الأقل قبل أن تحجبهما الجهة الخلفية لكوخ الأوفرلوك عن منصة المراقبة - اجتاز دان ورفيقته الفتاة الشبح المرّجة وسلكا المسار الحجري الذي يمتد بين ملعبى كرة المضرب.

وصلا إلى الجهة الخلفية للمطبخ، وأخيراً حجبتهما ضخامة الكوخ عن المنصة. هنا كانت اللعلة الهادئة لمروحة عادمٍ ورائحة اللحم الفاسد الصادرة عن صفائح النفايات. جرّب فتح الباب الخلفي ووجده غير مُقفَل، لكنه توقف للحظة قبل أن يفتحه.

(هل كلهم)

(نعم ما عدا روز هي أسرع يا دان لأنها)

كانت عينا أبراء، اللتان تظهران وتختفيان مثل عيني ولد في فيلم قديم أسود وأبيض،
جاحظتين من الرعب. "تعرف أن هناك خطباً ما".

12

رَكَزَت روز انتباهها على الفتاة السافلة، التي لا تزال تجلس على مقعد الراكب في
الشاحنة، مُحنيةً رأسها، جامدةً تماماً. لم تكن أبراً تراقب عمَّها - إذا كان عمَّها - ولم تقم بأي حركة
لكي تخرج. انتقل جرس الإنذار في ذهن روز من الأصفر إلى الأحمر.

"أنتِ!". جاءها الصوت عائماً على الهواء الرقيق. "أيتها العجوز الشمطاء! انظري إلى
هذا!".

أعادت تحويل نظرها إلى الرجل في مرأب السيارات وشاهدته، بذهول تقريباً، يرفع يديه
فوق رأسه ثم يؤدي شقلبةً كبيرةً غير مستقرة. ظنَّت أنه سيسقط على مؤخرته، لكن الشيء الوحيد
الذي سقط على الرصيف كان قبعته. وهذا كشف الشعر الأبيض الخفيف لرجلٍ في سبعيناته. ربما
حتى ثمانيناته.

التفتت روز إلى الفتاة الجالسة في الشاحنة، التي بقيت جامدة تماماً برأسها المنحني. لم يكن
لديها أي اهتمام على الإطلاق بتصرفات عمَّها. لمعت الفكرة في رأس روز فجأةً وفهمت ما الذي
كانت ستراه فوراً، لو لم تكن الخدعة شنيعةً إلى هذا الحد: إنها دمية لعرض الأزياء.

لكنها هنا! تشارلي التأشيرة يشعر بها، الجميع في الكوخ يشعرون بها، كلهم مجتمعون
ويعرفون -

كلهم مجتمعون في الكوخ. كلهم في مكان واحد. وهل كانت هذه فكرة روز؟ لا. هذه الفكرة
أنت من -

شرعت روز تركض نحو الدرجات.

13

كان الأعضاء المتبقون من العقدة الحقيقية يزاحمون بعضهم البعض عند النافذتين ينظرون
إلى مرأب السيارات، يراقبون بيلى فريمان يتشقلب لأول مرة منذ أكثر من أربعين سنة (وأخر مرة
نَفَّذَ فيها هذه الخدعة كان ثملاً). بيتي الصّدع ضحكت في الواقع. "يا لهذا الأحمق -"

بسبب إدارتهم ظهورهم، لم يروا دان يدخل الغرفة من المطبخ، أو الفتاة التي تختفي
وتظهر بجانبه. تسنّى لدان الوقت لكي يلاحظ حزمتي ملابس على الأرض ولكي يفهم أن حصبة

برادلي تريفور لا تزال ناشطة بقوة. ثم عاد إلى داخل نفسه، غاص عميقاً، ووجد الصندوق المُقفل الثالث - الصندوق الذي يرشح. فتحه بعنف.

(ماذا تفعل يا دان)

مال إلى الأمام مُسنداً يديه على فخذيه، ومعدته تحرقه مثل معدن ساخن، وزفرَ اللهاث الأخير للشاعرة العجوز، الذي أعطته إياه مجاناً، في قبلة مُحترَرة. خرجت من فمه سحابةً طويلةً من رذاذ زهري تعمق إلى اللون الأحمر عندما لمس الهواء. لم يستطع التركيز على شيء في البدء سوى على الارتياح في وسط جسمه بينما غادرته البقايا السامة لكونشيتا راينولز.

"مومو!"، زعقت أبراً.

14

على المنصة، جحظت عينا روز. الفتاة السافلة موجودة في الكوخ. ومعها شخصٌ.

وَوَبَّت إلى ذلك الذهن الجديد دون تفكير. تبحث. متجاهلةً العلامات التي تعني بخاراً كبيراً، محاولةً فقط إيقافه قبل أن يتمكن من تنفيذ ما كان ينوي فعله. متجاهلةً الاحتمال الفظيع بأن الأوان فات.

15

استدار أعضاء العقدة الحقيقية نحو صراخ أبراً. قال أحدهم - كان بول الطويل: "ما هذا الشيء اللعين؟".

تكتل الرذاذ الأحمر في شكل امرأة. للحظة - بالتأكيد ليس أطول من ذلك - نظرَ دان إلى عيني كونشيتا الحائمتين ورأى أنهما يافعتان. لأنه لم يزل ضعيفاً ومركّزاً على هذا الوهم، لم يشعر بالمتطفلة في ذهنه.

"مومو!"، صاحت أبراً مرة أخرى، فاتحةً ذراعها.

المرأة في السحابة ربما نظرت إليها. وربما حتى ابتسمت. ثم اختفى شكل كونشيتا راينولز وتدرج الرذاذ نحو أعضاء العقدة الحقيقية المتجمّعين، العديد منهم متشبّث ببعضه الآن من الرعب والارتباك. بالنسبة لدان، بدت المادة الحمراء مثل دم ينتشر في الماء.

"إنه بخار"، قال لهم دان. "لقد عشتم عليه أيها الأوغاد؛ امتصّوه الآن وموتوا منه".

لقد عرّف منذ تصوّره الخطة أنها إذا لم تحصل بسرعة، فلن يعيش أبداً ليرى مدى نجاحها، لكنه لم يتخيّل أبداً أنها ستحدث بالسرعة التي حدثت بها. الحصابة التي كانت قد أضعفتهم ربما لعبت دوراً في ذلك، لأن بعضهم دام لفترة أطول قليلاً من الآخرين. رغم ذلك، انتهى الأمر في غضون ثوانٍ.

راحوا يعوون في رأسه مثل ذئاب مُحترّرة. الصوت رَوّع دان، على عكس رفيقته.

"جيد!"، صرخت أبراً. راحت تهزّ قبضتيها لهم. "ما رأيكم بهذا المذاق؟ ما رأيكم بمذاق مومو؟ هل هي لذيذة؟ تتشّقوا قدر ما تشاؤون! تتشّقوها كلها!"

بدأوا يدورون. داخل الرذاذ الأحمر، رأى دان اثنين منهم يتعانقان مُلصقين جبهتيهما ببعضهما، ورغم كل ما فعلوه - كل ما كانوا عليه - أثار فيه المنظر. رأى الكلمة أحبك على شفّتي أيدي القصير؛ رأى مو الضخمة تبدأ بالردّ عليه؛ ثم اختفيا، وانسدلت ملبسهما إلى الأرض. حصل الأمر بهذه السرعة.

استدار إلى أبراً لكي يُخبرها أن عليهما إنهاء المسألة فوراً، لكن عندها بدأت روز القبعة تزعق، وللحظات قليلة - إلى أن استطاعت أبراً صدها - تمكّنت صرخات الغضب والحزن المغتاط تلك من حجب كل شيء آخر، حتى الارتياح الذي نتج عن خلّوه من الألم. وأمل بوزع أن يكون خالياً من السرطان. لن يتيقن بشأن ذلك إلى أن يصبح قادراً على رؤية وجهه في المرآة.

16

وقفت روز عند أعلى الدرجات التي تؤدي إلى المنصة عندما طاف الرذاذ القاتل إلى أعضاء العقدة الحقيقية، وراحت بقايا مومو تُنجز عملها السريع والمميت.

غمرتها سحابة عذاب بيضاء، واخترقت الصرخات ذهنها مثل شظايا. صرخات أعضاء العقدة الحقيقية المُحتضرين جَعَلت صرخات فريق الإغارة في كلاود غاب في نيو هامبشاير وصرخات كُرو في نيويورك تبدو هزيلة مقارنةً بها. ترنّحت روز إلى الخلف كما لو أنها ضُربت بهراوة. ارتطمت بالدرابزين، ارتدّت عنه، وسقطت على الألواح. في مكانٍ بعيدٍ، كانت امرأةٌ - عجوزٌ، بفعل صوتها المتذبذب - تُنشد لا، لا، لا، لا، لا.

هذه أنا. لا شكّ في ذلك، لأنني الوحيدة الباقية.

الفتاة ليست من سقط في فخ الثقة المفرطة بالنفس، بل روز نفسها. تذكّرت شيئاً

(فَجّر بلغمه المفرقع)

قالته الفتاة السافلة. أحرقتها هذا غضباً ورعباً. لقد مات أصدقائها ورفاق دربها القدامى. سُمّوا. باستثناء الجبناء الذين فرّوا، كانت روز القبعة آخر أعضاء العقدة الحقيقية.

لكن لا، هذا ليس صحيحاً. هناك ساراي.
ممدّدة على المنصة وترتعث تحت سماء بعد الظهر، سعت إليها روز.
(هل أنتِ)

الفكرة التي عادت إليها كانت مليئة بالإرباك والرعب.

(نعم لكن روز هل هم هل يُعقل أنهم)

(لا تهتمّي بهم فقط تذكّري يا ساراي هل تتذكّرين)

(لا تجعليني أعاقبك")

(جيد يا ساراي جيد)

إذا لم تفرّ الفتاة... إذا ارتكبت خطأ محاولة إنهاء مهمتها الفاتلة...

ستحاول. كانت روز متأكدة من ذلك، وقد رأت ما يكفي في ذهن رفيق الفتاة السافلة لكي تعرف أمرين: كيف أنجزا هذه المذبحة، وكيف يمكن قلب اتصالهما ضدهما.

الغضب قوة.

وكذلك ذكريات الطفولة.

كافحت لتقف على قدميها، وأعدت ضبط قبعتها عند الزاوية الأنيقة الملائمة دون حتى التفكير في ذلك، وسارت إلى الدرايزين. كان الرجل من الشاحنة يحدّق فيها، لكنها لم تُعره انتباهها. لقد انتهى دوره في الغدر. قد تتعامل معه لاحقاً، لكنها لا تكثرث الآن إلا لكوخ الأوفرلوك. الفتاة موجودة هناك، لكنها بعيدة أيضاً. حضورها الجسدي في مخيم العقدة الحقيقية لا يزيد عن كونه وهماً. والشخص الموجود جسدياً هناك - شخص حقيقي، شخص دنيوي - كان رجلاً لم تره أبداً من قبل. وصاحب بخار. كان صوته في ذهنها صافياً وبارداً.

(مرحباً يا روز)

هناك مكان قريب ستوقف فيه صورة الفتاة عن الظهور والاختفاء. حيث تأخذ شكلها الجسدي. حيث يمكن قتلها. ستدع ساراي تهتمّ بأمر الرجل صاحب البخار، لكن ليس قبل أن يهتمّ الرجل صاحب البخار بأمر الفتاة السافلة.

(مرحباً يا داني مرحباً أيها الفتى الصغير)

محمّلةً بالبخار، سعت إلى داخله وضربته ضربةً عنيفةً على محور العجلة، وهي بالكاد تسمع صرخة الارتباك والرعب التي صدرت عن أبرا بينما استدارت لتتبعه.

وعندما أصبح دان في المكان الذي أرادته روز، متفاجئاً جداً للحظة بحيث نسي أن يحمي نفسه، صبّت كل حنقها عليه. صبّت عليه على هيئة بخار.

الفصل 20

محور العجلة،

سطح العالم

1

فتح دان تورانس عينيه. أصابهما ضوء الشمس مخترقاً رأسه المصاب بالصداع، مهدداً بإحراق دماغه. كان الصداع ما بعد الثمالة لإنهاء كل الصداعات ما بعد الثمالة. شخير صاحب بجانبه: صوت بغيض مزعج لا يمكن أن يكون إلا فتاة جميلة ثملة تتعافى منه بالنوم عند الطرف الخطأ لقوس القزح. أدار دان رأسه في ذلك الاتجاه ورأى المرأة الممددة على ظهرها بجانبه. مألوفة بغموض. شعرها الداكن منتشر حولها في هالة. ترتدي قميصاً تائياً ضخماً لأطلنطا برايفز.

هذا ليس حقيقياً. أنا لست هنا. أنا في كولورادو، على سطح العالم، وعليّ أن أنهي المسألة.

تشقبت المرأة، فتحت عينيهما، وحدقت فيه. "آخ، رأسي"، قالت. "أحضِر لي بعض ذلك الكوكايين يا بابا. إنه في غرفة الجلوس".

حدّق فيها بدهشة وحنق متزايد. بدا أن الحنق يأتي من مكان غير محدد، لكن ألا يأتي الحنق بهذه الطريقة دائماً؟ هذا طبعه عادةً، أحجية ملفوفة بلغز. "كوكايين؟ من الذي اشترى كوكايين؟".

ابتسمت، كاشفةً عن فم يحتوي على سن واحد فقط مُفسد لونه. ثم عرّف من تكون. "أنت يا بابا. الآن اذهب وأحضِر لي. بعدما يصفى ذهني، سأعطيك مضاجعةً لطيفةً".

لقد عاد بطريقة أو بأخرى إلى شقة ويلمنغتون الدنيئة هذه، عارياً، بجانب روز القبعة.

"ماذا فعلت؟ كيف وصلت إلى هنا؟".

رمت رأسها إلى الخلف وضحكت. "ألا يعجبك هذا المكان؟ يجب أن يعجبك؛ لقد فرشته من أفكارك. الآن افعل ما أقوله لك أيها الحقير. أحضِر الكوكايين".

"أين أبر؟ ماذا فعلتِ بأبر؟".

"قتلناها"، قالت روز باستهزاء. "كانت قلقة جداً بشأنك لدرجة أنها نسيت أن تحترس وذبحتها من الحنجرة إلى البطن. لم أتمكن من امتصاص بخارها بالقدر الذي كنتُ أريده، لكنني حصلتُ على الكثر -"

احمرَّ العالم. أطبقَ دان يديه حول حنجرتها وبدأ يخنقها. بقيت فكرة واحدة تتكرَّر في ذهنه: سافلة عديمة القيمة، الآن ستتناولين دواءك، سافلة عديمة القيمة، الآن ستتناولين دواءك، سافلة عديمة القيمة، الآن ستتناولينه كله.

2

كان الرجل صاحب البخار قوياً لكنه لا يُقارن بالفتاة. وَقَفَ مُبَاعِداً رِجْلَيْهِ، مُخْفِضاً رَأْسَهُ، مَحْدِباً كَتْفَيْهِ، ورافعاً قبضتيه - وقفة كل رجل فَقَدَ صوابه في نوبة غضب قاتلة. الغضب يجعل الرجال سهلين.

من المستحيل تتبَّع أفكاره، لأنها أصبحت حمراء. لا بأس، فالفتاة موجودة حيث تريدها روز بالضبط. حالة الرعب المصدوم التي انتابت أبراً جعلتها تتبعه إلى محور العجلة. لكن حالة الرعب أو الصدمة لن تدوم طويلاً؛ فالفتاة السافلة أصبحت الفتاة المختنقة. وقريباً ستصبح الفتاة الميتة، فُجِّرَت بلغمها المفرق.

(خالي دان لا لا توقف هذه ليست هي)

هذه هي، فكَّرت روز وهي تنفضُّ بقوة أكبر. تسألُ سنها من فمها واخترق شفتها السفلى. سال الدم على ذقنها وكنزتها. لم تشعر به أكثر مما شَعَرَت بنسيم الجبل يهبُّ في كتل شعرها الداكن. هذه أنا. كنتُ أربي، أربي في المقصف، جَعَلْتُكَ تُفْرغَ محفظتك على بعض الكوكابين السيئ، وقد حلَّ صباح اليوم التالي الآن وأحتاج إلى تناول دوائي. هذا ما أردتُ فعله عندما استيقظت بجانب بائعة الهوى الثملة تلك في ويلمغتون، ما كنتُ ستفعله لو كانت لديك ذرة جرأة، وإبناها الجرو العديم الجدوى فوق البيعة. كان أبوك يعرف كيف يتعاطى مع النساء العاصيات الغيبات، وأبوه من قبله. أحياناً المرأة تحتاج فقط إلى أن تأخذ دواءها. تحتاج إلى -

سُمع هدير محرِّك يقترب. كان غير مهم مثل الألم في شفتها ومذاق الدم في فمها. الفتاة تختنق حتى الموت. ثم انفجرت فكرةٌ صاخبةٌ مثل قصف الرعد في دماغها، زئير مجروح:

(أبي لم يعرف شيئاً!)

كانت روز لا تزال تحاول أن تصفِّي ذهنها من تلك الصرخة عندما اصطدمت شاحنة ببلي فريمان بقاعدة منصة المراقبة، مما أوقعها. طارت قبعتها.

لم تكن الشقة في ويلمنغتون. كانت غرفة نومه المختفية منذ مدة طويلة في فندق الأوفرلوك - محور العجلة. لم تكن دينيه، المرأة التي استيقظ بجانبها في تلك الشقة، ولم تكن روز.

كانت أبراً. يدها موضوعتان حول عنقها وعيناها منتفختان.

للحظة بدأت تتغيّر مرة أخرى عندما حاولت روز التسلل إلى داخله مثل دودة، تغذيه بغضبها وتزيد غضبه. ثم حصل شيء أدى إلى اختفائها. لكنها ستعود.

كانت أبراً تسعل وتحذق فيه. توقّع أن يجدها مصدومةً، لكن بالنسبة لفنّانة كادت تموت اختناقاً، بدت هادئة بشكل غريب.

(حسناً... لقد عرفنا أن المسألة لن تكون سهلة)

"لست مثل أبي!"، صرخ بها دان. "لست مثل أبي!"

"هذا جيد على الأرجح"، قالت أبراً. ابتسمت في الواقع. "لديك مزاج لعين يا خالي دان. أظن أننا أنسباء حقاً".

"كدت أقتلك"، قال دان. "هذا يكفي. حان الوقت لكي تخرجي. عودي إلى نيو هامبشاير الآن".

هزّت رأسها. "عليّ فعل ذلك - لبرهة وليس لفترة طويلة - لكنك تحتاج لي الآن".

"أبراً، هذا أمر".

طوت ذراعيها ووقفت مكانها على سجادة الصبّار.

"يا إلهي". مرّر يديه في شعره. "أنتِ عنيدة حقاً".

مدّت يدها وأمسكت يده. "سنّهي هذا معاً. هيا بنا الآن. دعنا نخرج من هذه الغرفة. لا أظن أنها تعجبني، في النهاية".

تشابكت أصابعهما، وتلاشت الغرفة التي عاش فيها لبعض الوقت عندما كان ولداً.

تسنّى الوقت لدان لكي يلمح غطاء شاحنة بيلي مطويّاً حول أحد الأعمدة السميكة التي تسند برج منصة المراقبة لسطح العالم، ومشاعها المحطّم يعبق بالبخار. رأى دمية عرض الأزياء ناتئة

من نافذة مقعد الراكب، وإحدى ذراعيها البلاستيكيتين مائلة برشاقة خلفها. رأى بيلي يحاول فتح باب السائق المتجعد، والدم يسيل على وجهه.

شيءٌ أمسك رأسه. يدان قويتان تفتلان، تحاولان كسر عنقه. ثم أصبحت يدا أبراً هناك، تنزعان يدي روز. رفعت نظرها. "سيكون عليك فعل أفضل من هذا، أيتها السافلة العجوز الجبانة". وَقَفَت روز عند الدرايزين، مُخفضةً نظرها ومعيدةً ضبط قبعتها البشعة عند الزاوية الصحيحة. "هل استمتعتي بيدي عمك حول عنقك؟ ما رأيك به الآن؟".

"هذا كان أنتِ وليس هو".

ابتسمت روز، وتثاءب فمها الدموي. "أبدأ يا عزيزتي. لم أفعل سوى الاستفادة مما يوجد داخله. يجب أن تعرفي، فأنتِ مثله تماماً".

تحاول أن تلهينا، فكَرَّ دان في سرّه. لكن عن ماذا؟ ذاك؟

كان مبنىً أخضر صغيراً - ربما حماماً خارجياً، ربما حظيرة تخزين.

(هل يمكنكِ)

لم يحتاج إلى إنهاء الفكرة، فقد استدارت أبراً نحو الحظيرة وحدقت فيها. أصدر القفل صريراً، تحطّم، وسقط على العشب. فُتِح الباب. كانت الحظيرة فارغة ما عدا من بضع أدوات وجزّارة عشب قديمة. اعتقد دان أنه شَعَرَ بشيء هناك، لكن لا شك أن ذلك بسبب أعصابه المتوتّرة فقط. عندما رفعها مرة أخرى، لم تعد روز مرئية في أي مكان. لقد تراجعت عن الدرايزين.

تمكّن بيلي أخيراً من فتح باب شاحنته. خرّج، ترنّح، وتمكّن من البقاء واقفاً على رجليه. "داني؟ هل أنت بخير؟". ثم: "هل هذه أبراً؟ يا للهول، بالكاد هي هناك".

"اسمع يا بيلي. هل يمكنك السير إلى الكوخ؟".

"أظن ذلك. ماذا بشأن الأشخاص داخله؟".

"اختفوا. أظن أنه من الجيد لو تذهب الآن".

لم يجادل بيلي. بدأ ينزل المنحدر، متعثراً مثل مثل ثمل. أشار دان بإصبعه نحو الدرجات التي تؤدي إلى منصة المراقبة ورفع حاجبيه استفهاماً. هزّت أبراً رأسها

(هذا ما تريده هي)

وبدأت تقود دان حول سطح العالم، إلى حيث يمكنهما رؤية أعلى قبعة روز. هذا وضع حظيرة المعدّات الصغيرة خلفهما، لكن دان لم يُعر ذلك أي انتباه الآن بعد أن رأى أنها فارغة.

(دان عليّ أن أعود الآن لدقيقةٍ فقط عليّ أن أنعش)

صورة في ذهنه: حقل مليء بزهور دوّار الشمس، كلها تفتّحت فوراً. تحتاج إلى الاعتناء بحضورها الجسدي، وهذا جيد. هذا محقّ.

(أذهبي)

(سأعود حالماً)

(أذهبي يا أبرا سأكون بخير)

ومع بعض الحظ، سينتهي هذا عندما تعود.

5

في أنيستون، رأى جون دالتون ودايف ولوسي ستون أبرا تأخذ نفساً عميقاً وتفتح عينيها.

"أبرا!!"، نادى لوسي. "هل انتهى الأمر؟".

"قريباً".

"ما هذا الذي على عنقك؟ هل هذه رضوض؟".

"ماما، ابق مكانك! عليّ أن أعود. دان يحتاج إليّ".

مدّت يدها إلى هوبي، لكن قبل أن تتمكن من إمساك الأرنب المحشو القديم، انغلقت عيناها وجمد جسمها.

6

محدّقةً بحذر فوق الدرايزين، رأت روز اختفاء أبرا. لا تستطيع الفتاة السافلة البقاء هنا إلا هذه المدة، ثم عليها أن تعود لبعض الراحة والاستجمام. حضورها في مخيم بلوبل لم يكن مختلفاً كثيراً عن حضورها ذلك اليوم في السوبرماركت، ما عدا أن هذا التجسيد أقوى بكثير. لماذا؟ لأن الرجل يساعدها. يعزّز قوتها. إذا مات قبل عودة الفتاة -

مُخفضةً نظرها إليه، صاحت روز: "لو كنتُ مكانك لغادرتُ طالما الفرصة سانحة يا داني. لا تجعلني أعاقبك".

7

كانت ساراي الصامته مركزة جداً على ما يجري على سطح العالم - تستمع بكل حاصل ذكائها المحدود وبأذنيها على حدّ سواء - لدرجة أنها لم تُدرك في البدء أنها لم تعد لوحدها في الحظيرة. الرائحة هي التي نبّهتها أخيراً: شيء عَفِن. ليس نفايات. لم تجرؤ على الاستدارة، لأن الباب مفتوح وقد يراها الرجل الذي في الخارج. وَقَفَت جامدة، حاملةً المنجل في يدها.

سمعت ساراي روز تنصح الرجل بأن يغادر بينما الفرصة سانحة، وفي تلك اللحظة بدأ باب الحظيرة ينغلق مرة أخرى، من تلقاء نفسه.

"لا تجعلني أعاقبك!"، صاحت روز. هذه إشارتها لكي تخرج وتُقحم المنجل في عنق الفتاة الصغيرة المتطوّلة المزعجة، لكن بما أن الفتاة رحلت، يجب أن يفي الرجل بالغرض. لكن قبل أن تتمكن من الحراك، انزلت يدٌ باردةٌ فوق المعصم الذي يحمل المنجل. انزلت فوقه وقبضت عليه بقوة.

استدارت - لا سبب لعدم فعلها ذلك الآن، بما أن الباب مُغلق - وما رأتها في الضوء الخفيف المتسلّل بين تشقّقات الألواح الخشبية القديمة سبب خروج زعيق من حنجرتها الصامته عادة. ففي مرحلة ما بينما كانت مركزة انتباهها، انضمت جثة شخصٍ إليها في كوخ الأدوات. وجهه المبتسم المقترس أشبه بالأبيض الأخضر الرطب لحيّة أفوكادو عَفِنَة. عيناه كأنهما متدليتان من محجريهما. بذلته ملطّخة بعَفَن قديم... لكن القصاصات الورقية الملوّنة المرشوشة على كتفيه حديثة.

"حفلة رائعة، أليس كذلك؟"، قال، وعندما ابتسم، انفتحت شفّته.

صَرَخت مرة أخرى وأقحمت المنجل في صدغه الأيسر. دخلت الشفرة المنحنية عميقاً وعلقت هناك، لكن لم يكن هناك دم.

"أعطنا قبلة يا عزيزتي"، قال هوراس دروّنت. من بين شفّته خرجت البقايا البيضاء المتلويّة للسان. "مرّ وقت طويل منذ أن كنتُ مع امرأة".

عندما استقرّت شفّته الممزّقتان، اللامعتان من التحلّل، على ساراي، أطبقت يدها على عنقها.

8

رأت روز باب الحظيرة ينغلق، سمعت الصرخة، وفهمت أنها لوحدها الآن حقاً. قريباً، في غضون ثوانٍ على الأرجح، ستعود الفتاة وستصبح المعركة اثنان ضد واحد. لا يمكنها أن تسمح بحصول ذلك.

أخفّضت نظرها إلى الرجل واستجمعت كل قوتها المعزّزة بالبخار.

(اخفق نفسك افعل ذلك الآن)

ارتفعت يدها نحو حنجرته، لكن ببطء شديد. كان يقاومها، وبدرجة نجاح مغيظة. كانت لتتوقع معركةً من الفتاة السافلة، لكن ذلك الشخص الدنيوي راشدٌ. كان ينبغي أن تكون قادرةً على القضاء على أي بخار متبقٍ لديه بسهولة تامة.

ومع ذلك كانت تفوز.

ارتفعت يدها إلى صدره... كتفّيه... وأخيراً إلى حنجرته. اضطربنا هناك - أمكنها سماعه يلهث من الجهد. زادت ضغطها عليه، وانقبضت اليدان تُغلقان قصبته الهوائية.

(هذا صحيح أيها المتطوّق الوغد اضغط اضغط واضغط)

شيءٌ أصابها. ليس قبضةً؛ بل بدا أشبه بهيئة هواء مضغوط بشكل محكم. نظرت حولها ولم تر شيئاً سوى تلالو، بقي للحظة ثم اختفى. أقل من ثلاث ثوانٍ، لكن ذلك كان كافياً ليقفها تركيزها، وعندما استدارت إلى الدرايزين من جديد، وجدت أن الفتاة عادت.

لم تكن هيبة هواء هذه المرة؛ كانت يدان بدتا كبيرتين وصغيرتين في الوقت نفسه. كانتا على أسفل ظهرها. تدفعان. الفتاة السافلة وصديقتها، يعملان معاً - هذا بالضبط ما أرادت روز تجنبه. انقبضت معدتها من الرعب. حاولت أن تتراجع عن الدرايزين ولم تتمكن. فمجرد الثبات في مكانها يتطلب منها كل قوتها، ومن دون قوة دعم من العقدة الحقيقية لمساعدتها، لم تعتقد أنها ستكون قادرة على فعل ذلك لفترة طويلة. غير طويلة أبداً.

لولا هيبة الهواء تلك... لم تكن منه والفتاة لم تكن هنا...

تركت إحدى اليدين أسفل ظهرها وقذفت القبعة عن رأسها. عوّت روز من هذه المهانة - لا أحد يلمس قبعتها، لا أحد! - واستجمعت للحظة ما يكفي من قوة لتتراجع عن الدرايزين نحو وسط المنصة. ثم عادت تلك اليدين إلى أسفل ظهرها وبدأتا تدفعانها إلى الأمام مرة أخرى.

أخفّضت نظرها إليهما. الرجل مُغمض عينيه ويركّز بقوة لدرجة أن الشرايين نتأت على عنقه وسال العرق على خديه كدموع. لكن عيني الفتاة متسعان وعديمتا الرحمة. كانت تحدّق في روز، وتبتسم.

دفعَت روز عكسياً بكل قوتها، لكنها شعرت كما لو أنها تدفع جداراً صخرياً. جداراً يدفعها إلى الأمام بلا هوادة، إلى أن انضغطت معدتها على الدرايزين. سمعتها تُصدر صريراً.

فكّرت، للحظة واحدة، بمحاولة عقد صفقة. بإخبار الفتاة أنه يمكنهما التعاون معاً، بدء عقدة جديدة. أنه بدلاً من الموت في العام 2070 أو 2080، بإمكان أبرا ستون أن تعيش ألف سنة. ألفي سنة. لكن ما نفع ذلك؟

هل هناك أي فتاة مراهقة في العالم لا تعتبر نفسها خالدة؟

لذا بدلاً من المساومة، أو التوسّل، صرّخت بهما تحدياً. "تباً لكما! تباً لكما!".

اتّسعت ابتسامة الفتاة الفظيعة. "آه، لا"، قالت. "تباً لك".

لا صرير هذه المرة؛ بل فرقة كأنها طلقة بندقية، ثم كانت روز الحاسرة الرأس تسقط.

9

ارتطمت بالأرض برأسها أولاً وبدأت تدور فوراً. كان رأسها مائلاً (مثل قبعتها، فكّر دان في سرّه) على عنقها المحطّم بزاوية غير مبالية تقريباً. أمسك دان يد أبراً - اللحم الذي ظهر واختفى بسبب دورانها هي أيضاً بين منحدر منزلها وسطح العالم - وراحا يراقبان معاً.

"هل هذا مؤلم؟"، سألت أبراً المرأة المُحتضرة. "أمل ذلك. أمل أن يكون مؤلماً كثيراً".

انقبضت شفتا روز إلى الخلف في ابتسامة ساخرة. لقد اختفت أسنانها البشرية، وكل ما بقي هو ذلك الناب المُفسد لونه. فوقه، عامت عيناها مثل حجرين أزرقين حيين. ثم اختفت كلها.

استدارت أبراً إلى دان. كانت لا تزال تبتسم، لكن لم يكن فيها غضب أو دناءة الآن.

(كنتُ خائفة عليك كنتُ خائفة أنها قد)

(كادت تقريباً لكن كان هناك شخص)

أشار إلى الأعلى إلى حيث نتأت القطع المحطّمة من الدرايزين نحو السماء. نظرت أبراً إلى هناك، ثم عادت والتفتت إلى دان، مُحترّة. لم يكن قادراً إلا على هزّ رأسه.

جاء دورها الآن لكي تشير، ليس إلى الأعلى بل إلى الأسفل.

(ذات يوم كان هناك لاعب خفة يرتدي قبعة مثل تلك كان اسمه ميستيريو)

(وجعلت الملاحق تتدلّى من السقف)

أومأت برأسها لكنها لم ترفع رأسها. كانت لا تزال تدرس القبعة.

(عليك أن تتخلّص من هذه)

(كيف)

(يقول السيد فريمان إنه أقلع عن التدخين لكنه لا يزال يدخن يمكنني أن أشم رائحة ذلك في الشاحنة ستكون معه عيدان ثقاب)

"عليك"، قالت. "هلاً فعلت ذلك؟ هل تعدني؟".

"نعم".

(أحبك يا خالي دان)

(أحبك أيضاً)

عانقته. وضع ذراعيه حولها وعانقها بدوره. عندما فعل ذلك، أصبح جسمها مطراً. ثم رذاذاً. ثم اختفى.

10

على المنحدر الخلفي لمنزل في أنيستون، نيو هامبشاير، في غسقٍ سيتعمق قريباً إلى ليلٍ، استوت فتاة صغيرة جالسةً، نهضت إلى قدميها، ثم ترنحت على حافة فقدان وعيها. لم يكن هناك مجال لكي تسقط؛ فقد وصل والداها إلى جنبها فوراً. حملها إلى الداخل معاً.

"أنا بخير"، قالت أبرا. "يمكنكما إنزالي".

فعلا ذلك، بعناية. وقف دايفد ستون قربها، جاهزاً لكي يلتقطها عند شعوره بأبسط انثناء في الركبتين، لكن أبرا وقفت هادئة في المطبخ.

"ماذا بشأن دان؟"، سأل جون.

"إنه بخير. السيد فريمان حطّم شاحنته - اضطر إلى فعل ذلك - وقد جرح" - وضعت يدها على خدّها - "لكنني أظن أنه بخير".

"وأولئك؟ العقدة الحقيقية؟".

رفعت أبرا راحة يدها إلى فمها ونفخت عليها.

"اختفوا". ثم: "ماذا لدينا من أكل؟ أنا جائعة حقاً".

11

ربما انطوت كلمة بخير على بعض المبالغة في حالة دان. سار إلى الشاحنة، حيث جلس على مقعد الراكب المفتوح بابه، ليستردّ أنفاسه. ورشده.

كنا في عطلة، قرّر. أردتُ أن أزور موطن طفولتي في بُولدر. ثم سعدنا إلى هنا لنستمتع بالمنظر من سطح العالم، لكننا وجدنا أن المخيم مهجورٌ. كنتُ أشعر ببعض الزهو الداخلي

وتشارطت مع بيلي أنه يمكنني أن أقود شاحنته صعوداً على التلة إلى منصة المراقبة. كنتُ أقود بسرعة كبيرة وفقدت السيطرة. اصطدمتُ بأحد أعمدة الدعم. آسف حقاً. يالي من مغفلٍ لعين.

سينال غرامة ضخمة، لكن هناك جانب إيجابي في ذلك: سينجح نجاحاً باهراً في اختبار جهاز قياس نسبة الشراب في الدم.

نظر دان إلى صندوق القفاز وعثر على علبة مائع خفيف. لا قدّاحة - ستكون في جيب بنطلون بيلي - لكن كان هناك بالفعل دفترأ أعواد ثقاب نصف مستخدمين. ذهب إلى القبعة وسكب عليها المائع الخفيف إلى أن تبللت بالكامل. ثم قرفص، أشعلَ عود ثقابٍ، ونقفه إلى داخل القبعة المقلوبة إلى أعلى. لم تدم القبعة طويلاً، لكن دخانها تطاير بعكس اتجاه الرياح إلى أن لم يعد هناك شيء سوى رمادٍ.

كانت الرائحة كريهة.

عندما رفع نظره، رأى بيلي يمشي بنتأقل نحوه وهو يمسح وجهه الدموي بكُمه. بينما راحا يدوسان على الرماد، للتأكد من عدم بقاء أي جمرة واحدة قد تُشعل حريقاً هائلاً، روى له دان القصة التي سيرويانها لرجال شرطة ولاية كولورادو عند وصولهم.

"سيكون عليّ إصلاح ذلك الشيء، وأنا أكيد أن الكلفة ستكون كبيرة. الحمد لله أنني ادّخرت بعض المال".

نخر بيلي. "مَن سيطاردك لتسديد كلفة الأضرار؟ لم يبقَ شيء من أعضاء العقدة الحقيقية سوى ملابسهم. لقد تحققت".

"السوء الحظ"، قال دان، "سطح العالم مُلك ولاية كولورادو".

"آخ"، قال بيلي. "بالكاد يبدو هذا عدلاً، بما أنك أسديتَ لكولورادو وبقية العالم خدمةً كبيرةً للتو. أين أبرأ؟".

"في منزلها".

"جيد. وهل انتهى كل هذا؟ انتهى حقاً؟".

أوماً دان برأسه.

كان بيلي يحدّق في رماد القبعة العالية السوداء الرسمية لروز. "احترقت بسرعة لعينة. تقريباً مثل مشهد مؤثرات خاصة في فيلم".

"أظن أنها قديمة جداً". ومليئة بالشعوذة، لم يُضف ذلك من الصنف الأسود.

ذهب دان إلى الشاحنة وجلس خلف المقود لكي يتمكن من فحص وجهه في مرآة الرؤية الخلفية.

"هل ترى شيئاً لا يجب أن يكون هناك؟"، سأل بيلي. "هذا ما كانت أمي تقوله دائماً عندما تجدني أحلم أمام المرآة".

"لا أرى أي شيء"، قال دان. بدأت ابتسامةً ترسم على وجهه. كان مُتعباً لكن أصلياً. "لا أرى أي شيء أبداً".

"دعنا إذاً نتصل بالشرطة ونخبرهم عن حادثنا"، قال بيلي. "عادة لا أطيق رجال الشرطة، لكنني لن أمانع بعض الصحبة الآن. المكان يسبب لي القشعريرة". ونظرَ نظرةً ثاقبةً إلى دان. "مليء بالأشباح، أليس كذلك؟ لهذا السبب اختاروه".

لهذا السبب، لا ريب في ذلك. لكن لا داعي لأن تكون إبنيزر سكرُوج لكي تعرف أن هناك أشخاصاً أشباحاً صالحين وأشخاصاً أشباحاً طالحين. بينما نزلنا نحو كوخ الأوفرلوك، توقف دان مؤقتاً لكي يلتفت إلى الورااء نحو سطح العالم. لم يتفاجأ كلياً من رؤية رجل يقف على المنصة قرب الدرايزين المحطّم. رفع يداً تظهر قمّة جبل ياوني من خلالها، ونفخ له قبلةً تذكّرُها دان من طفولته. تذكّرُها جيداً. إنها إشارتهما التي تعني لقد انتهى اليوم.

حان وقت النوم أيها الطبيب. وقت النوم العميق. احلم بتنين وأخبرني عنه في الصباح.

عرّف دان أنه سيكي، لكن ليس الآن. هذا ليس الوقت المناسب لذلك. رفع يده إلى فمه وأعاد القبلة.

بقي ينظر لبرهة أطول إلى ما بقي من أبيه. ثم توجّه إلى مرأب السيارات مع بيلي. عندما وصلا إلى هناك، التفت إلى الورااء مرة أخرى.

كان سطح العالم فارغاً.

إلى أن تمام

الذكرى السنوية

1

اجتماع منظمة مدمني الشراب المجهولين ظهر السبت في فرايجر من أقدم الاجتماعات في نيو هامبشاير، فتاريخه يعود إلى 1946، وأسسه بوب البدين، الذي عرّف مؤسس البرنامج، بيل ويلسون، شخصياً. تُوفي بوب البدين منذ زمن طويل، بسبب سرطان في الرئة - ففي أيامهم الأولى، معظم مدمني الشراب الذين يتعافون يدخّنون بإسراف ودائماً ما يُقال للمبتدئين أن يُبقوا أفواههم مُغلقة والمنافض فارغة - لكن الاجتماع بقي يشهد حضوراً جيداً. القاعة ممتلئة بالكامل اليوم، لأنه عندما ينتهي الاجتماع ستكون هناك بيتزا وقالب حلوى كبير. هكذا هو الحال في معظم اجتماعات الذكرى السنوية، وبعض الحاضرين اليوم يحتفلون بمرور خمس عشرة سنة من عدم الثمالة. في السنوات الأولى كانوا ينادونه دان أو دان ت.، لكن أخبار عمله في مأوى العجزة المحلي انتشرت (لم تكن مجلة منظمة مدمني الشراب المجهولين تسمى الإشاعة عن عبث)، والآن ينادونه الطبيب. بما أن والديه نادوه هكذا أيضاً، فقد وجدَ دان أن اللقب يدفع إلى السخرية... لكن بطريقة إيجابية. الحياة عجلة، ووظيفتها الوحيدة هي الدوران، وتعود دائماً إلى حيث انطلقت.

طبيبٌ حقيقيٌّ، يدعى جون، ترأس بناءً على طلب دان، وسار الاجتماع وفق سياقه الاعتيادي. علّت ضحكات عندما روى راندي م. كيف تقياً على الشرطي الذي اعتقله آخر مرة قاد فيها ثملاً، وعلا المزيد من الضحك عندما أكمل ليقول إنه اكتشف بعد سنة أن ذلك الشرطي نفسه عضوٌ في البرنامج. وبكت ماغي م. عندما أخبرتهم ("شاركتم"، وفق لغة منظمة مدمني الشراب المجهولين) كيف حُرمت مرة أخرى من نيل وصاية مشتركة على ولديها. قُدّمت لها العبارات المبتذلة الاعتيادية - الوقت يستغرق وقتاً، ينجح إذا نجّحته، لا تتوقفي إلى أن تحصل الأعجوبة - وقد هدأت ماغي في نهاية المطاف. وعلّت الصرخة الاعتيادية القوة العليا تقول أطفئه! عندما رنّ الهاتف الخليوي لأحدهم. وسكبت فتاة ذات يدين مرتعشتين كوب قهوة؛ أي اجتماع لا ينسكب فيه كوب واحد على الأقل لا يُعدّ اجتماعاً.

عند الواحدة إلا عشر دقائق، مرّر جون د. السلة ("ندعم أنفسنا بأنفسنا من خلال مساهماتنا")، وطلب ذكر الإعلانات. وَقَفَ تريفور ك.، الذي كان قد افتتح الاجتماع، وطلب - على عادته دائماً - مساعدةً في تنظيف المطبخ وتوضيب الكراسي. أشرفت يولاندا ف. على توزيع الفيش

فورّعت فيشة بيضاء (أربع وعشرين ساعة) وفيشة أرجوانية (خمسة أشهر - تسمّى عادة فيشة بارني). كالعادة، أنهت عملها بالقول، "إذا لم تتناول شراباً اليوم، حيّ نفسك وقوتك العليا".

فعلوا ذلك.

عندما هدأ التصفيق، قال جون، "لدينا ذكرى سنوية اليوم لمرور خمس عشرة سنة. هلاًّ تقدّم كايسي ك. ودان ت. إلى هنا؟".

صَفَّق الحشد بينما سار دان إلى الأمام - ببطء، ليواكب سرعة كايسي، الذي يسير الآن بمساعدة عصا. سلّم جون كايسي ميداليةً مطبوعاً XV على وجهها، ورفعها كايسي لكي يتمكّن الحشد من رؤيتها. "لم أظنّ أبداً أن هذا الرجل سينجح"، قال، "لأنه كان مدمن شراب مجهول من البداية. أو بالأحرى، أحمق عنيداً".

ضحكوا من كل قلبهم. ابتسم دان، لكن قلبه كان يخفق بسرعة. فكرته الوحيدة الآن هي اجتياز ما سيحدث تالياً دون أن يفقد وعيه. المرة الأخيرة التي شَعَرَ فيها بهذا الخوف الكبير كان يرفع نظره نحو روز القبعة على منصة سطح العالم ويحاول منع خنق نفسه بيديه.

أسرع يا كايسي. رجاءً. قبل أنا أفقد شجاعتي أو فطوري.

كايسي ربما كان الشخص الذي يملك البريق... أو ربما رأى شيئاً في عينيّ دان. على كل حال، اختصر كلمته. "لكنه خالف توقعاتي وتعافى. من بين كل سبعة مدمني شراب يجتازون أبوابنا، ستة منهم يخرجون ويثملون من جديد. السابع هو الأعجوبة التي ننتظرها كلنا. إحدى تلك الأعاجيب تقف هنا، كبير كالحياة وأبشع منها. تفضّل أيها الطبيب، لقد استحقّيت هذه".

أعطى دان الميدالية. ظنّ دان للحظة أنها ستنزلق بين أصابعه الباردة وتقع أرضاً. طوى كايسي يده حولها قبل حصول ذلك، ثم عانق دان عناقاً كبيراً. وهمس في أذنه، "سنة أخرى أيها السافل. مبروك".

مشى كايسي متناقلاً في الرواق إلى مؤخرة الغرفة، حيث جلس بفعل أحقية الأقدمية مع بقية القدامى. بقي دان لوحده في المقدمة، وهو يشدّ بقوة على ميدالية السنوات الخمسة عشرة بحيث تنأى الأوتار على معصمه. راح مدمنو الشراب المجتمعون يحدّقون فيه بانتظار ما يُفترّض أن يكشفه عدم الثمالة لفترة طويلة: خبرة، قوة، وأمل.

"منذ سنتين..."، بدأ يقول ثم اضطر أن يتنحج. "منذ سنتين، عندما كنتُ أتناول القهوة مع ذلك السيد الأعرج الذي يجلس الآن، سألني إن أنجزتُ الخطوة الخامسة: 'نعترف أمام السماوات وأنفسنا وشخص آخر بالطبيعة الدقيقة لأخطائنا'. أخيرتُه أنني أنجزتُ معظمها. للأشخاص الذين لا يعانون من مشكلتنا الخاصة، سيكون ذلك كافياً على الأرجح... وهذا مجرد أحد أسباب تسميتنا لهم شعب الأرض".

ضحكوا ضحكات خافتة. أخذ دان نَفْساً عميقاً، وأخبر نفسه أنه إذا استطاع مواجهة روز وعقدتها الحقيقية، فبإمكانه مواجهة هذا. إلا أن هذا مختلف. هذا لم يكن دان البطل؛ كان دان الحثالة. لقد عاش طويلاً كفاية لكي يعرف أن هناك حثالةً صغيرةً في كل شخص.

"أخبرني أنه يعتقد أن هناك عيباً واحداً لا يمكنني أن أتجاوزه، لأنني خجل جداً من التحدّث عنه. أخبرني أن أصرّفه من ذهني. ذكّرني بشيء نسمعه في كل اجتماع تقريباً - نحن مرضى بقدر ما تكون أسرارنا مريضة. وقال إنني إن لم أكشف سرّي، فسأجد نفسي في لحظة ما ممسكاً كوب شراب في يدي. هل هذا جوهر ما قلّته لي يا كايس؟".

أوما كايسي برأسه من مؤخرة الغرفة، طاوياً يديه على أعلى عصاه.

شعّر دان بالسعة في الجهة الخلفية لعينيّه التي تعني أن الدموع في طريقها إلى الخروج وفكّر في سرّه، أرجو أن أجتاز هذا دون عويل.

"لم أكشفه. بقيتُ أقول لنفسي لسنوات إنه الشيء الوحيد الذي لن أخبر أحداً به. لكنني أظنّ أنه كان محقاً، وإذا بدأتُ أتناول الشراب مرة أخرى، سأموت. لا أريد حصول ذلك. لديّ أمور كثيرة لكي أحيها من أجلها هذه الأيام. لذا..."

سالت الدموع، الدموع اللعينة، لكنه كان قد غاص عميقاً بحيث لم يعد قادراً على التراجع الآن. مسحها باليد التي لا تقبض على الميدالية.

"أنتم تعرفون ماذا يقولون في الوعود؟ كيف أننا نتعلّم عدم الندم على الماضي، أو أننا نريد أن نوصد الباب عليه؟ اعذروني على قول هذا، لكنني أعتقد أن ذلك البند من الكلام الفارغ في البرنامج يعجّ بأشياء حقيقية. أنا أندم على أمور كثيرة، لكن حان الوقت لأفتح الباب، بالفدر الصغير الذي أريده".

انتظروا. حتى السيدتين اللتين كانتا توزّعان شرحات البيّنزا على أطباق ورقية وقفنا الآن عند باب المطبخ تراقبانه.

"قبل فترة قصيرة من إقلاعي عن تناول الشراب، استيقظتُ بجانب امرأة تعرّفت عليها في مقصف. كنا في شقتها. المكان قذر جداً، لأنها كانت لا تملك شيئاً تقريباً. شعرتُ بألفة في ذلك لأنني كنتُ لا أملك شيئاً تقريباً، وكنا نحن الاثنان على الأرجح في مدينة المفلسين لنفس السبب. كلكم تعرفون ما هو ذلك السبب". هزّ كتفيه. "إذا كنتُ واحداً منا فإن الزجاجة تأخذ هُراءك، هذا كل شيء. قليلاً في البداية، ثم كثيراً، ثم كل شيء.

"كانت تلك المرأة تدعى دينيه. لا أتذكّر أموراً كثيرة أخرى عنها، لكنني أتذكّر هذا. ارتديتُ ملابس ورحلتُ، لكنني أخذتُ مالها أولاً. وتبيّن لي أنها تملك شيئاً واحداً على الأقل لم أكن أملكه، في النهاية، لأنه بينما كنتُ أبحث في محفظتها، نظرتُ حولي ورأيتُ ابنها واقفاً هناك. ولد

صغير لا يزال يرتدي حفاضاً. كنتُ وتلك المرأة قد اشترينا بعض الكوكابين في الليلة السابقة، وكان بعضٌ منه لا يزال على الطاولة. رآه الولد ومدَّ يده إليه. ظنَّ أنه حلوى".

مسح دان عينيه مرة أخرى.

"أبعدتُ الكوكابين ووضعته في مكان لا يستطيع الوصول إليه. هذا أقصى ما فعلته. لم يكن كافياً، لكنه أقصى ما فعلته. ثم وضعتُ مالها في جيبِي وخرَجْتُ من هناك. أنا مستعد أن أفعل أي شيء لأصحح غلطتي. لكنني لا أستطيع".

السيدتان الواقفتان عند المدخل عادتا إلى المطبخ. راح البعض ينظرون إلى ساعاتهم. زجرت معدةً. واقفاً هناك أمام مدمني الشراب المئة المجتمعين، أدرك دان شيئاً مذهلاً: ما فعله لم يقرّزهم. حتى إنه لم يفاجئهم. لقد سمعوا أسوأ من ذلك. فالبعض فعلَ أسوأ من ذلك.

"حسناً"، قال. "هذا كل شيء. شكراً لإصغائكم لي".

قبل التصفيق، صرخ أحد القدامى في الصف الخلفي السؤال التقليدي: "كيف تحمّلت ذلك أيها الطبيب؟".

ابتسم دان وأعطاه الجواب التقليدي. "كل يوم بيومه".

2

بعد كلمة الختام، والبيتزا، وقالب الشوكولا الذي عليه رقم XV كبير، ساعد دان كايسي في العودة إلى سيارته. كان مطر خفيف قد بدأ يهطل.

"الربيع في نيو هامبشاير"، قال كايسي بحدّة. "آه كم هو مدهش".

"المطر ينهمر والبُقع تنسكب"، قال دان بصوتٍ خطابي، "وكيف تفعل الرياح ذلك! تنزلق الحافلة وتسكبنا، غنّ أيها اللعين".

راح كايسي يحدّق فيه. "هل ارتجلت هذا للتو؟".

"لا. عزرا پاوند. متى ستتوقف عن إضاعة الوقت وتستبدل وركك؟".

ابتسم كايسي. "الشهر القادم. قرّرتُ أنك إذا كنتَ قادراً على كشف أكبر سر لديك، فأنا قادر على استبدال وركي". صمتٌ قليلاً. "لا أقصد أن سرك اللعين كان كبيراً يا دانو".

"هكذا اكتشفتُ. ظننتُ أنهم سيهربون مني وهم يصرخون. لكنهم وقّفوا هناك يأكلون البيتزا ويتكلّمون عن الطقس".

"حتى لو أخبرتهم أنك قتلت جدّة عمياء، لكانوا بقوا ليأكلوا البيتزا وقالب الحلوى. المجاني مجاني". فتح باب السائق. "ادفعني يا دانو".

دفعه دان.

راح كايسي يتلوى برتابة وهو يعدّل طريقة جلوسه، ثم أدار المحرّك وشغّل المساحات لتمسح قطرات المطر المثلج. "كل شيء يصبح أصغر عندما يخرج إلى العلن"، قال. "أمل أن تنقل هذا إلى حماماتك".

"نعم أيها الحكيم".

نظر إليه كايسي بحزن. "اذهب واخنق نفسك يا عزيزي".

"في الواقع"، قال داني، "أظن أنني سأعود وأساعد في توضيب الكراسي".

وهذا ما فعله.

إلى أن تنام

1

لا باللونات أو لاعب خفة في حفلة ذكرى ولادة أبراستون هذه السنة. إنها في الخامسة عشرة.

لكن كانت هناك فرقة روك تهز موسيقاها الحي عبر مكبرات صوت ركبها دايف ستون - بمساعدة بارعة من بيلي فريمان - في الهواء الطلق. تناول الراشدون حلوى وبوظة وقهوة في مطبخ العائلة. واستولى الأولاد على غرفة العائلة في الطابق السفلي والمرجة الخلفية، وبدا من أصواتهم أنهم يستمتعون بوقتهم كثيراً. بدأوا يغادرون حوالي الساعة الخامسة، لكن إيما ديبن، صديقة أبرا المقربة، بقيت على العشاء. أبرا، الزاهية في تنورة حمراء وبلوزة عارية الكتفين، تنقلت بفرح كبير. ابتهجت من سوار التمايم الذي قدمه لها دان، عانقته، وقبلت خده. شم رائحة عطر. هذا أمر جديد.

عندما غادرت أبرا لترافق إيما إلى منزلها، والاثنتان تثرثران بسعادة نزولاً على الممر الخاص للمنزل، انحنى لوسي نحو دان. كان فمها مزموماً، وهناك خطوط جديدة حول عينيها، وشعرها يبين أولى لمسات الرمادي. بدا أن أبرا وضعت العقدة الحقيقية خلفها؛ لكن دان شعر أن لوسي لن تفعل ذلك أبداً. "هلاً كلمتها؟ عن الأطباق؟".

"سأخرج لأشاهد غروب الشمس فوق النهر. ربما سترسلينها لكي تتحدثت معي قليلاً عندما تعود من منزل عائلة ديبن".

بدت لوسي مرتاحة، وشعر دايفد أن دان بدا مرتاحاً أيضاً. بالنسبة لهما ستبقى لغزاً دائماً. هل سيفيد إخبارهما أنها ستبقى لغزاً دائماً حتى بالنسبة له؟ على الأرجح لا.

"حظاً سعيداً يا زعيم"، قال بيلي.

على المنحدر الخلفي حيث تمددت أبرا ذات يوم في حالة لم تكن فقدان وعي، انضم إليه جون دالتون. "كنت لأعرض تقديم دعم معنوي لك، لكنني أظن أن عليك فعل هذا لوحده".

"هل حاولت التكلم معها؟".

"نعم. بناءً على طلب لوسي".

"النتيجة غير جيدة؟".

هزّ جون كتفيه. "إنها منغلقة جداً على الموضوع".

"كنتُ مثلها أيضاً"، قال دان. "في عمرها".

"لكنك لم تكسر كل الأطباق في خزانة أمك القديمة، صح؟".

"لم تملك أمي خزانة"، قال دان.

نزل إلى أسفل الفناء الخارجي المنحدر لمنزل عائلة ستون وراح يتأمل نهر ساكو، الذي أصبح، بفعل الشمس الغاربة، أفعى قرمزية متوهجة. قريباً ستأكل الجبال آخر خيوط الشمس وسيصبح النهر رمادياً. حيث تواجد ذات يوم سورٌ سلكيّ لصدّ الاستكشافات التي قد تكون كارثية للأولاد اليافعين، يوجد الآن خط أجمات زخرفية. لقد أزال دايفد السور في أكتوبر الماضي، قائلاً إن أبراً وصديقاتها لم يعدن بحاجة إلى حمايته؛ يمكنهن كلهن السباحة مثل الأسماك.

لكن بالطبع هناك أخطار أخرى.

2

كان اللون على الماء قد تضاعف إلى أكثر مساحة زهرية باهتة - رماد الورود - عندما انضمت إليه أبراً. لم يضطر إلى الاستدارة لكي يعرف أنها أصبحت هناك، أو لكي يعرف أنها ارتدت كنزة لكي تغطي كتفها العاريتين. الهواء يبرد بسرعة في أمسيات الربيع في نيو هامبشاير الوسطى حتى بعد زوال التهديد الأخير للثلوج.

(أعجبنى السوار يا دان)

لم تعد تلفظ كلمة خالي كثيراً.

(يسرني هذا)

"يريدون منك أن تكلمني عن الأطباق"، قالت. لم تتضمن الكلمات التي نطقها أيّاً من الدفء الذي رافق أفكارها، وقد زالت الأفكار. بعد الشكر الصادق، أغلقت ذاتها الداخلية عنه. لقد أصبحت بارعة جداً في ذلك الآن، وتزداد براعتها كل يوم. "صح؟".

"هل تريدني أنتِ أن نتكلم عنها؟".

"لقد قلتُ لها إنني آسفة. قلتُ لها إنني لم أقصد ذلك. لا أظن أنها صدقتني".

(أنا أصدّقك)

"لأنك تعرف. على عكسهما".

لم يقل دان شيئاً، ومرّر فكرة واحدة فقط:

(؟)

"لا يصدّقانني في أي شيء!"، قالت بحنق. "هذا ظلم كبير! لم أعرف أن هناك شراباً في حفلة جنيفر الغبية، ولم أتناول أياً منه! ومع ذلك، عاقبتني لأسبوعين لعينين!".

(؟؟؟)

لا شيء. أصبح النهر رمادياً بالكامل تقريباً الآن. خاطر بالقاء نظرة إليها ورأى أنها تتأمل حذاءها الرياضي - أحمر ليطابق تنورتها. خذاها الآن يطابقان تنورتها أيضاً.

"حسناً"، قالت أخيراً، ورغم أنها بقيت لا تنتظر إليه، ارتفعت زوايا شفثيها في ابتسامة صغيرة حاقدّة. "لا يمكنني خداعك، صح؟ أخذتُ رشفةً واحدةً، فقط لكي أتحقّق من المذاق. يا لها من كارثة. أظن أنها شمّت الرائحة في أنفاسي عندما عدتُ إلى المنزل. ولعلمك، لم تكن هناك كارثة. فالمذاق مرّوع".

لم يردّ دان على هذا. لو أخبرها أنه وجد مذاقه الأول مرّوعاً، أنه صدّق أيضاً أنه لا كارثة في المسألة، لا سر نفيس، لكانت اعتبرت كلامه مجرد كلام فارغ طنان من شخص راشد. لا يمكنك أن تعظ الأولاد كيف يكبرون. أو أن تعلمهم كيف يتصرّفون.

"لم أقصد حقاً أن أكسر الأطباق"، قالت بصوتٍ خافتٍ. "كان حادثاً، مثلما قلتُ لها. كنتُ فقط حانقة جداً".

"هذا يحدث لك بشكل طبيعي". ما كان يتذكّره هو وقوف أبرا فوق روز القبعة بينما كانت روز تدور. هل هذا مؤلم؟ سألت أبرا الشيء المُحتضّر الذي بدا أنه يشبه امرأة (ما عدا لذلك السن الفظيع). أمل ذلك. أمل أن يكون مؤلماً كثيراً.

"هل ستسمعني محاضرةً؟". وبنبرة ازدراء: "أعرف أن هذا ما تريده هي".

"نفدت لديّ المحاضرات، لكن يمكنني أن أروي لك قصة روتها لي أمي عن جدّي والد أبي. هل تريدين سماعها؟".

هزّت أبرا كتفيها. لا مفرّ من ذلك، قالت إيماءة هزّ الكتفين.

"كان دون تورانس ممرضاً، ويسير مستخدماً عصا في أواخر أيامه، لأنه تعرّض لحادث سيارة شوّه رجله. أثناء تناول العشاء ذات ليلة، استخدم تلك العصا على زوجته. بلا سبب؛ بدأ يضرب ببساطة. كسر لها أنفها وفتح فروة رأسها. عندما سقطت أرضاً عن كرسيها، نهض وذهب حقاً ليكمل عليها. وفقاً لما أخبره أبي لأمي، كان ليقتلها لو لم يسحبه برّت ومايك - عمّاي - عنها. عندما أتى الطبيب، وجد جدّي جائئاً على رُكبتيه مع حقيبتة الطيبة الصغيرة، يفعل ما بوسعه لينفذها. قال له إنها سقطت على الدرج من الطابق العلوي. والدة جدّي - المومو التي لم تلتقي بها أبداً يا أبرا - دعت كلامه. وهكذا فعل الأولاد أيضاً".

"لماذا؟"، قالت بأنفاس محتبسة.

"لأنهم كانوا خائفين. لاحقاً - بعد وقت طويل على وفاة دون - كسر لي جدك ذراعي. ثم في الأوفلوك - الذي وقّف حيث يقف سطح العالم اليوم - ضرب جدك أمي حتى الموت تقريباً. استخدم مطرقة بدلاً من عصا، لكن العملية مشابهة مبدئياً".

"فهمتُ قصدك".

"بعد سنوات عديدة، في مقصفٍ في سانت بطرسبرغ -"

"توقف! قلتُ إنني فهمتُ قصدك!". كانت ترتعش.

"- أفقدتُ رجلاً وعيه بكرة البلياردو البيضاء لأنه ضحك عندما أوقعته أرضاً. بعد ذلك، أمضى ابن جاك وحفيد دون ثلاثين يوماً في بذلة برتقالية يلملم النفايات عن الطريق العام 41".

أدارت وجهها، وبدأت تبكي. "شكراً يا خالي. شكراً لإفسادك..."

ملأت صورة رأسه، حجبت النهر عن الأنظار للحظة: قالب حلوى متفجّم ويتصاعد منه الدخان. في بعض الظروف، كانت الصورة لتكون مضحكة. ليس في هذه الظروف.

أمسكها بلطف من كتفيها وأدارها صوبه. "ليس هناك شيء لكي تفهميه. لا جدوى. ليس هناك شيء سوى تاريخ العائلة. بكلمات أليس بريسلي الخالدة، الطفل طفلك، وأنت تهزّينه".

"لا أفهم".

"يوماً ما قد تكتبين الشعر، مثل كونشيتا. أو قد تدفعين شخصاً آخر عن مكان مرتفع بذهنك".

"أبدأ لن... لكن روز استحققت ذلك". أدارت أبرا وجهها الرطب إلى وجهه.

"لا جدال في ذلك".

"لماذا إذاً أحلم عن ذلك؟ لماذا أتمنى لو يمكنني التراجع عنه؟ كانت لتقتلنا، لذا لماذا أتمنى لو يمكنني التراجع عما فعلتُ؟".

"أنتِ تتمنين التراجع عن القتل، أو فرح القتل؟".

أخفضت أبرا رأسها. أراد دان أن يأخذها في حضنه، لكنه أحجم عن فعل ذلك.

"لا محاضرة ولا أخلاقيات. مجرد دم يستدعي دماً. الإلحاح الغبي للأشخاص الأرقين. وقد وصلت إلى مرحلة من حياتك تكونين فيها مستيقظةً بالكامل. هذا صعب عليك. أعرف ذلك. هذا صعب على الجميع، لكن معظم المراهقين لا يملكون قدراتك. أسلحتك".

"ماذا أفعل؟ ماذا يمكنني أن أفعل؟ أحياناً أغضب جداً... ليس منها فقط، بل من الأساتذة... من الأولاد في المدرسة الذين يظنون أنفسهم مهمين جداً... من الأولاد الذين يضحكون إذا لم تكن بارعاً في الرياضة أو إذا ارتديت الملابس الخطأ...".

تذكر دان النصيحة التي أسداها له كايسي كينغسلي ذات يوم. "اذهبي إلى مكبّ النفايات".

"ماذا؟"، قالت وهي تحملق فيه.

أرسل لها صورة: أبرا تستخدم مواهبها الاستثنائية - لا تزال لم تصل إلى مستواها الأقصى، هذا غير معقول لكن حقيقي - لكي تقلب البرادات المرمية، تفجر التلفزيونات المعطلة، ترمي الغسالات. طيور نورس تحلق في مجموعات جافلة.

لم تحملق فيه الآن؛ بل قهقهت. "هل هذا سيساعد؟".

"مكبّ النفايات أفضل من أطباق أمك".

أمالت رأسها وركّزت عليه عينين مرحتين. لقد عادا أصدقاء من جديد، وهذا جيد. "لكن تلك الأطباق كانت بشعة جداً".

"هلاً حاولتِ؟".

"نعم". وبحسب مظهرها، بدا أنه لا يسعها الانتظار.

"شيء واحد آخر".

وقفت منهيةً ما سيقوله.

"أست مضطرة أن تكوني ممسحة أحذية أي شخص".

"هذا جيد، أليس كذلك؟".

"نعم. فقط تذكّري مدى الخطورة التي يمكن أن يكون عليها غضبك. أبقيه -"
رَنَّ هاتفه الخلوي.

"يجب أن تردّ على هذا".

رفع حاجبي عينيّه. "هل تعرفين من المتصل؟".

"لا، لكنني أظن أن المكالمة مهمة".

أخرج الهاتف من جيبه وقرأ النصّ المعروض. منزل ريفنغتون.

"ألو؟".

"أنا كلوديت ألبيرتسون يا داني. هل يمكنك القدوم؟".

أجرى جردة ذهنية لضيوف مأوى العجزة المدوّنة أسماؤهم حالياً على سبّورته. "أماندا ريكز؟ أو جف كيلوغ؟".

تبَيَّن أنه ليس أحدهما.

"إذا كنتَ تستطيع القدوم، من الأفضل أن تفعل ذلك فوراً"، قالت كلوديت. "بينما لا يزال واعياً". تردّدت. "إنه يسأل عنك".

"ساتي". رغم أنه إذا كان الوضع سيئاً مثلما تقولين، فسيكون قد رحل على الأرجح قبل أن أصل إلى هناك. أنهى دان المكالمة. "عليّ أن أذهب يا عزيزتي".

"رغم أنه ليس صديقك. رغم أنه لا يروق لك حتى". بدت أبراً غارقةً في التفكير.

"رغم ذلك".

"ما اسمه؟ لم أعرف".

(فرد كارلينغ)

أرسل لها هذا ثم أحاطها بذراعيه، بشدة-بشدة-بشدة. فعلت أبراً الشيء نفسه.

"سأحاول"، قالت. "سأحاول بكل جهدي".

"أعرف ذلك"، قال. "أعرف ذلك. اسمعي يا أبراً، أحبك كثيراً".

قالت، "يسرني هذا".

كانت كلوديت في محطة الممرضات عندما دخل بعد خمس وأربعين دقيقة. طرح السؤال الذي طرحه عشرات المرات من قبل: "هل لا يزال معنا؟" كما لو أنهم كانوا في نزهة في حافلة.

"بالكاد".

"واع؟".

هزّت يدها. "بين بين".

"أزي؟".

"كان هناك لبرهة، لكنه خرج بسرعة عندما دخل الدكتور إمرسون. رحل إمرسون الآن، يتفقد أماندا ريكز. عاد أزي حالما رحل".

"لا نقل إلى المستشفى؟".

"لا يمكن. ليس بعد. هناك زحمة كبيرة على الطريق 119 عند الحدود في كاسل روك. الكثير من الإصابات. أربع سيارات إسعاف في طريقها إلى هناك. الذهاب إلى المستشفى سيحدث فرقاً لبعضهم. أما بالنسبة لفرد... " هزّت كتفها.

"ماذا حصل؟".

"أنت تعرف فرد - مدمن وجبات سريعة. الماكدونالد منزله الثاني. ينظر أحياناً عندما يجتاز جادة كرانمور، وأحياناً لا ينظر. يتوقع ببساطة أن يتوقف له الناس". جعدت أنفها ومدت لسانها لتقلد ولداً صغيراً تناول للتو طعاماً كريهاً. كُرنب بروكسل، ربما. "ذلك السلوك".

دان يعرف روتين فرد، ويعرف سلوكه.

"كان ذاهباً لإحضار تشيزبرغر المساء"، قالت كلوديت. "الشرطة أخذت المرأة التي صدمته إلى السجن - كانت الفتاة ثملة لدرجة أنها بالكاد كانت قادرة على النهوض، هذا ما سمعته. أحضروا فرد إلى هنا. وجهه مثل البيض المخفوق، صدره وحوضه مسحوقان، إحدى رجليه مقطوعة تقريباً. لو لم يكن إمرسون هنا يقوم بجولاته، لكان فرد مات فوراً. قئنا مدى خطورة حالته، أوقفنا النزيف، لكن حتى لو كان في قمة صحته... وهذا لا ينطبق بالتأكيد على عزيزنا فريدي...". هزّت كتفها. "يقول إمرسون إنهم سوف يرسلون سيارة إسعاف بعد إزالة الفوضى في كاسل روك، لكنه سيكون قد رحل وقتها. لن يسلم الدكتور إمرسون بذلك، لكنني أصدق أزيل. من الأفضل أن تذهب إلى هناك، إذا كنت تريد. أعرف أنك لم تهتم لأمره أبداً..."

تذكّر دان آثار الأصابع التي خلفها الممرض على ذراع تشارلي هايز المسكين. يؤسفني سماع هذا - هذا ما قاله كارلينغ عندما أخبره دان أن العجوز مات. كان فُرد مرتاحاً، يتأرجح على كرسيه المفضّل ويأكل حبوب شوكولا بالنعنع. لكن هذا ما جاءوا إلى هنا من أجله، صح؟

والآن فُرد موجود في نفس الغرفة التي مات فيها تشارلي. الحياة عجلة، وتدور دائماً.

4

كان باب جناح ألان شبيرد نصف مفتوح، لكن دان قرّعه على أي حال، بدافع اللياقة. يمكنه سماع الصفير والغرغرة الفاسيين لأنفاس فُرد كارلينغ حتى من الرواق، لكن لم يبدو أن ذلك يزعج آزي، الذي كان متكوراً أسفل السرير. كان كارلينغ ممدداً على ملاءة مطاطية، لا يرتدي شيئاً سوى سروال داخلي ملطّخ بالدم وكيلومترات من الضمادات، معظمها يسرب دماً من قبل. وجهه مشوّء، وجسمه مفنول في ثلاثة اتجاهات مختلفة على الأقل.

"فُرد؟ أنا دان تورانس. هل تسمعي؟".

انفتحت العين المتبقية. توقف التنفس. صدر صريز موجز يمكن أن يكون نعم.

دخل دان الحمام، بلل منشفة بماء دافئ، وعصرها. هذه أشياء فعلها مرات عديدة من قبل. عندما عاد إلى سرير كارلينغ، نهض آزي إلى قدميه، تمطت بتلك الطريقة الفاخرة المنحنية الظهر التي تتخصّص بها القطط، وقفز إلى الأرض. رحل بعد لحظة، ليستأنف دوريته المسائية. إنه يعرج قليلاً الآن. فقد أصبح قطعاً عجوزاً جداً.

جلس دان على حافة السرير وفرك المنشفة بلطف على الجزء من وجه فُرد كارلينغ الذي لا يزال سليماً نسبياً.

"كم مقدار الألم؟".

ذلك الصرير مرة أخرى. كانت يد كارلينغ اليسرى كومة أصابع مكسورة ومفتولة، لذا أمسك دان الإصبع الأيمن. "لست بحاجة إلى أن تتكلم، فقط أخبرني".

(ليس شديداً الآن)

أوماً دان برأسه. "جيد. هذا جيد".

(لكنني خائف)

"لا يوجد شيء للخوف منه".

رأى فُرد في سنّ السادسة يسبح في نهر ساكو مع أخيه، فُرد دائماً يشدّ الجهة الخلفية لثوب سباحته لمنع من السقوط لأنه كبير جداً عليه، فقد وصله من أخيه الأكبر منه مثل كل شيء آخر يملكه. رآه في سنّ الخامسة عشرة يقبّل فتاةً في سينما بريدغتون ويشمّ عطرها بينما يلمس صدرها ويتمنى ألا تنتهي هذه الليلة أبداً. رآه في سنّ الخامسة والعشرين يقود إلى شاطئ هامبتون مع حراس الطريق، جالساً منفرج الساقين على درّاجة هارلي FXB طراز ستروجز، مسروراً جداً، جسمه مليء بالأمفيتامين وشراب العنب الأحمر واليوم يشبه مطرقةً، الجميع ينظرون إليهم يدخلون في قافلة طويلة ومتألقة ذات ضجيج كبير؛ الحياة متفجرة مثل الألعاب النارية. رأى الشقة التي يعيش - عاش - فيها كارلينغ مع كلبه الصغير، الذي يدعى براوني. براوني ليس ذي شأن كبير، مجرد كلب مهجّن، لكنه ذكي. يقفز أحياناً إلى حُضن الممرّض ويشاهدان التلفزيون معاً. براوني يُشغّل بال فُرد لأنه سيكون بانتظاره أن يعود إلى المنزل، يأخذه في نزهة صغيرة، ثم يملأ وعاءه بالطعام.

"لا تقلق بشأن براوني"، قال دان. "أعرف فتاةً سيسرّها أن تعتني به. إنها ابنة أختي، واليوم ذكرى ولادتها".

رفع كارلينغ نظره إليه بعين واحدة تعمل. أصبح صفيّر أنفاسه صاخباً جداً الآن؛ بدا كأنه محرّك مليء بالأوساخ.

(هل يمكنك مساعدتي رجاءً أيها الطبيب هل يمكنك مساعدتي)

نعم. يمكنه مساعدته. هذه غايته التي وُلد من أجلها. المكان هادئ الآن في منزل ريفنغتون، هادئ جداً. في مكانٍ قريب، هناك باب يُفْتَح. لقد وصلا إلى الحدود. رفع فُرد كارلينغ نظره، يسأل ماذا. يسأل كيف. لكن المسألة بسيطة جداً.

"تحتاج فقط إلى النوم".

(لا تتركني)

"لا"، قال دان. "أنا هنا. سأبقى هنا إلى أن تنام".

أمسك يد كارلينغ الآن بيديه الاثنتين. وابتسم.

"إلى أن تنام"، قال.

1 مايو 2011 - 17 يوليو 2012